



الهيئة العامة لتسجيل الوثائق

ذاكرة المكتبة



تاريخ العرب قبل الإسلام



لوحة كتاب من كتاب تاريخ العرب

د. السيد عبد العزيز سالم

(شـ ٢٠٠٧)
الدكتور / مصطفى رمضان نوب
جمهورية مصر العربية

الهيئة العامة لقصور الثقافة



دراسات في تاريخ العرب
تاريخ العرب قبل الإسلام

تأليف

د. السيد عبد العزيز سالم

ذاكرة الكفاية (١٢)

رئيس مجلس الإدارة

علي أبوشادي

رئيس التحرير

د. عبد القادر القحط

مدير التحرير

محمود شومان

أمين عام النشر

محمد كشيك

الإشراف الفني

د. محمود عبد العاطي

(الملاحظات : باسم مدير التحرير

علي العنوان التالي ١٦ أ ش أمين سامي - القصير العيني

رقم بريدي : ١١٤٩١

مستشارو التحرير

د. جابر عصفور

أ. محمود أمين العالم

د. محمود علي يكن

- الكتاب : تاريخ العرب قبل الإسلام
- المؤلف : د. السيد عبد العزيز سالم
- الطبعة الأولى : مؤسسة شيايبه الجامعة - إسكندرية
- الطبعة الثانية : الهيئة العامة لقصور الثقافة / ٢٠٠٠

مقدمة الكتاب

إن البحث في التاريخ السياسي والاجتماعي للعرب في العصر السابق على ظهور الإسلام ، ودراسة المنايا الأولى لحضارتهم يستثير اليوم اهتمام الكثير من أبناء العرب في مختلف أنحاء العالم العربي ، من يتطلعون إلى التعمق في معرفة ماضي أمته العربية ، ومنيت قوميتهم ، بغية الرد على أباطيل أعدائهم ، والغزو من أحداث الماضي ووقائمه بمرات وعطاط ، ومن يجارب أحسن أدم القدامى بدروس قد لعينهم في الوقت الحاضر على إدراك ورائهم القديم الحافل بالأمجاد وتحدد موقفهم من قضايا المعاصرة .

ولا شك أن تاريخ العرب في الجامعة من الموضوعات الهامة بالقضية لتاريخ العرب العام ، وتاريخهم الإسلامي بوجه خاص ، لأنه أس هذا التاريخ ، وركيزته التي يقوم عليها ، ولا يمكن تفسير كثير من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية وحتى الفنية في العصر الإسلامي إلا إذا بحثنا عن أصولها القديمة في عصر الجامعة .

غير أن هذا التاريخ الجهلي لم يلق من عناية الباحثين القدامى والمحدثين إلا حظاً يسيراً ، إذ أن أخبار العرب في الجامعة التي وصلت إلينا في المدونات التاريخية لا تبدو أن تكون أخباراً مضطربة تختلط فيها الحقائق التاريخية بالروايات الخرافية ، ويسودها بوجه عام الطابع الأسطوري والعنصر القصصي .

ومثل هذه الأخبار والروايات لا يمكن الركون إليها والاعتماد عليها كمصدر رئيسي لكتابة هذا التاريخ دون التحقق منها بالرجوع بقدر المستطاع إلى مصدر آخر هام من مصادر التاريخ العربي القديم ، وهو الآثار الباقية ، والنقوش الكتابية المسجلة عليها . والحسب أن كثيراً من المستشرقين المحدثين ، وقرئوا قليل من علماء العرب ، بذلوا جهوداً أقل مما يقال عنها أنها مضنية ، وصرفوا جانباً كبيراً من هذه الجهود في إرقاد بلاد العرب ، ودراسة آثار اليمن والحجاز وجنوب الشام ، ونسخ ما عثروا عليه من النقوش الكتابية القديمة ، ورجعته إلى اللغات الأوروبية . ومع ذلك فإن ما صدر من بحوثهم يعد قليلاً للغاية ، وما يزال تاريخ العرب في العصر الجاهلي يحتاج إلى مزيد من الجهود الأثوية والتاريخية التي نعين على وضع تاريخ للجاهلية يزيل من الأخبار المدونة ما اختلط بها من أساطير ، ويمتد في أصوله على الحقائق العلمية التي يمكن أن تفسر عنها الأبحاث الأخيرة .

ومكتبتها العربية - لألسف المرموقة - في هذا النوع من الدراسات ، فلم يصدر عن تاريخ العرب في الجاهلية من المصنفات العربية الحديثة سوى عدد قليل من البحوث يعد على أصابع اليد ، أهمها جميعاً بدون جدال كتاب ضخم من ثمانية أجزاء للدكتور جواد علي يعتبر المرجع العلمي الأول لتاريخ العرب في الجاهلية مكتوباً باللغة العربية ، ومع ما قدمه مؤلفه من فضل تأليفه له باعتباره أفضل ما صدر من بحوث عربية حديثة في هذا المجال ، فقد بالغ في التوسع في لمصولة ، وأخرى في تفصيلات موضوعه إلى حد يصعب على الدارس لتاريخ الجاهلية أن يلم بأطرافه ويحيط بكل جوانبه . ومنها بحث قاريخي أدبي للأستاذ جرجي زيدان ، يعتبر على الرغم من قدمه ، وبعده عن النهج العلمي ، من المصنفات الجديرة بالاطلاع .

وقد دفعني هذا النقص الكبير في كتب التاريخ العربي القديم ، منذ أكثر من عشر سنوات ، إلى توجيه عنايتي لدراسة هذا التاريخ ، وذلك بعد أن أسندت

إلى جامعة عين شمس لتدريس هذه المادة ، فاستهوفني دراسة تاريخ العرب القديم على ما مر عليه من صعوبة ، وأدركت ما يمكن أن يعود على المكتبة العربية من إصدار بحث جديد مترابط للعناصر عن تاريخ العرب في الجاهلية ، أحببت فيه بكل جوانب هذا الموضوع سياسية وحضارية ، وأوضح ما خفي من هذا التاريخ بطريقة سهلة مبسطة ، تمين للقارئ العربي على الاستفادة من تحصيل مادته ، وحارلت أن أفيد من قبامي بتدريس هذه المادة بعد ذلك بجامعة الاسكندرية ، في تحقيق هذا الهدف ، وولفت أخيراً في محاولة أولية إلى إصدار الجزء الأول من دراسات في تاريخ العرب ، في أول عام ١٩٦٧ . على أنني أدركت بعد ذلك بعامي ، تحقيقاً للفائدة التي تعود على الطلاب من دراسة هذا الموضوع ، ضرورة إعداد بحث جديد أقل توسعاً في التفاصيل مع الإحاطة بمجانب الموضوع ، يستطيع الطالب والباحث على السواء أن يثمر تحصيلهما لمادته ، ولم أقصد من هذه المحاولة الجديدة سوى تيسير المهمة على القارئ العربي ، ورجو أن تكون قد حفلت بهذا البحث المتواضع للغاية من إعدادي ، والله ولي التوفيق .

السيد حميد المزيح سالم

الباب الأول

دراسة تمهيدية

(١) المصادر

(٢) العرب ووطناتهم

(٣) جغرافية بلاد العرب

مصادر تاريخ الجاهلية

مصادر تاريخ الجاهلية كثيرة ومتنوعة ، ولكنها حصر في ثلاثة أنواع :
الأول ، المصادر الأثرية : وتتضمن النقوش الكتابية والآثار المعمارية .

الثاني ، المصادر العربية المكتوبة : وأهمها القرآن الكريم والحديث وكتب
التفسير ، وكتب السيرة والمغازي ، وكتب التاريخ والجغرافيا
والشعر الجاهلي

الثالث ، المصادر عبر العربية : وتشمل على التوراة والنفوس ، والكتب
العبرانية ، وكتب التاريخ اليونانية واللاتينية والسرانية ،
والمصادر الفارسية .

أولاً - المصادر الأثرية

١ - النقوش الكتابية :

تعتبر النقوش الكتابية الأثرية من أهم مصادر التاريخ بوجه عام والتاريخ العربي
القديم بوجه خاص ، لأن أكثر ما وصل إلينا عن العصر الجاهلي في المصادر

العربية المدونة لا يبدو أن يكون روايات يظلم عليها الطابع الأسطوري ،
وتختلط فيها الحقيقة بالخيال ، ولهذا السبب تطلع الباحثون الأوروبيون منذ
أواخر القرن التاسع عشر إلى الاعتماد على دراسة النقوش العربية القديمة التي تم
المثور عليها في بلاد العرب ، واستنساخ حادثة تاريخية من واقع ما ورد فيها من
حقائق تتضمن أسماء الملوك والسلاطين وأحماهم وديانتهم ، ولا شك أن هذه
الكتابات الأثرية بما تتضمنه من أخبار تظم مادة أسباسة لتاريخ العرب السابق
على ظهور الإسلام وتاريخ حضارتهم ، لا سيما ما يختص منها بالدراسات اللغوية ،
وهي لهذا السبب أيضاً تعتبر وثائق أصيلة يستند عليها المؤرخ في تأريخ الأحداث ،
لأنها كتابات محايدة غير مفرضة ، بالإضافة إلى كونها معاصرة لهذه الأحداث
التي تسجلها ، لم تشوهها الروايات والنقول^(١) . فمن المعروف أن النقوش الأثرية
تشتمل حقائق ثابتة ، وتتضمن قواربها صحيحة ، وأعلاماً يقل فيها التحريف ،
بيتا نجد معظم ما وصل إلينا من الكتابات قد شوهت إما الروايات الخرافية أو
التحيز المعصية ضد الأخرى .

ومعظم ما وصل إلينا من النقوش العربية القديمة يرجع إلى بلاد العرب
الجنوبية ، وقليل منها يرجع إلى العربية الشمالية^(٢) ، ولعل ذلك هو السبب

(١) ذكي محمد حسن ، دراسات في مساهمات البحث والمراجع في التاريخ الإسلامي . مج ٢
كلية الآداب جامعة القاهرة ، مج ١٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٦٠ ، ص ١٦٢ . سيدة اسماعيل
كاشف ، مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ، القاهرة : ١٩٦٠ ، ص ٦٣ - السيد
عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية : ١٩٦٧ ، ص ١٥١ .

(٢) أم هذه النقوش العربية الشمالية ، نقش تارة الذي عثر عليه الأستاذ ريتو ديسو على جبل
الصفا الواقع إلى الجنوب الشرقي من دمشق . وهو شاهد غير الملك القضي أموي ، القيس بن حمر
ابن عدي (٢٨٤ - ٣٢٨) ، وهو نقش مكتوب بحروف نبطية في لغة عربية (ريتو ديسو ،
العرب في سوريا قبل الإسلام ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد الدواخل ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٣٦ -
ميتلف نيلسون ، تاريخ العلم ونظرة حول المائة ، من كتاب التاريخ العربي القديم ، ترجمة
الدكتور نواز حسني علي ، القاهرة : ١٩٥٤ ، ص ٢٩) .

في إنكار مص المشرق وسوء كتابة عدد عرب الشمال ، استناداً إلى ما ذكره ابن خلدون من أن الخط العربي انتقل من دولة التايمة الجيوب إلى الحيرة ثم انتقل بعد ذلك من الحيرة إلى الحجاز^(١) ، وإن كان الدكتور خليل يحيى ناسي ينفي اقتطاع الخط العربي من المد الحيري ، ويرى أن العلاقة بينها لا تلحرج من كونها من أصل سامي واحد . ويصف أن العرب اشتقوا كتابهم من كتابة شعب السط الذي كان يسكن في مدين وما يحاورها من المناطق الشمالية لبلاط العرب ، ثم تطورت الكتابة النبطية في الحجاز قُبلاً نحو مكة التجارية حتى أصبحت الكتابة النبطية تعرف باسم الكتابة العربية في أوائل القرن الخامس الهجري^(٢)

٢ - الآثار الباقية ١

تعتبر الآثار الباقية ، سواء الثابتة منها كالمنابر أو المنقوشة كالنصف المبدئية والصلوات والنصف الخشبية والخزفية وأدوات الزينة والفرو وغير ذلك من المواد التي بسول حلها ونظفها ، من أهم المصادر التي يعتمد عليها المؤرخ في كتابة التاريخ ، لأن الوثائق المكتوبة لا تكفي وحدها لهذا الغرض ، إما لتفريطها أو لتناقص ما جاء فيها ، أو لاختلاط الحقائق التاريخية فيها بالقصص والأساطير أما الآثار المتضمنة لغوياً كتابية أصلاً مدونة للأحداث ، عبر قامة للتصنيف والتعريف ، كما أن الآثار العربية القديمة تعتبر سجلاً تاريخياً حياً لأعمال المؤرخين والأمراء في المراحل المختلفة للباقي من التاريخ الجاهلي ، وشاهداً مادياً بالطلا لحضارة العرب في عصر الجاهلية . فمن هذه الآثار الباقية في حوضها من بلاد

(١) ابن خلدون - مقدمة - تحقيق الدكتور علي حـ - الترجمة والي - ج ٢ ص ٢٥

(٢) ناسي - أصل الخط العربي - تاريخ نظريه - إل - الحجاز الاسلام - بحث هذه الآثار ، مجلة التراث - ج ١ ص ١٩٣٥

العرب استطاعوا أن تقلق على مدى ما وصل إليه العرب القدماء من نهضة حضارية، ونكتشف النقاب عن حقائق تطلق بتأريخ الممران العربي القديم في المراكز الحضارية العربية المختلفة في العصر الجاهلي، وتستبطن منها التيارات العصبية التي ركت بصفتها في إنتاج العرب القديم، والمصادر المختلفة التي أثرت على عبور الحضارة سواء كانت آشورية أو بابلية أو يونانية، وكما أن الآثار الحضارية السابقة تعيننا على فهم درجة الإقلاق الفني عند العرب في الجاهلية، فإن العملات العربية نقوشها التي تضمن ألقاباً ملكية، وأسماء القديسات، تعتبر مصدراً هاماً عن مصادر التاريخ الجاهلي، وتستدل من العملات الحجرية وعملات النخسين والفسانة الثائرة بالعملات البرونزية، كما استدل من الأحكام العربية المصونة، وبعض الممارس المصرية، والاختصاص الساسية التي وجدت طريقها إلى بلاد العرب الجنوبية، على قيام نوع من التبادل التجاري بين بلاد العرب الجنوبية وبلاد الشام ومصر والعراق، لحدود نطاقه الأصلي إلى القصور^(١) كما نستدل منها على اشتغال العرب في الجاهلية بالتجارة العالمية بعد الفول للطة على المحيط الهندي، والرافعة على البحر المتوسط^(٢)

ثانياً - المصادر العربية المكتوبة

١ - القرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم أساس التشريع الإسلامي، والمصدر الأول لتأريخ العرب في عصر الجاهلية، وأصدق المصادر العربية المصونة على الإطلاق، لأنه

(١) ليكنويس ودمركلاكيس - الحياة العلمية الدول العربية المصونة، من كتاب تاريخ العربي القديم، ص ١٢١

(٢) لواء سبيح - العرب قبل الإسلام - من كتبه كتاب تاريخ العربي القديم، ص ١١٧

تنزيل من الله تعالى لا سبيل إلى الشك في صحة نصه^(١) ، ففيه ذكر لبعض مظاهر حياة العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية ، وفيه ذكر لبعض أخبار الشعوب البائدة (عاد وتمود) ، وفيه أخبار عن أصحاب الفيل (أبرهة الحبشي وجيشه) ، وسيل العرم (وهو السيل الذي دمر جند مأرب) ، وأصحاب الأخدود (وهم أهل لحيان النصراني الذين أحرقتهم فرؤاس الحيري في أخدود سحره لذلك المرض) ، هذه الأخبار أوردتها الله تعالى في كتابه العزيز عبرة وموعظة للعرب المعاصرين للإسلام ، بما أصاب الله الشعوب البائدة من قصاص تكذيبهم الرسل والأنبياء . وقد أثبتت الحقائق التاريخية الثابتة والكشوف الأثرية صحة ما جاء في القرآن الكريم من أخبار هذه الأمة ودقتها^(٢) ، ومن المعروف أن الشعوب العربية البائدة إنما انقرضت لعاملين . الرمل الزاحف الذي طمى على الممران القديم في أواسط شبه الجزيرة العربية وفي الأحقاف ، وهياج البراكين وما ترتب عنه من تدمير شامل للمدائن كانت عامرة^(٣) . ولقد ورد في القرآن الكريم أن قتائل عاد وتمود بادت مصاعفة دمرت كل شيء ، وأن الله أرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية أتت على كل شيء . وفي عاد وتمود يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فإما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ، وقالوا من أشد منا قوة ، أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم وكانوا ما يأتينا يمحذون . فإرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الجزى في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخرى وهم لا ينصرون ، وأما

(١) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ٦٨ - جزء علي . تاريخ العرب قبل الإسلام ، القسم السياسي ، ج ١ ، ١٩٥٠ ، ص ٢٥ . صبحي الصالح ، ساحت في علوم القرآن ، دمشق ، ١٩٦٠ ، ص ٢٩٢ - صرخروخ ، تاريخ الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص ١٦

(٢) جبرسي زبدان ، العرب قبل الإسلام ، طبعة دار الفلاح ، مراجعة الدكتور حسين دوانس ،

ص ١٧

(٣) صرخروخ ، المرجع السابق ، ص ٤٥

ثود فهدينام ، فاستحبوا العسى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب المون بما كانوا يكسبون ﴿١٩١﴾ . وقال تعالى ﴿ وفي عباد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، ما تذر من شيء أثت عليه إلا جعته كالرجم ، وفي ثود إذ قبل لهم نعموا حق حين فستوا عن أمرهم ، فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون . لما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ﴾ ١٩١ . وقال تعالى ﴿ وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جافين ، كأن لم يشعوا فيها ، ألا إن ثوداً كفروا برهم ألا بعداً لثود ﴾ ١٩٢ .

ومستدل من هذه الآيات البيّنات على أن قوم ثود وعاه هلكوا على أثر ربيع عاقية أو على أثر تفجير بركان صحت رحمة عنيفة

وسبل الحرم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم إنما بقصد به السبل الذي أدى إلى انهيار سد مأرب وتخربه ، وكان سد مأرب أهم سدود اليمن جميعاً ، وإليه يرجع الفضل الأعظم في تحويل مدينة مأرب إلى جنة يابسة ، وفي تعريف بلاد اليمن ببلاد العرب السعيدة ١٩٣ ، وبالقيمة الحضارة والأرض الخضراء ، لكثرة مرارعتها وأشجارها وغارها ١٩٤ . وما زالت آثار السد وآثار الجنيتين الواقعتين على يمينه وعلى يساره ظاهرة حتى يومنا هذا ، تؤكد صحة ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ لقد كان لسبأ في مسكنهم آية حنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا ، فأرسلنا عليهم

(١) القرآن الكريم ، سورة فصلت ٤١ آية ١٥ - ١٦

(٢) القرآن الكريم ، سورة القاديات ١٦ آية ٤١ - ٤٢

(٣) القرآن الكريم ، سورة هود ١١٠ آية ٦٧ - ٦٨

(٤) عربيا اليونان اسم Arabia Felix

(٥) الهدالي ، صفا سريرة العرب ، نشره الأستاذ محمد بن عبد الله بن سعيد الحمدي

القاهرة ١٩٥٣ ص ٦٦

سبل العرم ، وبدل لسانهم يحنثهم جنتين ذواتى أكل خط وأل وحقى من مدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل يجاري إلا الكفور ﴿ ١١١ ﴾ .

ومع ذلك فإن عدداً كبيراً من المشرقيين لا يمترون الكتب المقدسة ، ومن بينها القرآن الكريم ، مصادر تاريخية يعول عليها ، لأن ما جاء فيها لا يتضمن تفصيلات تاريخية ، كما أنها تدل إلى عبوة أخلاقية بالإضافة إلى أن بعض أخبارها لا يزال غير واضح ، وينقصه التعدد الزماني والمكاني ^{١١٢} .

وعلى الرغم من هذا ، فإن القرآن الكريم يعتبر مصدراً لا يرقى إليه الشك للتأكيد على وقوع بعض أحداث في الحاطية مثل حادثة أصحاب الأخدود ، وحادثة سبل العرم ، وقصة أصحاب العيل ، ثم إنه مرآة صادقة للحياة الحاطية ، يصور الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية والفنية أيضاً أصدق تصوير ^{١١٣} .

٢ - الحديث وكتب التلميح

أما الحديث وهو المصدر الثاني لتشريعة الإسلام ، لأنه يتضمن أحكاماً وفرواين للمجتمع الإسلامي المتطور ، فيعتبر أصدق المصادر التاريخية بعد القرآن الكريم لتدوين تاريخ الحاطية القريب من الإسلام ، على الرغم من أن الحديث لم يدون بالفعل إلا في أواخر القرن الثاني الهجري في خلافة عمر بن عبد العزيز ، وسبب ذلك أن الحديث يمثل أقدم الروايات الشفوية التي وصلت إلنا عن طريق التدوين وأدقها لاعتداده على الإسناد ، بالإضافة إلى تعرض الأحاديث لكل ما

(١) القرآن الكريم . سورة صبا ، آية ٦٥ - ٦٦

(٢) سيدة اسماعيل كلف . مصادر التاريخ الإسلامي . ص ١٦

(٣) أحد أراهم الشرف ، مكة والديبة في الحاطية وحصن الرسول . القاهرة . ١٩٦٢

ص - ط من المقدمة

يقارب تفسير الطبري إن لم يكن يفوقه في بعض المائل . وكان هناك ما يسمى بالتفسير بالرأي ، ويعتمد التفسير فيه على الفقه ومعاني الألفاظ ، ولذلك عرف أيضاً بتفسير النجاة أو التفسير العقلي ، وفيه تعددت المناهج وكثر الاختلاف . وأشهر التفسير بالرأي تفسير الزمخشري ^(١) (ت ٥٥٣٨) ، وبصرف بالتفسير القوي ، وتفسير فخر الدين الرازي ^(٢) (ت ٦٠٦ هـ) ، وهو تفسير عقلي بحث عني فيه الرازي ببحث الكويزات ، وقد قسم الآيات التي يتولى تفسيرها إلى عدد من المسائل ، قام بتأويلها مدافعا عن عقيدة أهل السنة والجماعة ^(٣) ، ومنها تفسير البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) المسمى بأوار التنزيل وأسرار التأويل ^(٤) ، وفيه معنى بإنشآت الأدلة على أصول أهل السنة ، ومنها تفسير أبي السعود ، وتفسير السمي ، وتفسير الحارثي .

٣ - كتب السيرة والمغازي ،

دفع اهتمام المسلمين بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله للاعتداء بها والاعتناء عليها في التشريع الإسلامي ، وفي النظم الإدارية ، المؤرخين الأول إلى الكتابة في سيرة الرسول وفي مغاربه ومغازي الصحابة ^(١) . وقد تعرضت كتب السيرة والمغازي لأخبار الجماعة القريبة من الإسلام أو المتصلة بحياة النبي ﷺ ، ولذلك فهي من المصادر الهامة لتاريخ العرب قبل الإسلام ، فكتاب سيرة ابن هشام مثلا (ت ٢١٨ هـ) أول كتاب عربي وصل إلينا يؤرخ لسيرة النبي ولعرب قبل الإسلام ، وابن هشام في سيرته يعتمد على الرواية الشفهية كما ينتمس على كتب

(١) سقائني خواص التنزيل وجون الأكاويل ، طبعه مصر في جزأين ، القاهرة ١٣٠٧ هـ .

(٢) ملائح الصب أمر تفسير الكبير ، طبعه القاهرة ، في ٨ أجزاء ، ١٣٠٨ هـ .

(٣) صحي الصالح ، المرحوم السابق ، ص ٢٣٦ . هو فروع ، تاريخ الجماعة ، ص ١٧ .

(٤) طبعة ولات ، في جزأين ، القاهرة ١٣٨٩ و ١٣٩٠ هـ .

(٥) أحمد أمين ، غنى الإسلام ، ج ١ ، القاهرة ١٩٣٨ ، ص ٣١٩ - عبد العزيز الدوري .

نشأ علم التاريخ عند العرب ، نشرت ١٩٦٠ ص ١١٩ .

ضاعت أمها كتاب في سيرة النبي لأبي عداة محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ)^(١) .
ومن أقدم كتاب المغازي عمرو بن الزبير الذي وصلتنا بعض رسائله في كتب
الواقدي والطبري ، وأبان بن عثمان بن عفان ، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري ،
وشرحبيل بن سعد ، والواقدي ، ومحمد بن سعد .

ومعظم كتاب السيرة والمغازي من أهل الحجاز ومن المدينة بالذات ،
باعتبارها دار عبادة الرسول ودار السنة التي عاش فيها الصحابة ، وجمعوا أحاديث
الرسول ، ورووها بدورهم إلى التابعين . بينما تألفت حركة أخرى للتأليف في
السيرة والمغازي في البصرة نتيجة طبيعة الصراع الحزبي والافطيمية والفتنية .
وينقسم مؤرخو السيرة والمغازي في مدرسة المدينة إلى ثلاث طوائف ، فخير
في الطبقة الأولى منهم أبا عبد الله بن عثمان بن عفان وعمرو بن الزبير وشرحبيل بن
سعد . ومن كتاب الطبقة الثانية : عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وعاصم بن
عمرو بن قنادة ، وابن شهاب الزهري ، ومن كتاب الطبقة الثالثة : موسى بن
هبة ، ومحمد بن إسحاق بن يسار ، والواقدي . وكلهم من المدينة دار السنة
باستثناء ابن شهاب الزهري فهو مكّي ، ونضيف إليه وهب بن منبه الذي كتب
في السيرة مجمل كتاباته في قصص الأنبياء وأخبار القدامى . وفيما يلي دراسة
موجزة لأعلام هذه المدرسة المدنية .

الطبقة الأولى

(١) أبان بن عثمان بن عفان (ت ٥١٠ هـ) .

كان والياً على المدينة في خلافة عبد الملك بن مروان ، واشتهر بالحديث

(١) جمع ابن هشام أخبار السيرة من ابن إسحق ومروني وتتلوها بالتدوير والاختصار وذكر ما
كان ابن إسحق ذكره من روايات (راجع مقدمة ابن هشام ، السيرة النبوية ، المحقق مصطفى الحفا
دارالعلم للأبوابي وعد المحيط شبي : القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١)

والفقه ، ولكنه كان يميل إلى درسه لغاري ، وكتابه في السير لا يبدو أن تكون صحفاً نصبت أحاديث عن حياة الرسول ولم نقل له أو يرو عنه أحد من كتاب السير الأول أمثال ابن سعد وابن هشام شيئاً في السير^(١١) وبطل الدكتور الدوري ذلك بأنه كان يمثل مرحلة انتقاله من دراسة الحديث ودراسة المعاري^(١٢) .

(٢) عروة بن الزبير بن العوام (ت ٥٩٢ هـ)

ينسب إلى بيت من أعرف بيوت العرب^(١٣) ، وبدرج في عداد الطبقة الأولى من كتاب السير ، وكان ثقة فباروه من الحديث ، فقد صكته به من أن يزوي الكثير من الأخبار عن النبي ﷺ ، فروى معها عن أمه الزبير وعن أمه أسماء وعن حالته عائشة^(١٤) ، وعن أبي در القفاري الصحابي ، شأ عروة في المدينة ، وأحد الحديث عن كثير من الصحابة أمثال أبوه الزبير ، ورید من ثلث ، وأسماء بن رید ، وأبو هريرة ، وعداه من عمرو ، وابن عباس^(١٥) ، ثم رحل إلى مصر وأقام بها ما يقرب من سبع سنوات ، وتزوج بها ، ودار دمشق عدة مرات .

وعن عروة أخذ ابنه هشام بن عروة ، وابن شهاب الزهري ، وكان لعروة بن الزبير فضل كبير على كتاب السير ، كان هشام وابن سعد ، إذ قدس كلامهما بحره كبير من كتابتهما لما رواه ، وكذلك رجع إليه الطبري في صفحات

(١١) سنده كثيف ، مصادر التاريخ الاسلامي ١ ص ٦٦ .

(١٢) الدوري : مناه عن التواريخ عند العرب - ص ٢٩ .

(١٣) أبوه الزبير ، العوام ، أمه أسماء ، أبى بكر ، وأخوه عداه بن الزبير ، وحاله عائشة أم المؤمنين .

(١٤) أم ، أبي ، مصر للإسلام ٢٠ ص ٢٦١ .

(١٥) ابن سعد ، كتاب الطبقات الكبير ، طبعته دار ، لمحقق الدكتور - ص ١٣٦١ هـ .

١٣٦٩ هـ ٤ ص ٢٣٣ .

هدية من تاريخه ، كما دردت فقرات من معازيه في مصنفات الواقدي تساول
جوانب متعددة من حياة الرسول ^(١) .

(٣) شرح جميل بن سعد (ت ١٢٣ هـ)

كانت روى من موابي الأنصار ، روى كثير أ عن زيد بن ثابت وأبي سعيد
الخدري وأبي هريرة ^(١) ، وقد أسهم شرحه في كتابة السيرة بقوائم أثبت فيها
أسماء الصحابة البديرين الذين اشتركوا في عروة بدر ، وأسماء الصحابة الذين
اشتركوا في عروة أحد ، كما أورد أسماء المهاجرين إلى الحبشة وإلى المدينة بعد
ذلك ، ولكنه لم يبلغ مع ذلك ما بلغه أمان بن عثمان بن عفان أو عروة من
لربير من مكانة في هذا المضمار ، فم يرد عنه ابن إسحق والرواهدي شيئاً ^(٢)

الطبقة الثانية

(١) عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري (ت ١٣٥ هـ)

كان مدسأ من أهل المدينة ، وكان حده الأعلى عمرو من حرم الأنصاري أحد
كار الصحابة ، ولا نسي ^(٣) مجراا باليس ، وكسبه له حين بعثه إلى اليمن
كساراً أمره فيه يتقوى الله في أمره كله ، وأحد عشر ألفاً وعشر مائة سقي
بالسواني والدراليب من الصدقات ، ونصف العشر مما سقي بالفلو ^(٤) . أما جده
محمد بن عمر فقد توفي يوم الحرة ، وأما أبو بكر فقد ولي قضاء المدينة في

(١) الخدري ، المرجع السابق ، ص ٦٠

(٢) أحمد أمين ، معنى الاسلام ، ج ٢ ، ص ٢٢٤

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٢٧

(٤) فيلادري ، روح القدس ، تحقيق الدكتور صلاح الدين احمد ، القاهرة ، ١٩٥٦

ولاية عمر بن عبد العزيز ، ثم ولي أمر المدينة في خلافة سليمان بن عبد الملك
وعمر بن عبد العزيز ، وعرف أبو بكر بقدره في رواية الحديث ، ولذلك عهد
إليه عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث . وورث عنه عبدالله بن أبي بكر هذه
المواهب ، فاختص برواية الحديث المتصل بالمعاري ، فكان حجة في ذلك ، وعنه
روى ابن إسحق والواقدي وابن سعد والطبري روايات تتعلق بأخبار الرسول
في المدينة .

(٢) عاصم بن عمر بن قتادة الظفري (ت ١٢٠ هـ) :

كان أنصاريًا من أهل المدينة ، شهد جده قتادة موقعة بدر ، واشترك فيها
مع المسلمين ، وكان عاصم بن عمر راوية للعلم ، له معرفة بالمعاري والسيرة ، ولذلك
عهد إليه الخليفة عمر بن عبد العزيز بالجلوس في جامع دمشق ليحدث الناس عن
المعاري وعن مناقب الصحابة ، وقد اعتمد عليه كل من ابن إسحق والواقدي ^(١)

(٣) ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) :

هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب بن مزي وهوذة ، ويعتبر
من أعظم مؤرخي المعاري والسيرة ، إذ يرجع إليه الفضل في تأسيس مدرسة
التاريخ في المدينة ، وإليه يرجع كذلك الفصل في توضيح خطوط السيرة . أخذ
الزهري على كبار المحدثين في المدينة ، وهم سعد بن المسيب ، وأبان بن عثمان بن
عقبان ، وعروة بن الزبير ، وعبد الله بن عبد الله بن عتبة ، وأبو سفيان بن
عبد الرحمن . وكان ابن شهاب يمتاز بقلب العلم عليهم ، فكان يقول : « أدركت
أربعة بحور : عبدالله بن عبد الله أحدهم » ، وقال أيضاً : « سمعت من العلم
شيئاً كثيراً ، فلما لقيت عبيد الله بن عبد الله كآني كنت في شعب من الشعاب ،
فلو كنت في الوادي » ، وقال مرة : « صرت كآني لم أسمع من العلم شيئاً » ^(٢)

(١) ضحى الإسلام ، ج ٢ ص ٢٩٥

(٢) أبو الفرج الأصبهاني ، كتاب الأقاليم ، طبعة بيروت ١٩٥٦ ، ج ٨ ص ١٧٨

استقى ابن شهاب الزهري معظم مادته في السيرة من الحديث ، فهي تكاد تخلو من قصص الأنبياء ، كما أنه لم يستخدم الشعر في كتاباته إلا في أسواق مادرة . وقد عرف الزهري بقوة أسانيد ، ولكنه يتأثر عن غيره في ذلك بسوق حديث من الإسناد هو الأستاذ الجمي ، حيث يدمج عدة روايات في خبر مفلس ، وقد سار بذلك خطوة هامة نحو الكتابة التاريخية المصنفة^{١١} . وقد اعتمد الزهري في المغازي على عروة بن الزبير اعتماداً كبيراً ، ولذلك فإن روايات عروة تعتبر المصدر الأول للزهري فيما وصل إلينا من مقاربه^{١٢} .

كذلك اعتمد في الرواية على سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة^{١٣} الذين كان يعتبر كل الاعتراف بتلقيه العلم عليهما

ولم يقتصر الزهري على الكتابة في السيرة والمغازي ، بل شملت كتاباته الأسباب ، وتاريخ صدر الإسلام فصنف كتاباً في سب قريش التحفة المصنوعة الزبيرية مصدراً لكتابه « سب قريش »^{١٤} ، كما تناول فقرة الخلافة الراشدة حتى انتقال الخلافة إلى الأمويين

(١) حيد الترميز الدوري ١٠ ص ٢٤١ - ٢٤٢

(٢) نفسه ، ص ٧٩

(٣) الرازي ، معاري رسول الله ، القاهرة ١٩١٨ ، ص ٧٩ - ٨٢ ، ٨٣ ، ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٦١ - اللادوي ، أنساب الأشراف ، تحقيق الدكتور محمد عبد الله - ج ١ ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٩٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ٢٥٦ ، ... إلى آخره .

(٤) المصنف بن عبد الله الزبير ، سب قريش ، تحقيق الأستاذ ليفي بروفسالير ، القاهرة ١٩٥٣

الطبعة الثالثة

(١) موسى بن علقمة (ت ١٤١) .

كان مولد لآل الزبير ، واشتهر بالمغازي مشجعا طريفة مدونة المنيسين إذ أخذ على الزهري ، واستفاد بآثاره ، بالإضافة إلى كتابات غيره من كتاب المغازي ، وكتب كتابا في السيرة ذكروا أنه جاء مختصرا ، وصلت إلينا بعض مقتطفات منه فيها كت ابن سعد والواقدي والطبري^١ .

(٢) محمد بن اسحق (ت ١٥٢) .

هو أشهر تلاميذ الزهري ، من أصل فارسي ، إذ كان مولد لعبد الله بن قيس ابن خزيمة بن عبد المطلب ، وإليه نسب أقدم كتب السيرة التي وصلت إلينا ، وكتابه المغازي وصل إلينا مختصرا في سيرة ابن هشام^٢ ، وتنقسم سيرة ابن اسحق إلى ثلاثة أقسام :

١ - المتدا ، ويبحث في هذا القسم في تاريخ الجاهلية مبتدئا به منذ الخليفة .

٢ - البحث ، وأفرده لتاريخ حياة النبي ﷺ حتى السنة الأولى للهجرة .

٣ - المغازي ، وتناول في هذا القسم حياة الرسول في المدينة وخزوانه حتى وفاته ﷺ ، وفي مغازي ابن اسحق يقول الإمام الشافعي : « من أراد التبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحق »^٣ .

(١) أحمد أمين ، عصر الإسلام ، ج ٢ ص ٣٢٧ - القزويني ، ص ٢٧

(٢) الخطابي ، الإعلان بالتاريخ لمن دأب التأريخ ، نص نشره وودزثال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين ، بنه ١٩٦٣ ، ص ٥٢٦

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، طبعة ١٩٣٩ ، ج ١ ص ٢١٩ - الخطابي المصدر السابق ، ص ٥٢٦

وكان ابن اسحق حكروها من هشام بن عروة بن الزبير ومالك بن أنس ، أما كراهية هشام بن عروة له فيرجع سببها إلى أن ابن اسحق روى بعض أخباره عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر ، وفاطمة كانت زوجة هشام بن عروة ، فلما بلغ هشام ذلك أنكره وقال : « المدو اله الكذاب يروي عن امرأتي ؟ من أين رآها »^(١) . وأما عداء مالك بن أنس له فيرجع سبب إلى أن ابن اسحق طعن في سبب مالك من أسس كاطن في علمه ، فكان يقول : « انتولي ببعض كنه حق أبيين عيونه ، أنا بيطار كنه »^(٢) . فكرهه مالك لذلك ، وعاداه ، واتهمه بالكذب والدجل ، فكان يقول فيه « إنه دجال من الدجاجة » ، وقال فيه أيضاً : « محمد بن اسحق كذاب » . كذلك اتهم ابن اسحق بالشيع على مذهبه القدرية . وأمام هذا العداء رحل ابن اسحق إلى العراق بعد قيام الدولة العباسية ، فزل الكوفة والحزيرة والري وبغداد ، والتصل بالمتصور ، وألف له كتاباً في التاريخ منذ أن خلق الله آدم إلى يومه ، واختصره في كتابه المغاري^(٣) . وقد نقد ابن اسحق لاعتقاده على أهل الكتاب في الرواية ، فقد نقل عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول ، وعن أهل النوراة ، وأخذ عن وهب بن منبه ، وأخذ عن العجم ، ولأنه أورد كثيراً من الشعر المنحول ، ولأنه وقع في أخطاء في الأساليب التي أوردتها في كتابه^(٤) . ومع ذلك فقد كان لابن

(١) نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٢٢

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٢٤ - فخرت الرومي ، كتاب إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب ، (معجم الأديب) طبعة مرحلية ، ج ٦ ، القاهرة ١٩١٣ ص ٤٠٠

(٣) الخطيب البغدادي ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٧١

Margolouth , lectures on arabic historians calufts. 1930 , p- 64

(٤) بقول معجم الأديب ، ج ٦ ص ١٠٩ - Margolouth , op.cit. p. 85 - جب علم التاريخ ، دائرة المعارف الإسلامية - الجزء ١ - العدد ٨ ص ٤٨٧ - عبد الصبور الدوري ، ص ٢٩

استحق الفضل في الجمع بين أساليب المحدثين والمصنفين في كتاباته. ويعلق جيب على كتابته ابن اسحق بقوله : « وكتابه في السيرة كان ثمة تفكير أمد أفقاً وأوجب مطافاً من تفكير سابقيه ومعاصره » ، لأنه نزع فيه لا إلى تدوين تاريخ النبي فحسب ، بل إلى تاريخ النبوّة بداتها ^{١١١}.

(٣) محمد بن عمر بن واقد الواقدي (ت ٢٠٧) ١

كان مولى لني هاشم ، وقيل لني سهم بن أسلم ، وكان معاصراً لابن اسحق ، أخذ العلم عن شيوخ عصره في المدينة ، فأخذ عمن ماله بن أنس في الحديث وعن أبي معشر السدي في التاريخ وعن معمر بن راشد البجلي ، ولذلك يعتبر الواقدي الثاني بعد ابن اسحق في السماع علمه بالمغازي والسيرة والتاريخ ، بل قال ابن اسحق في دقه المأدبة والأسلوب مع ريادة الإهتمام بتحقيق تواريخ الأحداث وتوضيح الإطار الجغرافي المنصل للمواقع ^{١١٢} . اهتم الواقدي بالمغازي والسيرة وبأحداث التاريخ الإسلامي برحه خاص ، فقد ذكر الخطيب البغدادي نقلاً عن إبراهيم الحربي أن الواقدي كان أعلم الناس بأمر الإسلام ، فأما الجاهلية فلم يعمل فيها شيئاً ^{١١٣} . وقد ألب الواقدي عدداً كبيراً من الكتب في المغازي والتاريخ ، من بينها كتاب معازي رسول الله ﷺ وهو الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا ^{١١٤} . وكتاب الطغيات الكبير ، وكتاب السيرة ، وكتاب

(١) جيب ، علم للتاريخ ، ص ٤٨٧ .

(٢) البغدادي ، ص ٣٠ ، ٣١ . كان الواقدي يضي إلى مواضع المصنفين والمواقع يدورها على الطبقة وقد عبر عن ذلك بقوله : « ما طمعت غزاة إلا مضيت إلى الموضع حتى أعابته » . (الخطيب البغدادي ، ج ٣ ص ٦)

(٣) نصر المصنف ، ج ٣ ص ٥ .

(٤) دسر المستشرق فون كورنر حررأسه في حطكتها في سنة ١٨٥٥-١٨٥٦ م وأعيد نشره في مصر سنة ١٩٤٨ .

التاريخ والمغازي، والممثلة، وكتاب أخبار مكة، وكتاب حرب الأوس
والخزرج وغيرها



وتختتم مجموعة كتاب السيرة والمغازي في مدرسة الحجاز بكتاب مهم من
كتاب مدرسة البصرة هو محمد بن سعد (ت ٢٣٠ هـ) تلميذ الواقدي وكتابه
ولذلك عرف بكتاب الواقدي وكان ابن سعد مولد لبني عسدة بن عبيد الله
ابن العباس، ولد في البصرة وعاش فيها الفترة الأولى من حياته، ثم رحل إلى
المدية ثم إلى بغداد، حيث اتصل بالواقدي وقد حفظ لنا من كتبه كتاب
والطوائف الكبرى، ويؤلف من ثمانية أجزاء، أفرد الجزأين الأولين لسيرة
النبي ﷺ ومغازيه، وخصص الأجزاء الستة الأخرى لأخبار الصحابة والتابعين
ورثتها وفقاً للأصناف الإسلامية. وسيرة ابن سعد في الطبقات أوفى بكثير من
تقدمه من كتاب السيرة، إذ تضمن كثيراً من الأخبار عن رسائل النبي وسفاراته

٤ - كتب التاريخ والجغرافيا

انصرف مؤرخو العرب الذين دوروا التاريخ الجاهلي إلى رواية أنساب
القبائل وصلها بدميان وقحطان أو إسماعيل أو أبناء نوح، وتقسيم العرب إلى
طوائف. والكتابات التاريخية العربية نوعان

الأول يتناول أخبار العرب في الجاهلية الأولى، وهي مجموعة من القصص
الشمسية والأساطير المتأخرة، النوراة أخذت من مصادر غنظلة أو كانت من ابتكار
الرواة، من أمثال هذه الكتب التاريخية التي تدخل في هذا النوع من الكتابات
التاريخية كتاب في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها لمعيد بن شربة الحرهمي،
ويتضمن هذا الكتاب كثيراً من الأشعار زعم مؤلف الكتاب أنها مما حفظ عن

الثامنة ، كذلك يتضمن الكتاب أخباراً لعاد وثمود وطسم وجديس وجبرهم ، كما جاء فيه أخبار وقصص عن بني إسرائيل .

أما النوع الثاني فيتناول أخبار العرب في الجاهلية القريبة من الإسلام^(١) ، أو المتصلة بحياة النبي ، كأيام العرب ، وهي الأخبار التي روي ما كانت يحدث من حروب ووقائع بين القبائل العربية المختلفة ، هذه الأخبار هي أقرب إلى الحقيقة التاريخية لأنها كانت ما زال فيها ذاكرة القوم ، ثم إنها بالإضافة إلى ذلك أخبار قريبة العهد بالإسلام .

ولم يتم تدوين أخبار الجاهلية كما سبق أن أشرنا إليه إلا في العصر الأموي عندما تفتت دعاتم الإسلام واستقرت أركان الدولة العربية ، وبدأ العرب يعنون بأخبارهم القديمة ، وشهد القرنان الأول والثاني للهجرة اهتماماً خاصاً بدراسة أخبار العرب في الجاهلية والإسلام ، وأخبار الأمم التي انصلت بهم ، وتألف من مجموع هذه الأخبار مجموعة من الكتابات التي أشرنا إليها . ومن المؤرخين العرب الذين اشتغلوا برواية أخبار العرب قبل الإسلام : عبيد بن شربة الجهمي اليمني ، ووهب بن صبيح (ت ٥١٠ هـ) ، ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) ، وأبو المنذر هشام بن محمد (ت ٢٠٤ هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن النخعي التميمي (ت ٢٠٩ هـ) ، وعلي بن محمد المدائني (ت ٢٣٥ هـ) . وإلى هؤلاء الأخباريين نصيف علماء من أعلام الجغرافيين العرب هو أبو محمد الحسن بن أحمد الحمداي (ت ٣٢٤ هـ) الذي عني بوصف جزيرة العرب وذكرها ومواقعها وآثارها .

١ - عبيد بن شربة الجهمي اليمني ،

اختلفوا في أصله فروى أنه كان من أهل صنعاء ، وقيل إنه من الرقة بالعراق ،

(١) أحمد أمين ، فجر الإسلام ص ١١٠

والأرجح أنه كان ينياً وحرهياً بالذات ، وكان قصاصاً أخبارياً ، برز في بلاط معاوية بن أبي سفيان^(١٢) ، ودكروا أنه ألف معاوية ، كتاب الملوك وأخبار الماضين^(١٣) الذي طبع في دبل ، كتاب التيجان في ملوك حير ، المطبوع في حيدر آباد دكن في الهند ١٣٤٧ هـ بعنوان : أخبار عبيد بن شربة الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها ، لأبي محمد من هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٣ هـ) . وكتاب ابن شربة يتضمن كثيراً من أخبار للعرب في الجاهلية ، كما يشمل على كثير من الأشعار التي وضعت على لسان عاد وثمود وطسم وجديس والنباطة . كذلك يضم الكتاب بعض أخبار عن بني إسرائيل ، ويقلب على جميع هذه الأخبار لطابع القصص المتأثر بالأسرائيليات^(١٤) . وقد أفاد المسددي في كتابه من أخبار عبيد بن شربة ، فنقل منها .

٢ - وهب بن منبه ،

كان ينياً من أهل خمار ، وأصله فارسي ، وقيل أنه كان يهودياً وأسلم ، ويسون إليه معظم الأسرائيليات الواردة في المصادر العربية ، وقد ركز وهب ابن منبه اهتمامه على أخبار اليمن في الجاهلية ، وهو في ذلك يعتمد على مصادر نصرانية ، إذ أن روايته عن نصارى نجران تطابق الروايات النصرانية^(١٥) .

(١) السعدي ، مروج الذهب وسامع الجوامع ، ج ٢ طعة محي الدين محمد الحيد القاهرة ١٩٥٨ ص ٨٥ . ويدعي السعدي أيضاً أنه كان يسمع حاضرة كل ليلة شيئاً من أخبار العرب وأيامها وأخبار المعجم وماوكها وسياساتها لرعيها . (راجع مروج الذهب ج ٣ ص ٤٠) .

(٢) راجع مقدمة الدكتور نبيه أمين غلامس الجزء الثامن من كتاب الاستيعاب - برقيان ، ص ١٩٤ - ص ١٩٥ - ص ١٩٦ - لوانتر وورنتال . علم التاريخ عند المسلمين ، ص ٢٧٥ .

(٣) جراه عن العرب قبل الإسلام ، ج ١ ص ٤١

(٤) جواه علي ج ٢ ص ٥٥٥

ومن الكتب المنسوبة إليه : كتاب الملوك المتوعدة من حمير وأحبارهم
وقصصهم وقبورهم وأشعارهم . ، وقد وصلت إلينا أجزاء منه في كتاب
التيجان لابن هشام

ويطلب على أحبار وهب طابع القصص الشعبي والحرائق ، وقد حمل
ذلك المؤرخ عاملون حب إلى القول بأن كتابي وهب بن صبة ، وعبيد بن
شربة ، بإدعاء يوهان ساطع على أن العرب الأول كلوا يفتخرون إلى الحبس
والنظور التاريخي ، حق عندما يتطرقون إلى ذكر أحداث تكاد تكون
معاصرة لها ، ١١١ .

وبنفسه إلى وهب كذلك ، كتاب المتدأ ، الذي يشير عوائفه إلى ابتداء
الحليقة ، وهو الكتاب الذي اعتمد عليه أحمد بن محمد التلمحي في كتابه عرائس
المجلس في قصص الأنبياء ، كذلك يفسون إليه كتاب انفاري الذي لم يسبق
منه سوى مجموعة أوراق بخطوطه محفوظة في مكتبة هيدلبرج بألمانيا . ١١٢ .
أحسن الظنري في تفسيره الكثير للقرآن كثيراً من أقوال وهب بن صبة ١١٣ .

وكان وهب من صبه يجيد عدداً من اللغات القديمة ، فقد كان يتقن اليونانية
والسريانية والحمرية ، كما كان يستطيع قراءة الكتابات القديمة التي تنمدر على
المطامير قراءتها ، وفي ذلك يقول المصمودي في كتابه مروج الذهب : « قلنا عن عثمان
بن مرة الخولاني لما ابتدأ الوليد بناء مسجد دمشق ، وحده في حائط المسجد
روحاً من حجارة فيه كتابة بالرومان ، فمرس على جماعة من أهل الكتاب ، فلم

(١) عاملون حب ، دراسات في حضارة الإسلام ، ص ١٢٤

(٢) أحمد أمين ، صحن الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ ، سنة كشاف ، ص ٢٨

(٣) عاملون حب ، المراجع السابق ص ١٢٥

يقدرُوا على فرائده ، فوجهه به إلى وهب بن منه فقال . هذا مكتوب في أيام
سليمان بن داود عليهما السلام ، فقرأه ^{١١}

٣ - هشام بن محمد بن السائب الكلي .

كان أبوه محمد بن السائب عالماً بالأسباب ، ثم حمله في هذا العلم ابنه أبو المضر
هشام ، الذي يشتهر من أعظم الأخباريين في تاريخ العرب في الحاملية ، إذ كان
يعتمد على الأصول والمصادر التاريخية ، الأمر الذي يجعل منهجاً في الرواة
أقرب إلى منهج المؤرخين ^{١٢} وقد اعتمد هشام بصمة خاصة يجمع الأخبار التاريخية
عن الحيرة ^{١٣} وأمرائها من المصادر المدونة ، واعتمد في ذلك على ملاحظات
كتائف الطيرة ، وعلى المواد الفارسية المترجمة ، وله كتب كثيرة ذكرها ابن
الديم في المهرست ببلغ عددها نحو ١٤٠ كتاباً ، وقد وصل إلينا من كتبه كتاب
المهرة في الأسباب ، مطروطاً ، و كتاب الأصنام ، الذي نشره ^{١٤}
و كتاب ، نسب فحول الخيل في الحاملية والإسلام . ^{١٥}

وذكر أنهم هو وأبوه بالوضع ^{١٦} ونحسب جماعة من العلماء الرواية عنه ، ولكن

(١) السري ، مروج الذهب ، ج ٥ ص ٦٦٦ وما يليها

(٢) سواد علي ، ج ٦ ص ١٧ - نيلش الزكوري حبيب مؤنس على من الأت و سرحي
زيدان في كتاب « العرب قبل الإسلام » ص ٩٦

(٣) ذكر ابن الديم في المهرست له كتابان « كتاب الطيرة » وكتاب « الحيرة » وتسمية
السمع والديوانات وسب القماميد ، (راجع روزنثال ، ص ٢٩٠) .

(٤) ابن الكلي ، كتاب الأصنام ، نشره أحمد كمي دار ، ١٠١٠ ، ١٤٣٢ ، وصدرت الدار
القوية ١٩٦٥ .

(٥) نشره وحفظه أحمد زكي مشاء القاهرة ، ١٩٤٦

(٦) الفرج الأعصمالي ، كتاب الإعياء ، ج ١ ص ١٢٠ - نسخة كتابه الأصنام ص ١٤

الأستاذ بروكلمان يدافع عنه^{١١١} ، وكذلك يدافع عنه الأستاذ أحمد ركي بحافز كتاب الأصنام^{١١٢}.

٤ أبو عبيدة مصر بن المشي التميمي ،

هو فارسي الأصل ، يهودي الاثنا ، ولكنه عربي بمشي أو قيمي بالولاء^{١١٣} ، وهو لذلك السب كان على حاسب كبير من الثقافة والاطلاع إذ جمع بين الثقافات الفارسية واليهودية والعربية ، ويمتاز أبو عبيدة من طلائع مؤرخي المغرب في المعاصرة ومن أكثرهم علماً بأخبار العرب وأنسابهم وغيلاتهم وأيامهم ، ولقد اهتم أبو عبيدة بعمق خاصة بلاد العرب الشمالية ، فروى عن أخبار قبائلها وأيامها ، وامتدت مؤلفاته إلى العصر الإسلامي فتعلت تاريخ العرب في عهد السوء والمفتوحات الإسلامية^{١١٤} ، وذكر في المعرحة أنه كان ضموماً بطعن في الأنساب ويؤلف في مثالب العرب^{١١٥} ، ويملل الأستاذ أحمد أمي موعته الثمينة بأصله الفارسي الذي حرره من الموضوع للعصبة العربية^{١١٦} ، ولكن الأستاذ جب يرفع عنه هذه التهمة^{١١٧}

(١) جب ، الرشح السابق ص ١١٧ - حوله علي ، ج ١ ص ٤٥

(٢) وقصة كتاب الأصنام لابن الكلبي ص ٢٩ - ٣٠

(٣) أحمد أمي ، شهر الإسلام ، ج ٢ ص ٤

(٤) من بين كتبه في التاريخ طبع خروج أرميليا ، وكتاب السواب وقصص ، وكتاب فتوح الأموار ، وكتاب خراسان (راجع روثقال ص ١٠٨) .

(٥) أحمد أمي ، عصر الإسلام - ص ١٦٥ ، عصر الإسلام ، ج ٢ ص ٤ ، وله كتاب في ذلك بعنوان المثالب (راجع روثقال ص ٢٩٩)

(٦) أحمد أمي ، عصر الإسلام ص ٣٠٥

(٧) حافز ، ص ١٢٦

سوى الجزآن الأولان ، والجزآن الثامن والعاشر ، وتتناول هذه الأجزاء
الموضوعات الآتية :

- ١ - مختصر من المتدا وأصول الأنساب .
- ٢ - في نسب ولد المهدي بن حيدر .
- ٣ - في فضائل نسطان .
- ٤ - في السيرة القديمة إلى عهد أسعد قبح أبيكرب .
- ٥ - في السيرة الوسطى من أول أيام أسعد قبح إلى دي نواس .
- ٦ - في السيرة الأخيرة إلى ظهور الاسلام .
- ٧ - في تنقيح على لأخبار الناطلة والحكايات المنجية .
- ٨ - في ذكر قصور حيدر وعما فيها ومنها ودقائقها وما حفظ من شعر
علقمة بن ذي جند .
- ٩ - في أمثال حيدر وحكمها والسان المهدي وحروف المسد
- ١٠ - في سمار همدان وأسمائها وعيون أخبارها^(١) .

والقسم الأعظم من كتاب الإكليل يتضمن وصفاً لأثار اليه من المماريه من
قصور وسدود وقلاع ومدن وحماكل ، وصفها الهمداني وصفاً دقيقاً اعتمد فيه

(١) راجع مقدمة الجزء العاشر من الإكليل ، نشره عبد الله الخطيب ، القاهرة

على المأينة والقصص الدقيق ، ويستبرأ الحمداني لذلك أول رحالة عربي ارقاد
 الذين ووصف آثارها وقرأ لغوها قبل أن يقوم الرواد الأوروبيون في العصر
 الحديث بهذا العمل بقرون طويلة .

• - الشعر الجاهلي •

يتميز الشعر العربي في الجاهلية من المصادر الهامة لتاريخ العرب وحضارتهم
 في ذلك العصر ، إذ يصور لنا كثيراً من أحوال العرب الاجتماعية والدينية كما
 يصور لنا طابعهم وأخلاقهم والشعر الجاهلي في ديوان العرب (١) ، لأنه سجل
 لأخلاقهم وعاداتهم وديانتهم وعقليتهم ، به حفظت الأسباب وعرفت الآثار ،
 ومنه تعلمت العربية (٢) ، وفيه ذكر لأهم العرب ووقائعهم ، وهو لذلك
 يتضمن كثيراً من عادات العرب وطوائفهم في الجاهلية ، وهو لذلك السبب
 أيضاً من أن تصكس عنها صورة حياتهم في الحرب وفي السلم (٣) .

وعلى الرغم من أن الشعر الجاهلي تعرض لضاياع بتركه ، بقاقل لى على ألسنة
 الرواة شعاعاً نحو قريين من الزمان إلى أن دون في قارئه . آخر ، وعلى الرغم
 من أن ما وصلنا منه على قلته ، شكوك في أصالته صحيح عليه (٤) ، لموامل

(١) القرشي ، جبهة أشعار العرب ، ج ١ ، ص ٣٠٠ - أحمد أمين ، شعر الإسلام ، ص ٥٧ .

(٢) حلال الدين عبد الرحمن ، أبي بكر السوطي ، ابرع في علوم اللغة ، شرح الأماة
 محمد أحمد جاد الفولى وآخرين ، ج ٧ ، ص ٤٧٠ .

(٣) أحمد أمين ، شعر الإسلام ، ص ٥٧ - أحمد محمد الحوفي ، الحياة العربية من عصر
 الجاهلي ، القاهرة ١٩٦٩ .

(٤) طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٦٤ .

دقيقة ومباشة وحقيقية" ، "إن ما وصلنا في الشعر العربي الجاهلي ، محدوداً أو أصيلاً ، يعتبر مصدراً أساسياً لتصوير حياة العرب في الجاهلية ، ذلك أن المؤلفين بتزبيجه وتعليلها كانوا يحرصون على أن يخلدوا خصائص الشعر الجاهلي المعنوية والمعنوية في ممره وحديثه لدرجة أن التناقض كان يصب عليه أن يفرق بين قول امرئ وقول الجاهلي" . وعلى هذا النحو فالشعر المنحول يعدل من حيث تصويره للحياة في العصر الجاهلي ، على ما يدل عليه الشعر الثابت" .

ومن أشهر شعراء الجاهلية ، امرئ القيس ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة المذحل ، وأوس بن حجر ، وطرفة بن السدي ، وعمر بن كاثوم ، وأحمر بن حازم ، والمهاجر الديلمي ، وعنترة بن شداد ، وأعشى قيس ، وغيرهم .

٢ - المصادر غير العربية

١ - التوراة والتلمود

التوراة ، كتاب اليهود المقدس ، أقدم المصادر غير العربية لتاريخ العرب قبل الإسلام ، فقد ورد ذكر العرب في مواضع متعددة من أسفار التوراة لتفسير الصلات بين العبرانيين والعرب كسفر حزقيال ، وسفر المزامير ، وسفر عاموس ، وسفر دانيال . كذلك ورد ذكر العرب في التلمود الذي يكمل أحكام التوراة .

(١) أحمد أمين ، مصر الإسلامية ، ص ٥٠ - مصر الإسلامية ج ٢ ص ٢٢١

(٢) نفس المرحوم ص ٥١

(٣) عمر الخوج ، ص ١٥

١ - التلمود كلمة عبرانية تعني العلم ، وهو التوراة الشعبية التي تقرأ أحبار اليهود =

وهو لذلك من مصادر تاريخ العرب القديم .

ب - الكتب العبرانية :

إلى جانب التوراة والنبوء هناك مصادر عبرانية هامة لأورحين يهود أمثال المؤرخ يوسيفوس فلافيوس Josephus Flavius (٣٧ - ١٠٠ م) الذي ألف كتاباً في تاريخ حروب اليهود ضد استيلاء أغسطس على القدس سنة ١٧٠ ق.م إلى استيلاء الإمبراطور طيطس عليها سنة ٧٠ م وهذا الكتاب يتضمن أخباراً هامة عن العرب ، وخاصة عن الأساط الذين كانوا يقطنون منطقة جنوبي فلسطين فيما بين البحر الأحمر وعربي الفرات .

ج - كتب التاريخ اليونانية واللاتينية والسريانية :

تحتل هذه الكتب على ما فيها من أغلاط تاريخية على معلومات تاريخية وحبرانية هامة عن العرب قبل الإسلام ، ذلك أن مصممي هذه الكتب اعتمدوا في تصنيفها على أخبار روادهم بها المحاربون اليونان والرومان ، والرحالة والتجار الذين كانوا يبعثون في بلاد العرب ويمسكطون بهم ، وخاصة في بلاد الأساط ومن أقدم هؤلاء المصنفين : أجيلس أو اسكيبوس الرواني (٥٢٥ - ٤٦ ق م) ، وهيرودوت ، (٤٨٠ - ٤٢٥ ق.م) الذي ذكر العرب عندما قهرض لتاريخ الحرب التي قامت بين فارس ومصر في عصر قمبيسر . ومنهم أيضاً ثيوفراست (٣٧١ - ٢٨٧ ق م) ، وإيرافوستيلس (٢٧٦ - ١٩٤ ق م) ، وديودور

= تسجيله كتابة فيما بعد ، وقوامه مجموعة من النبوءات والأحكام والنصائح والشرائع والمفردات والقرائن التي وردت في هذه الكتب . ثم دلت النبوءات أوردت في كتابي ، والكتابي يتناول اليهود { راجع تحت : معاصر ، والتاريخ الأدبي القديم ، ج ١ ، ص ٢٦١ - ٢٧١ } .

الصلبي (ت ١٠ ق.م) .

ومن الجغرافيين اليونان الذين وصفوا مدن العرب ووصفوا أحوالهم الاجتماعية واقتصادية في الحريرة ، وذكروا ما شاهدوه في حلة ايلوس حاروس على اليمن في سنة ٢٤ ق.م احقراني الكبير استرابون (٦٤ ق.م - ١٩ م) الذي ساهم في الحملة الرومانية ، وعاب بسببه أحوال العرب الاجتماعية والاقتصادية ووصفها ^(١) . ومنهم أيضاً بطليموس كلوديوس المعروف بالكلودي (ت ١٤٠ م) ، الذي عاش في الاسكندرية في القرن الثاني الميلادي ، وقد ألف كتاباً هاماً في الجغرافية عرب جغرافية بطليموس جمع فيه ما شاهدته وما سمعه وما عرفه العلماء اليونان عن أقطار الأرض ، ويتضمن الكتاب وصفاً للبلاد العرب ومراجعة لأحوالهم التجارية والاجتماعية ^(٢) . ومنهم أيضاً بلبيوس سيجوندوس (ت ٧٩) ، الذي وصف بلاد العرب ، وعدد خيراتها .

٣ - المصادر المسيحية :

وقد تشمل المصادر التاريخية المسيحية على كثير من أخبار العرب وعلاقتهم باليونان والفرس ، وتقتار هذه المصادر بدقتها من الساحة التاريخية ، وأشهر من ساهم في هذا المجال بيرييموس (٢٦٥ - ٣٤٠ م) ، وروفينوس ليرانيوس (ت ٤١٠ م) ، ومنهم أيضاً شععون الأرشامي مؤلف رسائل الشهداء المجريين ، وهي رسائل تصور ما تعرض له نصارى بجران من تعذيب على يد ذي لواس ملك حير . ومنهم أيضاً بروكوسوس (ت بعد ٥٦٥ م) مؤرخ القائد البيزنطي

The Geography of Strabo, trans H. L. Jones, London, 1949 (١)

(٢) جواد علي العرب قبل الاسلام ، ج ١ ص ٦٥ - ٦٩ ، سرجي زيدان ، العرب قبل الاسلام ، ص ٢٦

المشهور بليزاريمس ، وصاحب كتاب تاريخ الحروب ^(١) الذي أشار فيه إلى الحروب بين القسطنطينية والمندرة ، وحملة الأتراك على اليمن .

وهناك عدد كبير آخر من مؤرخي العصر البيزنطي الذين كتبوا عن العرب أورد الدكتور جواد علي أسماءهم ^(٢)

(١) ترجم إلى الإنجليزية في سنة ١٩٥٤ بعنوان History of the wars. trans Dewing, 7 vols. . London, 1891

(٢) جواد علي ، ج ٤ ص ٢٠ - ٢٢

العرب وطبقاتهم

أ - العرب :

وردت لفظة « عرب » بكثرة في الوثائق الآشورية والبابلية منذ القرن الثامن قبل الميلاد في صيغ متعددة منها « Arihi » و « Urbi » و « Arbi » بمعنى البادية الواقعة إلى الغرب من بلاد الرافدين وهي بادية العراق^(١) ثم ظهرت لفظة « Arbaya » (عربية) كما يلعب من سنة ٥٣٠ ق م لأول مرة في النصوص الفارسية المكتوبة بالأكاميلية بمعنى البادية الفاصلة بين العراق والشام عما فيها شبه جزيرة سيناء^(٢) . كذلك وردت اللفظة في الأسفار القديمة من التوراة بمعنى الحدود في حين كان السكان الحضر يسمون بأسماء قبايلهم أو بأسماء المواضع التي يتولون

(١) A. Grohman, Encyclopaedia of Islam, New edition, art (١) el-Arab, 525

روارد بريس ، العرب في القديس ، تعريب الأستاذين بييه أمي فارس وعمود يوسف (أيد) ، بيروت ١٩٥١ ص ٩

(٢) سواء على « تاريخ العرب قبل الإسلام » ج ١ ص ١٢١

فيها . ثم أخذ اليونان يذكرون لفظة عرب في أواخر القرن الخامس ق.م ،
 عند كرها اسكيلوس سنة ٤٥٦ ق م عند الإشارة إلى قائد عربي كانت معروفا
 في جيش أثنوبورس ، ثم ذكرها هيرودوت في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد
 وقصد بها سكان شبه جزيرة العرب كلها ، في ذلك صحراء مصر الشرقية بين
 النيل والبحر الأحمر (١) ، وأصبح هذا اللفظ مألوفا بعد ذلك عند جميع كتابي
 اليونان ، ولم يرد هذا اللفظ في المصادر العربية إلا متأخراً فقد جاء
 في النقوش السبئية متأخرة التي لا يرجع تاريخها إلى أمد من القرن الأول قبل
 الميلاد ، ولكنها وردت في هذه النقوش بمعنى الأعراب ، في حين كان أهل المدن
 يعرفون عددهم أو يقيسهم . كذلك ورد اللفظ في نقش شاهد الفارة المكتوب
 بالآرامية السبئية في ٣٣٠ ق م بمعنى الأعراب الذين يسكنون السادية .

ولا يعرف على وجه الدقة متى استعمل لفظ «عرب» للدلالة على معنى قومي
 يتعلق بالجنس للعربي . والقرآن الكريم هو أول مصدر ورد فيه لفظ العرب
 للتعبير بوضوح عن هذا المعنى ، مما يدل على وجود كتاب قومي خاص بشبه إليه
 هذا اللفظ قبل نزول القرآن الكريم يوجب لا يمكنه تحديثه ، فليس من المطلق
 أن يخاطب القرآن الكريم قوماً بهذا المعنى إلا إذا كان هم سابق علم به .

ومثل مولر في صفة ورود كلمة «عرب» علماً لقومية العرب في الشعر
 الجاهلي وفي الأخبار المدونة . والواقع أن الشعر الجاهلي الذي وصل إلينا يخلو
 من وجود صفة «عرب» لا يبر عن هذا المعنى القومي للجنس العربي ، وذلك
 لاعتدال حرب الجاهلية في المنازعات الداخلية وخروب . ولما وقع العرب
 قبل نهاية العصر الجاهلي أمام القرى بدأوا يستعمرون شيئاً من الكراهية للعرب ،
 ويبر عبارة عن تلك الكراهية بقوله .

(١) راجد ليريس ، ص ١٦

شربت بماء الدخريين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض النيلم^(١)

وواضح أن القرآن الكريم هو أقدم مصدر عربي ووردت فيه صيغتا أعراب وعرب ، فقد وردت فيه لفظة « أعراب » عشر مرات ، كما وردت لفظة عربي ١١ مرة ، منها عشر مرات تحت لفظ الله التي نزل بها القرآن بأنها لغة واضحة بينة^(٢) ، ثم استحدثت مرة واحدة لسمت شعبي الرسول في قوله تعالى : « ولو جعلناه قرآناً أَعْجَباً لقالوا لولا « سلت آياته » أَعْجَبِي وعربي فسل هو الذي آمنوا هدى وشاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عسى أولئك ينادون من مكان بعيد »^(٣)

أما في التمر فقد هدى استعمال لفظة « العرب » في القرآن الكريم السبيل

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة « دلم » « عد ١٢ ح ٤ - ٩ ، والدخريين مادلان ما دخروا ودميخ ، ويقصد حنطرة بالنيل الأعداد .

(٢) يقول تعالى : « أنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (سورة الزخرفة ٤٣ آية ٣) ،

ويقول تعالى : « وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لترى أم القري ومن حولها ينتدو » « ألمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير » (سورة الشورى ٤٣ آية ٦)

ويقول تعالى : « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » (سورة فصات ١١ آية ٣) .

ويذكر تعالى : « ومن قبله كتب موسى إماماً وزخوة ، وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً عرباً بعد الذين ظلموا وبنسرى لمحتبين » (سورة الأنعام ٦ آية ١٢) .

وقال تعالى : « إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون » (سورة يوسف ١٢ آية ٢)

(٣) سورة فصلت ١١ آية ١١

أمام الشعراء منذ الهجرة لتتميز الذي لم يتوصل إليه عنقود ، فكعب بن مالك
يقول مذكراً الرسول :

ددا لما فاقمتاء بصدقته وكذبوه فكما أسعد العرب

وانتقد حسان بن ثابت بني هذيل عندما اشترطوا على النبي أن يحمل لهم الرنا
لكي يدخلوا في الإسلام فيقول :

سألت عدول رسول الله فاحشة صانت عدول ي قالت ولم نص
سأروا رسولهم ما ليس معطيهم حتى المات وكانوا ساء العرب

وقال قيس بن عاصم يحو عمر بن الأهم :

ظلت معترشة هاماك تشمي عبد الرسول فلم تصدق ولم تص
ان تصدقوا فلان لروم نساكم والروم لا غللك الضياء العرب (١)

ولا شك أن للإسلام العقل في معش روح القوم ، عبد العرب ، فقد أخذ
العرب منذ ظهور الإسلام وقام الدواء العربية الإصلاحية بسلامة بحسبهم
العربي ، ويتمثل ذلك في بيت ليربوع بن مالك في رسم التوحات :

إذا العرب المراء حانت حورها فخرنا على كل البحور الرواحر

وقد عرف العرب أيضاً عبد الكتاب اليونان وسى الأرربين في العصر

(١) دهران سويد ، - سنن بن أبيه الأسدي ، ٤ : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ص ١٤١

الحاضر باسم *Saraceni* ، ويفسر المصري أصل هذه التسمية بقوله : « وأنكر (بنفور ملك الروم) على الروم تسببتهم العرب ماراقينوس تفسير ذلك عيب سارة » ضما منهم على حاجر واسيا اسماعيل ، وأنها كانت أمة لسارة ، وقال تسببتهم عيب سارة كذب والروم إلى هذا الوقت قسي العرب ماراقينوس^(١) . ولكن تفسير المصري يعتمد على المعنى العربي لكلمة سارة قينة « أو حارية سارة » ، وهو لذلك السبب تفسر غير صحيح . وتفسير هذه التسمية يوضحه بطليموس في جغرافيته إذ يطلق اسم السركوا *Sarakenoi* على منطقة تقع إلى جنوب إقليم الناديتاي *Theditai* أو الإقليم الذي تنزل فيه قبيلة طيس . بين منطقة الشراء وصحراء النوبة . وعلى هذا الأساس يصبح إقليم السركنوا واقعا في النصف الثاني العربي من الإقليم الذي يعرف في الوقت الحاضر باسم سحر . ويحدد بطليموس منطقة النموديتاي *Numyditi* التي كانت يسكنها شعب نمود ، ومركزهم منطقة حمص ، غربي السركنوا ، وعلى هذا النحو يصبح مدلول السركنوا الإقليم الذي يقع إلى الشرق من نمود ، وكان يطلق على جميع البدو من العرب الذين يسكنون سحر في ملكة الأساط في السادة العربية^(٢) .

ب - طبقات العرب :

تكاد الرواة والأخباريون يتفقون على أن العرب يسمون إلى ثلاث طبقات^(٣) .

(١) المصري ، التنبيه والاشراف - بيروت ١٩٦٥ ص ٦٦ .

(٢) دوسل ، شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسي ، الإسكندرية ١٩٥٢ ص ١٢٢ .

(٣) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، بيروت ١٩٥٦ - ج ١ ص ١٢١ - سرحي زيهدي ، العرب قبل الإسلام ص ١٥ - حواد ط ١ ج ١ ص ٢٢٠ .

١ - العرب البائدة .

٢ - العرب العاربة .

٣ - العرب المستعربة أو المتعربة

والطبقة الثانية والثالثة يطلق عليها اسم العرب الباقية^{١١} . ويحدثون بالعرب البائدة الشعوب العربية القديمة التي كانت تعيش في جزيرة العرب ، ثم بادت ودرست أثمارهم بحاملين . الرمل الزاحف الذي طغى على العراق القديم في أواسط شبه الجزيرة وفي الأحقاف ، وهياج البراكين وما قرب عليه من تدمير المدن^{١٢} . أما العرب العاربة فهم الراسخون في العروبة والاشدعون لها بما كانوا أول أحيائها^{١٣} ، وينسبون إلى قحطان أو يقطان أو يقطن الذي ورد اسمه

= وهناك من يسم العرب إلى ثلاث طبقات هي : عرب عاربة ، وعرب سمرية وعرب مسعرية ، ويقسمون بالعاربة العرب البائدة ، وللمتعربة الاضطراب ، وللمستعربة المدنية (عمر فروج ، ص ١٥) وهناك من يقسم العرب إلى طفتين فقط : قحطانية باليمن ، ومعدانية بالبحار (طه حسين ، في الأدب الجاهلي ، القادوس ١٩٤٣ ص ٧٩)

وبقسمهم ابن خلدون إلى أربعة طبقات مدانة تاريخياً : العرب العاربة وهم البائدة ، ثم العرب السمرية وهم الاضطراب ، ثم العرب النابتة لهم من عدنان والأوس والخزرج والمسلمة والمناهدة ، ثم العرب المستعربة وهم الذين دخلوا في ملوك الدولة الاسلامية (كتاب العرب ، ص ١١)

١٩٦٥ ص ٩٨ وما يليها .

(١) لاسجوي ، التليبه والاشراف ، ص ١٥٥

(٢) عمر فروج ، ص ١٥

(٣) ابن خلدون ، ص ٢١ ، الألوحي ، ص ١٠ ، وذكر البلاذري أن العرب العاربة هم عاد وحسين وحرم وطهم وحاسم وعلمق وقنوق وجندس (أنساب الأشراف ، القاهرة ١٩٥٦ ص ١٢٣) .

في التوراة^{١١٠} ، وهو قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح^{١١١} ، وكان موطنهم اليمن . وأما العرب المستعربة أو المتعربة فينسبون إلى عدنان ابن آدم من ولد نابت بن الميسج بن قيمن بن ميث بن قيدر بن اسماعيل بن إبراهيم ، فهم بنو اسماعيل بن إبراهيم أو المعديون من ولد محمد بن عدنان^{١١٢} ، وقد سماهم بالعرب المستعربة لأن اسماعيل عندما نزل مكة كان يتكلم العبرانية ، فلما صار إلى البنية قطع العربية . ولا شك أن مصدر هذا الانقسام بين العرب إلى قحطانيين وعدنانيين ما ورد في التوراة في سفر التكوين ، ومنه أخذ كتاب الله ، أي الذين سموا في أحبارهم سدة الخلق أمثال وهب بن مسه ، وكعب الأحبار ، وعدنان بن سلام ، ومن أهل الكتاب^{١١٣} .

ولكن القرآن الكريم لم يفرق بين عرب قحطانية وعرب عدنانة ، وكل ما جاء فيه في هذا الشأن يشير إلى أن العرب يرتفعون إلى جد واحد هو اسماعيل لس إبراهيم ، وأن إبراهيم عليه السلام هو أبو العرب^{١١٤} . كذلك لم يرد في الشعر

(١) سفر التكوين ، الأصحاح العاشر . وهو يقطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ابن نوح

(٢) اللاذقي ، أنساب الأشراف ، ص ٤ - السمردي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ملحة عبي الدين عبد الحميد ، القاهر ، ١٩٥٨ ، ص ٢٦ - التبريزي ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، ج ٢ ، ص ٢٩٢

(٣) أنساب الأشراف ، ج ١ ، ص ١٢ وما إليها - المطهر بن طاهر القادسي ، كتاب البده والتاريخ ، ج ٢ ، أبواب ١٩٠-٣ ، ص ١٠٥

(٤) أحمد أمين ، قاموس الإسلام ، ص ٥ ، ج ١ ، ص ١٠ ، ج ٢ ، ص ٢٢٦

(٥) يقول سبحانه وتعالى ، « وسعدنا في الله من عباده » ، هو أحدكم وما سهل عليكم في الدين من حرج قل أنبيكم إبراهيم « (سورة الحج ٢٢ آية ٧٨)

الجامعي ذكر لتقسيم العرب إلى قحطانية وعدنانية ، وكل ما ورد فيه لا يمدد أبحاثاً فليت في التماخر بقحطان أو بمدنان^(١) ، وحتى هذا التمر الجامعي لا يمثل عصر الحامية الأولى ، لأن معظمه قبل قبيل الاسلام^(٢) . يضاف إلى ذلك أن علماء الأنثروبولوجيا (علم دراسة الإنسان) لم يلاحظوا وجود هوارق جنائية بين العدنانيين والقحطانيين .

وإلى جانب ما ذكرناه لم يظهر أي انقسام بين العرب في حياة النبي ، كما لم يظهر هذا الانقسام لا في خلافة أبي بكر ولا في عهد عمر بن الخطاب والإضافة إلى ذلك لم يرد في الروايات الخاصة بتسليم عمر بن الخطاب للبيان المطاء ما يشير إلى انقسام أو تمييز بين القحطانية والعدنانية ، كذلك لا يشهد مثل هذا التقسيم في توزيع الجيوش العربية في زمن الفتوحات ، وحتى في أيام الصراع الحربي بين علي بن أبي طالب وخصومه^(٣) .

يستند دعاة الانقسام إلى عدنانية وقحطانية على حقيقة هامة هي تأصل الامم بين الجماعتين^(٤) في الحامية والاسلام . ويرد الأستاذ جواد علي على هؤلاء بأنه إذا كان الصراع بين القائل العدية أو العدنانية والقائل القحطانية مستحقاً في الحامية فقد كان هناك عداء بين القحطانيين وبعضهم وبين العدنانيين بعضهم بعضاً ثم يضيف قائلاً : وكيف يجوز لنا أن تصور انقسام العرب إلى قسمين : قحطانيين وعدنانيين ، انقساماً حقيقياً وقد كانت القائل تتعالف فيما بينها وتناحار بعضها مع بعض بأحلاف قد تكون مزيجية من قحطان وعدنان ؟

(١) في التداخر بأبراهيم يقول جرير بن عطية التميمي .

أبونا حليل الله لا نكرهه فأكرم بأبراهيم جداً وعلموا

(المسعودي ، كتاب الغلب والاثم اد ، مكتبة خياط ، بيروت ١٩٦٥ ص ١٠٩)

(٢) جواد علي ، ج ١ ص ٩٩٥

(٣) نفس المرجع ج ١ ص ٣٣٦

R. Dozy, Histoire des Musulmans d'Espagne (١) Leide, (١)
(٩٣٣ p. ١٧, ٧٥)

فاذا كان الأمر كذلك ، وإذا كان العرب قحطاليين وعدنانيين بالأصل ، فكيف تحالفت - حديقة ، وهي من طيء مع بني شيخان وهي من عدنان لهاربة بني عدى ؟ وكيف يقصر تحالف قائل يمنية مع قائل عدنانية لهاربة قائل يمنية ، أو لعدد تحالفات دفاعية هجومية معها ؟^(١)

ويخرج الدكتور جواد علي من كل ذلك النقاش بنتيجة هامة ، هي أن تقسم العرب إلى عدنانيين ويemenيين عرف في العصر الأموي ، إبان النزاع الحزبي ، وبعد شوع نظرية التوراة في الأنساب ، ورجوع النسابين إلى أهل الكتاب للأخنة منهم ، إذ أن الانقسام المذكور لم يظهر في العصر الإسلامي السابق لظهوره في عهد مروان بن الحكم^(٢).

وإذا كان هناك من يرجع جذور هذا التقسيم إلى عدنانية وقحطانية إلى أيام النزاع الذي كان قائماً في الجاهلية بين يثرب ويمثلها الأوس والخزرج البسيتين ، وبين مكة ، ويمثلها قريش المدينية ، وفي الإسلام بين الأنصار وهم اليثريون والمهاجرين وهم المدينيون ، فإن هذا النزاع لم يكن سوى عداة طبيعية بين البدو والحضر^(٣) ، فلقد كان العرب من الناحية الاجتماعية ينقسمون إلى أهل دبر وأهل مدر ، وأهل الدير هم البدو وأهل المدر هم الحضر الذي يقيمون مساكنهم من المدر أو الطين. واتخذ هذا التقسيم الاجتماعي تعبيرات وصوراً مختلفة فيقال للحضر أهل القرية ويقال لهم أيضاً أهل الحجير أي الذين يقيمون في بيوت من الحجير ، أما البدو فيقال لهم أهل البادية ويقال لهم أيضاً أهل المدر^(٤).

ومثل هذا العداة كان قائماً في بلاد المغرب منذ قدم الرمان بين البربر المتحضرين وهم الرانس والبربر المتبددين وهم البتر ، ويرجع بعض الباحثين هذا النزاع المتأصل بين طائفتي الرانس والبتر إلى أن هاتين الطائفتين قتلتان موجبتان

(١) جواد علي ، ج ١ ص ٤٦٤

(٢) نفس المرجع ، ج ١ ص ٤٧٢

(٣) أحمد أمين ، سحر الإسلام ، ص ٦ - جواد علي ، ج ١ ص ٤٧٣

(٤) عبد الله بن مسعود ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٩

شرفتين مختلفتين ، واحدة تمثل أهل البلاد الأصليين والأخرى تمثل الوافدين
 الجدد الذين اغتصروا من أهل البلاد بلادهم^{١١} ، ولكننا نرجع سبب هذا العداء
 بينهما إلى اختلاف أسوأهما الاجتماعية واغارة الرحل من رثانة البغرية على مزارع
 صهاجة الغرابية ، وقد أدى ذلك إلى ظهور العوارق بين الطائفتين بشكل
 واضح . ولجلى هذا العداء في العصر الإسلامي بصورة واضحة عندما حاولت
 قبيلة زبالة المشقة قلب العرب المناهضين منذ السنين الأولى للفتح بينا تولى البرانس
 هذه المقاومة ، وأيدهم الروم في ذلك ، وعندما حاولت كتامة الغرابية
 الفاطميين ، بينا حاولت رثانة الأمويين في الأندلس . وقد يكون تحالف السمر
 مع العرب ناتجا من تشابههم معهم في العداوة في حين يختلف البرانس عن العرب
 في كونهم متحضرين والحضارة اللاتينية ومستقرين في المدن^{١٢}

ومن العرب البائدة عاد وثمود وطسم وحدهس وحرمهم وجاسم ، واستحدثت
 عن بعض هذه الشعوب العربية البائدة .

عاد

هم قوم هود عليه السلام^{١٣} ، ويعتبرهم الأخباريون أقدم العرب البائدة^{١٤} ،
 ويصرون المثل بماد في القدم ، قادا شاهدوا آثاراً قديمة لا يعرفون تاريخها
 أطلقوا عليها صفة « عادية »^{١٥} . وقد ورد ذكر عاد في أشعار العرب في الجاهلية

(١) حسن هود ، قيام دولة الرابطين ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٣١

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، المغرب القديم ، الجزء الثاني ، الاسكندرية ١٩٦٦ ،
 ص ١٢٤ - ١٤١

(٣) أبو الفداء ، المعصر ، ج ١ ، ص ٢١ - ابن خلدون ، كتاب المعاد ، ج ١ ، ص ٣٦

(٤) يقول السمردي : « عاد الأولى التي قامت قبل سائر ممالك العرب حكما » (مروج
 الذهب ج ٢ ، ص ٤٠)

(٥) السمردي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٠ - حراء حلي ، ج ١ ، ص ٢٢٦

وفي أشعار المخضرمين من العرب ، كما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى :
 « وأبى أهلك عاداً الأولى وثموداً فما أبقى » (١) ، وفي قوله تعالى : « ألم تر كيف
 فعل ربك بعاد - إرم ذات الجناد » (٢) . ونستدل من قوله تعالى : « وأنه أهلك
 عاداً الأولى » أن هناك عاداً ثانية (٣) . وقد أخذ الله عن ملكهم ، ويطغى بشدة
 بطشهم ، واعتاقهم بالديان الصخم ، في قوله تعالى : « كذبت عاد المرسلين .
 إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتفون إليكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون
 وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين أتيتون بكل ربيع
 آية تفتنون . وتعتدون مصارع لملككم فخلدوكم . وإدا بطشتم مطشتم جوارين » (٤)

ولقد وردت في القرآن الكريم أخبار عن عاد وسبهم هود ، وكيف عصوا
 واستكبروا في الأرض ، فعاقبهم الله تعالى أشد العقاب ، إذا أرسل عليهم
 ريحاً صرصراً (٥) ، وصواعق ، دمرت مساكنهم ، وغضت عليهم ، وأصعقوا

(١) القرآن الكريم - سورة النجم ٤٣ آية ٥٠ - ٥١

(٢) القرآن الكريم ، سورة القصص ٨٦ آية ٦٠ - ٦١

(٣) التوراة ، مروج الذهب ٩٤ ص ١ - ٢

(٤) القرآن الكريم - سورة الشعراء ١٦٦ آية ١٦٤ - ١٦٥

(٥) يقول تعالى : « وأرسلنا عليل ريحاً صرصراً في أيام نحسات لننفخ عذاب الجزى - في
 الحقة الدنيا ولم نعد » الآية أخرى وهم لا يحسمون - سورة قصص ١٠ آية ١٦

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً : « وأرسلنا عاصفاً مستغيثاً قائلوا هذا عاصف عاصفوا
 بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم - تدمر كل شيء يمسها ريحها فاصعقوا لا يرى إلا
 مساكنهم ، كذلك نجزي الظالمين » سورة الأحقاف ٢٦ آية ٢٤ - ٢٥ ص ٢٥

وقال تعالى : « كذبت عاد فكيف كان عذابي ويدر إذا أرادوا حسمى ريحاً صرصراً في
 خمس ممر - أربع السحاب فأثهم أعمارهم فخلدوهم فكيف كان عذابي ويدر » (سورة القصص
 ١٨ آية ٢٠) . وفي عذاب عاد أيضاً يقول تعالى : « وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح
 الطفق - ما تعدى من شيء أنت عليه إلا جعلت كالريح - سورة الداريل ١٦ آية ١٠ - ١٢ » (

عبارة إن اعتبر . وفي ذكر عاد بذكر المؤرخون العرب أنه كان رجلاً جباراً عاتياً عظيم الخلق ، وهو عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح^(١١) ، ويلقبون إلى ابنه شداد بن عاد مدينة أرم^(١٢) ، واختلطوا في هذه المدينة ، فذهب بعضهم إلى أن المقصود بها دمشق^(١٣) ، وذهب آخرون إلى أنها الإسكندرية^(١٤) ، بينما ذهب الزمخشري إلى أن شداد هو الذي بنى مدينة أرم في صحراء عدن^(١٥) ، أو الإسكندرية . وأغفل الظن أن السبب الذي دعا إلى الزعم بأن دمشق أو الإسكندرية هي أرم ذات العماد كثيرة وجود المصانيب الضخمة والمنشآت العظيمة في هاتين المدينتين . وكانت دمشق من جهة ثانية من أهم مراكز الآراميين ، ولهذا السبب أكد بعض الباحثين أن أرم تعني آرام^(١٦) ، وأن عاداً من الآراميين ، وأب^(١٧) عاد أرم ، وإنما تعني عاد آرام^(١٨) ، فالتبس الأمر على المؤرخين ، وظنوا أن ذات العماد صفة ، فزعموا أنها المدينة التي أسسها عاد . ولكن هذا القول لا يستند

(١) السجودي ، ج ٢ ص ٤٠ - في شدد بن عجد ٧ ص ٢٥

(٢) ضداني . صفة سورج العرب ص ٥٠ . الأكلر ، ج ٩ ص ٣٣ . يقول الضماني . أن أرم ذات العماد دمشق لكثرة سكانها من عجم الطحارة (راجع أيضاً السجودي ج ٢ ص ٢٣) . وذهب السجودي بناءً على دمشق إلى سمرقند من عهد بن عاد الذي حل بها قهرها وجمع لها . انظر خام وافر ص ١٥١٣ أرم ذات العماد . والله يصيب منه ما المعروف بحجرون . (راجع أيضاً الفاضلي ، صبح الأعشى ج ١ ص ٩٢)

(٣) ذكر ابن عبد الحكم أن عاد بن عاد هو الذي بنى الإسكندرية (ابن عبد الحكم ، متزخم مصر ، ص ١٠٠ . تلحق أن عاد النعم عمار - القاهرة ١٩٦١ ص ٦٠) . وذكر ابن عبد الحكم السجوطي رواه بن علي بن حاتم أنه وجد بالإسكندرية حجر مكتوب عاد - حصر السجل . أن شداد بن عاد وأما الذي ذهب الضماني وسيد الأبيد . وقد يدرأه الفرد . دسطن إذ لا يجب ولا موب . وأن الحجاره في اليمن مثل الطين (ابن عبد الحكم ، ص ٦٠ - قلوب - معجم البلدان ، ج ١ ص ١٥١ - السجوطي ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ج ١ ص ١٢٧ مصر ١٢٧٧ - الفريزي ، المخطط ، ج ١ طبعة بولاق ١٢٧٧ ص ١٢٩)

(٤) ابن سدد بن عجد ٢ ص ٢٥

على أساس خطي يدعى^{١١١}. ويرد أن حدود على هذه المزاعم بقوله : « والصحيح أنه ليس هناك مدينة اسمها أرم وإنما هذا من خرافات القصاص » وأما يدعى صعدا القسرين ، وأرم المذكورة في قوله تعالى (أرم ذات العماد) القبطية لا اليك^{١٢٦}.

أما السبب الذي حل الأخاريين على الزعم بأن الاسكندرية هي أرم ذات العماد هو رجمه أثر قصص الاسكندر في الأساطير العربية الحديثة ، ذلك لأن لدي نجد في كتب القصاص اليمينيين أمثال رهبان مس ، وقد حاول الاسكندر غزو اليمن ، فأصبح شداد بن عباد بانبا للاسكندرية ، وأما مع الاسكندر مكتشفاً لها^{١٢٧}.

ويذهب المؤرخون العرب إلى القول بأن مساكن عادت تقوم في الأماكن من اليمن ، بين اليمن وعمان إلى حضرموت والشحر^{١٢٨} ، وذلك أساساً إلى قوله

(١) حدود على ج ١ ص ٢٢٢

(٢) ابن خلدون - جلد ٢ ص ٢٩

وفي المقدمة يقول : « وهذا المدينة لم يصح لها من موضع لشيء من قطاع الأرض . وصحارى عدن التي زعموا أنها سميت فيها هي في وسط اليمن وسما إلى عمرانها متعلقاً . والآراء تقص طرق من كل وجه ، ولم يبق من هذه المدينة سحر ولا ذكرها أحد من الأصاوين ولا من الأمم . ولو كانوا لها درست قبل دوس من الآلة لمكان أنشأ إلا أن ظاهر كلامهم أنها موجودة وبعضهم يقول أنها دشت . مساكن أن قوم عاد حكموها . وقد ينسب الهذيان بعضهم إلى أنها عاب . والذين يشر عنها أهل الرئاسة والمسلمين زعموا كلها أنشأ بالخرافات . والذي حقق القاصرين على ذلك ما انتهت ساعة الاعراب في لفظة ذات العماد أنها صفة أرم . وحملوا العماد على الأساطير ، فتبين أن حكوى مساكن لهم ذلك . إنا ابن الروبير عاد أرم . على الإضافة من غير تنوين . ثم نقلوا على تلك الحكايات التي أنشأ بالانصيص الموصولة والتي هي أقرب إلى التكذيب ، المنقولة في حدود فلسطين . . . » (للمقدمة ج ١ ص ٢٢٨)

(٣) حدود على ج ١ ص ٢٢٢

(٤) السري ج ٢ ص ٤ - أم لعماد ج ١ ص ١٢٦ - ابن خلدون كتاب الجبر

جلد ٢ ص ٣٠

ثمالي : « واذكر أشاعاد إذ أئذرقومه بالأحفاف وقد غطت النفر من بين يديه ومن خلفه ألا تميدوا إلا اظ أني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم »^{١١} . ولكن القرآن الكريم لم يحدد موقع الأحفاف بالفسه إلى شه جزيرة العرب وإنما حددته القسرون ، ولما كانت لفظة الأحفاف تعني زمال ، فقد اندفع معظم الأخباريين يلتصون مواضعهم في الصحراء ، وأحدوا يدسون حولها القصص والأساطير . ولكن بطليموس يذكر أن شعب (Molidae) أو عاد كان يسكن في المناطق الشمالية العربية من شه جزيرة العرب ، وفي منطقة حسمي بالدات ، على مقربة من مشارل غود Hamudem . ولما يؤكد صحة ما ذكره بطليموس أن عاد اقرون ذكرها في القرآن الكريم بشود : « الذين حاربوا الصخر بالواد »^{١٢} ، والمقصود بالواد وادي القرى ، أحد الأودية التي تحتل سلسلة جبال حسمي ، ومن بينها جبل إرم^{١٣} الذي يعرف اليوم باسم جبل رم^{١٤} ، كما أن منطقة حسمي الجبلية تعتبر أقرب إلى مواضع غود ، الذين حاربوا الصخر بالواد ، من مناطق الأحفاف الرملية التي حدد القسرون موضعها بين اليمن وعمان . ونضيف إلى هذه القرائن ما رواه البكري في مصنفه ، إذ يذكر أنه الأحفاف التي كانت مشارل عاد جبل الشام أو هي غشاف من حسمي^{١٥} ، والغطاب الجبارة في الموضع السهل . واسم الأحفاف « عفاف » بحدة اليوم في المناطق الجنوبية العربية من مدين^{١٦}

(١١) القرآن الكريم . سورة الأحقاف ١٦ : ١٦

(١٢) القرآن الكريم . سورة الحجر ٨٩ : ٨٩

(١٣) غابوب . معجم البلدان . المجلد الأول . طبعه بيروت ١٩٥٥ م ١٢٢

(١٤) جود على ١٦ م ١٢٩ ، ١٣١ ، ٢٢٥ . موسس ، شمال الجبارة ، م ١٣٠ .
 (١٥) جبل يقع على بعد ٢٥ ميلاً شرقي القلعة (قرية) من عر ماد . وقد عثر في هذا الموضع على آثار من العصر الجاهلي (جود على ١٦ م ٢٢٥)

(١٦) البكري : معجم ما استعجم .

(١٧) دوتلي . شمال الجبارة ، م ١٢٢

نود

هم قوم الذي صالح الذي دعاهم إلى عبادة الله فقال لهم . وقد ورد لهم نود مع اسم عاد أو مع اسم نوح في عدة سور من القرآن الكريم لأن المراد بذكرهم ترميز المشركين ، واندازهم بما أصاب هذه الشعوب من قصاص الله لتكذيبهم الأنبياء والرسل^(١) .

ويستدل مما ورد في القرآن الكريم أن نود هلكوا على أثر تلجؤهم إلى مكان صعبته رجفة عسفة أو زلزال^(٢) قال تعالى : « فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِينَ »^(٣) ، وقال تعالى : « وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِينَ . كَانُوا يَمْنُونَهَا إِلَّا إِنْ هُوَ إِلَّا يَوْمُهُمْ الْأَبَدُ لَنُؤدِّيَنَّ إِلَيْهِمْ نَذْرًا الَّذِي عَاهَدْتُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ . فَاصْبَحُوا هَاغِيَةً »^(٤) ، وقال تعالى : « وَأَمَّا نُودُ فَبِإِذْنِهِمْ فاستسحوا الصَّخْرَةَ عَلَى الْبَدَنِ فَأَخَذْتُهَا صَاعِقَةً مِنَ الْغَازِ أَلَا يَسْتَحْشِرُونَ »^(٥) ، وقال تعالى : « إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْئَةِ الْخَمْطِ الْكَاهِنِ »^(٦) .

كذلك ورد ذكر نود في أشعار الجاهليين على سبيل التمثيل بمصيرهم المتمسك بما يدل على معرفة عرب الجاهلية بأحسابهم . ولم يحدد القرآن الكريم موضع منازل نود ، ولكنه أشار إلى أنهم محتوا بيوتهم في الصخر الوادي . ونود الذين

(١) القرآن الكريم - سورة الأعراف ٧ آية ٧٥ - ٧٨ ، وسورة هود ١١ آية ٦٧-٦٨ ، وسورة الشعراء ٢٦ آية ١٤١ - ١٥٨ ، وسورة النمل ٧ آية ١ - ٥٢ ، وسورة فصلت ١١ آية ٦٢ - ١٨ ، وسورة الداريات ٥١ آية ٥٣ - ٣١ ، وسورة القمر ٥٤ آية ٣١ .

(٢) القرآن الكريم - سورة الأعراف ٧ آية ٧٨ .

(٣) القرآن الكريم - سورة هود ١١ آية ٦٧-٦٨ .

(٤) القرآن الكريم - سورة فصلت ٢٤ آية ١٧ .

(٥) القرآن الكريم - سورة القمر ٥٤ آية ٣١ .

جاءوا الصخر بالوادى ، وقد فسرت الآية بأن قوم ثمود نفروا بيوتهم في صخور الجبال في وادي القرى . ويذكر المصنف أن منار لهم كانت تقع بين الشام والحجاز إلى ساحل البحر الحبيشي ، وأن ديارهم بفتح الناقلة ، وبيوتهم كانت ما زال في عصره أبدية متحجرة في الجبال ، وروى عنهم ناقة ، وآثارهم بادية في طريق الحاج لمن رده من الشام بالقرب من وادي القرى ^{١١} . ويؤكد ابن خلدون أن ديارهم بالحجر ووادي القرى فيما بين الحجاز والشام ، وقد مر الذي ^{١٢} على حرائب ديارهم في غروة توك ونهى عن دخولها ^{١٣} . كذلك ورد اسم ثمود في كتب اليونان ، وحددها بليوس فيما بين مدينتي دومة الجندل Dumato ومدينة الحجر Hagar ، كما حددها بطليموس بالقرب من ديار عاد (Nadilat) في أعالي الحجاز ^{١٤} . ومن الملاحظ أن الحجر كانت محطة تجارية هامة في الطريق التجاري بين اليمن وبين الشام ومصر والعراق ^{١٥} .

وقد تمكن العلماء في العصر الحديث من الكشف عن عدد كبير من النقوش التمودية في أرض توك ومدائن صالح وثيابه وفي جبل رم وفي الطائف ^{١٦} .

ويعتقد دي ريس قال أن هناك ثمة تعارب بين التموديين الذين نحتوا بيوتهم

(١) المصنف ، مروج الذهب ج ٢ ص ٤٩ . وفي موضع آخر يذكر أنهم كانوا يركبون الحجر من الشام والحجاز (ج ١ ص ٤٢) كذلك شاهد الامام طبري أن ثمود .

والصحيح أيضا Cassin de Perceval, l'Asie sur l'histoire, ٥ volumes, Paris 1847, t. 1, p. 25.

(٢) ابن خلدون - كتاب الحجر - ج ٤ ص ٤٦ .

(٣) جواد علي - ج ١ ص ٤٤٨ .

(٤) جواد علي - ج ١ ص ٢٢٨ وما يليها - مرسا - شمال الحجاز - ترجمة الدكتور عبد المحسن الحسني - الاستكبرية ١٩٥٢ ص ١٣١ .

(٥) بعض المراجعين - ص ٢٥ - مرسا - ج ٢ - من السلسلة إلى البر - ص ١٦ .

في الحمال وصاحبهم قدار الأحمر الذي تسبب في نكبتهم حتى قيل (أشام من
أحر ثود أو أشام من عاقر الناقة) وبين المحوريين أو سكان الكهوف في بلاد
سحير وزعيمهم كدر لומר الواردة أخبارهم في النوراء^(١) . ويعتقد برسيغال
أن التموديين هم المحوريين سكان بلاد سحير حتى برية فاران، ويمثل خلط الأخباريين
بينهم بأن التموديين كانوا يسكنون في مناطق مجاورة للمحوريين^(٢).

طسم وجديس

يقترن اسم طسم بجديس في المصادر العربية اقتران عباد بشمود ، وطسم
وجديس قبيلتان عربيتان من قبائل العرب البائدة ، يرتفع نسبها إلى لاود
ابن إرم^(٣) ، ولم يرد لهاتين القبيلتين ذكر في القرآن الكريم ، ولا نعرف من
أخبارهما إلا ما ورد في تاريخ العرب القديم . وكانت منارطها في البصرة
والبحرين^(٤) ، وكانت البصرة من أخصب بلاد العرب وأمرها وأكثرها خيراً
وعمرها^(٥) ، وهما صوف التجر والأعاب ، وهي حدائق مختلفة وقصور
مصطبة^(٦) . ويذكر الأخباريون أنه ملك طسم ملك غنوم يقال له غنوق
• لا ينهاء شيء عن هواه مع إصراره وإقدامه على جديس وتعمديه عليهم وقهره
إياهم^(٧) ، وانهاك حرمهم ، فقامت امرأة من جديس اسمها الشمس وهي

(١) النوراء ، سفر التنوير ، اصحاح ١١/١

(٢) Coomans de Perceval, op cit p. 26

(٣) السموي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ١٢

(٤) نفس المصدر ، أبو اللدا ، المستعمر ج ١ ص ١٢٥ ابن خلدون ، مجلد ٣

ص ٤٣

(٥) ابن خلدون ، المجلد ٤ ص ١٤

(٦) السموي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ١٣٦

(٧) نفس المصدر - ابن خلدون ، مجلد ٢ ص ١٤

هفيرة ابنة عفار بن حديس بتعريض قومها على الثورة على حموق ، ويوردون لها أبيات من الشعر في تعريض قومها ، منها .

فلو أننا كما الرجال وكنتم ساء لكننا لا نقر على الدل
فموتوا كراماً ، واصدروا لعدوك بحرب نلظى في القرام من الجزل
ولا تجرعوا للحرب بأقوم إيا تقوم بأقوم كرام على رحل

ولمجت الشمس في استشارة قومها على طسم ، فتولى رعيم حديس وسمي الأسود بن عفار قتل حموق الطسمي ، وتولى قوم حديس قتل بني طسم ، واتهموا ديارهم ، فجاء رحل من طسم يقال له : راج من مره الطسمي ، فتضمن إلى حسان بن قيس الجعري ملك اليمن ، فاستماده على حديس ، فنصره حسان وأقل يحموع حير ، وأغار على منازل حديس بالهامة ، فاستأج أهلها قتلاً وأبادهم^(١١)

وظلت الهامة أطلالاً دارسة بعد أن حررها الجعريون إلى أن رهاها مو حبيبة واستوطنتها حتى ظهور الإسلام^(١٢) .

ومن المواضع المفسومة إلى طسم حصن المشقر ويقع بين نجد ابن والبحرين ، وقصر ممق ، وقصر التمس من ماء حديس^(١٣) بالهامة ، هذا إلى حصون وقصور عديدة^(١٤)

(١١) السمردي ج ٤ ص ١٣٩ - ١٤٠ ، ابن حنبل ج ٢ ص ٤٥

(١٢) ابن خلدون ج ٢ ص ١٦

(١٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٣٦٥

(١٤) راجع حوسني زيدان ، العرب قبل الإسلام ص ٢٩ ، ٨٠

سداد علي ، تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١٥٣ ، ١٥٤

أمع وعييل ،

هم أخوة علق من لاد ، ومن أمع وباز من أمع الذين نزلوا رجل عالم بين
الباعة والأشعر^(١) . ويرحم الأخباريون أن أمع نزل أرض فارس^(٢) ، ولذلك
يعتبر العرب منهم من ولد كبومرث من أمع ، وفي ذلك بفسر بعض شعراء فارس
في العصر الإسلامي :

أبو أمع الخير من قبل فارس وفارس أرباب الملوك هم فخري
وما عد قوم من حديث وسامت من المجد إلا ذكراً أفضل الذكر^(٣)

وملصون إلى شعب أمع أهم أول من ابتنى البنيان وسقف السقوف والمخفوا
السوت والأطام من الحجارة^(٤) .

وعيل من ولد عوص أخوي عاد^(٥) . ويذكر الأخباريون أنهم نزلوا بموضع
مدينة يثرب فاخبطوها ، وتم ذلك على يد رجل منهم هو يثرب بن يائلة بن مهليل
ابن عيل . وأقامت عيل يثرب إلى أن أبادهم المالقي^(٦) . وقد ورد في
التوراة اسم ولد من أولاد بقطان هو عيصال^(٧) أو عوبال^(٨) . ولعل المقصود بهذا

(١) ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥١

(٢) السمرقي ، مروج الذهب ج ١ ، ص ٤٢

(٣) نفس المصدر ج ٢ ، ص ٤٤

(٤) السمرقي ، ج ١ ، ص ١٤٤ - ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥١

(٥) ابن خلدون ج ٢ ، ص ١٣

(٦) السمرقي ، المروج ج ٢ ، ص ١٤٨

(٧) أخبار الأيام الأول ، الإصحاح الأول ، ص ١٢٣

(٨) سفر التكوين ، اصحاح ١٠ ، ص ١٦

الامم آل عييل ، المعروفة في المصادر العربية . وقد أودت عييل بسبب ميل
عارف دمر مواضعهم بالجحفة واجتعلتهم إلى البحر ، فسمي الموضع بالجحفة^(١) .
ريشيو بطليموس إلى موضع يقال له Avalitae ولعله عييل العربية ، كما ورد
هذا الاسم عند بليزوس عرّفها بمض الشيء Abalitae^(٢) .

جوههم

من بني أرفخشذ بن يظن بن عابر بن صالح ، وكانت ديارهم باليمن ، ثم
زلت جرم الحجاز لقمط أصاب اليمن ، وأقاموا في مكة حتى قدمها اسماعيل
عليه السلام ، وصاهرهم^(٣) . وآلت إليهم ولاية البيت حتى غلبتهم عليه خراعة
وكنانة ، فنزلوا يد مكة ويثرب ثم هلكوا بدماء تقش بينهم^(٤) .

ومن العرب النائدة أيضاً عبد ضخم بن إرم ، وكانوا يسكنون الطوائف ،
وقد هلكوا سمص عوائل الدهر فدنوا ، ويدكر الأصحابيون أنهم أول من كتب
بالعربية^(٥) . ومنهم أيضاً حصورا وكانت سائرهم بأرض السبأ^(٦) ، وقد خالفوا
عليهم شعيب بن ذي مهرج ، وقبيل بن مهدي بن حضورا ، وقتلوه وبادوا

(١) القلاوي ، إنباب الأشراف ، ص ٦

(٢) جواد علي ، ج ١ ص ٢٥٨

(٣) السعدي ، ج ٢ ص ١٤٢ - ١٤٣ ، من ظلمون ، المجلد الثاني ص ٥٣

(٤) القلاوي ، إنباب الأشراف ، ص ٨٧

(٥) السعدي ، سراج النب ج ١ ص ١٤٣ - من ظلمون ، كتاب المع - ج ٢

ص ٣٩

(٦) نفس المصدر ، ص ١٥١

وباعت ديارهم^(١) . ويعتقد بعض العلماء^(٢) أن بني حضورا هم نفس بني هدورام
ابن يقطين المذكور في التوراة^(٣) . وصهم وبار بن أمي ، وكلثرا يسكنون
بالقرب من عدن ، وكان نبيهم حنظلة بن صفوان ، فضايقوه فهلكوا . ومنهم
بؤداسم وكانت ديارهم بالحولان وحازر من أرض نوى من بلاد حوران
والبحينة^(٤) .

-
- (١) ابن خلدون ، كتاب المعاد ، ج ٢ ، ص ٥٣
(٢) Auson de Perceval, op cit p. 361
(٣) التوراة ، سفر التكرار ، الاصحاح العاشر ، آية ١٧
(٤) السمردي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٤٦

جغرافية بلاد العرب

١ - طبيعة بلاد العرب

عرفت بلاد العرب عند مؤرخي اليونان والرومان باسم *Aralia* ، فيما عرفت عند مؤرخي العرب وجغرافيتهم باسم جزيرة العرب ، وهي تسمية مجازية لأن بلاد العرب ليست جزيرة وإنما شبه جزيرة ، ولكن العرب كانوا يسمونها شبه الجزيرة العربية ، وهم يسمونها شبه جزيرة أيبيريا جزيرة الأندلس ، ويسمون ما بين النهرين في العراق بجزيرة أقور^١ . وقد سماوا بلاد العرب بجزيرة العرب لإحاطة البحار والأنهار بها من أقطارها وأطرافها ، وصاروا يسمونها في مثل الجزيرة من حداث البحر ، وذلك أن العربات للقافل ، من بلاد الروم يظهر بهاجة قلسرين ، ثم انحط على الجزيرة . وسواد العراق حتى دفع في البحر من ناحية البصرة والأبلة وامتد إلى عبادان^٢ . وذكر ابن خلدون أن جزيرة العرب بين بحر

(١) جداولها عزم ، هذه العرب ، سلسلة القراء رقم ٤٠ ، القاهرة ١٩٤٦ ص ٢١٦

الألمني ، ص ٢٤٧

(٢) الحمداي ، كتاب صفة جزيرة العرب ، بشره المؤرخ محمد عباد من تليجه النحدي ،

القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٧ : أرسم أيضاً إلى لغوت ، معجم اللسان مادة جزيرة العربية ،

مصدر ١٩ ، ص ١٢٧

دارس والقائم ، وكأنها واحدة من البر في البحر ، يحيط بها البحر الحبشي من الجنوب ، وبحر القزم من الغرب ، وبحر فارس من الشرق ، وتفضي إلى العراق فيما بين الشام والعمرة على ألف وخمسة مئيل بينها ^{١١} .

وتختلف بلاد العرب من حيث طبيعتها باختلاف أجزائها ، فالقسم الأكبر منها بادية تمتلئها وحات وجواء أو أغوار تتجمع فيها مياه الأمطار أو تغرب في الأرض ، أما الواديان قليلة وتنح في أطراف شبه الجزيرة . وقد كان ذلك الاختلاف الواضح في طبيعة بلاد العرب الجغرافية سبباً في وجود نوعين من السكان : البدو ، ويسمرون أيضاً باسم الأعراب ، ويسكنون في البادية ^{١٢} ، والحضر ويسكنون في المدن ، ويشغلون الزراعة أو التجارة أو الصناعة وهم أهل الدر أو أهل الحجر أي سكان المدن ^{١٣} .

ولقد قسم اليونان والرومان بلاد العرب إلى ثلاثة أقسام طبيعية تتفق مع الناحية السياسية ^{١٤} التي كانت عليها بلاد العرب في القرن الأول الميلادي هي .

١ - بلاد العرب الصغيرة Arabia Petraea أو Arabia Petrea ، وتقع في الشمال من بلاد العرب ، جنوب غربي بادية الشام حيث ملكة الأنباط

(١) ابن خلدون ، المقدمة ج ١ ص ٢٩١-٢٩٢

(٢) الأوسي ج ١ ص ١٦ يفرق أهل اللغة بين لفظي عرب وأعراب ، والمتفق عليه أن العرب هم سكان الدد والقرى والأعراب هم سكان البادية ولكن ابن خلدون يستخدم لفظ عرب بمعنى الأعراب أو سكان البادية الذين يعيشون خارج المدن ويشغلون الرعي ويشبهون الحيام ساكني قم (راجع مقدمة ابن خلدون ج ٢ - البنية رقم ٣٥٩ ص ٤٠٩) .

(٣) ساجد ، الحضارة الإسلامية ص ٦٠

(٤) جواد علي ج ١ ص ٦١٧ - حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ١٩٥٩ ص ٤

٢- بلاد العرب السعيدة Arabia Felix^١ والمقصود بها بلاد البحر أو الأرض الخضراء

٣- بلاد العرب الصحراوية Arabia Deserta^٢ وكانت تطلق على بلاد الشام، ثم شمل اسمها النادية الواسعة والمناطق الصحراوية التي كانت تسكنها القبائل البدوية في شبه جزيرة العرب كلها

وببلاد العرب الصحراوية في الواقع هي القسم الأعظم من هذه الأقسام الثلاثة لكثرة صحرائها في الوسط والشمال والجنوب، والصحراء العربية تتنوع وتختلف من مواسم إلى آخر، وتقسّم إلى ثلاثة أقسام

١- الخمرات أو الخمرات

الخمرات على حد تعريف صاحب كتاب المسبي^٣ أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحقرت بالنار^٤ والخمرات عادة مستديرة الشكل، فإذا كان فيها شيء مستطيل غير واسع فذلك الكروخ^٥ واللاية^٦ والخمرات تكونت بقدر البراكين، بل هي أثر من آثار ما تخرجه البراكين من حوقها^٧

(١) يلقون^٨ بمعجم البلدان، جلد ٢ - مادة حمر - ص ٥٠

(٢) نفس المصدر، ص ٥٢

(٣) نشطت بعض البراكين في الجزيرة العربية على حدود اليمن في سنة ١٢٧٠ م وقد وصف عبادة من شداد بركناً يقذف الحمم وهناك شاعر سحر عرعر^٩ - ربي يم نصف ركاناً تائراً في حرة القوس لمناول

بحرة القوس - ص ١٢٤

والحرار كثيرة في بلاد العرب ، وتبتدىء من شرقي حوران ، وتمتد متناثرة حتى المدينة ^(١١) ، وقد أحصى ياقوت منها تسعا وعشرين حرة من بينها حرة أوطاس وحرة توك وحرة تعدة وحرة حقل وحرة الحمار ، وهي حرار ذكرت في أيام العرب ، ومنها أيضاً حرة راجل ، وتقع بين السر وشارف حوران ^(١٢) ، وحرة رماح بالدهناء ، وحرة ضرغد في جبال طيء ، ومن أشهر حرار العرب حرة النار قرب خيبر ، وقيل بين وادي القرى ولياء بالقرب من حرة ليل ، التي يطلقها الحاج في طريقه إلى المدينة ^(١٣) . والمدينة نفسها تقع بين سرتين هما : حرة واقم أو الحرة الشرقية ، وحرة الوريه أو الحرة الغربية ، ولذلك يقال عن المدينة كلها ما بين اللاتين ، أما حرة واقم فقد سميت كذلك نسبة إلى أطم من أطام المدينة ^(١٤) ، وكانت وقت الهجرة النبوية أكثر عمراً من حرة الوريه ، إذ كانت تسكنها قبائل اليهود من بني النضير وبني قريظة وعشائر يهودية أخرى ، كما كانت تسكنها أيضاً أم بطون الأوس وم بنو عبد الأشهل وبني ظفر وبني حارثة وبني معاوية . وأصبحت هذه الحرة منذ أن قامت دولة الرسول في المدينة دار حرب عندما حاصر النبي يهود بني النضير حتى أجلاهم ، ثم يهود بني قريظة حتى قضى عليهم ^(١٥) ، وفيها كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في ٢٧ ذي الحجة سنة ٦٣ هـ ، بين جيش يزيد بقيادة مسلم بن عقبة المري ، وعضد من القواد المحصين بن نعيم الكوفي ، وجيش

(١) أحمد أمين ، مصر الإسلام ، ص ٢ - حراد علي ج ١ ص ٩٩

(٢) ياقوت ، معجم حرة ، ص ٢٤٦

(٣) نفس المصدر ، ص ٩١٥

(٤) نفس المصدر ، ص ٢٤٩

(٥) أحمد إبراهيم الشريف ، مكة والذبة في الجاهلية وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٧ ،

ابن دلة القبي ، وروح من رصاص الحفاسي ، وبيع أهل المدينة بقبادة عبد
ابن حنظلة النسيب الأنصاري وعبد الله بن مطيع المدري عن قريش ، وعلى الرغم
من أسبال أهل المدينة في القتال فقد انهزموا هزيمة نكراء ، وقتل من أصحاب
سول الله ثمانون رجلاً ، ومن قريش والأنصار ستمائة ، ومن سائر الناس من
لوال والعرب وقتلهم عشرة آلاف ، وارثكبه حد يزيد كثيراً عن الفطائع
في أهل المدينة وفي هذه الواقعة يقول محمد بن أسلم

فإن تقتلوا يوم حرة واقسم فمن على الإسلام أول من قتل^١

أما حرة الورة فتقع على بعد ثلاثة أميال عربي المدينة ، في أول الطريق إلى
مكة ، وتصل هذه الحرة بين المدينة ووادي المتيق ، وكان وادياً خصباً كثير
الماء والآبار والصود ، كثير الشجر والتمثل والعروس . ومن بين آبارها بئر
عروة المنسوب إلى عروة بن الزبير ، وبئر رومة^٢

(١) في دلة حرة واهم راصح ، أم حنيفة الديوري . الأسار الطوال . تحقيق عبد النعم
علمر . القاهرة ١٩٦٠ ص ٢٦١ ابن قتية ، الأمانة والاس . ج ١ ، طبعة القاهرة ،
١٩٣٥ ص ٢٢٨ الطبري . تاريخ الأمم والملوك . ج ٢ ، طبعة القاهرة ١٩٣٥ ص ٤٠٨
ص ٢٥٤ السجستاني . مروج الذهب . ج ٢ ص ٧٨ أم الفداء ، المختصر في أخبار البشر .
طبعة بيروت ١٩٥٦ ص ٩٠ . ١٧ . يقول محمد بن أسلم . ج ٢ ص ٢٠٠ حرة واقم .
ص ١٤٩ جمال الدين سيور . الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول
والثاني بعد الهجرة . القاهرة ١٩٦٠ ص ١٠٥ . علي حسي الخرمولي . الدولة العربية
الإسلامية . القاهرة ١٩٩٠ ص ٣٠٧ وما يليها .

(٢) أحمد إبراهيم الشريف . مكة والمدينة . ص ٢٨٩

(٣) ابن أسلم . ج ١ ص ١٤٩ حرة واقم . ج ٢ ص ١٤٩ . عبد الوهاب عزام . مبد
القرن ١٩٣٠

٢ - الدهناء أو صحراء الجنوب ١

تشغل هذه الصحراء مساحة كبيرة من شبه جزيرة العرب، فهي تمتد من صحراء
السمود، المسماة قديماً بادية السماوة، شمالاً إلى حضرموت في الجنوب، ومن اليمن
غرباً إلى عمان شرقاً، وتقدر مساحتها بخمسين ألف ميل مربع، وتخترقها تلال
رمليّة أو كتبان تموج مع الريح وتنتقل معها عتة الهبوب، وتعرف الأجزاء
الجنوبية منها في الوقت الحاضر باسم الريح الخالي لحولها من الناس، وكانت
تسمى قديماً بعمارة صيد^(١)، أما القسم الغربي من الدهناء فيطلق عليه اسم
الأحلاف، وأرض الدهناء على الرغم من جفافها وخلوها من الماء كانت إذا
سقطت عليها الأمطار الموسمية يبتئ بها الأعشاب مدة ثلاثة أشهر، ولصل
الدهناء سميت بذلك الاسم لاختلاف النبات والأشجار في عراضها، لأن الدهناء
يعني القديم الأحمر^(٢).

٣ - صحراء النفود ١

كانت تسمى قديماً بادية السماوة أو رمح عال^(٣)، وتقع في شمال الجزيرة
العربية، وتتنازع بكثافتها الرملية اللينة التي يصب على المرء أن
يسبح فيها، إذ يبلغ ارتفاع بعض هذه الكتبان نحو ١٥٠ متراً. وتقدر صحراء
النفود على مساحة كبيرة من الأرض فيبلغ طولها من واحة نباد إلى الشرق
نحو ١٥٠ كم، وعرضها من واحة الجوف إلى جبل شر يتعد إلى ٢٥٠
كيلو متراً^(٤).

(١) ياقوت، معجم البلدان، جلد ٣ مادة صيد ص ١١٨

(٢) ياقوت، معجم البلدان، جلد ٤، مادة صيد ص ١١٩

(٣) ياقوت، جلد ١، ص ٧٠

(٤) جواد علي، ج ١، ص ٩٣

ب - أقسام جزيرة العرب ١

ويقسم العرب (المدائني) بلادهم حصة أقسام كبرى هي : تهامة ومحد والحجاز والمروء واليمن^(١) ، ويزيد ، من حوقل في أقسامها بادية العراق وبادية الجزيرة ، هيا بين دجلة والفرات ، وبادية الشام^(٢) .

١ - تهامة :

تشمل المنطقة الساحلية الضيقة المؤدية لامتداد البحر الأحمر من اليمن جنوباً إلى العقبة شمالاً ، ويحجرها عن دجل شبه الجزيرة سلطة حبال السراة أعظم حبال العرب . وقد سميت تهامة بذلك الاسم من التهم ، وهو شدة الحر وركود الريح ، لشدة حرها وركود ريحها ، وقل سميت كذلك لتغير هوائها . وفيها إلى الآنمة هي الأرض المنصورة نحو البحر^(٣) ، ولا تخدش أرض تهامة سميت بالفور^(٤) .

وسألف إقليم تهامة من عدة تهاثم ، منها ما يدخل في اليمن ، ومنها ما يدخل في الحجاز . وقد تهامة شمالاً حتى حدود مكة ، وجنوباً حتى حدود

(١) المدائني ، ص ٦٠ - العرب ، ص ١٧ - بلقوت ، معجم البلدان ، مجلد ٢ مادة جزيرة العرب ، ص ١٢٧ - القلندي ، ج ١ - ص ١١٥ - الأوسي ، مرجع الأربعة ، ج ١ ص ٦٨٢

(٢) من حوقل ، كتاب صورة الأرض ، طبعة بيروت ، ص ٢٩

(٣) بلقوت ، معجم البلدان ، مادة تهامة ، مجلد ٥ ، ص ٩٣

(٤) نفس المصدر ، ص ١١٧

صماء^(١) ونهامة اليمن سهل خصب تنحدر إليه الأودية من الجبال وتكثر فيه الأشجار والزرور^٢ ، ومن مدنه الساحلية الجديدة ونخا وقنفدة^(٣) ، ومن مدنه ربيع قصة لنهاتهم^٤ وفرضتها على البحر علاقة^(٥) . ومن دولتي العرب من يعمل مكة من نهامة^٦ ، ومن نهامة أيضاً يلبس وهي مدينة صغيرة تقع قريباً من البحر ، كانت منزلاً لشيء الحسن بن علي بن أبي طالب^(٧) . ومنها أيضاً جدة وفرضه مكة وكانت عامرة بالتجارة^(٨) ومن نهامة كذلك الحديبية وتوك وهي واحة تقع بين الحجاز وبين أول الشام .

٣ - نجد :

هي المنطقة الوسطى في شبه جزيرة العرب ، وتقع بين بادية الصفاة في الشمال والدمام في الجنوب وأطراف العراق شرقاً والحجاز غرباً . وهي أوسع أقاليم جزيرة العرب ، وتتخللها أودية كثيرة منها وادي الرمة وروافده ، ووادي حنيفة ، وكان يسمى قلعياً^(٩) ، ووادي عاقل ، ولذلك كانت نجد أطيب أراضي الجزيرة العربية^(١٠) ، فغرم الثمراء براما وريافها .

(١) ابن حوقل ، ص ٤٢

(٢) عبد الوهاب عزام ، مهد العرب ، ص ٩٣

(٣) الأوكسي ، ج ١ ص ٢٠٦

(٤) ياقوت ، مادة نهامة ، ص ٦٤ - الأوكسي ، ج ١ ص ١١١

(٥) الأوكسي ، ج ١ ص ١٩٥

(٦) ابن حوقل ، ص ٢٩

(٧) عبد الوهاب عزام ، مهد العرب ، ص ٢٢

(٨) الأوكسي ، ج ١ ص ٢٩٩

وقسمها العرب قسمين : نجد السافلة ونجد العالية ، فالسافلة ما على العراق ،
والعالية ما على الحجاز ونهامة ^(١) . وينجد جبلان مشهوران صعبا الارتفاع هما
جبلأحأرسمى للمسويان إلى علي ^(٢) ، وفيها بقول ربه : مهليل الطائي :

جلبنا الخيل من أحأر وسمى نخب تزائعا خب الركاب
ويصف ليبد كنيبة للثمان .

كأركان سلى إذ بدى أو كاهم مضاب أجا إذ لاح فيه مواسل ^(٣)
ويادني جبل أجا مدينة حائل ، وعلى سفح جبل سلى بلدة فيد ، الواقعة
في طريق الحاج العراقي ^(٤) .

٣ - الحجاز :

الحجاز ما بين نجد ونهامة ، وهو جبل يقسم من اليمن حتى يتصل بالشام
وسمي بهذا الاسم لأنه يحجز بين نجد ونهامة ، وامتداده بينهما بمقدار الساحل ^(٥) ،
ويقال أيضا أنه سمي حجازاً لأنه يحجز بين الفجر والشام ^(٦) ، والأرجح لتعليل
الأول (وصاحبه هشام بن الكلب) ، وهو أن جبل السراة ^(٧) المعروف بحبل

(١) ياقوت ، مجلد ٥ ، مادة نجد ، ص ٩٤٤

(٢) ياقوت ، مجلد ٩ ، مادة أحأر ، ص ٩٦

(٣) ياقوت ، مجلد ٤ ، مادة مضاب ، ص ١٨٢

(٤) نفس المصدر ، مجلد ٢ ، مادة حجاز ، ص ١٦٩

(٥) نفس المصدر - القلائد ، ج ١ ، ص ٢٤٦

(٦) المسداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٤٥

الحجر ، وحجر بين الثور ، وهو تهامة ، وهو عايط ، وبين نجد ، وهو طاهر ،
فصار ما خلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعرين وعلى
وكسانه وعيها ، ودونها إلى قات عرق والحفة وما صاقبها ، وغار من أرضها
الدور عور تهامة ، وتهامة تجمع ذلك كله ، وصار ما دون ذلك الجبل في شرقيه
من صحارى نجد إلى أطراف العراق والساوة وما يليها نجداً ، ونجد تجمع ذلك
كله ، وصار الجبل نفسه ، وهو سرائه ، وهو الحجار وما احتجز به في شرقيه
من الجبال وانحاز إلى ناحية فهد والجبلين إلى المدينة ، ومن بلاد متجمع ثلثت
وما دونها إلى ناحية فهد حجازاً ، والعرب تسميه نجداً وجلساً وحجاراً ، والحجاز
يجمع ذلك كله^(١)

ويضم الحجاز من المدن المدينة والطائف وخيبر وفدك والجسار وفرة
المدينة وتياه .

٤ - العروض

تشمل اليامة والبحرين وما والاها^(٢) ، وقد سميت عروضاً لأنها تعرض
بين اليمن ونجد والعرق . وكانت اليامة تسمى قديماً جواً وذلك عندما نزلتها
طسم وحديس ، فسميت اليامة نسبة إلى اليامة بنت سهم بن طسم^(٣) . وقاعدة
اليامة في القديم مدينة حجير . أما البحرين فإقليم فسيح قريب من الخليج العربي ،
وكانت قاعدتها حجير^(٤) ، وقصة حجير الأحساء التي عمرها وحصنها أمر طاهر

(١) ياقوت ، معجم البلدان - مجلد ٢ ، مادة حجاز ، ص ٢١٩

(٢) نفس المصدر ، مجلد ٤ ، مادة عروض ، ص ١١٢

(٣) نفس المراجع ، مادة يامة ، مخطوطة ٥ ، ص ١٤٢

(٤) نفس المراجع ، مادة حجير ، ص ٢٩٢

سليمان بن أبي سعيد الجنافي القرمطي^{١١} .

• - اليمن •

منطقة واسعة عند حدودها من تهامة إلى العروص^{١٢} ، وسُميت بذلك الاسم لتساقط العرب إليها ، لأنها أمان الأرض^{١٣} . والأرجح أنها سميت اليمن من نبات الواردة في نص يرجع إلى أيام الملك شمر جرهم^{١٤} . ولعل نبات من اليمن والحجر^{١٥} ما أودع الله فيها من العزّة ، ولذلك عرفت عند العرب بالحضراء لكثرة مزارعها وبخيلها^{١٦} ، وأشجارها وغارها^{١٧} ، كما عرفت عند اليونان ببلاد العرب السعيدة . وفي خيرات اليمن يقول الككلاعي .

• هي الحضراء فاسأل عن ربها يحسبك اليقين المحمودة
ويطهرها الميمس في زمان به كل البرية يظلمودة
وفي أصلها عز عزيز يظل له الوري متفانصريا
وأشجار مودة وروع وفاكهة تروق الآكينة^{١٨}

ولقد أشار القرآن الكريم إلى ما كانت عليه بلاد اليمن من حضارة وعمران^{١٩} فيقول تعالى . « لقد كان لبا في سمكتهم آية جنشان عن يمين وشمال . كلوا

(١) قصص الترجيع ، مادة الاحساء ، معجمه ١٠٦ ص ١١٢

(٢) قصص الترجيع ، مادة يمين ، معجمه ١٠٦ ص ١١٢

(٣) بيوت علي ، ج ١٩ ص ١٣٥

(٤) الحماني ، صفات حروب العرب ، ص ٥١ - الألويسي ، ج ١ ص ٩٠٣ - دقوت ، المعجم

سادة بين ١٠٠ ص ١١٤

(٥) الألويسي ، ج ١ ص ٩١٤

من ورق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وهدانهم يحمتهم جنتين فوالى أكل خبط وأثل وشي من سحر قليل^(١) .

ومنعود إلى ذكر بلاد اليمن عندما نتعرض لتاريخها .

ج - المناخ ،

بسود الجفاف شبه جزيرة العرب بوجه عام ، والمطر يندر سقوطه ، ولذلك فإن أكثر أراضي جزيرة العرب صحراوية ، ومع ذلك فهناك أودية كثيرة تبيل فيها المياه في موسم الأمطار ، وهي أودية شديدة الانحدار تصب في البحر الأحمر أو في بحر العرب ، والأمطار تسقط في الحريف والشتاء في الشمال ، بينما تسقط في الصيف في بلاد اليمن . وإذا سقط المطر في البادية فإنه يتسبب في إنبات عشب وشيك ينمو سريعاً ثم يذوي سريعاً ، ولذلك فإن الحياة في البادية هي التي أمطت على البدوي الترحال والانتقال حيث موارد المياه والعشب .

١ - الرياح ،

بذكر المسعودي أن الرياح أربعة : إحداهما تهب من جهة الشرق ، وهي القبول ، والثانية تهب من المغرب ، وهي العبور ، والثالثة من التيمن وهي الجنوب ، والرابعة من التيسر ، وهي الشمال^(١) .

(١) القرآن الكريم ، سورة سبأ ، ٣١ آية ١٤-١٦

(١) أخبار حيد من شربة ، مطبوع بكتاب التيجان ص ٣١٥ - المسعودي ، مروج الذهب ،

أما رياح القبول فهي التي يسمونها ربح الصبا ، وهي ربح طيبة مقبولة والنفس تصبو إليها ، وأكثر مهبها على إقليم نجد ، وكان العرب يفضلون هذه الرياح لرفتها ولأنها تجمي بالسحاب والمطر وفيها الري والخصب ، وهي عندهم اللبنانية ^(١) . ورياح الشمال عادة ربح باردة وتهب على الحجاز بعد أن تكون قد احتارت مضارب الأناسول المغطاة بالثلوج ومرتفعات سورية . ولذلك عرفت بالشامية ^(٢) ، وكانت مكروهة لما يصحبها من برد ولأنها تذهب بالغيم والخصب ، وتعرف أيضاً بالحدواء لأنها تحدد السحاب أي تسفه ^(٣) ، وهنا يتجلى كرم العرب في فتح دورهم للضيف فيمدحون بالجوهر والكرم عندما تهب هذه الرياح ، وفي ذلك يقول أحد الشعراء :

لقد هم الضيف والمملون إذ أغبر أفق وهبت شمالا
بانك ربيع وعيت مريع وأنت هناك تكون الجالا ^(٤)
وقال آخر :

وملتحج نهوى ساقط رأسه إلى كل شخص فهو السمع أصور
يصف أنف من الريح بارد وتكباد ليل من جمادى صرصر ^(٥)

(١) الألوحي ، ج ١ ، ص ٣٦ - عهد الوهاب عزام ، عهد العرب ، ص ٢٩

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٧٩ (يتحدث عن الطائفة فيذكر أنها شامية الهواء) ، ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٢٠٠ ، مادة حدواء ، ص ٢٢٩

(٣) H Lammens, le Berceau de l'islam, p. 18

(٤) عهد الوهاب عزام ، عهد العرب ، ص ٢٦

(٥) الألوحي ، ج ١ ، ص ٥٩ . والتكباد وصف لتتكيف طريق الرياح المعروفة

وقال حاتم الطائي بامر غلامه بإيقاد نار ورشد الأضيال في الليل
السارد.

أورد: فان الليل ليل قمر والريح يا واقعد وريح صر
عل يرى نارك من يمر إن جلت صيفا فأنت حر^(١)
وكانت لبيد بن ربيعة وأبوه ، إذا هت ربح الصبا ، أطمعوا الناس ، لأن
الصبا لا تهب إلا في جدي ، وفي ذلك تقول بلى لبيد بن ربيعة العامري :
إذا هت رباح أبي عجيل فذكرنا عند هبتها الوليد^(٢)
أما الدبور فكانت تهب مصحوبة بأمطار ولذلك عرفت أيضاً بالذاريات
والمصرات^(٣) ، أما الرياح الحارة فكانت تسمى السهام والهيف والسموم .

وفي رياح الجنوب يمن معشر الأعراب إلى اليمن فيقول :
وإني ليميني لأصبا ويميني
وأرأح للبرق السباني كأنني
له سين يبدو في السماء تيب
وقال آخر

أما من جنوب تذهب الفل ظلة
يمانون مستوحيم عن بلادهم
يمانية من نحو ليلى ولا ركب
على قلعه يذمر بأحسن الجدي^(٤)

(١) نفس المرجع ، ص ٢٨

(٢) نفس المرجع ، ص ٩٢

(٣) نفس المرجع ، ج ٥ ، ص ٣٦٩

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٥ ، مادة يمن ، ص ١١٥

٢ - الأمطار .

لما كانت معظم بلاد العرب صحراء فقد اعتمدوا على الأمطار في الرعي وفي الزراعة ، ولذلك السبب اهتم العرب بتمييز أنواع السحاب المطيرة وبرعوا في التنبؤ بسقوط المطر ، وسواء السحاب الذي يرحى منه المطر ، الخلق ، ، وسواء السحابة التي يدوم مطرها بالسحابة الدائمة (١)

وتسقط الأمطار على جبال اليمن العربية بفزارة في فصل الصيف ، وينزل في تهامة اليمن في الشتاء أحياناً ، ويبلغ تأثير الرياح الموسمية حتى الطائف ، فيها تمرل الأمطار في أوج الصيف . أما في فصل الشتاء فتسقط الأمطار في شمالي بلاد العرب وفي وسطها ، والأمطار في بعض الأحيان تشح وقد تنقطع ويشتج عن ذلك حذب وقطع يطول أمده (٢) وفي ذلك يقول الشاعر

إذا سمة طالم وطالم طاولها وأقحطت بها القطر رايمص عودها (٣)

ومن هنا أطلق العرب على السنوات التي لا تمرل فيها مطر بالسنين البيض أو السنين البيض ، وأحياناً يسمونها السنوات الشباء (٤) . وإذا شح المطر يتقل الندى من مضاربهم ومن دون مواجع القطر أو الغيث ، ويعتبر ذلك امداداً بالحرارة نحو الشمال .

وفي حالة الأمطار المتفرقة والسيل ، تتمرر من البلاد للأخطار ، فتتساقط

(١) الأوسى ، ج ٣ ص ٢٦٢

(٢) عبد الوهاب عزام ، حيد العرب ، ص ٢٢ + ٢٨

(٣) Lammens, op cit. t. I. p. 19

(٤) Ibid .

للمارل والدور وقطيع السيول بالزروع ، وتحد بادت بالسيول والفيضانات شعوب وأمم عربية ، مثل شعب ساء الذي نادى على أثر حبل العرم .

أما في حالة الأمطار المتدلة فالناس يشربون ويسقون حيواناتهم ، ويزرعون مردوحاتهم ويقتل الفدران والآبار والحزانات والدارات بالمساة . والعاراة رمل أبيض مستدير ، في وسطه فجوة مستديرة ، وغالباً ما تكون الدارات محاطة بالجنان ، وتكثر فيها الزراعة . وقد أحصى ياقوت عن دارات العرب نحو ستين دائرة^(١)

(١) ياقوت معجم البلدان ، جلد ٥ ، ص ١٠٠ دارات حر ٢١ : وما إليها

البَابُ الثَّانِي

عرب الجنوب

الفصل الأول . اليمن منذ قيام الدولة المعينية حتى سقوط الدولة الحميرية

الفصل الثاني : اليمن في ظل الأحباش والفرس

الفصل الأول

اليمن منذ قيام الدولة المعينية حتى سقوط الدولة الحميرية

١ - بلاد اليمن

(أ) اسم اليمن

(ب) ثروة اليمن الاقتصادية في العصر الجاهلي .

(ج) المالح والقصور والمحافد

(د) أمثلة من مدن اليمن القديمة

٢ - الدولة الحميرية (١٣٠٠ ق.م - ٦٥٠ ق.م تقريباً)

٣ - الدولة الجبالية (٨٠٠ ق.م - ١١٥ ق.م)

٤ - الدولة الحميرية (١١٥ ق.م - ٥٢٥ م)

بلاد اليمن

١ - اسم اليمن

لكل اسم مدلول عند العرب ، فالجهاز سمي بهذا الاسم لأنه يجبر بين تهامة ونجد ، ولجند سميت بهذا لارتفاعها ، وتهامة من اسمهم وركوة الريح ، والمغرب الأدنى لأنه أقرب أقسام المغرب إلى المشرق الاسلامي ودار الخلافة ، والمغرب الأقصى لتطرفه عن مركز الخلافة

أما اليمن فاسم اختلف الاخباريون في تفسير مدلوله ، عباس الكلبي يامل سميتها بهذا الاسم بأن يقطن بن عابر نزل في موضع اليمن فقال العرب يمين يمين يقطن . وذكر ابن عباس ان اليمن سبب يميناً لأنها تقع على يمين الكعبة وهو لليمن بخلاف الشام الذي سمي شاماً لوقوعه على شمال الكعبة . وقيل أيضاً أن اليمن سمي يميناً ليمنه والشام شاماً لتوهمه^(١) . ويرد باقوت على ذلك بقوله .

(١) ابن الفقيه الحميري ، مختصر كتاب البلدان ، لندن ، ١٩٤٥ ، ص ٢٢ - الحميري ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٦٩ - الحميري ، صفة جزيرة العرب ، ص ٥٠ - بقرت ، معجم البلدان ، معجم ، ٢٨٢ ، ص ٢٨٢

« قولهم قيام الناس فسموا اليمن فيه بطر » لأن الكلمة مربعة « فلا يسمى لها ولا يبار » فإذا كانت اليمن عن يمين قوم كانت عن يبار آخرين « وكذلك الحيات الأربع إلا أن يريد بذلك من مستقل (الركن الثاني) فإنه أحلها « فإذا يصح »^{٢١}.

والواقع أن بلاد اليمن لم تكن تعرف بهذا الاسم « ولا هذا المعنى أو بذاك » فقد ورد اسم اليمن في نصوص ساء القعدة باسم يمانات ويمت « وس البهيمي أن اسم اليمن اشتق من يمانات ولعل يمانات تعني الس والحجر « فلقد كانت بلاد اليمن في أقدم عصورها التاريخية ملاحاً كثيرة الأشجار والثمار والزروع حتى أنها عرفت لذلك السبب باليمن المحصرة « وفيها يقول الكلاعي .

هي الخضراء فاسأل عن رماها	يحمرك الله يمين المحمروا
ويطرها الميهن في رمان	به كل الترية مظفدوسا
وفي أحبالها عز عسور	يطل له اوري متفاضرين ^{٢٢}

كذلك عرفت بلاد اليمن قديماً عند اليونان ببلاد العرب السعيدة (Arabia Felix) لكثرة خيراتها ومحصولاتها الزراعية^{٢٣} نتيجة للأمطار الموسمية التي استغلها أهلها من لحاية أوامضهم المرتفعة . وقد ذكر الحمداقي

(١) يقول : معجم البلدان . مادة يمن ص ٤٤٧

(٢) الأوسي . تاريخ العرب في معرفة أحوال العرب . ج ١ ص ٢٠٣

(٣) في رمان اليمن ومعد ثرواتها يقول ابن الفقيه الحمداقي « وباليمن من أنواع الخشب وعرائب الثمار ، وطوائف الشجر ، ما يستعمل ما ينبت في بلاد الانكسار والعباسية » (محضر كتاب البلدان ص ٣٤) . وقال أبو الحسن الحملائي « وفي هذه البراري والسهول من لبناع والقصائل والحجر الطاق =

أنه كان يحصب الماء ، أحد محاليف اليمن ، فأبون سدا ، ذكره ، تبع بقوله

والمروة لحصرا ، من أرض يحصب ، فأبون سدا نقلس الماء سائلا^{١١١}

ويظهر الأستاذ فيليب حتى أنه صفة «الصيدة» التي تدرن عند ذكر بلاد اليمن ، كانت محاولة لترجمة كلمة اليمن العربية (ويقصد بها إلى اليد اليمنى) «فخلطت بكلمة اليمن (بضم الياء) ومعناها السعادة»^{١١٢} . وإذا كان الأمر كذلك فكيف نوسر العلاقة بين اسم قديم المشتق من غمار أي الشعر وكلمة باليرا ، أو العلاقة بين كلمة البترا وسلاح العربية التي تؤدي نفس معنى بترا (أي الصخرة) (أي الصخرة) والوجود بهذا المعنى في التوراة^{١١٣} ؟

ب - ثروة اليمن الاقتصادية في العصر الجاهلي ،

ولقد عرفت بلاد اليمن قديماً تنجارة المطور والبحور والطوب والمر والصمغ والكافور والورس^{١١٤} ، وكان لمنتجات اليمن سوق رائجة في مصر

= ما لا يحصى له عدد ، ولا يبلغ به أمد .. ويذكر أن فيها من الحيرات والمضائق ما لا يحصى إلا على ساحل أو متداخل ، وكثرت فيها من السماتين «(الألوسي ، بلوغ الأرب - ج ١ ص ٢٠٣)

(١) الحميري ، صفة جزيرة العرب ، ص ١٠١

(٢) فيليب حتى ، تاريخ العرب ، القاهرة ١٩٥٣ ، (ترجمة الأستاذ محمد مبروك زقزوق) ص ٥٧

(٣) سفر أشعياء ، (ص ١٦ ، آية ١٢) ص ١٠٤٣

(٤) يقول الأصمعي «أربعة أشياء عند ملأ الدنيا ولا تكون إلا باليمن الخروب (تجمع من القلبي بعد محمل الدجاجة أحمر يلقبه الرطبان يستعمل في الصابون) (أر - حرة) ص ١٢ ، والكندر (تجمع من الحور) والخضر (أي سائل) (ص ١٢) ص ١٢ ، ياقوت ، مادة يسر ص ١١٥ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص ٩٦

الفرعونية ، إذ كان المصريون يستعدون النساك اليمني والصومالي مع البحور في المماد ، كما كانوا يستعدونه في تحسب جنت الموتى . وبالإضافة إلى قيام أهل اليمن بصريف منتجاتهم الرطبة فقد كانوا يسمون وسطاء للتجارة بين الهند وبلاد العراق والشام ومصر ، فمن طريق اليمن كانت لأهل الخليج الفارسي^{١١١} ، والتوابل والسيوف المسندية والحرب الصيني والعاج والذهب الأثيوبي ، تصل إلى مصر والشام والعراق^{١١٢}

ولقد أشار عدد كبير من كتاب اليونان والرومان إلى ثروات اليمن فامتدحها هيرودوت لأنها تزرع أرزها عطرة ، لأنها البلاد الوحيدة التي تنتج البخور والمر والقصعة والافرة والادون^{١١٣} . وقد سمع من المصريين روايات عن الأساطير التي تنعش لها من يجمع هذه الطيوب ، فارت أشجارها تحمينا أفاعي بمحبة^{١١٤}

وتحدث ثيوغرامست ، تلميذ أرسطو ، في كتابه تاريخ النبات ، عن صوب بلاد العرب الشهيرة ويذكر أشجار الصند والمحور وطرق رعايتها الشهيرة ونقود . وتحدث شقوقي في الشجيرات ، يطر منها سائل صمغي بقطرات شبيهة بالؤلؤ ويكوم كل واحد نصيب من الصم والمحور بالطريقة ذاتها ،

(١) كان أهل عمان والجزير وفقر يشتمون بالموس على اللؤلؤ وقد صرح النحدي طريقا أسمره (السودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٢٨ وما يليها)

(٢) فليس حتى ١ ص ٥٩ - صالح أحمد علي ، محاضرات في تاريخ العرب . ج ١ ، بغداد ١٩٥٩ ، ص ١٥ .

(٣) فيليب سمي ، تاريخ العرب ، ص ٥٢

(٤) سالكين بيرز ، اكتشاف جزيرة العرب ، ص ٣٥

وبدركها في عهدة رجال يقومون بحراستها^(١) . ويشير ثيوفراست^(٢) في جملة ما ذكره عن بلاد اليمن ، إلى السبئيين ، فيصفهم بأنهم محاربين ورواح ولجبار يسافرون على وحو ، السعداء في السفن أو روارق من الخلد للتجارة^(٣) . كذلك وصف دiodore الذي في بلاد سبأ فقال . و تقفوح في طول البلاد وعرضها روائح عطر طبعي^(٤) . وتنمو على طول الساحل أشجار اللسب والقرقفة^(٥) وهي بنة من نوع خاص ، لطيفة المنظر عندما تقطع ، ولكنها سريعة الذبول . وفي داخل البلاد غابات كثيفة تنمو فيها أشجار النخور والصبر الضخمة وأشجار النخيل والكافور وغيرها من الأشجار ذات الروائح العطرية .. أما السبئون فإنهم متفوقون على جميع العرب المأورين ، وغيرهم من الشعوب ، بفرواتهم وبذخهم بسوغ خاص^(٦) .

وبدكر استرابو^(٧) أود السبئيين جمعوا ثروات هائلة من التجارة في الطيوب ، وقد انعكس ذلك في مساعدتهم وفنونهم كما انعكس في حياتهم الاجتماعية والتحف الرائعة التي تزخر بها قصورهم ، التي بالفوا في ريبتها وزوديقها على نحو تجاور كل تقدير في الحصان^(٨) .

وقد أكد بليوس هذه المميزات التي اختلفت بها بلاد اليمن ، واعتبر السبئيين أشهر قبائل العرب في إنتاج اللسان والبخور^(٩) . وذكر الهمداني أنه سقطري - وهي جزيرة قريبة من ساحل اليمن بالقرب من عدن - تشتهر

(١) جلكتي بيريت (المرجع السابق) ص ٢٩

(٢) نفس المرجع

(٣) نفس المرجع ص ٥٠ - ٥١

(٤) نفس المرجع ص ٢١ - ٢٢

(٥) ليايب حتى ص ٥٧

يسوع من الصدر المندوب إليها^{١١} كما كانت تشتهر أيضا بسوع من الصمغ لا يتوفر إلا فيها يقال له دم الأخوين ، ويسمونه الفاطر^{١٢}

وإلى جانب شهره الياس وحصر موت بالطيوب والبلاد ، اشتهرت كذلك متوافر معدن الذهب ، فلقد أشار دودور الصقلي إلى أن الذهب في مناطق بلاد العرب ذهب خالص للغاية لا يحتاج إلى صهر^{١٤٠} ، وليس أهل على ورقة ذهب الياس بما قاله سيف بن ذي يزن لكسرى عندما مثر دراهمه على خدم القصر « ما أضع بالذل ، وحراب أرضي ذهب وفضة »^{١٤١} ، وذكر الأرسني نقلا عن كتاب نثر المحاسن للبابية ، أن معدن عشم ومعدن سنكان « ليس هما معدنا ذهب جليلان »^{١٤٢} ، وعشم وسنكان من خلاف هامة^{١٤٣} ، وأشار بن رسته إلى ورقة الذهب في مارب^{١٤٤} .

ومن معادن النيس أيضاً الرصاص والفضة والحديد^(١٤) ، فالرصاص يتوفر
بني فهم وبين خولان ، والحديد يوجد معدن وفي الأراضي الممتدة بين صعدة

١١٤ الهنداس : صفة جرود العرب : ص ٥٦ - المقدسي : احسن التقسيم فسي
بدراسة التتبع : ليدن ١٩٠٦ ص ٩٨

(٢١) ياقوت و حبيب ١ ذى الحجة سنة ١٠٢٧ هـ ص ٢٢٧

(۷) غلبہ جیسے ہی کہیں سے

[illegible]

١٠٠٠

493 : 493 : 493

١٧٣) ابن رجب، العلاقات السياسية (بدرية طبع) - ١٩٩١ - ص ١٢٠

[67] جیسی (تیسرا) ہے۔ ۸۷ - (۱) کوئی (۲) سے (۳) ہے۔ (۴)

والحجاز ، وفي مجران أيضاً جبل يستخرج منه معدن الحديد ، وفي نغم وغمدان أيضاً معدن الحديد ، واشتهرت الرضراض بالفضة ^(١١) .

أما الأحجار الكريمة فمنها العقيق الذي يكثر في جبل شبام ^(١٢) ، وفي خاليف صماء ، وأجود العقيق ما استخرج من معدن يسمى علوى ، وقرية يقال لها الهام ومن جبل قناس ، فيصنع بمضه بالين ، ويعمل به إلى البصرة ^(١٣) . ومن الأحجار النفيسة معدن الجزع وهو يشبه العقيق بل هو نوع منه ، وأجود الجزع البقراني ، ومن الجزع أيضاً أرواح منها العرواني ، والفارسي ، والحبيشي ، والمشاري ، والسماوي ، والبلور ، والمسل ، والمرق . والمرق من الجزع تتخذ منه الأواني لكبره ^(١٤) . ومن شبام أيضاً يستخرج حبر الجمت ^(١٥) .

أما السمرة ودم الأخوين فهما من مصادر ثروة اليمن في العصر الجاهلي ، ويكثر وجودهما بسواحل عدن وما يليها ^(١٦) . وهنبر البحر الحبشي (البحر الأحمر الجنوبي) قليل ، وأكثره يقع في ساحل البحر ، وهو المدور الأزرق التادر كيش النعام أو دون ذلك ، وبعض أهالي البحر يستخرجونه من بطون الحيتان ^(١٧) . ويماعى للؤلؤ بالقرب من عدن ^(١٨) ، ومعان ^(١٩) وقطر ^(٢٠) وهجر ^(٢١) .

١ | الهنداني ، صفة جزيرة العرب ، ص ٢٠٢

٢ | ابن حوقل ، ص ٤٤

٣ | ابن الفقيه الهنداني ، ص ٢٩

٤ | ابن بطوطه ، ص ٢٦ - الهنداني ، الاكمل ، ج ٨ ، ص ٢٠

٥ | الهنداني ، الاكمل ، ص ٢١ - ابن حوقل ، ص ٤٩ - وينصهرج الشـ

السلي التميمي من اليمن (ابن الفقيه ، ص ٢٦)

٦ | انظر المرجع ، ص ٢٢ - الهنداني ، ص ١٠٢

٧ | المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٥٠

٨ | ابن حوقل ، ص ٥٢

٩ | انظر المسعر ، ص ٥٢

١٠ | المسعودي ، ج ١ ، ص ١٢٨

١١ | المقدسي ، ص ١٠١

ومما عرفت به اليمن صناعة الجلود المروقة بالأدم أو الأنطاع وصباغتها ، وذلك في صنعاء والمجمران وجرش وصعدة ^(١١) ، وزبيد ^(١٢) . وصناعة التسوجات من الصناعات الهامة في اليمن ، وأشهرها الحلل اليابنة والنياب السعيدية بصنعاء والمدينة ^(١٣) .

واختصت عدن بصناعة الشرروب التي تفضل على القصب ، واختصت المهجرة بصناعة المد الذي يسمى ليقياً ، واختصت محولا والجربب بالبرود ^(١٤) . والشرروب أو الشراب هي ملحوجات رقيقة تصنع من الكتان ويدخل في لحقتها خيوط الذهب ، وأشهر البلاد التي تنتج الشراب دبيق وشطا بمصر .

وقد لحص القديسي خيرات اليمن بقوله . « واليمن معدن المصائب ، والامتيق ، والأدم ، والرقبت ، فإلى عمان يخرج آلات العبادلة والمطر كله حتى المسك والزعفران والقم ، والساج ، والباسم ، والماج ، واللؤلؤ ، والديباج ، والجزع ، والبراقبت ، والأبنوس ، والنارجيل ، والفند ، والاسكندروس ، والاصبر ، والظديد ، والخصاص ، والخبوران ، والفضار ، والصدل ، والبلور ، والطفل ، وغير ذلك . وتزيد عدن بالمر ، والشرروب ، والدروق ، والحشيش ، والخدم ، وحلوه النمر وما لا استقصياه طالع الكتاب » ^(١٥) . وفي موضع آخر يذكر خيرات اليمن يقول : « ومن خصائصها ناسي هذا الأقليم أديم رويد وملها الذي لا نظير له كأنه لارورد ، وشرروب عدن

١١ | ابن خرداد ، ص ٤٣ - القديسي ، ص ٩٨

١٢ | القديسي ، ص ٩٨

١٣ | ابن المنيه ، ص ٣٩

١٤ | القديسي ، ص ٩٨

١٥ | القديسي ، ص ٩٧

تفصل على القصب ، ومن المد المجردة يسمى ليثا ، ويرود سحولا والجروب ،
وأطاع صعدة وركاها ، وسجدي صماء وعقيقها ، وقفاح عثر ، وأقداح
حلى .. وكثير مهرة وحيناها ، وورس عدن ، ... وصدر أمقوطسره
ومصير عمارت^{١١٥} ؛

ج - المسالح والقصور والحافد ،

كانت بلاد اليمن في الحامية أكثر بلاد العرب تحصراً ، وكانت كثيرة
الحصون والمسالح والقصور ، وكانت القصور تعرف بالحافد . وحافده
ليس كثيرة ، منها غمدان ، وكلثم ، وناعط ، وصرواح ، وسلحين ، يارب ،
وظمار ، وهكر ، وضهر ، وشام ، وغبان ، ويسون ، وريام ، وبراقش ،
وعمي ، وروثان ، وأرياف ، وهند ، وهنبدة ، وعمران^{١١٦} . ويعرف
صاحب الحفد والقصر بنى ، وحمها أذواء ، يقال ذو غمدان ، ودو صرواح
ودو صمين . وإذا تجمع عدد من الحافد والقصور في مقاطعة كبيرة سمي بحلاف ،
وبنواي شؤن الحلاف أمر يقال له قبل ، حمها أقبال^{١١٧} . واليمن بلد يسمي
عالمية^{١١٨} ومن أشهرها بحلاف صعاء ، وبحلاف شاكر ، وبحلاف نجران ،
وبحلاف حمسان ، وبحلاف حولان ، وبحلاف رعين ، وبحلاف سبكان ، وبحلاف
المجبرة ، وقد أحصى النعماني عدد بحلاف اليمن فوجد أنها ٨٤ بحلافاً^{١١٩} .
ومن أشهر قصور اليمن ، قصر غمدان ، وسلحين ، وبيسون ، وفيها يقول الشاعر .

١١٥ ر . بنى المسيلو ، ص ١٦

١١٦ القبيصاني ، شبه جزيرة العرب ، ص ٢٢

١١٧ جرجي زندي ، التوحيد على الإسلام ، ص ١١٩

١١٨ النعماني ، ص ٨٨

١١٩ السلطون ، بحلاف البلدان - ص ٥٨٩ ، ص ٣١٢

هل بعد عمدان أو ساجين من أثر وبعد يدون بني الناس ببناء

وهي قصور لا نظير لها في عظمة البناء وفخامته ، وقد تفاخرت الروم وقارص بالديان ، وتنافست فيه ، فعمزوا عن مثل عمدان ، ومأرب ، وحصر موت ، وقصر مسعود ، وسد لقمان ، وسلجق ، وصرواح ، ومرواح وبيرون ، وهذه ، وحنبدة ، وعلثوم ،^{٢١} . ويعتبر قصر عمدان من القصور الأسطورية التي أبدع الأصاريم في وصفها وتصويرها ، كما يعتبر أقدمها وأعجبها ذكراً وأبدها صيئاً^{٢٢} . وقد اختلف الرواة في ذكر بانيه ، فذكر قوم أمث ، الذي بناء سليمان بن داود عليه السلام ، أمر الشياطين فيسوا لباقيس ثلاثة قصور بصناء : عمدان وساجين ويدون ،^{٢٣} وقبل بناء أبرح بن يحيى ، على روء هشام بن محمد بن السائب الكلبي^{٢٤} . وقبل بناء أزال بن قحطان بأمر أخيه يعرب^{٢٥} ، وقيل بناء الملك شرحبيل ابن عمرو بن غالب بن المثنى بن زيد من مملوك حمير^{٢٦} . ويدكرون أن عمدان مشق من عمد التي أي غشاه ، فكان هذا القصر غشاه لما دونه من المقاصير

١١ | ابن النقيع المهداني ٦ ص ٣٤ - بالقوت ١ مجلد ٤ ص ٢١٠

٢٢ | ابن النقيع ١ ص ٢١

٢٣ | المهداني ، الكلبي ٤ ج ٥ ص ٢٢ ، ٢١

٢٤ | ابن النقيع المهداني ١ ص ٢٥ - بالقوت ١ مجلد اليد ١٠ مجلد ٤ ص ٢٤٠
مدان ص ٢٦٠

٢٥ | بالقوت ١ مجلد البندار ١ مجلد ١ ص ١١ . وأبرح صدق هو ابن الربيع
من مملوك حمير ، في القسوس الأول الهلالي

٢٦ | الأوصي ١ ج ١ ص ٢٠٤

٢٧ | نفس المرجع ١ ج ١ ص ٢٠٥

والأشياء^{١١} . وقد بنى قصر عمدان الحجر على أربعة أوت^{١٢} ، كل روجه له لون يختلف عن الآخر ، روجه أبيض ، روجه أحمر ، روجه أصفر ، ووجه أخضر . وكان القصر يتألف من سبعة أسقف ، بين كل سقفين أربعون دراعاً ، وقيل خمسون سقفاً^{١٣} ، بين كل سقفين عشرة أدرج ، وجعل في أعلاه مجلس بني من الرخام الملون ، سقفة قطعة واحدة من الرخام^{١٤} ، ونصب في كل ركن من أركان هذا المجلس ثمان لآسد صخري راس من النحاس كلها مجوفة ، وكانت الريح إذا هبت إلى ناحية ثمان من تلك اللسان دخلت من دبره وخرجت من فيه ، فيسمع له زفير كزفير السماع^{١٥} . وكان يؤمر بالاصابع فتخرج في ذلك المجلس العادي ليلا ، فكان مائر القصر يلح اماماً يحطف الأبصار . وفيه يقول ذو حطن الحمدي :

وعمدان الذي حدثت عنه	بناء صيداً في رأس نيق
عمره وأعلاه رخام	غمام لا يجيب بالشوق
صايح السلط يلح فيه	إذا يجي كتوماض البروق
فأصاحي بعد حديثه وماداً	وغير حسبه لمحب الحريق ^(١٦)

والبيت الأخير فيه ذكر لما أصيب به القصر ، فقد أحرق^(١٧) في عهد قتي

(١١) ياقوت ، المرجع السابق

(١٢) البهائي ، الاكليل ج ٨ ص ١٢ .

(١٣) قال البهائي من وصف بن بيه : إنه لما بنى صاحبه عمدان قصر له من

على سقف عرقته العليا برحابة واحدة ، وكان يسطقي على فراشه في الغرفة غير حسا
اللائز فمد به الحراف على الجدال بن قعت الرضيلة . الاكليل ج ٨ ص ١٨

(١٤) ابن الطيب البهائي ، من ٢٥ ياقوت ، المرجع السابق

(١٥) ياقوت ، المرجع السابق

(١٦) ابن الطيب البهائي ، من ٢٥

على يدي فروة من مسيك ، وبنى بعده أيام حركة الردة ^(١١) وفي خلافه
عنان بن عفان اشكل بعده وتخريره ^(١٢) وقد شاهد ابن حوقل أطلال قصر
عمدان ، وعبر عن ضخمة آثاره بقوله : « وبها آثار ساء عظيم قد خرب » فهو
ال كبير يعرف بعمدان ، « وكان قصرًا لمالك اليمن » وليس بالمس بناء أرفع منه
على حرابه ^(١٣) ، وكذلك شاهدته المسعودي في سنة ٣٣٢ هـ وهو خراب
قد دهم « دار نكلا عظيمة » ^(١٤) وقال : « ورايت عمدان ردمًا وثلا عظيمًا
قد اهدم بنيانه » وصار جبل تراب كأن لم يكن ^(١٥) ، ويبدو أن آثار
هذا القصر الحالية ، وما كان له من تاريخ أسطوري قديم ، حفرت أسعد بن يعفر
صاحب قلعة كحلان ، على أن يبعد ببناء القصر محاته الأولى ، وذلك أثناء
إهدائه لعمداني فصحة يجيب بن الحفيد الحسي بعدم التعرض لشيء من ذلك ،
فعدل عنه ^(١٦)

د - أمثلة من مدن اليمن القديمة ،

من أشهر مدن اليمن التاريخية مدينة مأرب التي كانت تعرف قديماً باسم
سأ ^(١٧) نسبة إلى سأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان أول ملوك هذه الأسرة

(١) الجنداني ، الأكليل ، ص ٢١

(٢) ابن الفقيه ، ص ٢٥ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٢٩

(٣) ابن حوقل ، ص ٤٢

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٢٩

(٥) نفس المصدر ، ص ٢٢٩ - ٢٤ . كذلك رأى الجنداني من خرائب هذا القصر
أجزاء من حفرته تجاه البواب جامع حنك ، الأكليل ، ص ٥٠ .

(٦) نفس المصدر .

(٧) ابن ربيعة ، الأملق الحمير ، ٤ - ١٨٦١ ص ١١٢ - المقدسي ، ص ٨٧ -

الطوسي ، ج ١ ص ٢٠٧

السبتية^{١٢١} . والواقع أن اسم سبأ لم يكن يطلق إلا على منطقة نفوذ السبئيين^١ أما مأرب فاسم قصر كان لهم^{١٢٢} ، ثم أصبحت مأرب عاصمة السبئيين^١ وفي قصر مأرب يقول الشاعر أبو الطامحان :

أما ترى مأرباً ما كان أحصاه وما حواله من سور وبلدان^{١٢٣}
وقال جهم بن خلف :

ولم تدفع الأحساب عن رب مأرب منيته وما حواله من قصر^{١٢٤}

ونقع مأرب إلى الجنوب الشرقي من صنعاء^١ في أرض ترتفع عن مستوى البحر بحوالي ٣٩٠٠ قدم^٢ وتبعد عن صنعاء بحوالي ٦٠ ميلاً^٣ وقد زدهرت مأرب (ماروبا القديمة Moriba) في عصر السبئيين^٤ ونالته كركز تجاري هام لطريق القوافل بين حضرموت في الجنوب والحجاز في الشمال^٥ وكانت تحيط بها الحيات والماثين^٦ ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم باعتبارها بلدة طيبة^٧ . وتنسكب آثار الازدهار الذي أصابته مأرب في ظل السبئيين في شيدوه من سدود ومباني وما أقاموه من قصور وحصون بقيت آثارها حتى اليوم ومن بينها قصر سلحين والقشيب^٨ ، ويشير في دراسنا عن مظاهر الحضارة إلى آثار سد مأرب الشهير الذي كان سداً في عظمتها . وبعد أن تعرض هذا البلد لاضطرابات الدولة السبئية^٩ ، وعقدت للبلاد ما كانت تحببه من وراء هذا السد^{١٠} ، فترق أهلها في الأرض حتى قيل : « حصوا أيدي ساء^{١١} أي لفرقوا^{١٢} » .

١ ٢ ١ : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ص ١٨٦ .

٢ ٢ : نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ص ٢٦ .

٣ ٣ : الجديدي ، الإقليم ، ج ٨ ، ص ٤٤ .

٤ ٤ : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

٥ ٥ : ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٠٤ ، ص ١٨٦ .

ومن مدن اليمن القديمة صنعاء ، وقد ذكر ابن حوقل ، أنها كانت ديار
ملوك اليمن فيما تقدم ،^{١١١} والمعروف أن السنين ، بعد حجة إيليرس حالوس
على اليمن ، نقلوا عاصمتهم من مأرب إلى دمار^{١١٢} ، ويذكر ياقوت أن
دمار قرية باليمن على مرحلتين من صنعاء ، كما ذكر عن بعض الرواة أن دمار
اسم لصعاء ،^{١١٣} ومنذ ذلك الحين اردهرت صنعاء ، ثم اتحدتها الأحاسن
حاضرة لهم في اليمن وأقاموا فيها القليس المشهور ، وقد امتدح الحفرايوس
مناحها ومطافئها وأرواقها^{١١٤} التي سماع فيها آدم ، والسمال المتشرة والأطاع ،
والبرود المرتفعة ، والمصمت ، والأردية ، والأواني بقراسة وسوادية ،
والخرع ، وأنواع الخمر^{١١٥} ، ومنها أيضاً مدرسة لبحر بن مخلاف بحران ، وكانت
من أهم المدن التجارية في اليمن ، اخصت هي ومدينة جرش القريبة
منها بالآدم والأطاع^{١١٦} ، وارتبح في الحاملية مرط فالكثار السحبه
في اليمن ، فقد كانت مركزاً للدراسة في حروب شه الجزيرة ، منذ أن تمكن
فيمبون الوهاب من نشر المسيحية بها في سنة ٥٥٠ م ، وأسس بها كنيسة على
المذهب المونوفيزيتي .

وقد ذكرها وهب بن منبه^{١١٧} ، ولعلم الكنييسة الكندي التي سماها العرب
كنيسة بحران^{١١٨} ، وكانت عاصمة من آدم م. ٣٠٠ جلده ، وكانت له المسبح بن دارس

(١١) ابن حوقل ، ص ٤٢

(١٢) صاحب أحد النسخ : بحارها في تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ١٩٥٩ ، ص ١١

(١٣) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٦ ، ص ٦٠٠ ، ص ٧

(١٤) ابن رسته ، الاقطاف النسيبة ، ليدس ١٨٦١ م ، ص ٩ - ١١٢ ، الهيداني

صفحة جزيرة العرب ، ص ١٩٥ - ١٩٧

(١٥) ابن رسته ، ص ١١٢

(١٦) المعصني ، ص ٨٧ - ابن حوقل ، ص ٤٢

(١٧) والقزوه ، حجاج للبلدان ، ص ٦٠٠ ، ص ١٦٦

(١٨) ابن الكلبي ، كتابه الاصل ، ص ٤٥

ابن عدي من معتل ، وفيها يقول الأعشى

وكمة مجران حتم عليه لك حق تناخي بأبراجها
زور يزيدا وعد المسيح وقيام خير أوابها
وشاعدا الورود والياسد بين والسمعات بقصاها^(١)

وعلى الرغم من قضاء دي بواس الطبري على نصارى نجران بالحرق ، فقد عادت نجران في ظل الأحباش والفرس إلى مثل ما كانت عليه حتى ظهور الإسلام . وفي المصام التاسع للهجرة قدم وفد من نصارى نجران على الرسول صلى الله عليه وسلم وفيهم عبد المسيح والأسقف أبو سارثة ، وصالحوا النبي ، فكتب لهم كتاباً ، وفي خلافة عمر أجلام من بلادهم ، فانتقلوا منها إلى موضع الكوفة وواسط^(٢)

وصروح من المدن التي لعبت دوراً هاماً في تاريخ اليمن القديم ، وتقع بين صنعاء ومأرب ، ويسون بناءها إلى سليمان بن داود^(٣) ، وقد اتخذ السليونيون مدينة صروح بادية ذي بده حاضرة لهم ، وفيها أقاموا المعبود للإله الله (القمر) ، ثم انتقلوا منها إلى مأرب . ومنه صروح الكثير اليوم من أم آثار اليمن القديمة ، أقيم في القرن الثامن قبل الميلاد عندما كانت صروح حاضرة لكربي سبأ ، على يد المكرب بدع بل دريح^(٤) ومعين ، وكانت في العصور القديمة

(١) نفس المصدر ، ص ٢٦٨ .

(٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ٧٦ - ٨١ .

(٣) بالوجه ، مجمع البلدان ، ج ٢ ، مادة صروح ، ص ١٠٢ .

(٤) أحمد قري ، النيس ، بحث في المؤثر الثالث للآثار العربية المتخذة في عصر سبأ

١٩٥٩ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٢٢٤ .

حاضرة للعبيدين ، واحدتي مدينتي مدينتي هامتي فيها براقش^{١٦} التي كانت
تسمى بئيل ، وكانت تقع في بلاد الجوف . ولم تكن مدين قديمة جدا الاسم وإنما
كانت تعرف باسم قرنة أو قرنة ، وما زال موضع معين يضم كثير من الآثار
القديمة . وفي معين وبراقيش يقول عالمة بن ذي حداد

وقد أسوا براقش حين أسوا مطلقه ومبسط أبسط
وحلوا من معين يوم حلوا لهم لدى الفج المنيق

وظفار أيضاً من المدن للبحينة القديمة ، وكانت تعرف عند العرب بمحقل
يحبس ، وكانت ظفار عاصمة الحميريين ، حتى قيل من دخل ظفار حمر . وظفار
الحمرية تقع على الطريق الموصل من صنعاء إلى ذمار وتربح في الجنوب ، وتقع
على بعد نحو ١٠٠ ميل إلى الشمال الشرقي من صنعاء . وكانت ظفار من
أعظم مدن اليمن ، وإليها ينسب الحمر الظفاري المشهور^{١٧} ، وفيها شيد
الحميريون القصور الشامخة التي زودها دكرها في شعر العرب ، ومن بينها قصر ذي
يزن الذي يقول فيه علقمة :

رمضنة بندي ريدان أنت بأعلى فرع منقصة خلوق

ومنها أيضاً قصر ريدان وهو قصر ملوك ظفار ، وقصر شوحطان الذي
يقول فيه علقمة أيضاً . وذلك شوحطان له قريح (أي نقوش) . ومنها
قصر كوكبان ، وسمي بذلك لأنه كان مؤزر الخارج بالقصة وما فوقها
أحجار بيضاء ، وداخله منطلق بالمواد والمصيفاء والجزع وصنوف الجواهر^{١٨}

١٦ : براقش : مجمع البلدان : جلد ٥ : مادة معين : ص ١٦

١٧ : براقش : مجمع البلدان : جلد ١ : مادة ظفار : ص ٦٠

١٨ : التهذلي : التكميل : ج ٤ : ص ٢٣

الدولة المينية (١٣٠٠ - ٦٣٠ ق.م)

تعتبر الدولة المينية أقدم الدول العربية التي قامت في اليمن ، إذ دامت من سنة ١٣٠٠ تقريباً قبل الميلاد إلى سنة ٦٣٠ ق.م ، ولم يرد لهذه الدولة ذكر في المصادر العربية ، وحتى ما تضمنته هذه المصادر خاصة بطلحي معين وبراقش لا يتجاوز كونها موصفين في الجوف بين نجران وحضرموت أو عقيدين من جهة محاهد اليمن وقصورها القديمة^(١) . وقد ورد اسم المينيين في المصادر اليونانية الرومانية ، فساهم استرابون ودiodore الصقلي وPlinius Minaei وذكر استرابون أن عاصمتهم مدينة قرماو Karua . وقد ذهب بعض العلماء قبل الكشف عن آثار معين في اليمن في سنة ١٨٧٤ إلى أن لفظة Minaei إنما تطلق على جبل حتى الواقع بالقرب من مكة^(٢) ، في حين اعتقد بعضهم أن كلمة ماعون أو معدون Minon الواردة في التوراة إنما يقصد بها عمان الواقعة جنوب شرق في السراة^(٣) في بلاد الأدرميين .

١ : العهداني ، صفة جزيرة العرب ١ ص ٢٢ - التكميل ١ ج ٨ ص ١٥٠ - ملتوت ،
معجم البلدان ١ مجلد ٥ ص ٦٦٠
٢ : جرجي زيدان ، العرب قبل الإسلام ١ ص ٢٠
٣ : حواه علي ، ج ١ ص ٢٨١ - لبيب علي ، ص ٦٢ - الوائلي - وصل ، شمس
البحار ١ ص ٢ .

وظلت حضارة الميبليين غير معروفة لدى العلماء حتى تمكن جوزيف هاليغي من الكشف عن آثارهم عاصمة الميبليين^(١) ، وقد نشر هاليغي لتقريراً عن هذا الكشف في المجريدة الآسيوية في سنة ١٨٧٤ ضمنه عدداً كبيراً من النقوش التي نحتها من آثار مدين ، ومعظمها له صلة بالقرابين والمطايا^(٢) . وقد ازدادت فروقا في هذه النقوش بفضل جهود جلازير وجوسن وقام مولر بدراسة هذه النقوش دراسة علمية ، ومنها استطعنا أن نعرف الكثير عن هذه الدولة وعن ملوكها . وقد حصر مولر عدد الملوك الذين قرأ أسماءهم في هذه النقوش ، فوحده ٢٦ اسماً يتوزعون على خمس أسر . بينما حمل هرمل من أسماء ملوك مدين ثلاث طغاب أصاغلي فقد ذكر أسماء ٢٢ ملكاً ميبليين ، معظمهم في خمس أسر . كذلك تمكننا بفضل هذه النقوش من معرفة الألقاب الملكية عند الميبليين ، فمنها لقب « يطوع » أي القمص ، ولقب « صدوق » أي المادل ، ولقب « ريام » أي المصري . وكان الملوك يلقبون بلقب « مزود » أي مقدس^(٣) و « كبير » أي كبير وعظيم

ظهرت الدولة الميبيلية في الخوف أي في المنطقة الهامة الواقعة بين نحران وحضرموت ، ولم تكن الميبليون واهدين من الشمال كما يعتقد بعض الباحثين^(٤) ، وإنما كانوا من أهل البلاد الجنوبية . وقد اشتغل الميبليون

(١) جرجي زيدان ، ص ٢٠ - ٢٢ - فيلثف نيلسن ، بلاد العربية الجنوبية ، لندن

من كتاب التاريخ القديم ص ١٤ - ١٧

I Guidi, L'Arabie antéislamique, Paris, 1921 p. 66 , ٢١

(٢) برتر جويل ، التاريخ القديم لبلاد العربية الجنوبية ، من كتاب التاريخ الحديث

القديم ، ص ٦١ - ٧٥ - تيملي المنكور مؤلف حصنين بعنوان (استكمال) ص ٢٢٧ - ٢٧١

(٣) Guidi, L'Arabie antéislamique, p.64 حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام

القديم ، ج ١ ص ٢٢ ، (يعتقد المنكور حسن إبراهيم في الميبليين جايمروا من بلاد العراق)

بالتجارة ، وسيطروا على الطرق التجارية بين الشمال والجنوب ، ولم يلبث نفوذهم السياسي أن أدرك شمال الحجاز ، فدخلت عمان وديدن (العلا الحديثة) ، في تلك دولهم استناداً إلى الكتكتات المصنفة التي أسفر عنها البحث الأثري والكشوفات في منطقة عمان والعلا (ديدن) وعلى هذا النحو مستج أن هذه المواضع الشمالية كانت تابعة لحكومة معين الجنوبية^{١١٠} وفي ذلك يقول موسى : « حلال الألف الأولى قبل الميلاد كان الجزء الأعظم من التجارة العالمية في بلاد العرب واقعاً في يدي السبئيين والمعيين الذين كانوا يسيطرون على الجزء الجنوبي العربي من الجزيرة العربية . وكان السبئيون والمعيينيون أبناء جنس واحد ، ولكنهم كانوا يقاومون السيادة لا في بلادهم فحسب ، بل في الواحات التي تمر بها الطرق التجارية أيضاً ، فكانت تقيم في كل واحدة من الواحات المهمة - التي تقع على طول الطريق التجاري - حامية من عرب الجنوب ، وكان يقيم مع هذه الحامية مقيم من أهل الحبوب كذلك ، وكانت مهمته الإشراف على ملوك الإقليم ورؤسائه ، ومراقبتهم لكي لا يفعلوا شيئاً من شأنه أن يضر بمصالح سيده السبئي أو المعيني الذي قد يكون على رأس المملكة الجنوبية السبئية أو المعينية ، قسماً لاختلاف اليهود التاريخية »^{١١١}

ومن المعروف أن الطريق التجاري البري الموصل بين اليمن والشام ومصر

والانيسوا نغرا منحصرات بينهم بينه وبين جح من مائة نحو المئتين السبئية والاجتماعية ، ومن أسماء رجالهم والجنود أنهم يسمون في الأصل إلى صلالة العراق ، ولما تولوا في جحسوبة الحررة شبعوا القصور والمجانة على مثل ما فاصوه في بعل - ولا يوافق الدكتور حسن إبراهيم حسن على هذا الرأي .

{ ١١ } الموسى موسى ، شمال الحجاز ، ص ٢٥٦

جواد علي ، ج ١ ص ٢٦٨

{ ١٢ } موسى ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤

كل من بحر عربي قباه ، وكان هذا الطريق الأعظم أحياء في سيطرة المصليين ، وأحياناً أخرى في أيدي السنيين الذين كانوا يعاصروهم ، وفي جميع الواحات التي يمر عليها هذا الطريق في الشمال العربي من بلاد العرب مثل واحة مدني وواحة ديدان المذكورة في الكتاب المقدس باسم ددن أو ديدن والتي تقع قرباً من واحة العلا ، ومثل واحة معون أي معان الحديثة ، كانت تقيم طائفة من حكام معين أو ساء تؤدها حاميات عسكرية وحلقات حدودية من الأوساط التجارية ، كما كانت تقيم معها حالة من الأفريقيين الكوشيين باعتبار أن هؤلاء الكوشيين كانوا عارسون التجارة مع المصليين أو السنيين بحكم الجوار .^{١١}

وأدى توسع المصليين في الشمال إلى احتكاكهم بأشور وفينيقية ومصر ، وكان حكام أشور مسورية بحكم إقامتهم بعيداً عن طريق التجارة الرئيسي يتعاضون مع المصليين المصليين في هذه الواحات لا على أنهم يملكون ملكاً معبياً وإنما على أساس أنهم الملوك الحمويين ، وفي هذا تفسير للإشارات التي وردت في الوثائق السريانية والاهرمية عن السنيين والمصليين ، إذ تذكرهم هذه الوثائق على أن بلادهم تقع في الجنوب الشرقي للبحر الميت^{١٢}

وكما جمع الحمويون لملوك العرب الحمويين ، اعترف سكان أدوم الذين كانوا يسكنون سدير^{١٣} بسيادة الملوك الحمويين من بلاد العرب .

وقد استلزم اشتغال المصريين بالتجارة معرفتهم بتدوين الحسابات التجارية والكتابة ، فاقترضوا الأيمونة الفيلينية لسهولة استعمالها ، ودرنوا بها لغتهم . وقد عثر على كتابات مصرية في مصر في الحيرة ، وفي جزيرة ديلوس من جزر اليونان ،

١١ ١ بوسيد . نفس المرجع ١ ص ٨٧ ، ٨٨

١٢ ١ نفس المرجع ١ ص ٧

١٣ ١ تقع في المنطقة الحموية من البحر الميت

ترجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد^{١١} ، وتشير هذه الكتابات إلى الصلات التي
 كانت تربط مصر واليونان بالدولة الميمنية في اليمن ، كما تشير إلى أن الميبيين
 حتى بعد سقوط دولتهم بزمان طويل ظلوا يحتفظون بكيانهم الاجتماعي ،
 ونقاليدهم التجارية^{١٢} . كذلك عثر على نقوش ميمنية في أوور والوركاء في العراق^{١٣} .
 ومن ملوك الميبيين اليعن وقه الذي عثر على اسمه في الخرمة السوداء ، وهي مدينة
 « مشان » في الكتابات الميمنية ، كما عثر على اسمه في نقش عثر عليه في يرافش أو
 « بشيل » الميمنية . وقد ذكر معه اسم ابنه وقه ابل صدق الذي خلفه في حكم
 اليمن . كذلك ورد اسم اليعن وقه مع اسم ابن له يدعى « أبو كرب يشع » في نقش
 عثر عليه في ديدن (العلا)^{١٤} . ومن ملوك معين أيضاً الملك « أب يدع يشع » الذي
 عثر على اسمه في حرانب معين نفسها ، وقد دون هذا النقش بمناسبة قيام رهمط
 من أشراف قرناو (معين) بقرع خنادقها وإصلاح أسوارها . ومنهم « وقه
 ابل ريام » ، و « يشع لزل صديق » الذي بقي حصن يشوم . ومن ملوك معين
 المتأخرين « يشع ال ريم » وابنه « تبع كرب » ، ويتضمن النقش الذي ورد فيه
 اسمها هارة تشير إلى الحالة السياسية السيئة التي آلت إليها معين في هذه
 الفترة ، ويكشف عن خضوع معين وقتئذ لنفوذ سلاسي ، إذ تتضمن
 أعرافاً من الميبيين بآلهة سبأ وملوك سبأ وبشمب سبأ عليهم^{١٥}

ويستدل من الكتابات الميمنية التي عثر عليها في الجوف اليمنى وفي مبدن
 (العلا) على أن حكومة معين كانت حكومة ملكية ، كما نستدل منها أيضاً على

١١ جواد علي ، ج ١ ص ٢٨٥ ، ٢٦٧ - ويرجع تاريخ نقوش معين في بحر السبى
 سنة ١٥٩ ق.م. في العام ٢٢ من حكم بطليموس السادس البطلميتر

١٢ (٢) مطيع احمد الطي ، بحاربات في تاريخ العرب ، ج ١ ص ١٧ ، ١٨

(٣) Philby, The background of Islam, p. 42

١٤ جواد علي ، ج ١ ص ٢٨٧

١٥ (٤) انظر المرجع ١ ص ٣٦٢

أن لعب ملك كان من الجائز أن يتلقب به اثنان في آن واحد من أبناء أو أشقاء الملك . وكانت المدن المقيمة بحالس تدير شؤونها في السلم والحرب تعرف باسم « صود » على النحو الذي كانت عليه « دار الندوة » في مكة في العصر الجاهلي^(١) كذلك يستدل من النقوش المقيمة على أن الضرائب كانت تنقسم إلى ثلاثة أنواع : ضرائب تعود جبايتها لخزانة الملك ، وضرائب تؤول إلى المعابد ، وضرائب إلى المتابع والحكام . وضرائب المعابد موعان : موع يقال له « أكرب » أي تقدمها الهياكل تكريماً للآلهة ، وموع إحصاري كان يخرج على الأفراد يقال له « عشر »^(٢) .

(١) المسحور السابق ، ص ١٠٥ .

(٢) نفس المسحور ، ص ١٠٦ .

الدولة السبئية

(٥٨٠٠ م - ١١٥٠ م)

١- السبئيون *

جاء ذكر السبئيين في القرون لأشورية التي ترجع إلى أيام الملك تجملات بلاسر الثالث ومرجون الثاني ومنعرب^١ ، ما يشير إلى أن هؤلاء الملوك قرضوا الحريات على ملكي سبأ ثمعمر وكرت^{١١} ، كذلك ورد اسم سبأ في التوراة بأما بلاد تنج الطيوب واللبان^{١٢} والأحجار الكريمة ومعدن الذهب^{١٣} ، وأن ملكة سبأ رارت ملكي في أورشليم ، وحملت إليه الطيوب والذهب الكثير والأحجار الكريمة^{١٤} ، كذلك جاء ذكر ملكة سبأ في القرآن الكريم في

١ ، القصود ملك سبأ في الموصى الاشورية ، حكم سبأ السبئيين لحوالي ١٠٠ سنة
وحتى ولدها ملكي ملك سبأ ، ارجع إلى : بول ، فشل الحجر ، رحلة الفكاور
من المعين السبئي ، الاشورية ، ١٩٥١ م ، ٩٧-٩٧

Moscato, histoire et civilisation des peuples sémitiques,
Paris, 1954, p. 180

٢ ، الكتاب المقدس ، سفر ارميا ، اصحاح ٦ ، آية ٢٠ م ٨٢

٣ ، سفر حزقيال ، اصحاح ٢٧ ، آية ٢٣ ، ٢٤ م ١٢١٩

٤ ، سفر الملوك الاول ، اصحاح ٦٠ ، آية ١ ، ٢ م ٥٥١

سورة النمل^{١١}

وقد اختلف المفسرون في أصل السبعين ، فبعضهم ذكر الروايات العربية أن سام بن نوح بن شهاب بن يرمب بن قحطان وتسميه بعبد شمس ، وقصر تسميته بسا بأنه كان يسمى النراري والأطال فسمى لذلك ساء^{١٢} ، نجد أن اسم ساء ورد في التوراة باعتباره من كوش بن سام مرة^{١٣} ، ومن ولد قحطان مرة ثانية^{١٤} . وأغلب الظن أن السبعين كانوا في الأصل شعب بدوي ينتقل بين شمال شبه جزيرة العرب وجنوبها ، ثم استقر هذا الشعب في بلاد اليمن فيما يقرب من عام ٨٠٠ ق.م متبعة لفظة الآشوريين عليهم من الشمال ، واستغل السبعيون ضعف الميليين ، فأخذوا يرسمون منطقة نفوذهم على حساب دولة ميس ، فلما قوي أمر السبعين قضاوا على الدولة الميسية ، وأقاموا دولتهم على أنقاضها ، وورثوا لغتها وديانتها وتقاليدها ، وحلقوهم في الاشتغال بنقل التجارة بين الهند والحبشة ومصر والشام والعراق ، حتى أصبحوا في القرون الأولى قبل الميلاد أعظم وسطاء التجارة بين الحبشة والهند بين الشام ومصر . ويرى الأستاذ عومل أن السبعين كانوا يستوطنون الجوف في بلاد العربية الشمالية ، غير أنهم تركوا

١ - حول الله تعالى : « فكنت خير عند ذل من جاسم خطاه وكنك من ساء بسا بعد » أي وهذا أمر أن مذكم وأوبى من كرتي ، وأما ذل من فقيد وجدته وقومها سمعوا للشعر من ذل الله ووبى لهم الشيطان أصالحهم ضدكم حسب قصيدتهم لا يبدون ، أي قوله تعالى : « أيا ذهاني المرح فلما ربه جسد فيه وكنت حسب ساءها » وقال انه خرج برد - فوارير - فقلت رب اني ظلمت نفسي واسلمت ، ج ساءها .
٢ - القرآن الكر - ٤ سورة النمل - ٢٧ : آية ٢٢ - ٢٤

٣ - وعب من بعد ، كعب السبعين في بلوك حيد ، حيدر الله الذكي ، ٢٤٧ ، ص ١٠
٤ - حيد بن شريعة ، أخبار حيد بن شريعة ، جاحق كعب النمل ، ص ٢٦٧ - الملاوي ،
أند بن الكراف ، ج ١ ، تعاقب الذكور بعد حيد الله ، الأماصة ١٩٥ ، ص ٤ -
المعروفي ، خروج الأماصة ، ج ٢ ص ٧٤

(٣) أخبار الأيام الأولى ، أصحاح ١ آية ٩ ص ٦٢٢

١ - سحر المكنون ، أصحاح ١٠ ، آية ٢٨ ص ٦

مواطنهم وارتحلوا إلى جنوب الجزيرة العربية في القرن الثامن قبل الميلاد ،
 والتخذوا هرواح ثم مأرب عاصمة لهم . ويمتد الأستاذ هومل أنهم كانوا في
 الأصل يقيمون في الموانع التي أطلق عليها الآشوريون اسم عربي أو أربي ،
 ووردت في التوراة باسم يارب أو يعرب ، فلما استكروا في اليمن أسوا عاصمتهم
 مأرب التي سميت كذلك نسبة إلى اسم موطنهم الأصلي أربي أو يارب^(١) .
 وتؤكد النقوش السبئية أن أول مكارب ميا أو رؤسائها القديسين والمؤسس الأول
 لدولة سبأ ، هو سمه على الذي قدم في حشود من شعب من شمال شبه جزيرة
 العرب ، وجاء ذكر هذا المكرب السبي الأول في نقش يشير إلى قيامه بتقديم
 البخور بياضة عن شعبه إلى الإله الله إله القمر

استطاعت دولة سبأ أن تنمو وتزدهر لعظم ثراء شعبها ، نتيجة لاحتلافهم
 الزراعة^(٢) ، وسيطرتهم على الطريق التجاري الذي يربط الجنوب بالشمال .
 وقد أطلق عليهم الأستاذ فيليب حتي اسم « فيليبيس البحر الجنوبي »^(٣) ، وأصبح
 لسبأ نفوذ واسع يمتد من اليمن جنوباً إلى نجد والحجاز الشمالية شمالاً ، وأصبحت
 أيضاً تسيطر على طريق التجارة العالمية الذي يربط جنوب شبه الجزيرة بـ سورية
 ومصر ، وكانت حكومة سبأ تبنت حكماً يقيمون في الواحات الشمالية التي تقع
 على هذا الطريق التجاري ، إلى جانب حاميات عسكرية ، لتضمن بقاء هذه
 المحطات التجارية في دائرة النفوذ السبئي . وكانت واحة ديدن (العلا) المركز
 الرئيسي الذي تمارس فيه سبأ نفوذها على شمال بلاد العرب .

ويمكننا بفضل النقوش السبئية أن نقسم عصر الدولة السبئية إلى مرحلتين

(١) يورد على ص ٢٦ من ١٠٦

(٢) يشير القرآن الكريم إلى هذا الثراء العظيم الذي أصبحه سبأ حين طويبت
 أبرام في قوله تعالى : « لقد كان لسبأ في سبيلهم آية - جعلنا من بين يديهم نخلًا
 من ريق دهم وتصبروا له مدة طيبة ورب فقور - ١٥ القرآن الكريم : سورة سبأ ١٢٩ ، آية ١١ »

(٣) فيليب حتي ص ٦٠

تاريخيين متتابعين :

الأولى - مرحلة المكارب ، وهي مرحلة كان يتقلب فيها حاكم سبأ بقلب مكروب أي المغرب من الآلهة والناس ، أو الوسيط الذي يقرب بين الآلهة والناس . وقد اتخذ مكارب سبأ صروحاً عاصمة لهم ، ثم نقلوها إلى مأرب^{١٢٨} ويمتد عصر المكارب من سنة ٨٠٠ ق.م إلى سنة ٦٥٠ ق.م .

الثانية - مرحلة ملوك سبأ ، وهي المرحلة التي تلت فيها حكم سبأ بقلب ملك سبأ ، وقد استمرت هذه المرحلة إلى سنة ١١٥ ق.م .

ب) - مكارب سبأ :

ذكرنا أن أول مكارب سبأ هو سح على الذي أسس دولة سبأ ، وقد وصلنا من عصر هذا المكرب بقش تقي منه أنه كان يقدم البخور باسمه للإله اللقة وخلفه ابنه يدع ابل دربح (فيما يقرب من سنة ٧٨٠ ق.م) الذي أسس مبدأ للإله اللقة في صروح ، كما أقام مبدأ آسر للإله اللقة في مأرب^{١٢٩} ، وقدم القرابين إلى الإله ستر^{١٣٠} .

وخلفه يدع إيل دربح ابنه يشع أمر الذي يسمون إليه ببناء معبد للإله اللقة في بلدة دابر الواقعة بين مأرب ومعين في الجوف ، ويستدل من الموضع الذي أقيم فيه هذا المعبد على أن السبئيين اصطدموا بالميليين^{١٣١} . وقام يدع إيل بين بن يشع

١٢٨ : لحد فخري ، الاكتشافات الأثرية في اليمن ، معهد المسحور بهلاء يراه ، صنع
البحر المؤخر الفدح للآثار في البلاد العربية المنعقد في مارس في ١٩٥٩ ، القاهرة ١٩٦١ ،
ص ١٥٥ - ٢٦٥

١٢٩ : جواد علي ، ج ٢ ص ١١٢ ، ١١١ - صالح أحمد قطبي ، صحفريات في تاريخ
العراب ، ج ١ ص ١٩ ، ومشر عبد المرحب الوحر ، وهو ابن اللقة

١٣٠ : Phibby, The Background of Islam , Alexandria, 1947, p. 40-41 (٢)

أمر وخليفته من بعده تحصين أراج مدينة مشق المجلية^{١١}

واهتم مكارباً منذ بداية القرن السابع قبل الميلاد بالإصلاحات الزراعية، فقد ورع كرب إيل بسين الأراضي الواقعة حول لشق الدلايين لاستصلاحها واستغلالها زراعياً^{١٢}، وبعج ابنه دمر على ذريح نفس السيليل. وينسب إلى سمه على بنف بن دمر على تنفيذ أعظم مشروع لري عرقته بلاد العرب في العصر القديم وهو إنشاء سد على نهر وادي دنة بجارب يعرف باسم سد رجب سنة ٦٥٠ ق.م، وذلك لحجز مياه الأمطار والسيول^{١٣}، والإفادة منها في ري مساحات كبيرة من الأراضي. وقد ساعد هذا السد على تنظم ري المناطق المجاورة للسد طوال العام، ولكنه لم يكن يعني بجميع حاجات الأراضي المزروعة^{١٤}، ولذلك عمد بشمر أمر دين بن سمه على بنف إلى زيادة سد رجب طولاً وعرضاً وارتفاعاً^{١٥}، وأقام سداً أعظم منه يعرف بسد حياض^{١٦}، وبذلك نجح بشمر في مد الرقعة الزراعية بجارب وزيادة ثروات البلاد^{١٧}، وكان لهذين السدين^{١٨} بجارب أعظم الأثر في تحويل مأرب (البلدة الطيبة في القرآن الكريم) إلى جنتين عن يمين وشمال.

وسد مأرب المذكور مقام على نهر وادي دنة حيث تتجمع معظم مياه السيول عقب مطول الأمطار^{١٩}، ويبلغ طوله نحو ٨٠٠ ذراعاً، وقد بني بالحجارة والاراب^{٢٠}، ويتهيأ أهله بسطعين مائلين على شكل زاوية مفرجة تكوّنهما طلقة من الحصن تمنع الجراف القراب عند تدفق المياه^{٢١}، ويرتكز السد على سلين^{٢٢}، ويتفرع منه عند كل من طرفيه قنوات تعرف باليزاب^{٢٣}، لها فتحات تترك مفتوحة لري مطح الجليلين^{٢٤}، ثم تطلق بعد ذلك. وقد أصلح هذا السد ورسم في المصور التالية^{٢٥}، إلا

١١١ 37 p. op. cit. Phalby, — جواد علي ٤ ج ٢ ص ٢١٩

١٢ Ibid. p. 39 — أحمد ماضي، (اكتشافات الأثرية في اليمن) ص ٢٢٥

١٣ (٢١) انظر الله بلع أبريد في مذهب السنين سمود أخرى سما سد مهران وسد بلع

وسد بنين وسد كحل ١ جواد علي ٤ ج ٢ ص ١٢٠

أن اضطراب أحوال الدولة الحورية وإسقاطها له سجل بتصدده وانتهياره بعد ذلك ، ووقب على قدميه أن تحولت الأراضي المزروعة إلى أراض قفراء الأمر الذي أدى إلى هجرة بعض القبائل إلى مشارف الشام كالآرة القساسة أو إلى البحرين كالتنوخيين أو إلى العراق لي بين الحيرة والأنبار كالنادرية .

وآخر مكارب اليمن هو كرب إيل وحر الذي نفّس سياسة التعمير للخليج وجرى على سياسة التوسع المكروي ، فهاجم الدولة الميمنية وقضى عليها ، وانتصر على القنابين الذين كانوا يسكنون في الطرف الجنوبي الغربي من بلاد اليمن على تخوم حضرموت وجنوبي مناطق نفوذ السبئيين^(١١) . وقد سجل كرب إيل وحر هذه الانتصارات على حدران معبد صرواح قرأنا لآلهة سبأ ألفه وعشر^(١٢) ، ثم نبذ هذا المكرب لقب وثلقب ملك سبأ ، وأصبح بذلك أول حكام سبأ الذين تلقوا بلقب « ملوك سبأ » .

ج - ملوك سبأ

كان لببأ في عصر الملكية أسطولاً التجاري الكبير الذي كان يزود الموانئ المصرية بالسفوف والطيوب من اليمن والحرير والتوابل من الهند ، وكان من الطبيعي أن يتفوق السبئيون في الملاحة إذ أن بلادهم كانت تضم سواحل بطل بمصفا على بحر القلزم ، والمضى الآخر على بحر الهند ، أهم مراقبتها عدن^(١٣)

(١١) حملة القنابين بقيادة دبح أو دبا الواقعة في وادي بهمان قريبة من دهب المنعد ونجود حاليا باسم كحلان . وكانت الدولة القنابية معتمدة على حسن التوليين الميمنية والسبئية ، ولقدما سيطرت عليها بطريق من عام ٦٥ ق.م .

(١٢) Philby, op. cit. p. 40-41 - جواد علي ، ج ٢ ص ١٢٧-١٤٦ -

عزاد حنين ، ص ٢٦٢

Ally Moh-Fabmy, Muslim sea-power in the eastern Mediterranean, Cairo, 1966, p. 41

وفي عهد ملوك ساء ، والذات منذ سنة ٥٠٠ ق.م لها بعدها ، بدأت تظهر أسرات قوية لعلت دوراً خطيراً في سياسة بلاد العرب الجنوبية ، من بينها أسرة همدانية تمكنت من اغتصاب العرش من ملوك ساء ، كما ظهرت آلهة جديدة لم تكن نسمع عنها مثل « ذو الساء » ، أو « ذو سهاري » أو « رب سهاري » ، وهي أسماء تمكّن تطوراً خطيراً في حكومة ساء ، ونشيراً هاماً في السياسة وفي الدين وفي النظم الاجتماعية^{١١}.

ثم أخذ مركز ملوك ساء يضعف منذ أن حصل البطالة في مصر على احتكار التجارة الشرقية ، ولاقى ملوك ساء منذ سنة ٣٥٠ ق.م كثيراً من المتاعب التي أثارها الهمدانيون ورؤساء القبائل الأخرى الطامعة في العرش ، وكان ملوك ساء يدفعون إلى القضاء على استقلال الإمارات ودمجها في المملكة ، ولكن هذه السياسة القومية اصطدمت سريعاً بالمصالح الإقطاعية التي عز عليها أن تتنازل عن استقلالها ، ومنج عن ذلك قيام اضطرابات عنيفة وثورات داخلية أضرت بالوضع الاقتصادي والسياسي لمملكة ساء ، ومكّن الدول الأجنبية من التدخل في شؤنها ، وأدى بالتالي إلى فقدان السبّيين السيطرة على البحر الأحمر وسواحل إفريقيا ، بعد أن انتقلت التجارة البحرية من أيديهم إلى اليونان والرومان

ويجعل العصر الأخير من ملوك ساء قيام نزاع خطير حول العرش السبّيني كان له أعظم الأثر فيما أصاب البلاد من تخرب وتدمير ، وفي تحول كثير من الأراضي المزروعة إلى صحاروات . وفي عصر هذا النزاع حاول الريديانيون^{١٢} والحميريون الاستفادة منه ، وتمكنوا في النهاية من انزعاع العرش السبّيني ، وأسماوي في سنة ١١٥ ق.م أسرة جديدة لقب ملوكها بـ « ملوك ساء » وذوي ريدان ، وهم الحميريون الذين سيطرت عليهم .

١١ : السيد عبدالعزير سلم ، دراسة في تاريخ العرب ، الإسكندرية ، ١٩٦٨ ، ص ١٦٦

١٢ : أريديانيون شعب من بني يثرب ، كان يسكن قرب البحر الأحمر الجنوبي للجزيرة العربية إلى الشمال من حضرموت ، بينما كان الحميريون يسكنون إلى الغرب من حضرموت .

الدولة الحميرية

(١٦٥ ق.م - ٥٢٥ م)

اتفق المؤرخون على أن عصر ملوك سبأ وذي ريدان، والعصر التالي له المعروف بعصر ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت وبعثه هما المصران اللذان برز فيهما الحميريون على مسرح الأحداث في بلاد العرب الجنوبية ، ولذلك اسطلحوا على تسميته هذين العصرين بمصري الحميرية الأولى والثانية .

١ - الدولة الحميرية الأولى (ملوك سبأ وذي ريدان)

(١١٥ ق.م - ٣٠٠ م)

مؤسس هذه الدولة هو ال شرح يحضب الذي ينسب إليه الأخباريون بناء عصر عمدان أشهر قصور اليمن^(١) . وفي عصر هذه الدولة كانت الحملة الرومانية المعروفة بحملة اليوس جالوس حاكم مصر الرومانية في سنة ٢١ ق.م. للاستيلاء على اليمن فتيبة السيطرة على طرق التجارة التي كان يشكرها ملوك سبأ واستغلال

(١) الهدائي ، الاكفيل ج ٨ ، تحقيق الدكتور سبه امير ، طرس ، مرسس ، ١٩١

فروايت اليمن^(١١) ، وتطهير البحر الأحمر من القرصنة . واعتمد اليوس جالوس في حملته على مساعدة الأنباط في عهد ملكهم عبادة الثاني الذي وعد الروماد بتقديم كافة المساعدات ، كما وضع وريثه صالح «سابلوس» تحت تصرفهم ليكون ولياً لهم في بلاد العرب . ويذكر استرابون أنها الحملة خرجت من ميناء لويكة كومة ميناء الأنباط المتقد أنها الحوارة ، وعلكت الطريق البري عبر الحبشة ، ووصلت إلى ماريسابا مارة بنجران وبنق . بعد سنة أشهر تعرض الحشد خلالها لأمراس وأوبئة فضلاً عن متاعب لا حصر لها بسبب وعودة الطرق ، ثم عادت الحملة بعد ذلك إلى مصر عن طريق نجران . بعد أن فقد قائد الحملة معظم رجاله من الجوع والمرض^(١٢) . وهكذا أخفقت الحملة الرومانية وأصيب رجالها بكارثة أليمة تمتعها على عاتق صالح النبطي الذي اتهم بالخيانة وسوء المشورة ، كما اتهم بالسعي عداً لإهلاك أجناد الرومان^(١٣) .

ولقد خيبت حملة اليوس جالوس آمال الرومان في بلاد العرب ، إذ كانوا يظنون أنهم سيخترقون جنات يافعة وحرماً متصل^(١٤) واضطروا بعد انتصارات حربية هزيلة لا تتعامل مع ما لا قوة من مشاق الطريق ، إلى العود عن خططهم في فتح جزيرة العرب^(١٥) . ويبدو أن فشل حملة اليوس جالوس كان السبب في قيام الرومان بتغيير خططهم السياسية نحو بلاد العرب ، فعدلوا نهائياً عن فتح هذه

(١١) Philby, op. cit. p. 100 - انجيب حتى ، ص ٥٦ - جواد علي ، ج ١ ص ٢

ص ٢٨٤

Ibid. p. 101 (١٢)

(١٣) انجيب حتى ، ص ٥٦ - جواد علي ، ج ٢ ص ٢٨٦

(١٤) D.G Hogarth, Arabia, Oxford, 1922 . p. 5

(١٥) سوليفر ، تاريخ العرب القديم ، ترجمة الأستاذ خليل زهير ، القاهرة ١٩٢٨ ص ٢٨ . ومن غير المحاركة التي اشتبك فيها الروماني مع العرب معركة في سولجيم بعد حين سحران مسيرة ستة أيام ، لم يخسر فيها الروماني سوى جنديين . انجيب جواد علي ، ج ٢ ص ٢٨٨

البلاد عسكرياً ، واقتصروا على محاولة السيطرة على التجارة البحرية ، وتدعيم مصالحهم التجارية في هذه البلاد عن طريق تحسين علاقاتهم السياسية بالبول العربية والامارات في الجنوب العربي . ويؤكد ذلك ما ذكره صاحب كتاب الطواف حول البحر الابريزي Periplus Maris Erythraei ، أن الرومان عقدوا حلفاً مع ملك الحبشين الذي كان يملك مناطق واسعة من سواحل بلاد العرب الجنوبية على البحر الأحمر وعلى ساحل المحيط الهندي حتى حضرموت ، كما كان يملك ساحل عزانيا في أفريقيا^(١٦) .

وفي هذا العصر الهيروني الأول بدأ الضعف يدب في كيان دولة سبا وذي ريدان ، وتطلع الطالسة ومن مدمم الرومان إلى احتكار الطريق التجاري عبر البحر الأحمر ، والنشأ من ذلك من اعتمادهم على تجار العرب في اليمن وحضرموت^(١٧) . وكان ميناء لوبكة كومة Luoke Kome أو المدينة البيضاء أهم الموانئ التجارية على سواحل الحجاز في أيام الطالسة ، ومن هذا الميناء كانت السفن تصل إلى الساحل المصري لتفرغ حولتها هناك ، فتنقل منه القوافل البرية أو بالسفن عبر القناة القديمة الموصلة بين البحر الأحمر والنيل إلى داخل البلاد^(١٨) . ورأى الرومان بعد أن أحفقت حملتهم على اليمن أن يقتصروا على السيطرة على الطريق التجاري البحري المذكور وإقامة علاقات ودية مع حكومة الحبشة . وقد أضر ذلك باقتصاديات اليمن إضراراً بالغاً أكثر مما أضر بها انكسار سد مأرب^(١٩) . وآخر ملوك دولة حمير الأثرى المعروفين في لمصادر العربية بالتبابعة هو الملك د يامر يسم ، ويعرف في المصادر العربية باسم قاسر النعم^(٢٠) ، أو قاسر بنعم^(٢١) ، أو يامر

(١) جواد علي ، ج ٢ ص ١٢٨

(٢) مهابي ، ص ١ تاريخ العرب ، ترجمة محمد مبروك طلح ، ص ٦٩ - ٧١

(٣) جواد علي ، ج ٢ ص ٢٧٨

(٤) I. Guidi, L' Arabie antislamique, p. 67

(٥) وهب من يحمه ، كتاب الشمس من ملوك حمير ، ص ٢١٩ - ٢٢٠ - التلخيص ص ٧

(٦) حمير من الحمير الاصمعي ، كتاب تاريخ سبي ملوك الارض والامم ، ص ١٢٢

١٢٢ ص ٨٢

بسم^{١١١} ، وهو عند الاخباريين مالك بن يعمر بن عمرو بن حمير بن الحبيب بن عمرو بن زيد بن يضر من سكك^{١١٢} بن وائل بن حمير بن سبا^{١١٣} ، ويؤمنون أنه عرف بهذا الاسم لأنه أحس ملكه حير بعد أربعين عاماً أيام سليمان بن داود^{١١٤} ، أي أنهم يرجعون عهده إلى أيام سليمان ، مع أنه من ملوك حير في القرن الثالث الميلادي^{١١٥} .

ويذهب الرواة إليه الفتوحات العظمى ، فرموا أنه جمع حير وقائل
 قحطان وخرج بالجيش إلى ماحوي آباءه والتسابعة العظيمة ، فوطئ موطناً من
 الأرض عظيماً ، واشتد سلطانه ، فخرج إلى العرب حتى بلغ إلى البحر المحيط
 فأمر ابنه شعر وهو شعر يرعش بن باشر السم - وإنما سمي يرعش لأنه منه
 ارتعاش من شرب الخمر ، وقال الأمل كان يسمى شعر يرعش والشعر البوار في
 لغة حير ، أن يركب البحر المحيط ، فركب في عشرة آلاف مركب وسار يريد
 ودي الرمل ، وقال له لا ترجع حتى تغمره وترجع إلي ما رأيت ، فركب شعر
 ونزل باشر النعم على صنم ذي القرنين ، فأخرج عساكره إلى الأفرنج والسكي ،
 وعمرت عساكره إلى أرض الصفاة فعموا الأموال وسوا الدوازي ، ورجعوا
 إليه بسوي من كل أمة في جزائر البحر^{١١٦} ، ورموا أيضاً أنه غزا الحبشة
 وسولى عليها^{١١٧} ، وعلم على أرض الملك وطارسنان وجبال الصفا^{١١٨} ، إلى

١١١ التقيوس ٣ تاريخ المستوفى ١ المجنة ١٢٥٨ ج ١ ص ٥٩

١١٢ كتاب البلدان ص ١١٦ ، وصيه الصفاي ملكة من عمرو بن يضر من حمير
 الملك من عمرو بن زيد بن يضر - سككت بن وائل بن حمير بن سبا

١١٣ التيجان ص ١١٦ وذكر عهد من شره اسمي كذلك لأنه استرجع ملك العرب
 وحج الام لهم ١ كتاب التيجان ص ١٢٢

١١٤ جواد علي ج ٢ ص ١٤٠

١١٥ كتاب اسباج ص ٢٢٠

١١٦ نفس المصدر ص ٢٢٠

١١٧ نفس المصدر ص ٢٢١

أرض الكرد والزلط ومطزور وفرغان فقلب عليهم ، وأنه مات يدنبور^(١١)

وواضح أن هذه الروايات خرافية ، فقد عاش ناصر النعم هذا في القرن الثالث الميلادي ، وقد ورد اسمه في نقش مؤرخ في سنة ٢٧٠ ميلادية^(١٢) .

ب - الدولة الحميرية الثانية : (ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمت)
(٣٠٠ م - ٥٢٥ م)

مؤسس هذه الدولة شمر جر عرش المعروف عند الأخباريين بشمر جر عرش بن
ناثر النعم (٢٧٠ - ٣١٠ م) الذي تلقب نيا يقرب من عام ٢٩٠ م بملك سبأ
وذي ريدان وحضرموت ويمت . وشمر هذا عند الأخباريين هو تبع الأكبر^(١٣) .
لدي حاء ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى : « أم خير أم قوم تنصع والذين
من قبلهم أهل كسافهم إهم كانوا مجرمين »^(١٤) . وذكروا أنه زحف بجيوشه إلى
أرمينية ، وهزم الترك ، وهدم المدائن بدينور ومسجد ، ودخل مدينة السغد وهدمها
فسميت شمر كند^(١٥) ، أو شمر كنداي عند الفرس ، من شمر أي خرب في وعهم ثم
عربت إلى سمرقند^(١٦) ، أو لأن شمر هدمها فسميت به^(١٧) ، وقبل في رواية أخرى
أن شمر جر عرش لما افتتح سمرقند هدمها ثم أمر ببنائها^(١٨) . وذكروا أيضاً أنه

(١) الأكليل ١ ص ٢٠٨

(٢) ارتز هود ، انقريه المم بلاد العرب الجنوبية ، من كتاب السديح العربي
القديم ص ٩٨ - حواد علي ٤ - ٢ ص ١٤١
٣ - كتاب النجاشي ١ ص ٢٢٢ - الأكليل ١ ص ٢١٠ وقد سمي بالأكبر لأنه لم يتم
للحرب تمام خط اعطى لهم معه ٤ وكان ائمه من رؤساء الملوك واعلام حبه واضعهم سكر
ان يسكرهم ،

٤ - القدر الكريم - سورة النحل ، رقم ٢٤ ٢٧

٥ - أخبار عبود بن شربة ٥ ص ٤٩

٦ - كتاب النجاشي ٢ ص ٢٢٧

٧ - أخبار عبود بن شربة ٤ ص ٤٢٩

٨ - طين الحضرم ١ ص ٢٢٢ - الأكليل ١ ص ٢٢٤

بسط نفوذه على الهند وغلب على أرضي الصين وأخضع فارس وخراسان والشام ومصر^(١).

وذكر الحمداي نقلاً عن عبد الملك بن هشام بن السائب الكلبي أنه أول من أمر بصناعة الدروع السوانج الخاصة التي منها سواعدها وأكفها ، وهي الأيدان^(٢).

ولا شك أن ما رواه العرب عن فتوحاته لا يبدو قصصاً خرافية ، والثابت أنه انتصر على مناطق كثيرة من بلاد العرب الجنوبية ، وأنه تغلب على قبائل تهامة التي كانت تمكث على ساحل البحر الأحمر ، ولعل هذه الانتصارات القليلة التي أحررها أحد ملوك حمير في عصر ظهور الأحباش وتطعمهم إلى التوسع في بلاد العرب الجنوبية سبباً دعا هؤلاء الأخباريين إلى المبالغة في تعظيم شمر يرعش وسببه هذه الأعمال الحارقة إليه . فمن المعروف أن الفترة التي تمتد ما بين تاريخ وفاة شمر يرعش واحتلال الحبشي الأول لبلاد اليمن وريدان في سنة ٣٤٠ ميلادية فترة غامضة في تاريخ العربية الجنوبية ، بل إن خبر احتلال الحبشة لليمن لم يعرف إلا من كتابات عثر عليها في أكسوم عاصمة مملكة أكسوم القديمة ، فلي هذه الكتابات لقب نجاشي الحبشة « بملك أكسوم وحمير وفو ريدان والحبشة وحبا وصلح وتهامة والبعجة وكسو »^(٣).

وغزو الأحباش الأول لليمن لا يرجع إلى عوامل دينية ، إذ لم يكن ملك الحبشة قد اعتد بعد الوليد واعتنق المسيحية ، ولم يرد في الأخبار أن الاعداء ، وهو النجاشي الذي اقتنح إليس ، كان مسيحياً ، ويرجع الدكتور جواد علي أن

١ - كتاب الفيجين ١ ص ٢٢٧ - ١٢٦

٢ - ٧٧١ قبل م ص ٢١١

٣ - حواد علي ١ ج ٢ ص ١٢٨

هناك عوامل اقتصادية لها اعتبارها في حرور الأحباش اليمن^(١١). وأعتقد أن غزو الأساس الأول لليمن كان رد فعل لسيطرة الحميريين في القرن الأول الميلادي على ساحل أراتنيا أو لتأديب الحميريين بسبب هجرتهم على مهاجرة التجارة الحبشية

فترة الاحتلال الحبشي الأول لليمن في عصر الدولة الحميرية الثانية ،

يعتقد فريق من العلماء أن الحديثة (حبشت) كانوا في الأصل جماعات عربية يمنية كانت تعيش على الساحل الجنوبي للجزيرة العربية شرقي حضرموت ، ثم هاجرت غرباً ، وعمرت مصيق باب المندب ، واستوطنت المناطق المطابقة لليمن على ساحل البحر الأحمر من القارة الإفريقية^{١٢} . وقد تم عبور هؤلاء العرب الجنوبيين تدريجياً في زمن قديم لا يستطيع تحديده على وجه الدقة ، والأرجح أنه حدث قبل طليعة القرن الرابع ق.م . وتمكن هؤلاء العرب الجنوبيون من تأسيس مستمرة تجارية على النشاط في الأريترية ، ولم يلبثوا أن مدوا نفوذهم إلى المنطقة الأنثيوبية على حساب شعوب الكوش التي كانت تعيش في هذه البلاد قبل هجرتهم . وبمضي الزمن تأفرق هؤلاء المهاجرون ، وأخذوا يتوزعون بدور الحصار السامية في البلاد ، ومنذ القرن الأول الميلادي فتح هؤلاء العرب الجنوبيون في تأسيس مملكة أكسوم . ومعلوماتنا عن هذه المملكة في هذا العصر مستقاة من صاحب كتاب « الطراف حول البحر الأريترية » اندي بصف نغر أودليس (رلغ) ، ومدينة أكسوم ، عاصمة المملكة الحبشية والمركز الرئيسي لتجارة العاج^(١٣) ، بالإضافة إلى نقوش أثرية أحدها عثر عليه الرحالة البوفا في كورماس وترجع إلى ملك من

١١ | | نفس المرجع ١ ج ٢ ص ١٤٩

١٢ | | صليب هذا الرأي هو بيلتر في بحته

Die Abessinier in Arabien und Afrika, München, 1895

وقد ي ذلك جيمس كير من الطباعة - جيمس كير وكوش - روسي وبوسكني وجويدي .

ولم يتوصل بعد إلى معرفة بوضوح هشت .

Gudi, L'Arabie Antéislamique, p. (٩) - Mowat, Histoire (٢)
et Civilisation de peuples sémitiques, p. 214 - 215

ملوك أكسوم الذين عاشوا في القرن الأول الميلادي^(١١)، وآخر يوثقي وصلنا جزءه منه ، هذا إلى وفائق أكسومية يرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي^(١٢)

ازدهرت مملكة أكسوم في القرن الثالث الميلادي وأخذت قد نفوذها وسيطرتها على المناطق المجاورة لها في الشمال والجنوب والشرق. وفي هذه المرحلة التوسعية من مراحل تاريخ مملكة أكسوم دخلت المسيحية في الحبشة عن طريق بعض المبشرين فيما يقرب من عام ٣٣٠ م ، وأصبحت المسيحية بعد أن اعتنقها عزازا ملك أكسوم الدين الرسمي للمملكة الأكسومية^(١٣). ولم يمضِ عشر سنوات على انتشار المسيحية في الحبشة حتى أقيم في أكسوم أول أسقف واسمه قرومستوس ، وفي الوقت نفسه. كان المبشرون المسيحيون السريريون يقومون بنشر المسيحية في اليمن^(١٤).

كان غزو الأحباش اليمن في عهد النجاشي الأمميديا فيما يقرب من سنة ٣٤٠ م كما سبق أن أوضحت ، رد فعل للفوز الذي قام به ملوك حيرة للسواحل الشرقية للحبشة ، ولم يكن للعوامل الدينية دخل في هذا الفوز . وتم الفوز في عهد يريم يرحب بن شمر يوحنا ، وعند ذلك الحين تلقب ملك أكسوم بلقب ملك أكسوم وحير وفي ريدان وحبيشة وسبأ وتهامة ، وفر ملك حيرة وأبناؤه إلى يثرب^(١٥) ، مركز اليهودية في الجزيرة العربية ، منذ أن حطم طيطس بيت المقدس في سنة ٧٠ م. وبينما نأثر ملكي كرب حسان بن يريم يرحب الحميري وأنه أبو كرب

(١١) ديفيد جيسون ، تاريخ الطيم ، الفصل الأول من كتاب التاريخ العربي القديم ، ص ٢٤

(١٢) نفس المرجع

Guidi, L'Arabie Antéislamique, p.72-Moscati, op.cit. p.216 (١٣)

أولاد حسانين ، استكمال لكتاب التاريخ العربي القديم ، ص ٣٠١

phulby, op. cit. p. 142. (١٤)

(١٥) البيهقي ، تاريخ البيهقي ، ج ١ ، الصفحة ١٣٥٨ = ص ١٦٠

أسعد اليهودية في بابل قهودا ، نجد الأحباش يشجعون على نشر المسيحية في اليمن ، فيقوم المبشرون السوربون بالدعوة لها في العربية الحوية ، وينجح الراهب فيميون في نصير ٥٥٠ كير من سكانها ويؤسس كنيسة في نجران^(١).

ولم يطل أمد الاحتلال الحبشي لليمن ، ففي عهد الملك الأكسومي عزانا ، الذي اعتنق المسيحية في سنة ٣٥٠ م كدّن للدولة الحبشية ، قامت بعض الثورات في مناطق إريترية من مملكته ، فاستهزئ السيليون فرصة اشتغاله باخاد هذه الثورات وعسكر ملكي كرب ييمن من استرداد البلاد ، وطرده لأحباش منها فيا بين عامي ٣٧٠ ، ٣٧٨ م . وقد ورد اسم هذا الملك مع أبيه أي كرب أسعد وورو أسعد أبين في نقش يرجع تاريخه إلى سنة ٣٧٨ م ، جاء فيه أن هؤلاء جميعاً أقاموا مصداً للاله ، وسموي ، أي إله السماء أو رب السماء^(٢) . ويطلق الأخباريون العرب انتشار اليهودية في اليمن بعد أن استردها أبو كرب أسعد بأنه لما رجع إلى اليمن بن معه من الجنود والحبرين اليهوديين دعا قومه إلى الدخول في اليهودية فعال قومه بيده وبني دخولها ، وقالوا له : ولا تدخلها علينا وقد فارقت ديلنا . قال إنه خير من ديلكم ، فقالوا له : حاكمنا إلى النار ، قال نعم . وكانت باليمن فيا يرغم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيا يختلعون فيه تأكل الظالم ولا نصر المظلوم شيئاً . فخرج قومه بأوقانهم وما يتقربون له ، وخرج آخران بمصاحبهما في أعناقهما متقلبين بها حتى قد ، النار عند صرحها ، فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوم حادوا عنها وديروها فأمروهم من حصر بالصبر . وصبروا حتى عثيتهم وأكلت الأكلة ، فغربوا معها ومن حل ذلك من رجال حير ، وخرج الحبران بمصاحبهما في أعناقهما تمرق حادها ولم تصرها . فالتقت عند ذلك حير على يده ، فمن هناك كان أصل دن اليهودية^(٣).

١ : ٢ : توجد نسخة : المرجع السابق : ص ٢٠٢

٢ : جولدزوني : ج ٢ ص ١٥٢

٣ : كتاب البويعان : ص ١٩٦ ، ١٩٧

فترة الانتقال بين الفترتين :

لا تقل عبارة « ذو سحوي » عند المصريين بعد ٣٧٨ م على انتشار اليهودية في بلاد اليمن ، كما تشيع الروايات المريبة ، ولكن نشر هذه العبارة بدل على اتساع أفق العرب الجنوبيين الديني بعد احتكاكهم بالمشركين المسيحيين وبالأحباش المنتصرين والأخبار اليهود ، ويمتد الدكتور جواد على أنه يفهم من ذلك أن العرب الجنوب خطوا « خطوة نحو التوحيد » خطوة نحو تصفية الحساب مع العقيدة الوثنية القديمة التي تعرف بألهة عديدة مع الآلهة المحلية ، والاعتقاد بوجود إله واحد أعلى قاهر هو رب السماء ^(١١) .

وخلف أبو كرب أسعد أخوه وروامر أمين قريبا بقرب من سنة ٤١٥ م ، ثم انتقل الحكم من بعده إلى أخيه شرحبيل يفر سنة ٤٢٠ م . وفي عهده تم رمم سد مأرب في ٤٤٩ م . ويبدو أن هذه الأعمال لم تجد نفعا ، فقد تهدم السد بعد زلزاله بعام واحد في سنة ٤٥٠ - ٤٥١ م ، وأدى ذلك إلى فرار جماعات كبيرة من سكان هذه المنطقة إلى الجبال ، فقام الملك شرحبيل من جديد ببناء السد ، وتم ذلك في سنة ٤٥١ م . وسجل الملك شرحبيل هذه الأعمال في نقش طويل تضمن فيها تضمنه عبارة تدل على انتشار عقيدة التوحيد في اليمن في زمن شرحبيل بها « بصير وردا المن بعل سمين وأرضه أي ينصر ويصون الإله سيد السماء والأرض » وهي تعبير لا يتفق مع الديانتين المسيحية واليهودية ^(١٢) .

ويرجع جلاسز تدهم سد مأرب في زمن شرحبيل يفر إلى غزو الأحباش لليمن ، بينما يرجعه آخرون إلى ثورة الحمدانيين وانتصارهم ، أو إلى تحول التجارة من مأرب إلى الطريق البحري عبر البحر الأحمر وانتشار الرومان بالتجارة

١١ جواد علي ، ج ٢ ص ١٥٢

١٢ مصدر المرجع ، ج ٢ ص ١٥٨

المعربة مما أضاع على الحميريين ما كفوا يحنونه من ثروات ، فأعلنوا ترميم المد
فتهدم^{١١} . ويمكننا أن نستنتج من النقش المذكور أن هجرة القبائل اليمنية التي
كانت تسكن بحوار مأرب تم بسبب تهدم سد مأرب وتعتبر ملوك حمير عن تربيته
ربما ينهيا معه أن يقوم بوظيفته ، وهذا يدور الروايات التي رواها الأخاريون
عن تهدم سد مأرب وتفرق سداً

وخلف شرحبيل ملك يدعى عبد كلال لم يمعم طويلاً فملك ، ورد ذكره في
المصادر العربية على أنه عبد كليل^{١٢} بن سوف أو عبد كلال بن منوب^{١٣} ، وأنه
كان مؤمناً على دين عيسى . وكذلك ورد اسم عبد كلال في نص أثري يتضمن
عبارة تشير إلى عقيدته في التوحيد نصها : « يردا رحمتي » أي بصون الرحمن .
والتعلق الرواية التاريخية والنقش الأثري دليل على صحة الاسم .

وتتابع بعد عبد كلال على عرش المملكة الحميرية عدوس الملوك قنتهي قائمتهم
الملوك المشهور دي براس (٥١٠ - ٥٧٥ م) آخر ملوك حمير ، ويسجل عام ٥٢٥ م
سقوط الدولة الحميرية على أيدي الأحباش .

الغزو الحبشي الثاني لليمن وسقوط الدولة الحميرية الثانية :

كان تحول ملوك أكسوم إلى المسيحية إهداءاً تقرب هذه المملكة مع بيئة
حامية نصارى الشرق ، وكان الأحباش يطمحون في السيطرة على بلاد اليمن لصيان
توزيع الضائع الحبشية^{١٤} دون أن تدمرهم للاعتداءات التي كان يارسها الحميريون .
ويبدو أن نفوذ الأحباش على اليمن ظل قوياً حتى بعد أن تمكن أمو كرب أسعد

١ - نفس المرجع ، ص ١٨٩

٢ - كتاب التيجان ، ص ٢٩٩

٣ - حمير الأصغر ، كتابه تاريخ بني ملوك الأرض والامم ، ص ٨٧

٤ - مراد كليل ، مقالة تكلم سر ، النسخة - مكتب الجيش الحسني بن أحمد

الطبعة ١٩٥٨ ، ص ٦١

من تحرير اليمن من حكمهم ، وأهل هذا النفوذ أو الضغط السياسي الذي كانت يمارسه ملك الحبشة على اليمن دعوا ملكها ذا نواس^(١) إلى أن يربط بين انتشار المسيحية في اليمن وبين إرمياد نفوذ الأحباش السياسي في البلاد ، ولذلك حول على تحويل مصارى نجران عن دينهم بالقرعة^(٢) . وعندئذ وجد كالب ملك الحبشة فرصته لمواصلة لغزو اليمن بحجة وضع حد لسياسة ذي نواس التصفية مع النصارى . وحامت المحطة التي نهى له فيها التدخل المباشر عن طريق الغزو ، إذ قام ذو نواس بمهاجمة نجران أكبر مركز للمسيحية في اليمن في سنة ٥٢٣ م ، وحبر أهلها بين نذ المسيحية أو القتل حرفاء فتغلبوا القتل ، وآثروا الاستشهاد ، فحفر لهم أخاديد أحرقهم فيها وأحرق إنجيلهم ، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم في سورة العروج ، إذ يقول تعالى : « قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود . إذ هم عليها قعود . وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود »^(٣) . وأحدثت هذه المذابح صدى عميقاً عند ملكي النصرانية نجاشي الحبشة ومبراطور بيزنطة وأثارت غضبهما على ذي نواس . ويذكر وهب بن منبه أن ذا نواس « احتقر أخاديد في الأرض وملأها ناراً ، فس قاصه على دينه خلى عنه ، ومن أقام على النصرانية قذفه فيها ، حتى أتى امرأة ومعه صبي صغير ابن سبعة أشهر فقال لها انما . أمضي يا أماء على دينك ، فانها دار وليس بعدها دار ، فر المرأة واينها في النار رجل يقال له ذو ثعلبان واسمه دوح ، فسار في البحر إلى ملك الحبشة فأخبره عما فعل ذو نواس بأهل دينه ، فكتب ملك الحبشة إلى قسصر يعطه عما فعل ذو نواس ويستأذنه في التوجه إلى اليمن ، فكتب إليه يأمره

١ : اسمه يمين لأهل اليمن العرب رومة ذي نواس بن شبل اسمه (كلب الضحان)

٢ : ويسميه آخرون يوسف ذي نواس (الطبري) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ قسم ١ ص ٩١٩ .

٣ : « ذلك خبر الأصمعي » . ذا نواس كان قد « برل يربط بداراً ما قامسته اليهودية يهود ، وحمله يهود يربط على فرد يجزى لآسفار من بها من نصارى » الذين اعتنقوا المسيحية بعض ملوكهم رجل قدم اليهم من بلاد الحبشة (جزء الأصمعي ص ٨٨) .

(٣) القرآن الكريم ، سورة العروج ٨٥ آية ٨٥

بالمسيح إليها...^{١١٠} وفي رواية أخرى اليمعوي يقول : وملك ذو نواس بن
أسعد ، وكان اسمه زرعدة ، فعنا ، وهو صاحب الأخدود ، وذلك أنه كان على
دين اليهودية ، وقدم اليمين رحل يقال له عبدالله بن النامر ، وكان على دين المسيح ،
فأظهر دينه باليمن ، وكان إذ رأى العليل والسقيم قال أدعو الله لك يشفيك ،
وترجع عن دين قومك ، فيقبل ذلك ، فتكثر من أتباعه ، وبلغ ذا نواس ، فجعل
يطلب من قال بهذا الدين ويحضر لهم في الأرض الأخدود ، ويحرق النار ، ويقتل
بالسيف ، حتى أتى عليهم ، فسار رجل منهم إلى النجاشي وهو على دين الصراينة
فوجه النجاشي إلى اليمن يبعث ...^{١١١} وذكر صاحب الأخبار الطوال أن
ذا نواس سار إلى مدينة نجوان ليهود من فيها من النصارى ، فدها أهلها إلى ترك
دينهم والدخول في اليهودية ، فأمر بكبيرهم عبدالله بن النامر ، وفرضت
هامة بالسيف ، ثم أسحل في سور المدينة ، فضم عليه ، وخذ الباقيين أخايد ،
فأحرقهم فيها ، فقام أصحاب الأخدود الذين ذكرهم الله عز اسمه في القرآن .
وأفلت دوس ذو ثعلبان ، فسار إلى ملك الروم فأعلمه ما صنع ذو نواس بأهل
دينه من قتل الأساقفة وإحراق الإنجيل وهدم المسيح ، فكتب إلى النجاشي ملك
الحبشة ، فبعث بأرياط ،^{١١٢} وقد أورد الطبري رواية ماثلة لرواية الدينوري ،
وأضاف عليها أن قبصر كتب إلى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن
أهل دينه ، ويأمره نصر دى ثعلبان وطلب ثأره ممن بغي عليه وعلى أهل
دينه ، فلما قدم ذو ثعلبان على النجاشي وضع كتاب قبصر ، سمره سبعين
ألفاً من الأحباش يقومون فائد فقال له أرياط ،^{١١٣}

وقد لقي ذو نواس مصرعه في المعركة التي قامت بينه وبين أرياط ، وبعثه

١١٠ كتاب التيجان ، ص ١٠٤

١١١ اليمعوي ، ص ١٦١

١١٢ أخبار الحمير ، الأخبار الطوال ، ص ٣٢

١١٣ الطبري ، ج ٢ ، قسم ١ ، ص ٣٢٧

بدأ عهد جديد خضعت فيه بلاد حبر للأشاش

ومن المرحح أن دا مواس كان وثنياً ولم يكن يهودياً كما يزعم الأخاريون ، وكان يتعامل على النصارى دون اليهود لأنه ربط بين انقشار المسيحية في اليمن وبين إرماد النفوذ البيزنطي وحشي في بلاده . وكان الممدد الأعظم من الحيريين وثنيين وقد عارضوا ثيوفيلوس الرابع الذي أرسله الامبراطور قسطنطين لتشير في بلاد اليمن . أما النصارى الحيريون فقد كانوا - وفقاً للرواية الحبشية - يرسلون هداياهم إلى النعاشي وندفعون إليه الضرائب ، وكان من الطبيعي لذلك ألا يسكت ملك حبر على هذا التدخل^{١١} . وسنتج مما جاء في القرآن الكريم خاصاً بأصحاب الأخدود أن دا نوس دعا أهل نجران النصارى إلى الرجوع إلى الوثنية لا إلى اليهودية لأن النصرانية واليهودية المماصرتين لبرول القرآن كانتا ديارتين سايونيين لا مجال لتفصيل إحداهما على الأخرى^{١٢} ، ولا شك أن أصحاب الأخدود كانوا وثنيين لم يقيموا من أهل نجران إلا لأنهم كانوا يؤمنون بالله ، وينصح ذلك في قوله تعالى : « وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد » الذي له ملك السموات والأرض ، والله على كل شيء شهيد^{١٣} .

وقد زار قلبي وادي نجران وعثر فيه على خرائب أثرية قديمة ، ويمتد قلبي أن الخرائب الموحدة حالياً في سلسلة رقمت بنجران هي آثار الأخدود الذي احتفوه ذو مواس^{١٤} .

١١١ جواد علي : ج ٢ ص ١٧٩

١٢ عبد البروج : تاريخ الحفلة - ص ٧٤

١٣ القرآن الكريم - سورة البروج : ٨٥ كيه ٩

١٤ J. B. Philby, Arabian highlands, New York 1952, pp 237-273.

الفصل الثاني

اليمن في ظل الأحباش والفرس

(١) استيلاء الأحباش على اليمن في ٥٢٥ م .

(٢) الأحباش في اليمن .

أ - تولية أرملة على اليمن .

ب - حلة أرملة على مكة في عام الفيل (سنة ٥٧٠ م) .

ج - مياسة مسروق بن أرملة الاستبداوية ونتائجها .

(٣) اليمن في ظل الفرس .

استيلاء الأحباش على اليمن في ١٠٢٥ م

ذكرت بعض المصادر العربية في أسباب غزو الأحباش لليمن أن الروم أوادوا أن يشاروا لشهداء المسيحية في الحبشة ، فكتب ملكهم إلى نجاشي الحبشة يأمرهم بغزو اليمن . هذا التعليل لا يبدو مخلصاً أمام الحقائق التاريخية التي نستخلصها من الوقائع السابقة على الغزو الحبشي لليمن يرجع إلى عوامل سياسية اقتصادية ، فقد كانت بيزنطة تسعى إلى السيطرة على الطرق التجارية الموصلة للمحيط الهندي ، وبالتالي بسط نفوذها السياسي على العرب فتاوة أعدائها للفرس . كذلك كانت الحبشة تسعى إلى قاديبي المحيرين الذين كانوا يتحشرون بقوافلها التجارية في البحر الأحمر ، ومن هنا وجد تقارب سياسي بين بيزنطة وأكسوم ولا يخفى أيضاً أن العامل الحقيقي كان له اعتباره في هذه المسألة ، في بيزنطة وأكسوم فخذ من اضطهاد المحيرين لتصارى اليمن دربعة للتدخل باعتبار أن الامبراطور البيزنطي جستنيان كان يعد نفسه حامياً للكنيسة الشرقية فاسبب الظاهرى لمحة لأحاسيس منب ديبى ، ولكن السبب الحقيقي لها سياسى اقتصادى على النحو الذى أوضحناه في الفصل السابق .

وأياً ما كان الأمر فقد أهد النجاشي كالب جيشاً ضخماً يقوده الأخيارون بنحو ستمين ألف مقاتل بقيادة رجل يقال له أرباط بن أصدمة^(١)، أو صاه النجاشي الحبشة بأن يقتلهم أشد انتقام من ذي نواس وأجناده ، وعهد إليه بأن يقتل ثلث رجالهم ، ويخرب ثلث بلادهم ، ويسبي ثلث نسايتهم وأولادهم^(٢) . فاجبر الأحباش في سفنهم من بلاد تاصع وزيطع ، وحطوا على ساحل ربيد من أرض اليمن^(٣) ، وحشد ذو نواس جيوشه والتقى مع جيش الأحباش ، فانهزم الحميريون هزيمة نكراء ، وتفرقوا عنه ، فلما رأى ذو نواس اهتراق قومه وانزاعهم ، ضرب فرسه واقتحم به البحر ، فكان آخر المهد به^(٤) . وذكر الحمدايني أنه واقتحم بفرسه البحر لما غلب في قتال الحبشة على ساحل البحر^(٥) ، وذكر آخرون أنه قتل في المعركة ، ودخل أرباط دمار التي سميت بصنماء^(٦) ، وقبض بذلك حلك الحميريين .

وانتقم الأحباش من الحميريين ، فهدموا قصور اليمن مثل قصر سلحين وبينون ، وفي ذلك يقول الشاعر علقمة ذو حذن .

أوما رأيت وكل شيء هالك	بيسوس حاوية كان لم تعمر
أوما رأيت وكل شيء هالك	سلحين حاوية كظهر لأدبر
أوما رأيت بقي عطاء ناهتا	فدا أصبحت نفسي عليهم صرصر

(١) الميعوني ، ج ١ ص ١٦٦ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٧٨

(٢) الطبري ، ج ٢ قسم ١ ص ١٢٧

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٧٨ . وذكر النديمي أن المعركة قامت في سائر من الأواخر الطوال من ٦٤

(٤) الميعوني ، ج ١ ص ١٦٦

(٥) الصديقي ، الأظليل ، ج ٢ ص ٢٢٩

(٦) النديمي ، الأخبار الطوال ، ص ٦٤ - حواد ملي ، ج ٢ ص ١٩١

أو ما سمعت بحمد وقصورها أمت معطاة مساكن حير
فابكيهم أما بكيت لعشر قد درك حسير من عشر^{١١}

وقد عرف ذو نواس في النصوص المسيحية باسم ديمونوس Dimonios، وداميان Damian، وديميانوس Dimianios، بينما عرف في النصوص الحبشية باسم قنحاس Phinhas^(١٢). أما ملك الحبشة فقد اختلفوا في اسمه فدعاه بروكوبوس باسم هليستاروس Hellestheaeus، ودعاه آخرون باسم Eleesbaas و Elimbahaz، وهو اسم مشتق من ايلاصباح في الحبشة، كذلك دعاه يوحنا الإفسي باسم أيدوج Aidiug وأنداس Andas، أما في الروايات الحبشية فقد سمي كالب Kaleb Ela Asebelu^(١٣)، ومن الواضح أن التسمية الحبشية أصح إذ أن أيدوج أو أنداس يعني به الاعمدا الذي كان معاصراً للامبراطور البيزنطي قسطنطين، وكان أول من تنصر من ملوك الحبشة. أما أرباط الوارد اسمه في الروايات العربية، فنعلم أنه نفس الشخص الذي دعاه ثيوفانس باسم اريثاس Arethas^(١٤) أو الحارث، وما أقرب أريثاس من أرباط. وقد اشترك معه في الكلمة أربعة المعروف في المصادر المسيحية باسم ابراموس Abramios، ولعله هو نفس ابراهام Abraham الذي ذكره بروكوبوس، وواضح اقتراب لفظة ابراهام من لفظة أربعة التي حرقها الأستباريون.

★ ★ ★

ومن المتفق عليه بين الأخباريين أن ذا نواس كان آخر ملوك حير، ولكن

١١ - كتاب العجوة ٢ ص ٢٠٢ - الإكليل ٤ ج ٨ ص ١٢٢

١٢ - نزهة علي ج ٢ ص ١٩٠

١٣ - نفس المرجع ٤ ص ١٩١

Plutby, The Background of Islam, p. 121 - Muscati, op. cit. p. 116

١٤ - عجوة علي ج ٢ ص ١٢٦

حزة الأصماني يذكر أن ذا جدن بن ذي نواس قتل الملك من بعده^(١) ولقي نفس مصير أبيه ، وقد عثر ولستد في حصن غراب باليمن على نقش حميري جاء فيه أن الأحباش فتحوا أرض جرير وقتلوا ملكها وأقباله الحميريين والارحبيين في سنة ٦١٠ من التاريخ الحميري الموافق لسنة ٥٢٥ م ، فتحصن سبيع أشوع وأولاده في حصن مويحت (الغراب)^(٢) .

ويرجع بعض العلماء أن السبيع أشوع المذكور كان من قبيلة ذي موان وتخلى عنه بعد الهزيمة ، وتحصن هو وأولاده في حصنهم حتى تم للأحباش دخول اليمن ، فاستخدموه ملكاً^(٣) . ويتفق هذا الرأي مع ما ذكره بروكويوس من أن الذي حكم حمير بعد مقتل ملكهم رجل اسمه ايسميفارس Enimiphaeus اعتاره النجاشي من بين نصارى حمير ليكون ملكاً ، على أن يدفع إلى الأحباش جزية سنوية^(٤) . ولا شك أن اسم السبيع أشوع الذي ورد ذكره في نحت حصن غراب هو نفس ايسميفارس الذي ذكره بروكويوس . ويؤكد ذلك نقش حميري محفوظ في متحف اسطنبول يتضمن في مطلعه العبارة الآتية : « نفس قدس سبيع أشوع فلنك سبأ » وفي آخر النص « بسم رحمن وبهو كوشش غلبن » ، ومعناها : « بسم الرحمن وابنه . المسيح الغالب » ، وتعتبر هذه الجملة على أن السبيع كان ملكاً على سبأ وأنه كان على دين المسيحية .

كما سبق ذكره يمكننا أن نستنتج أن النجاشي نصب على اليمن ملكاً دائماً له هو السبيع أشوع حتى لا يشير عليه الحميريين .

١ : « حرة الإسماعيل » تاريخ سبي بنوك الأرض والقبائل ، ص ٨٩ .

٢ : « جريدي ريدان » ص ٤٥٠ — جواد علي ، ج ٢ ص ١٦٩ .

٣ : جواد علي ، ج ٢ ص ١٦٤ من نظر .

٤ : « المسار المرجع » ج ٢ ص ١٦١ .

الأحباش في اليمن

أ - تولية أبرهة على اليمن :

تذكر المصادر العربية أن أرياط لما دخل اليمن وضطها، دوت عليه الأموال، فجعل يؤثر بها من يحب، فأثار بذلك ثائرة الأحباش، فانضموا إلى أبرهة، وبايموه، وانقسم معسكر الأحباش إلى فريقين : فريق يؤيد أرياط، والفريق الآخر يؤيد أبرهة، ولبارز كل من أرياط وأبرهة، فدفع أرياط عليه حريت، فوقعت في وجه أبرهة، فتزمت، ولذلك سمي الأثرم، وضرب أبرهة أرياط بالسيف على مفرق رأسه، فقتله، والمخازت الحبشة إليه، فملكهم، وأفسره النجاشي على سلطان اليمن^(١).

غير أن ما ذكره الأخباريون يتناقض مع ما ذكرناه من قبل، إذ أمروا إلى أن نجاشي الحبشة نصب على اليمن أميراً مسيحياً من حمير هو السميعع أشوع الذي ذكره بروكوبيوس. فكيف نوفق إذن بين ما رواه الأخباريون العرب

(١) الديوري، ص ٦٤ - الخطيب، ج ١، ص ١٦٢ - الطبري، ج ٢، قسم ١ ص ٦٢٢ - المسعودي، ج ٢، ص ٧٨

وما ذكره بروكوبيوس ، بعضه في ذلك نص حصن غراب ؟

وللاجابة على ذلك لا بد من الرجوع إلى ما ذكره بروكوبيوس بعد حديثه عن السيف ، فهو يذكر أن الأحباش في اليمن أعطوا الثورة على السيف وحاصروه في قلعة ، وأقاموا مكانه عدداً نصرانياً اسمه إبراهيم ، فغضبه النجاشي وسب قوة قوامها ثلاثة آلاف رجل لتأديبه وتأديب من انضم إليه فلما قدمت القوة المذكورة المحاذرتان إلى أبرهة بعد أن وثبوا على قائدهم . وافق أن توفي نجاشي الحشة ، فصالح أبرهة النجاشي الجديد على دفع جزية سنوية ، على أن يعترف به نائباً عن الملك في اليمن ، فأقره النجاشي على ذلك^(١) . ونخرج من ذلك بأن عم السيف كان صغيراً ، وأن أبرهة الذي كان قد تغلب على أرباط اغتصب الحكم في اليمن ، وأن النجاشي أقره على حكم اليمن نظير جزية يدفعها له . ويؤكد ذلك ما ذكره المسودي وغيره ،^(٢) إذ يقول : « ثم وثب عليه أبرهة الأنرم أبريكسوم (يقصد أن أبرهة وثب على أرباط) فقتله وملك اليمن ، فلما بلغ ذلك من فقه إلى النجاشي غضب عليه ، وحلف بالمسيح أن يميز ناصيته ، ويريق دمه ، ويطأ ترته - يعني أرض اليمن - فبلغ ذلك أبرهة ، فميز ناصيته وجعلها في حق من العاج ، وجعل من دمه في قارورة ، وجعل من تراب اليمن في جراب ، وألف ذلك إلى النجاشي ملك الحشة ، وضم إلى ذلك هدايا كثيرة وألحافاً ، وكتب إليه يعترف بالمبودية ويحلف له بدين النصرانية أنه في طاعته ، وأنه يلفه أن الملك حلف بالمسيح أن يميز ناصيته ويريق دمه ويطأ أرضه ، وقد أتعت إلى الملك باصيني فليجزها بيده ، ومدني في قارورة فليجره ، ويجراب من رمة بلادتي فليطأ مقدمتي ، وليطمي الملك عني عصبه ، فقد أبررت يمينه ، وهو على سريره حلكه ، فلما وصل ذلك إلى النجاشي استصوب رأيه ، واستمع من عقله ، وصفح عنه^(٣) .

١ جواد علي - ج ٢ ص ١٩٢ خلاص بروكوبيوس

٢ ربيع الطلحي - ج ١ ص ١٦٢

٣ المسودي - سيرة النجاشي - ج ٢ ص ٧٨

ويستدل من النص لمعروف بنص أبرهة ، وهو نص طويل يتألف من ١٣٦ سطراً ، سجل فيه أبرهة رعيته لسد مأرب في سنة ٥٦٢ م وفي السنة التالية ، الحقائق الآتية

١ - أن أبرهة لقب نفسه باللقب الرسمي للوك حجير في دولتهم الثانية مع إضافة عبارة تشير إلى أنه نائب ملك الحبشة في اليمن فيقول : « إن أبرهة نائب ملك الحبشة رعيته رعيته » ملك سبأ ودو ريدان وحضر موت ويمن وأعرابها في النجاشي وفي تهامة » .

٢ - يتضمن النص حديثاً عن ثورة قام بها يزيد بن كبيشة (يزيد بن كبيشة) أحد رؤساء الحميريين ، كان أبرهة قد أتابه عنه واستعمله على قبيلتي كدة ودا ، وانضم إلى يزيد أقبال حميريون ثم ذو سحر ومرة وثمامة وحنش ومرد وحنف ودو خليل ويزن ، بالإضافة إلى القليل مدد بكر بن حبيش . وإخاد هذه الثورة سار أبرهة جيشاً هزمه يزيد واستولى على بعض مواقع ، فمؤز أبرهة قواته بقوات أخرى من الأحباش والحميريين وحملوا إلى مواطن الثورة في أودية سبأ وصرواح وعمران ، وانتهت الحملة باستسلام يزيد .

٣ - يشير النص إلى تصدع سد مأرب ، وتهدم أحراة معه ، كما يشير إلى مناصرة أبرهة بغريمه ما وهي عنه ^{١١١} .

٤ - يذكر النص أنه وفد إلى أبرهة أثناء إقامته بآرب وفود من النجاشي ومن ملك الروم ، ومن كسرى فارس ، كما وفد إليه رمل من المنذر ملك الحيرة ، والحداد بن جبلة النخالي .

ومعتقد حلالر أن لأقبال الدين انصموا إلى الثورة بثلاث الطغاة الأرستقراطية

القديمة في سبأ ، ومعظم أحماسهم قد وردت في مصوص السند والكتابات السبئية القديمة التي يرجع تاريخها إلى أيام المكربين . كما يستعد أن يزن هم قبيلة سيف بن ذي يزن الحيدري الذي قام بالثورة على الأحاش فيا بعده ، أما محمد يكر بن سميع فمن المعتقد أنه ابن السميع أشوع الذي لمحاه أبرهة عن حكم اليمن ، أما فيا يخنص بالوفود التي قدمت إلى أبرهة في مأرب والتي ورد ذكرها في النص ، فتقديم وفد النجاشي على غيره يدل على اعتراف أبرهة بسيادة مملكة أكسوم عليه ، كما يدل إرسال مندوب من النجاشي إليه على استقلال أبرهة بحكم البلاد وإدارتها . أما تقديم وفد ملك الروم على وفد ملك فارس في النص فيعبر عن صلة الدين والسياسة بين الحبشة والروم واليمن^{٩١} .

ويلسر الدكتور جواد على المفزى الذي يمكن أن يعبر عنه قدوم هؤلاء الرسل إلى عاصمة سبأ القديمة بالصراع القائم بين الروم والفرس من أجل ضم اليمن إلى جانب هؤلاء أو أولئك فيقول : « ولم يكن يجيء هؤلاء المبعوثين إلى أبرهة لمجرد التنهتة أو التسلية أو المجاملة أو ما شاكل ذلك من كلمات مكتوبة في معجمات للسياسة ، لكن كانت لأمر أخرى أبعد من هذه وأهم ، هي جر أبرهة إلى هذا المعسكر أو ذلك ، ورجيع كفة على أخرى ، وخلق التجارة في البحر الأحمر أو فوسبها ، ومن وراء ذلك إما مكتبة لتحل بمؤسسات الروم وتجاراتهم ، وإما ربح واقر يصيبهم لا يقد . . . لقد كان العالم إذ ذاك كما هو الآن ، حبيتين . جبهة غربية ، وجبهة أخرى شرقية . الروم والفرس ، ولكل طالون ومزمر من الممالك الصغيرة والشبهات بطالون ومزمر من ، ورضون أو يقضون ، وبشيون أو يعاقبون إرساء الجبهة التي هم فيها ، وزلعي إليها وتقربا . لقد سحر الروم كل قوام السياسة للهيئة على جبهة العرب ، أو إيماءها عن الفرس ، وعن المبالين إليهم على الأقل ، وعمل الفرس من جهتهم على تحطيم كل جبهة تيسل إلى الروم

وتزويد وجهه نظرهم ، وعلى منع سفنهم من الدخول إلى البحر الهندي ، والاتجار مع بلاد العرب ،...»^{١٩٦}

ب حلة أبرهة على مكة في عام الفيل (٥٧٠ م)

كان من أهم أعمال أبرهة نشر الدين المسيحي في اليمن ، وبناء كنيسة في صنعاء سماها القليس (من لفظة Elklissa اليونانية) . وذكر ياقوت أن أبرهة واستغل أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة ، وجشمهم فيها أنواعاً من السحر ، وكان ينقل إليها آلات الساء كالرخام والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام ، وكان من موضع هذه الكنيسة على فراخ ، وكان فيه بقايا من آثار ملوكهم ، فاستعان بذلك على ما أراد من بناء هذه الكنيسة وبيعتها وبنائها ، وبصب فيها صلباً من الذهب والفضة ، ومنابر من الحج والأبنوس ،^{١٩٧} واستخدم في بنائها الذهب والفضة والزجاج والفسيساء وأوان الأصباغ . فلما استتم ببنائها كتب إلى الجاثي : « إني قد بنيت لك أيا الملك كنيسة لم يبن مثلاً لك كان قبلك ، ولست ينتهي حتى أصرف إليها حج العرب »^{١٩٨} .

وتحسنت العرب لذلك ، فغضب رجل من النساء من بني قيس بن عدي بن عامر بن ثعلبة ، وعزم على تدمير القليس ، فخرج القيسي إلى القليس ودسه ببعض القنادرات ، وأصل خبر ذلك بأبرهة ، فغضب غضباً شديداً وساءه أن يفعل ذلك رجل من أهل البيت الذي يحج إليه العرب بمكة ، وأقسم ليسير إلى الكعبة وحدها حجراً حجراً ، ثم إنه أمر بإعداد جيش كبير ، وتقدم جيشه فيل

(١) نفس المرجع ، ص ١٠٤ .

(٢) ياقوتة ، معجم البلدان ، مادة قليس ، مجلد ١٤ ص ٢٩٥ - ابن كثير ،

السير النبوية ، ج ١ ص ٢٠ .

(٣) الطبري ، ج ٢ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ - ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٢٩٥ .

أرسله إليه الجاشي يقال له محمود^(١١) (له معرب من لفظة Mammoth
ويقصد بها هيل ضخمة متطوى بالشر الكثيف كان يمشي في المصور الحيولوجية).
ومن أربة على الطائف في طريقه إلى مكة ، فمشت معه رجلاً يدلّه على الطريق
يقال له أبو رغال^(١٢) ، فهلك أبو رغال في موضع يقال له المنفس بين الطائف ومكة ،
فرجم قبره بعد ذلك ، والعرب تسمي ذلك^(١٣) .

ولما اقترب أبرهة من مكة بث طائفة من حنابلة لغارة ، من بينهم رجل يقال
له الأسود بن مقصود ، فأصابوا إيلاً لعبد المطلب ، وتقدم أبرهة حتى اقترب
من مكة ، وأتى أنصاب الحرم ، فنزل بالموضع المعروف بحب المحصب^(١٤) ، وعندئذ
أداه عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيد قريش ، فأدخل في حضرة أبرهة ،
وكان عبد المطلب وسبياً ، له غديران ، أهدب الأشعار ، دقيق العينين أشده ،
رفيق البشرة ، سهل الحدين ،^(١٥) فعلقه أبرهة وهابه وأجله ، ثم قال له :
« ما لي يا عبد المطلب . فأبى أن يسأله إلا إيلاً له . فأمر بردها عليه » وقال :
« ألا تسألني الرجوع ؟ فقال : أنا رب هذه الإبل ، والبيت رب سيمنته منك »^(١٦)

(١) طيفت أس سبعة ، ج ١ ص ٥٦ — الفيدي ، أخبار الطوال ، ص ٦٢ . وذكر
الريشدي أنه الفيل المذكور كل معه ١٢ دلاً أخرى (الريشدي) ج ٢ القاهرة ، ١٩٢٥
ص ٥٦ .

(٢) وقيل الفيل من جهب الحمصي الفلاني ، أصاب الأثراته ، ص ٦٧ — طيفت
أس سبعة ج ١ ص ٥٦ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٧٩ — باتوت ، معجم البلدان ، مجلد ٥ ،
ص ١٦١ .

(٤) وهو موضع تبلى مكة وهي وهو التي من أقرب ، وهو موضع من الحمصاء
(وأرجح باتوت ، معجم البلدان ، مجلد ٥ ص ٦٢)

(٥) الفلاني ، أصاب الأثراته ، ص ٦٨

(٦) أس هشام ، البصرة ، ج ١ ص ٥١

الفلاني ، أصاب الأثراته ، ص ٦٨ — الطبري ، ج ٢ ص ٩٢٩ —

المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ١٢٨

ثم انصرف عبد المطلب إلى قومه وهو يقول :

يا أهل مكة قد وافاكم ملك
مع الفيول على أنيابها الزرد
هذا النجاشي قد مارت كتائبه
مع الليوث عليها البيض تنقد
يريد كمنكم ، والله مانعه
كمنع قبح لما جاءها حرد

ثم انه أمر قريشاً بأن تلتحق ببطون الأوسية ورؤوس الحبال من معرة الحبشة ،
ووقف بباب الكعبة وهو يقول :

يا رب لا أرجو لهم سواك
يا رب فاضع منهم حماك
إن عدو البيت من عاداك
فامنهم أنت يخرؤوا قراكا^(١)

وذكر الطبري أن قريشاً ، أحد قادة حبر ، تولى عبء جهاد أبرهة عن بيت
الله ، ولكن أبرهة هزمه وأصره ، ثم أرسل إلى عبد المطلب سيد مكة يخبره
بأنه لم يقدم للحرب وإنما قدم ليهدم البيت^(٢) . وعندما عجز أبرهة على هدم
الكعبة برك الصل بالمفسد ، فلم يجر ، ونحس بالرماح ، فلم ينهض ، ثم بعث الله
على الجيش طيراً ، مع كل طير ثلاثة أحجار ، فألقتها عليهم ، فلم ينج منهم
شفر^(٣) . وذكر المؤرخون أن هذه الطير التي وصفت في القرآن الكريم بالآبيل ،
أشياء اليها سيب ، وأنها كانت ترميهم بحجارة من سجيل ، وهو طين خلط بحجارة
مخرجت من البحر^(٤) . وقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز قصة أبرهة وأصحابه

(١) المسعودي ، ج ٢ ص ١٢٨

(٢) ابن عسك : ج ١ ص ٢٧ - الطبري ، ج ٢ ص ١٢٨ .

وفكر المحققين أن جماعة من قريش اجتمعوا إلى عبد المطلب وقد أتاه في الحرم ، ليقفروا

أن يهكم ذلك . الطبري ، ج ١ ص ٢١٠

(٣) الطبري ، تفسير القرآن . ص ٦٧ .

(٤) المسعودي ، ج ٢ ص ١٢٩

ويستند الدكتور صالح الملي ان الرواية القائلة بان أبرهة أراد أن يحول العرب
ويعبرهم إلى القليس رواية حريشة ، فيقول : « فإن أبرهة إذا كان قد بنى كنيـ
سـة نصرانية في اليمـس ليأتيها النصراني ، لا يستطيع إجبار اشركين على زيارة
الكنيسة النصرانية ، وإذا كان قد فعل ذلك فإن نطاق أمره ينحصر في اليمن ،
وهي البلاد التي يحكمها ، ولا يند إلى غيرها من المناطق ، فكيف إذا لا لفتاوى من
إنشاء كنيسة نصرانية ، لأن مركزها الديني لا علاقة للنصارى به ، كما أنه ليس
لأبرهة سلطة عليها ، فضلا عن أن هناك عدة بيوت مقدسة لم يرد في التاريخ خبر
استيلاء أهل مكة منها ، فلماذا تستاء من القليس ؟ »^{١٦١}.

ويذكر الدكتور حواد على أن بروكوبيوس ذكر أن الروم ، وهم حلفاء
الأحباش ، حرضوا أبرهة على مهاجمة الفرس ، فلم يهاجم إلا بعد لأي ، ثم أوقف
هجومه وراجع . ثم يقول : « ولم يشر هذا المؤرخ إلى المواضع التي هاجمها
والأماكن التي كان الفرس فيها ، فهل أراد بذلك مير أبرهة لفتح مكة وبقيـ
ة مدن الحجاز ليهاجم من هناك العراق وحدود امبراطورية الفرس ، وليهد بذلك
الطريق إلى الاتصال بالروم ، أو أنه عني مهاجمة الفرس من مواضع أخرى تقع
في العربية الجنوبية أو سواحل الخليج ؟ »^{١٦٢}. ويستند الدكتور صالح الملي ،
استناداً على ما رواه بروكوبيوس أن ملك الحبشة أمر أبرهة نائبه في اليمن بالقيام
بمهمة ضد الساسانيين ومساعدة الروم حلفاء الأحباش ، ففعل أبرهة ما أمره به
الملك ، وسلك الطريق البرية للقوافل ، وهي الطريق التي تصل إلى الشام صارة
بمكة (١٦٣) .

(١١) صالح أحمد الملي ، محاضرات في تاريخ العرب ، ج ١ ص ٢٦٠

(١٢) حواد علي ، ج ٢ ص ١٩٧

(١٣) صالح الملي ، المرجع السابق

وهناك من يعتقد بأن الهدف من حملة أبرهة كان هدفاً سياسياً، لأن البيزنطيين كانوا يسمون إلى توحيد القبائل العربية في شبه الجزيرة تحت نفوذهم ضد الفرس . ويستند هؤلاء على ما أورده بروكوبيوس إذ يقول : « أما ما يعتصم به جميع فقد كان من المرغوب فيه أن يقبوا قيساً زعيمة على معد ، ويسيروا جيشاً منهم ومن المديين لغزو فارس » ، ولم يكن أبرهة يرمي في استغلال مثل هذه الفرصة لنفوذه على بلاد العرب ^(١١) .

وأياً ما كان النافع من وراء حملة أبرهة ، قال ثابت أنه مني جزية نكرهه ، وأن مشروعه الذي كان يرمي من ورائه إلى هدم الكعبة أو مهاجمة للفرس أخفق إتماماً قريباً ، وعاد أبرهة إلى اليمن منهزماً ، وهناك يعد هودقه من الحرم ، فضله على اليمن ابنه يكسوم ، وكان ظالماً غاشماً ، عمّ أذى سائر اليمن ، واتبع سياسة تقوم على إذلال أهل اليمن واضطهاد العناصر الوطنية فيها حتى يضمن بذلك انصياد اليمن تحت لوائه .

ج - سياسة مسروق بن أبرهة الاستبدادية وفتائجها ،

ظل يكسوم بن أبرهة يحكم اليمن بعد وفاة أبيه نحواً من عشرين سنة (١٢١) ، أقل خلافاً أهل اليمن ، فكان « شراً من أبيه وأخس سيرة » . فلما توفي خلفه أخوه مسروق الذي كان يتولى إمارة غلاف شاف في عهد أبيه ، ولعل ذلك كان سبباً في أن يسميه ثيوفانيس سنطروق Sonaturces ، وهي لفظة بحرفة

Richard Bell, The origin of Islam in its christian environ- (١١)
ment, London, 1926 p.40.

(١٢) المسعودي ج ٢ ص ٨٠ . وقيل ١٦ سنة والمسعودي : الاخبار الطوال ، ص ١٦٢ .

وقيل سبعة عشرة سنة ، حكمة الاصمغلي ، ص ٨١) .

من سنو ١١١١.

ولم يكن مسروق أرحم من أخيه يكسوم بل كان أكثر تصفاً منه في مماناة
الحميريين ، فكان دُشراً من أخيه وأخت ميرة ^(١٢) . وقد كانت هذه المماناة
البيئة مبنياً في نفور أهل اليمن من حكم الأحاش ، ورغبتهم في التخلص من
استبدادهم . فلما طال البلاء على أهل اليمن من الأحباش ظهر زعيم وطني من
حيدر يقال له سيف بن ذي يزن ويكنى أبا مره ^(١٣) . وعقد سيف بن ذي يزن هزمه
على تخليص قومه من بطش مسروق وتحرير بلاده من احتلال الأحباش . ولكنه
رأى استحالة قهرهم بالسيف ، إذ كان الأحاش قد جردوا الوطنيين من قواهم
وضربوا بين القبائل اليمنية ، ولم يجد أمامه بداً من اصطناع اللباسة في اخراج
الأحاش من اليمن فركب سفينة في البحر إلى القسطنطينية ، وقيل إلى أسطاكية ،
وقدم على الامبراطور البيزنطي (جستين الثاني) ملتمساً منه الموت على تحقيق
أمنيته ، ويسد أنه عناء بالعودة التي تكفل لبيزنطة السيطرة على اليمن إقتصادياً
وسياسياً ، فأطمعه في موالاته الوطنيين في اليمن البيزنطيين ^(١٤) . وطال مقام ابن ذي
يزن ببلاط الامبراطور البيزنطي حتى قيل أنه أقام بهامه سبع سنين ، ولكن
طالبه فوبل بالرفض ، وأبى الامبراطور أن يتجده ، وهو أمر طبعي ، لما كان
يربطه بمخالفاته الأحباش من علاقات دبلوماسية واقتصادية ، ثم إن مناصرة
قيصر للعناصر الوطنية في اليمن لن تزيد شيئاً على ما كان يلقاه من امتيازات في
اليمن ، فرد سيف قائلاً : « أنتم يهود والمحنة نصاري » ، وليس في الديانة أن

١١١ جواب علي ، ج ٣ ص ٢٠٧

(١٢) لأشهر الخوال - ج ١ ص ١٢ . ويقول المسعودي أنه زاد على لبيه ولفظه هي
اللاي (ج ٢ ص ٨٠) .

(١٣) وصح بن طينة ، كتاب النجاش من ٢٠٣ . وقد ذكر وصف ابن حركة سيف بن ذي
يزن لثوره في عهد يكسوم بن أبرهة ، ببساً ذكرها آخرون في عهد مسروق (راجع الديهوري ،
ص ١٢٣ - المسعودي ، سراج الذهب ، ج ٢ ص ٨٠) .

(١٤) كتاب النجاش ، ص ٢٠٤ - الطبري ، ج ١ قسم ١ ص ١٢٦

نصر الخالف على الموافق^(١١) ولما يش ابن دى زن من استجابة البيزنطيين لمطالب أهل اليمن^(١٢) لم يعد بدأ من التحول بطلبه إلى زعم الكثرة الشرقية ويمثله كسرى أنوشيروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) ، على أمل أن يقوم هذا ببعثته تحقيقاً لحلم فارس في السيطرة على طريق التجارة عبر البحر الأحمر . ولكي يضمن استجابة كسرى له رأى أن يمرض الأمر على النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذي يرتبط برابطة الولاء والنية مع كسرى فارس ، حتى يقدمه بنفسه أمام كسرى . فمضى إلى الحيرة ، وشكا إلى النعمان ما يلقاه العرب في اليمن من استبداد الأحباش . فاستضافه ووعده بأن يقدمه إلى كسرى^(١٣) ، ثم خرج معه فأدخله عليه . فلما دخل سيب إيوان كسرى وشاهد ما بين يديه من مظاهر الآفة والعظمة ، لم يبهروه شيء مما رآه ، بل تقدم في جراءة إلى كسرى وطلب منه أن يساعد قومه على طرد الأحباش وتحرير اليمن^(١٤) ، فاستهان كسرى لأمره وقال له : « بعدت أرضك من أرضنا ، وهي أرض قليلة الخير وإنما بها الشاء والبحير وذلك مما لا حاجة لنا به » ، ثم صرفه بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم وخلع عليه خفصب ابن ذى زن من ذلك ونثر دراهم كسرى بعد خروجه من حضرته على الناس . ولما علم كسرى بذلك أمر به فأحضر أمامه ، فقال له : « عدت إلى حباء الملك تتأوه للناس . فقال : ما أصنع به ، ما جبال أرضي كلها إلا ذهب وفضة^(١٥) ، وعندك طمع كسرى في بلاد اليمن لوغرة معادننا وكثرة ثرواتها » وعقد مجلساً

(١١) المسعودي ١ مزوج الذهب - ج ٢ ص ٨٠ .

(١٢) التهذوبي ١ ص ٦٣ - الطبري ١ ج ٢ قسم ١ ص ٩٦٦ .

(١٣) ذكر وصف ابن يمينه أنه قال لكسرى : « بما أنك لبست الإغربة علينا في بلادنا فقال كسرى أي الإغربة ؟ السيد أم الحشنة ؟ فقال له : الحشنة . وملك لكسرى ويحكم تلك الأرض لك . قال له كسرى : « عدت أرمت مع قلة خبرها . ما كنت لأورط فارس في مسألة الحشنة ، لا حاجة لي بملكك » . كتاب الفصول ١ ص ١٢٠ .

(١٤) كتاب التيجار - ص ٤ - ص ٣ - ص ٢ - ص ١ - الطبري ١ ج ٢ ص ٦٥ - الطبري ١

١ - قسم ١ ص ٩١٧ .

من وزرائه ، وقال : « ما روي في أمر هذا الرجل وما حاله » فقال رجل منهم : « أيها الملك إن في معركك رجالاً حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان الذي أردت بهم ، وإن أظفروا كان ملكاً راده الملك إلى ملكه »^(١١) .
 فبعث كسرى بن كان في سحوبه معه ، وكانوا ثمانمائة رجل ، استعمل عليهم رجلاً يدعى وهرز بن الكامجد كان متقدماً في السن فاجترية وخبرة ، وأبحروا في ثمان سعن ، غرقت منها اثنتان ونجت ست ، أرسلت إلى ساحل عدن .

ويختلف المسموعي في ذلك مع الطبري ، فيذكر أن كسرى وعد سيف بن ذي يزن بالضرورة ، ثم شغل محسب الروم ، ومات سيف بن ذي يزن في هذه الأثناء ، فدخل ابنه بعد يكرب على كسرى أنوشروان وطالبه بالوفاء بوعده لأبيه ، فوجه معه كسرى قائداً بعض وهرز^(١٢) ، فأبحر وهرز في أهل السجون في السفن في حجة ومعهم خيولهم وعددهم ، حتى أتوا أمة الصرة ، فركبوا في من البحر حتى أرسوا إلى ساحل حضرموت بموضع يقال له منوب^(١٣) .

ويتضح مما سبق أن سيف بن ذي يزن تولى عبء إخراج الأحباش من اليمن ، وأنه اتصل بذي ذي يزن بالبيزنطيين وأطمعهم في البلاد ، فلما أخفق معهم أعاد محاولته مع الفرس . ولا شك أن محاولة ابن ذي يزن الاستئصال بأعظم قوتين في العالم في هذا الوقت واستجابة الفرس له ، تعبر عن قيام منافسة بين الروم والفرس للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة إلى الهند^(١٤) . وقصة لجوء سيف بن ذي يزن إلى كسرى وحشده إياه على فتح اليمن وتحريرها من الأحباش ،

[١] كتاب التيجان ، ص ٣٠٤ ، ٢٠٥ - الطبري ، ج ٢ ، ص ١ ص ٢٤٨ .
 [٢] وهكذا أن وهرز هو اسم بركة بن بزان كبير الفرس . واسم وهرز الاصلي وقد لا نذكره . صبره الاصلي هو جردان بن يرمي الخليفة من ملوك الأرمينية ، ص ٩١ .
 [٣] المسموعي ، ج ١ ص ٨١ - الطبري ، ج ٢ ، ص ١ طبعة بيدر من ٩٥١ .
 [٤] بعد مقتل هذه السيدة بطنها في العصر الإسلامي عبد الرحمن الداخل بن هشام بن عظمى في الأندلس . وهذا الفصل أولاً بهرب القيسية ، لعلهم هذا الحرب ، فاستعمل الصراع بين القيسية واليهودية لمصلحة ، وأعاد الكرة مع اليمنية بمصر .

قصة لا تبدو لنا غير معقولة ، فقد كان من الطبيعي أن تلتأ في اليمن حركات قومية مناهضة للأحباش ، وقد رأينا في نص حصن غراب ما يشير إلى قيام ثورة على أبرهة بعد فتح الأحباش لليمن مباشرة . كذلك لا شك في الدور الذي قام به سيف بن ذي يزن لتحرير بلاده من الأحباش ، ولكننا نسجل ما دار بينه وبين كسرى من ذلك الحديث الساخر ، فقد كان كسرى يعرف قام المعرفة عظم ثروات اليمن ، وكان يتلفذ للسيطرة عليها ما دام في ذلك ومبة يتوسل بها للقضاء على نفوذ الروم السياسي والاقتصادي في اليمن . كذلك نسجل ما زعموه من أن الجيش الذي سببه لتحرير اليمن كان جيشاً من السجناء ، فليس طبيعياً أن يستعين كسرى بمثل هذا الفتح ، إذ كان يحرص كل الحرص على نجاح الحملة .

ويذكر المسعودي أن وهرز أمر حينه بحرق السفن ليعطوا أنه الموت ، ولا وجه يؤمنون المثل إليه فيجهدون أنقتسم^(١١) . وقد ردد المؤرخون العرب مثل هذه الخطبة عند زول أرياط والأحباش في أرض اليمن ، كما رددوه عند زول طاروق بساحل الأندلس^(١٢) .

نجحت حملة وهرز نجاحاً مجسداً كل تقدير في الحسان ، وانتهز مسروق ابن أبرهة وقتل في المعركة ، ودخل وهرز صنعاء ، وضبط اليمن ، وكتب إلى كسرى بالفتح ، فكتب إليه كسرى بأمره بقتل كل أسود باليمن ، ويتسلط سيف عليها^(١٣) ، وأن يعود بعد ذلك إلى فارس . ويبدو أن كسرى قنع بقامة حكم وطني في اليمن يرتبط بالنبعية له ، فقد كان أنو شروان قد اشترك على

(١١) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ٨١ - الطبري ، ج ٢ ، ص ١ ، ص ٩٥٤

(١٢) السيد عبد العزيز سلم ، تاريخ المسلمين ، والرحم في الاندلس ، بيروت ١٩٦٤

ص ٧٩

(١٣) الطهتوري ، ص ٩٤

أن ذي يزن نظير مئاصره له عدة شروط، منها أن يتزوج الفرس من نساء اليمن ولا يتزوج المسيوط من نساء الفرس، ومنها أن يحصل سيف بن ذي يزن الخروج إليه^{١١١}.

ويبدو أيضاً أن أبو شروان أبى وهرز في اليمن في صحبة سيف بن ذي يزن^{١١٢} وأنه لم يستدعه إليه كما يذكر بعض الأخطريين^{١١٣}، وقد يكون قد استدعاه إليه بعد أن ترك في اليمن جماعة من أصحابه^{١١٤}، وسندل من ذلك أنه قامت في اليمن حكومة مشتركة من أهل اليمن والفرس، تولى رئاستها سيف بن ذي يزن الذي تولى الملك من قبل أبو شروان، قال المسعودي يشير إلى أن وهرز توج معه يكر ببتاج كان معه وبعدة من القضاة إليه أياها^{١١٥}.

وهكذا لم يعمل سيف بن ذي يزن سوى أن أبدل الأحاس بالفرس، وظلت اليمن أرضاً محتلة.

١١١ المسعودي ٤ ج ٢ ص ٨٢.

١١٢ حيدرة الأصبهاني ٤ ص ٩٠.

١١٣ الجبوري ٤ ص ٦١ - الطبري ٤ ج ٢ ص ١٥ - المسعودي ٤ ج ٢ ص ٨١.

١١٤ المسعودي ١ ج ٢ ص ٨٢.

١١٥ نفس المصدر.

اليمن في ظل القرس

لم يلبس سيف بن ذي يزن هاتفاً على الأحباش ، وإنما استلبى بقاياهم ، بالغ في اضطهادهم واستدلالهم ، وذكروا أنه اتخذ منهم عبيداً حراية يمشون بين يديه بالحرايا إذا ركب ، واتفق أن اختلوا بس يوماً في منصب له ، فزرقوه بحرايهم ، فقتلوه وهربوا في رؤوس الجبال ^(١) . وكان سيف بن ذي يزن أو ابنه سعد يكره ، آخر ملوك حمير في اليمن ، وانقضى ملك حمير فصارت اليمن بأيدي عمال ملوك القرس ^(٢) . وعقب مصرعه رد كسرى وهرز إلى أرض اليمن وسعه أربعة آلاف من القرس ، استأصل بهم من بقي في اليمن من الأحباش ^(٣) .

ويبدو أن القرس طمعوا في ملك اليمن لأهميته الاقتصادية ، ولعل سيف بن ذي يزن أحس تدخلهم في شؤون البلاد ، فعمدوا إلى التخلص منهم ، وعلل القرس إلى ما يفتويه ، وليس ببعيد أنهم هم الذين تأمروا على قتله حتى يخلو لهم الجو من بعده وتصبح اليمن أرضاً تابعة للإمبراطورية الساسانية .

١ : حمير الأسطخمي ، ص ٩ .

٢ : نفس المصدر ، ص ٩ - المسعودي ، ج ٢ ص ٨٥ .

٣ : الطبري ، ج ١ ص ٦٥٦ - ٦٥٨ - المسعودي ، ج ٢ ص ٨٧ .

وتتابع على اليمن ولاية من قبل الأكاسرة بفارس اختلف حمزة الأصماني
والمعودي والطبري في ذكر أسماهم^{١١}

وقائمة حمزة الأصماني التي تنتهي باسم داهويه أولى بالتصديق ، فيما يظهر ، من
قائمة الطبري والمعودي .

وكسب الفرس كثيراً من صم اليمن إلى حوزتهم ، فقد أصبحوا يسيطرون
سيطرة فعلية على الطريق البحري التجاري إلى الهند ، عبر البحر الأحمر ، كما
سيطروا كذلك على الطريق البري أو طريق الحجاز^{١٢} . ولم يلبث الفرس أن
توجوا جهودهم بفتح الشام ومصر في سنة ٦١٤ م ، وأدرك هرقل أن الفرس
أصبحوا أصحاب السلطان الفعلي على سواحل البحر المتوسط والبحر الأحمر ،
وأهم خنقوا دولة أكسوم الحبشية حليفة الروم ، ولكن هذا الوضع لم يلبث أن
تغير سريعاً ، إذ تمكن هرقل من استرداد سلطانه على الشام ومصر ، بفضل حملة
بحرية واحدة^{١٣} ، أما اليمن فقد دخلت في فلك دولة الرسول في المدينة .

١١ - حمزة الأصماني ، ص ٩١ - ٩٢ - المعودي ، ج ٢ ص ٨٧ - ٨٨ -

الطبري ، ج ٢ ص ١٢٨

١٢ - جواد علي ، ج ٢ ص ٢١٩

١٣ - أبراهيم أحمد الطبري ، قوات البحرية العربية في مياه البحر المتوسط ، القاهرة

١٩٦٢ ص ١١

البَابُ الثَّالِثُ

الدويلات العربية على تخوم الشام والعراق

الفصل الثالث : الأنباط والتدمريون

الفصل الرابع : الفساسنة والمناذرة

الفصل الثالث

الأنباط والتدمريون

(١) الأنباط :

- ١ - الأنباط وأشهر ملوكهم
- ب - حضارة الأنباط وآثارهم .

(٢) التدمريون :

- ١ - تقييد اسم تدمر
- ب - تاريخ تدمر
- ج - حضارة التدمريين وآثارهم

الأنباط

١ - الأنباط واشهر ملوكهم *

كان للنشاط التجاري في بلاد اليمن والحجاز أثر كبير في قيام دويلات عربية على تخوم الشام والعراق في العصر السابق على ظهور الإسلام، فقد كانت بادية الشام وجنوبي فلسطين مركزاً لمجرات متتابعة من جنوب الجزيرة العربية منذ أوائل التاريخ المسيحي مثل قبيلة قنوخ وقبيلة بني سليم وآل جفنة ، وكانت قرية يريكة بالقرب من طبريا في العصر الروماني اسم يريكة البشيين^(١) . إلا أن استقرار قبائل عربية في بادية الشام يرجع في حقيقة الأمر إلى عصور سابقة للعصر الروماني ، ومن أقدم الشعوب العربية التي استقرت في جنوب فلسطين شعب الأنباط

وعملقة الأنباط قامت في شمال الحجاز، وقسمت إلى شعب من شعوب العرب يعرف عند اليونان باسم Nabataei أو النبط ، سكنوا في بادية الشام وجنوبي سورية في القرن السادس قبل الميلاد تقريباً. ولم يبق في المصادر العربية على أثار

[١] ربيعة بن مسعود ، العرب في سوريا قبل الإسلام ٢ ص ١٠

عن الأنباط كما لم نعرف على أخبارهم في الوثائق الخاصة بمحملات الآشوريين على الشام ومصر ، وإننا وقفنا على أخبارهم من كتابات الإغريق^{١١} ، ومن النتائج والكتوف التي أسفرت عنها الأبحاث الأثرية في العراق وسوريا .

ولقد اتخذ الأنباط اللغة الآرامية لغة للكتابة النبطية ، والخط النبطي على هذا النحو سهل آرامي ، ولكنه متطور من الخط الآرامي القديم ، وقد عرف لذلك بالخط النبطي ، تمييزاً له عن بقية الخطوط الآرامية^{١٢} . ومن أقدم الرقيم النبطية رقيم النارة في شرقي سوريا يرجع إلى سنة ٢٣٨ م . ولقد أُرِخَ منه قعر امرئ القيس بن عمرو من ملوك الحيرة . وعثر على كتابات نبطية مؤرخة أيضاً في جرش^{١٣} ومادبا^{١٤} . والخط النبطي قريب من الخط الكوفي القديم ، الأمر الذي دعا كثير من العلماء إلى القول بأن هذا الخط مشتق من الخط النبطي .

وتتميز بلاد الأنباط بأنها بلاد جبلية قعراء ، قليلة المياه ، تكثرت فيها المرتفعات الصخرية الوعرة والشعب ، وقد انعكست هذه الطبيعة الوعرة على النبط ، فطستهم بطابعها ، ولذلك عرف الأنباط بشدة المراس والصف ، كما عرفوا بميلهم إلى الفرار . وساعدتهم هذه البيئة الصخرية على مقاومة أعدائهم ، فحصب على هؤلاء قهرهم وإخضاعهم لهم ، ولهذا السبب لم يتمكن الآشوريون أو الفرس أو الإغريق

١١ : علي الأحمد - كتبة المؤرخ اليهودي يوسفوس فلافيوس - ٢٧ - ١١١ م .
وهو: دور النبطي واستراتيجي .

١٢ : حواء علي - ج ٢ ص ٦

١٣ : جرش مخفية التربة في الأردن ، تقع في واد كبير المياه ، وهي مدينة رومانية مبني حيث القنصل ومن حيث نظام المصارف ، ويرجع الفضل في الكشف عن آثارها إلى الرحالة الألماني سيكس في سنة ١٨٠٩ .

١٤ : مادبا مدينة مبنيه روم تقرأ في سور ، في سفر يشوع ، ص ١٢ - ٩ .
ولصار الأمان الأول ٨/١٦ ، وقد أصبح لهذا المدينة شأن كبير في العصر الروماني ثم في العصر البيزنطي .

من فهر هذا الشعب . ولقد سمى الإغريق بلادهم للسبب نفسه باسم بلاد العرب الصخرية ، كما سميت عاصمتهم البتراء Petrae ، أي الصخرة ، وهي تقارب في معناها كلمة سالح المعرانية المذكورة في التوراة ^(١١) ، وتعني الشق في الصخر ، والاسمية العربية مترجمة من اليونانية . ونلاحظ أن التسمية المعرانية أكثر دقة ، لأن مدخل البتراء يتسم بوجود أخدود عميق بين جبلين يعرف اليوم باسم السيقي ، ولعله لفظ نسطي متوارث ، حرفه الناس عن كلمة الشق في السبئية القديمة ^(١٢) .

وتعرف البتراء في المصادر العربية باسم الرقيم ^(١٣) ، وهي قديمة عربية أطلقت على آثار هذه المدينة بعد ظهور الإسلام ، ولعلها كلمة معربة لاسم قان لهذه المدينة كان الإغريق يعرفونها به وهو Arkoe ، فعرفها العرب ، وقالوا : الرقيم ، ولما كانت هذه الكلمة تدني النقش القديم فقد زعم الأخباريون أنها المدينة التي أقام فيها أهل الكهف ^(١٤) . واشتهرت أطلالها في العصر الأموي بوجه خاص ، وكان يبرها الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك ^(١٥) . أمسا اليوم فالبتراء تعرف بوادي موسى أو باسم البتراء وهو الاسم اليوناني المعرب ، وتقع موقعا استراتيجيا هاما على سطح هضبة فائقة يصل ارتفاعها إلى ما يقرب من ٣٠٠٠ قدم ، وتحيط بها الجبال من سائر الجهات بحيث يتعذر الدخول إليها إلا من المجر الضيق المعروف بالسيقي .

وقد أشار المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم إلى موضع البتراء ^(١٦) ، كما وصف

١ | التوراة : سفر التسمية : اصحاح ١٦ / ١ ، ١١ / ١٢

٢ | الأندلس : هارمسيج ، شار الأندلس ، معروف سليمان موسى ، ص ١١٧ ، ١١٦٦

٣ | بلقوت : الصبوي ، حليم اليندار ، مجلد ٢ ص ٦٠

٤ | نفس المصدر

٥ | بلقوت : نفس المصدر : مجلد ٣ ص ٦٠

٦ | المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم : لندن ١٩٠٦ ص ١٧٥

الاصطخري بعض أمتها المتحوقة في الصخور^(١١) . ولعله يقصد بهذه الأبنية الصخرية ، البناء المعروف باسم الخزنة ، وهو بناء منقور في الصخر شأنه شأن بقية منشآت البتراء . ويتميز الطابق العلوي منه بوجود إفريز مثلث الشكل يتوسطه جوصق مستدير ، ويعمل الإفريز جرة كبيرة أحدثت فيها كسور كثيرة نتيجة تعرضها لرصاص البنادق ، إذ كان كثير من الناس يعتقدون أن بداخلها كنزاً من الذهب ، ولهذا عرف البناء كله بالخرزة ، والواقع أن الحرة المذكورة هي قطعة منحوتة من الصخر الأصم^(١٢) . أما الطابق الأدنى فتوج بإفريز ذي أشرطة بارزة تؤلف مثلثاً على نحو نظام واجهات المآبذ الإغريقية ، وتقوم الواجهة على أعمدة ضخمة ، وفردان بنقوش وكتابات نبطية ، وكانت الخزنة فيما يظهر مصداً لكثيرة ما كانت تدان به من تماثيل .

وقد استغل الأساط الانقسام بين فواد الاسكندر ، ومدوا مملكتهم من غرة إلى أيلة في مناطق صحرية ، وازدهرت البتراء في نهاية القرن الرابع ق . م . وظلت زهاء أربعماية سنة تشغل مكاناً هاماً على طريق القوافل الذي يمتد ما بين اليمن والشام ومصر^(١٣) .

وأقدم ما وصلنا في كتب التاريخ من بلاد الأساط ما ذكره ديودور الصقلي (التوفى سنة ٥٧ ق . م .) ، إذ يشير إلى غارة أنتيجوناس Antigonas ، حاكم سوريا البرتاني ، على مدينة البتراء في سنة ١٣١ ق . م بسبب موالاته ، لأناسط لبطليموس ، فذكر أنه أعد حملة تتألف من أربعة آلاف من المشاة وستائة فارس يقودهم صديقه أنتيوس ، لكي يرغمهم على التحالف معه ، وقد أوصى أنتيجوناس قائده الحملة بأن يحرص على مفاجأة النبط ، وأن يسلب منهم كل ما كانوا يملكونه من

١ (الاصطخري) كتاب مسلك المسالك ، طبعة ليس ، ١٩١٧ من ٦٤

١٢ (خرمص) من ١٢٦

١٣ (تهاب) من ٨٢

ماشية . ونفذ القائد تلاميذ أنتيجوناس ، وفاحاً التراء بهجومه في منتصف الليل في غياب معظم شامبا ، وتمكن من الاستيلاء على الصخرة (البتراء) ، وقتل من قاومه من الأباط ، وأسر منهم عدداً كبيراً ، ثم تراجع هو ورجاله يحملون ما غنموه من اللسان والمر والبخور والتوابل ، ومن الفضة ما يصل وزنه نحو ٥٠٠ درنة . فلما قطع مسافة مائتي استاديون وأدرك رجاله التعب ، اضطروا إلى التوقف ، وبمضب معسكر لإراحة عسكره ، وكانت شباب الأباط قد عادوا إلى التراء وشاهدوا ما أصاب أهلها على أندي الإغريق ، فبادروا بالحقاق بهم ، ولم يكن الإغريق يتوقعون أن يموه العرب بهذه السرعة ، فأهملوا الحراسة ، وأغفلوا الرقابة ، وبينما كانوا يسمعون باليوم هاجمهم الأباط ، وأذرعوا فيهم بالسيف وقتلوا ، فلم ينج من جيش أنتيجوناس إلا حمون فارساً استطاعوا النجاة بأنفسهم ، واستولى الأباط على معسكر الإغريق وهوه . ثم عادوا إلى الصخرة وكتبوا إلى أنتيجوناس يبررون له ما حدث رغبة في إزالة ما بنفسه ، ويصفذرون له عما بدر منهم . وتظاهر أنتيجوناس بالافتناع والرضا ، وأعان صداقته لهم ، بينما كان في الباطن يعد عدته لمعاداة الكرة ولانتقام من الأباط .

ولم يمض وقت طويل حتى أعد حملة ثانية قوامها أربعة آلاف من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان بقيادة ابنه ديمتريوس . ولم يكن السط هذه المرة يحملون حراسة صحرهم ، فقد بشوا الصبور والحراس في المناطق المشرفة للإندار باقترب العدو ، فلما علموا برحف ديمتريوس نحو صحرهم أسرعوا بحمل أمتعتهم ، وأعموا أو لم وما لم يستطيعوا حملها من متاعهم في مواضع عالية في الحصاة والمنمة ، يصعب وصول الأعداء إليها ، ووضعوا تحت حراسة قوية ، ثم تفرقوا في الصحراء ، فلما وصل ديمتريوس إلى للصخرة لم ينجح في اقتحامها ، وانتهى به الأمر أخيراً إلى الرحيل عنها بعد أن قبح بما تلقاه من هدايا الأباط^{١١١} .

١١٠ - راجع جورجى ريدلى ، ص ٨٥ - جواد على ، ص ٢٤ - ١٨ - مرسج ، ص ١٠٠

١٢٠ - صالح الطي ، ص ٢٧

ومستدل بما ذكره ديدور الصقلي على أن الأساط بلغوا من القوة ما جعلهم يردون جيش أنتيجوناس على أعقابهم ، كما استدل بما ذكره على أن البقاء لم تكن قد بلغت من العمران بعد ما بلغت في العصور التالية ، فلم تكن مدينة مسورة ، ومن المرجح أن السوريين الذين تم اكتشافها بالبقاء قد أسسها الأسباط بعد أن عقدوا الصلح مع أنتيجوناس .

وأصبحت البقاء في القرن الأول قبل الميلاد أهم مراكز التجارة القادمة من جزيرة العرب ، وساعد موقع البقاء على ازدياد أهميتها كمحطة تجارية في ملتقى الطرق التجارية من العراق شرقاً ، واليمن جنوباً ، وسوريا وفلسطين شمالاً ، ومصر غرباً . وقد أثرى الأسباط ثراء فاحشاً بسبب اشتغالهم بالتجارة ، فلما حمل البطالة على احتكار التجارة البحرية والسيطرة على البحر الأحمر عن طريق إنشاء محطات وموانئ على سواحه^(١) ، وإقامة علاقات مع عرب الجنوب الذين يشتغلون بالتجارة في البحر الأحمر ، أدرك الأسباط مدى الخطر الذي يتهددهم ، كما أمر كوا الأصرار العادحة التي يمكن أن تصيب مصالحهم التجارية بسبب ذلك^(٢) ، فاضطروا إلى التحرش بسفن البطالة ، وقطع الطرق البحرية عليها والاستيلاء على حمولاتها ، الأمر الذي دفع بطليموس الثاني (٢٨٥-٢١٦ ق.م.) إلى إنشاء قوة بحرية لحراسة السفن التجارية البطالية ، وتمكن بذلك من السيطرة على شمال البحر الأحمر وخليج العقبة^(٣) ، ولكن النشاط انتهزوا فرصة اشتغال بطليموس بالحرب مع سدوقي سورية ، فعادوا مهاجمة سفن البطالة .

١١) يرى هيراقليطوس معينه Beronice على خليج العقبة لحماية التجارة من سفن البطالة

٢) بفضل إنشاء المحطات التجارية على البحر الأحمر أصبح البطالمة يسيطرون على البحر الأحمر والطريق التجاري الساحلي القريب منه ، وشسوا في نفس الوقت قسراً جميع ما يلزمهم من مختلف جزيرة العرب من طريق هذه المحطات ، حوادث على ، ج ٢ ص ٢٠١

٣) حوادث على ، ج ٢ ص ١٩٠ - ص ١٩١ من صالح الطي ، ص ٢٨

ب - أشهر ملوك الأنباط ،

وأول ملوك النبط الذين ورد ذكرهم في كتب التاريخ وفي الفصل الخامس من أسفار المكابيين هو الملك Aretas الأول أو احارث (١٦٩ ق.م - ١٤٦ ق.م) ، وكان معاصراً لأنطيوخوس الرابع السلوقي ملك سوريا ، وبطيليموس فيلوماتور ملك مصر . وقد حالف احارث النبطي جيرانه المكابيين بني حشماني ضد السلوقيين ^(١١) ، ففي سنة ١٦٨ ق.م قام يهوذا المكابي بالثورة على السلوقيين ونجح في احتلال بيت المقدس ^(١٢) .

ومن أشهر ملوك الأنباط احارث الثاني الذي تولى مملكة الأنباط فيما بين ١١٠ ق.م و ٩٦ ق.م وكان يعرف بأسم ايروتيموس Erotimus ^(١٣) . وفي عهد طلب يوثان الذي تولى الأمر بعد مصرع أخيه يهوذا المكابي سنة ١٩١ ق.م من النبط أن ينصروه على أعدائه ، وقد سير طسدا الفرع أخاه يوحنا ، ليسأل النساطين أولياءه أن يعيرهم عدتهم الواقعة ^(١٤) ، مما يدل على أن علاقة الأنباط بالمكابيين كانت حسنة للغاية ، وأن الأنباط كانوا على درجة كبيرة من القوة . إلا أن جماعة من العرب الذين يسكنون ميذا ويعرفون ببني عيسى ^(١٥) ، غدروا يوحنا المكابي وقتلوه .

(١) انجيلي ، ص ٤ تاريخ سورية ولسان وفلسطين ، ج ١ ، بيروت ١٩٥٨ ص ١١٩

(٢) شرح يوسيفوس ، ملحة صفار ، بيروت ٤ ص ٧٠

(٣) G.A. Cooke. Ency. of Religion and Ethic. Article Nabataei. (٢) Vol. 9, p. 121. (1930).

(٤) جواد علي ، ج ٢ ص ٩٢

(٥) ويصرون انفسهم ببني عيسى حسبما يفكره يوسيفوس .

ولكن سياسة حسن الحوار والتعالم القائمة بين الأسباط والمكابيين لم تلبث أن تبدلت إلى سياسة عداوة ، فقد تبين للأنباط أنهم بسياستهم السابقة أضروا بمصالحهم الخاصة ، فلم تكن سياسة المكابيين مقتصرة على طلب الاستقلال التام والخلاص من الحكم الأجنبي ، بل كانت تنطوي على الاستيلاء على الأردن ، والتدخل في مناطق النبط نفسها وإنشاء حكومة قوية قد تراحم حكومتهم في يوم من الأيام ، فرأى الأسباط أن من الخير لهم أن يدعوا هذا التأييد ، وأن يقاوموا إن احتاج الأمر إلى مقاومة ^(١١) ، وقد أدت المنافسة بين المكابيين والأسباط إلى اصطدامات مسلحة .

ويجسّد الحارث الثالث النبطي (٨٧ - ٦٢ ق.م) أشهر ملوك الأسباط على الإطلاق ، فاسمه يفتقر بفتوحات كبرى وانتصارات هيأت المجال للأنباط أن يوسعوا نطاق أملاكهم على حساب السلوقيين واليهود في آن واحد ، ولذلك يعتبر الحارث الثالث المؤسس الحقيقي لسلطة الأنباط ^(١٢) . استغل حارث ضعف السلوقيين عند بداية ظهور رومة على أعقاب الشرق ، وعندما بدأ أنطيوخوس ديمتريوس هجومه على بلاد الأنباط ، اصطدم مع الحارث الثالث في سنة ٨٦ ق.م في معركة عنيفة حدثت عند قرية Cane الواقعة على ساحل يافا ، وفيها انهزم السلوقيون هزيمة مكررة وسقط ملكهم صريعاً . واستجاب الحارث بهذا الانتصار الكبير إلى دعوة سكان دمشق ليقم نفسه حاكماً عليها وعلى الأقاليم الملتصقة بها بما فيها من سواد مثل سهل القنقاع ، وذلك في سنة ٨٥ ق.م ^(١٣) ، ونحصر سكان دمشق بذلك من أسوأ مصير فيما لو سقطت في يد الأمير الإثوري الذي كان يطمح في عرش سورية .

(١) أجواد علي ، ج ٣ ص ٢٢

(٢) تليوب حتى ، المرجع السابق ، ج ١ ص ٤٩٩

(٣) سنجح الشبي ، ص ٢٨

وهكذا ضيق الانساط على مملكه يهودا المتداعية من الشرق والجنوب ،
وأصبح من الطبيعي بعد ما ناله الحارث من انتصارات على اليهود والسفوقيين أن
يدس أفقه في شؤون المكابيين في بيت المقدس ، ولم يلبث أن اشتبك معهم في
معركة حدثت عند موضع يعرف باسم Adlida (الحديثة) على مقربة من الد ،
وفيها تمزق جيش اليهود وانزعم هزيمة بكمراء أرغمته على طلب المصالح بما يرتضيه
الأنباط من شروط ^(١٦) .

وشهد الحارث الثالث استيلاء يوسي على دمشق في سنة ٦٤ ق م ، فكانت
فترة تسميتها له فترة قصيرة ، وقد أحب أهل دمشق ولقبوه بلقب عبد الهلانيين
« Philhellene » ^(١٧) . ونستنتج من أسلوب البناء في التره أن الحارث كان
مفرماً بالفرن الهلنستي الشائع في سورية ، وقد تابعه خلفاؤه في هذا السبيل وعثر
على عملات ببطنة نقش عليها اسم الحارث الثالث ، وهي عملات متأخرة ، بظارها
التي ضربت بدمشق في أيام ديمتريوس الثالث .

وقوى مملكه الأنباط بعد الحارث ابنه الملك عبادة الثاني (٦٢ - ٤٧ ق م) ،
وفي أيام عبادة هذا امتد نفوذ الرومان على الشرق ، فاستولوا على آسيا الصغرى
وسورية ومصر ، وانتزع الرومان في الشام ما كان الحارث الثالث قد استولى
عليه من قبل ، ويبدو أن سياسة لانساط بعد الحارث الثالث كانت تهدف إلى
الحفاظ على استقلال مملكتهم وحمايتها من العواصف والأوباء التي أغرعا المزو
الروماني لسورية ، فارتبطوا منذ عهد عبادة الثاني مع الرومان برباطة الحلف
والولاء ، فاشتركوا في عهد مالك الأول Malichius الأول (٤٧ - ٣٠ ق م) بفرقة

(١٦) جواد علي ، ج ٤ ، ص ٢٦٩

(١٧) جواد علي ، ج ٢ ، ص ٢٨ - صفح احد العثر - ص ٢٨ - دليل حفي ، ص ١٦٨
سورية ولبنان وفلسطين ، ج ١ ، ص ١٦٨

من الفرسان في حلة يوليوس قيصر على الاسكندرية في سنة ٤٧ ق.م.^{١١} وفي عهد مالك الاول، تمكن الرومان، ويمثلهم أنطونيوس الذي عهدوا إليه بشؤون الشرق، من إسقاط الأسرة المكابية اليهودية في بيت المقدس، ووضعوا مكانها الأسرة الهيرودية الملكية لهم.

وفي عهد الملك النبطي عبادة الثالث (٣٠ و ٢٠ - ٩ ق م) اشترك الاساط في الحملة التي أرسلها أغسطس قيصر بقيادة اليوس جالوس لغزو بلاد اليمن، وتولى صالح Syllaeus وزير عبادة مهمة إرشاد الجيش الروماني إلى الطرق التي يسلكها في بلاد العرب، ولكن الحملة انتهت بكموارث تعرض لها الجيش الروماني، وأخفق الرومان في الاستيلاء على اليمن. ويعبرو استرايون هذا الفشل إلى خيانة سايولس (صالح) دليل الحملة، الذي سار بالجيش في أكثر مناطق العرب وعمورة وأشدها جفافاً حتى أن عدداً كبيراً من الرومان ماتوا عطشاً^{١٢}.

وفي عهد مالك الثاني من الحارث الرابع (٤٠ - ٧٦ م) اشترك الابياط بفرقة من الجيش عدتها ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة، في سنة ٦٧ في الحملة التي سبىها الامبراطور الروماني طيطس لمهاجمة بيت المقدس^{١٣}. وقد وصلت إليهم عهده عملات فضية وبرنزية نقش عليها صورته وصورة شقيقة روحته وأخته في آن واحد. ومن الملاحظ أن ملوك الاساط بدأوا بقشور صورهم وصور زوجاتهم منذ أيام عبادة الثالث، ومن الملاحظ أيضاً أن روحات الاساط

١١ (١) جوزيف ريدان ١ ص ٨٨ - تيليب جي ١ تاريخ العرب ١ ص ٨٢ - تيليب جي ١ تاريخ سورية وليبنان ونمسطين ١ ص ١٦ - ص ٤٩ - صالح احمد الطي ١ ص ٢٩

١٢ (٢) تيليب جي ١ تاريخ العرب ١ ص ٥٦ - تاريخ سورية ولسان ونمسطين ١ ص ٢٢

(٣) تاريخ العرب ١ ص ١٢٩

١٣ (٤) تيليب جي ١ تاريخ سورية ١ ص ١٢٩

كن شعبياتهم على عادة الفراعنة والبطالمة .

وآخر ملوك الانباط هو الملك مالك الثالث (١٠١-١٠٦) ، وفي عهده قضى الامبراطور الروماني تراجان على مملكة الانباط ، ففي سنة ١٠٦ م أنفذ تراجان حملة بقيادة كوربيليوس بالما نائب تراجان في سورية إلى البتراء ، وعلى بسدي تراجان سقطت مملكة الانباط ، وأدبجت هذه المملكة في الكورة العربية Provincia Arabia التي أسسها الرومان لتحمي سورية من هجمات البدو ، وجعلوا عاصمتها مدينة بصرى التي ورثت البتراء اقتصادياً وسياسياً^(١١) .

ومع ذلك فقد راحلت البتراء ازدهارها فترة من الزمن بعد سقوط دولة الانباط ، وأصبحت في العصر الروماني مركزاً اقتصادياً هاماً ، ولكنها أخذت تفقد مكانتها الاقتصادية تدريجياً وتدخل عنها لتدمر . ثم انتشرت المسيحية في البتراء في القرن الثالث ، وأصبحت البتراء مركزاً أسقفياً ، وظلت مأهولة بالسكان حتى بداية العصر الإسلامي .

ج - حضارة الانباط واقلهم ،

حضارة الانباط حضارة مركبة على حد قول الدكتور فيليب حق^(١٢) ، فهي عربية في لغتها ، آرامية في كتابتها ، سامية في ديانتها ، ويونانية رومانية في فنها وهندستها المعمارية ، ولكنها مع كل ذلك عربية في جوهرها ، فالانباط عدد مؤرخي اليونان و لرومان عرب ، ويؤكد هذه الحقيقة أن أغلب الأسماء التي

(١١) كانت بصرى فيها سوقاً تجارية سطية ، عندما اتخذت هذه المدينة مقصداً للكورة العربية أصبحت مركزاً لتدفع من الطرق القادمة الرومان في حوران ، حين بصرى كان يمشى الطريق الصحراوي الذي يمر من بين ويصل إلى خلوج القبية ، ومنها أيضا كان يبدأ طريق من بصرى إلى الزمعة ، وطريق ثالث إلى شمشق ، ورامع إلى سلعك عظمى الأزرق (رتبة ديسو ، ص ٩١)

(٩) فيلهب حق : تاريخ سورية - ج ١ ص ٢٢٦

كانت شائعة عندهم تشبه الأسماء التي كان يستعملها عرب الجنوب وعرب الشمال في شبه الجزيرة ، من هذه الأسماء حارثة ومالك وجذبة وكليب ووائل وصبرة وقصى وعدي وعائذ وعمرو وعميرة ويعمر وممن ورهب الله^(١) وعلى وحبيب وسعد^(٢) وجبية وهاجر وشيلة وهاليه وجدلة وعبد الملك وسعد الله وحيد وحوشية^(٣) .

وما لا شك فيه أن لغة الانباط لغة عربية شمالية ، فكثير من الكلمات الواردة في النقوش النبطية المكتشفة عربية خالصة مثل فير ، بل إننا نلاحظ في بعض النقوش أن عبارات بأكملها تكاد تكون عربية^(٤) .

ومن حيث الديانة شارك الانباط العرب في عبادة بعض الأصنام المعروفة في الجوارق في مصر الجاهلي مثل « ذي الثري » ، المعروف عندهم « بنو شري » وهو الإله الرئيسي عندهم ، ويعني أنه صاحب أرض بهذا الاسم لعلها الثروة ، وهي منطقة جبلية حول البقراء . ويمثل هذا الإله في صورة كتلة من الصخر أو عمود صخري ، وذو شري هو إله الشمس . ومن آلهتهم ثلاث « آلت » إلهة القمر وهي أم الآلهة ، وقد تحولت إلى أثينا ، ومنها أيضاً صناة « منون » ، وهبل وهباو ، و « شبع القم » أي حامي القوم وهو إله اللقوافل ، ومنها العربي ، ومعظمها آلهة ورد ذكرها في القرآن الكريم . وبعض هذه الآلهة «نقلت عبادته إلى مكة على يدي عمرو بن لحي الحزاعي بعد عودته من البلقاء^(٥) .

(١) صلح احمد لعلبي ، ص ١٢

(٢) ليلوب صبي « تاريخ سورية » ج ١ ص ٤٦٦

(٣) جولد علي ، ج ٣ ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٧

G. A. Cooke, « text book of North semitic inscriptions »
Oxford 1903 p. 214

« هشام بن سعد من السلف الكلبى » كتاب الاسماء ، ص ٨ - سورة ابن هشام ،

وحضارة الانباط تقوم أساساً على التجارة ، إذ أن البغراء كانت المركز التجاري والاقتصادي الرئيسي لطرق التجارة ما بين عرة وبصرى ، وما بين دمشق وأيلة ، وقد امتد النشاط التجاري الأنباط إلى مناطق ثانية ، فقد عثر على آثار تجارتهم في سلوقية والاسكندرية ورودرس ومليتوس وميلوس ومواسى و سورية ، بل إن بعض الآثار الكتابية عثر عليها مسخرة عند مصب الفرات . وكانت أهم السلع التي يقومون بالتجارة فيها العطور والطيبو البينة والمنسوجات الحريرية من دمشق والصين ، والحناء المسفلاقي ، والآلي من الخليج العربي ، هذا بالإضافة إلى بعض المنتجات المحلية كزيت السمسم والذهب والفضة^(١١) . ومن ناحية الصناعات كانت صناعة الأواني الفخارية أهم ما كانوا يشتغلون به من صناعات ، وكان مغارهم من الرقة ودقة الصناعة بحيث كان لا يقل في الجودة عن الحرف الصبني ، وكانت الجفان الفخارية تودن بتقوش دقيقة تدهن باللون الأسود^(١٢) . وتعتبر القطع الحرفية التي أسفر عنها الكشف الأثري سواء كانت هذه القطع خاصة بالكورس أو المصنوعون عن نفوق في هذه الصناعة ، فهي من الرقة بحيث تشبه قشر البيض^(١٣) .

وقد نقت من حائر الأنباط آثار كثيرة أهمها البناء المنقوش في الصخر ، المعروف باسم الحُرنة ، وقد أشرنا إليه من قبل ، ومنها آثار المسرح الذي يقضي إلى سهل فسيح تتناثر فيه الكهوف الطبيعية أو المنقوشة في الصخر ، وبعض هذه الكهوف واجهات منقوشة^(١٤) . ومن أهم آثار الانباط أيضاً ساء يعرف بالدير ، وهو بناء ضخم يبلغ عرضه نحو ٥٠ متراً ويصل ارتفاعه حتى قمة الجرة إلى ٤٥ متراً ، ويزداد برأجه من الطراز المملوكي . ويدخل الدير قاعة فسيحة زود

(١) ملهيب حتى ، تاريخ سورية ٤ ج ١ ص ٢٥ .

(٢) تاريخ سورية ٤ ج ١ ص ١١٩ .

(٣) ملهيب حتى ، تاريخ سورية ٤ ج ١ ص ٢٤١ .

(٤) من لملوك ان هذه المنقوشات كانت مسكن الموريين . انندلس الجورجي ريدان ، ص ٨٢ .

جدارها الخلفي يحوفاً أقيم فيها نصب حجري يمثل الإله ذا شري. ويرجع تاريخ بناء الدبر إلى القرن الثالث الميلادي^{١١}. كذلك ثبتت آثار بناء يعرف بقصر الثبت أو قصر بنت فرعون وهو بناء مشيد غير متطور في الضخامة أقيم في العصر الروماني. ومن آثار البترا آثار ضريح يقال له ضريح الجرة، يردان بواسطة من أرواح حاتبي من الآثار ذات الطابع الهلنستي، وآثار ضريح القصر، وآثار ضريح مكستوس كالورنتيوس المشيد في سنة ١٤٠ م^{١٢}.

ومعظم آثار البترا تدل على تأثر فن البناء النبطي بالفن الهلنستي، أما النقوش الكتابية النبطية فقد عثر عليها في مناطق مختلفة، ومعظم النقوش النبطية عثر عليها في مدينة الحير وفي البترا وفي منطقة حوران وفي سيناء، الأمر الذي الذي يدل على امتداد نفوذ الأنباط جنوباً في الجزيرة العربية حتى الحيرة وغرباً حتى سيناء، وعملاً حتى حوران.

(١١) هارتنج، ص ١٢٩

(١٢) نفس المرجع، ص ١٢٠ و ١٣١

التدمريون

١ - تدمري اسم تدمر :

تقع آثار مدينة تدمر بالقرب من حمص وعلى مسافة تسعد نحو ١٥٠ كم إلى الشمال الشرقي من دمشق^١ في منتصف الطريق تقريباً ما بين دمشق والعراق ، ولذلك كانت تدمر مركزاً هاماً للقوة على التجارية التي تصل ما بين العراق والشام .

وما زال أصل تسميتها تدمر مجهولاً على الرغم من الأبحاث التي قام بها العلماء في هذا السبيل . واسم تدمر ورد لأول مرة في نقش يرجع تاريخه إلى أيام الملك تجلات بلاسر الأول على هذه الصورة : تدمر أمورو . وقد عرفت تدمر عند كتاب اليونان اسم بليريا *Palmira* . ونلاحظ أن المقطع الثاني من بليريا وهو *Myra* قريب من المقصع الثاني لكلمة تدمر *Myr* . الأمر الذي دعانا إلى التساؤل عما إذا كان هناك صلة بين التدمريين وأن البوذية أو اللاتينية حررت اسم أدبيته الأصلي من تدمر إلى *Palmira* . ويعتقد بعض العلماء أن كلمة بليريا

Enc. Britanica. 1964. Vol. 17. p. 117 . ١

مستقاة من كلمة Palma اللاتينية بمعنى النخل ، وأن تدمر سميت بتدميرة منذ أن
 قلب عليها الاسكندر وذلك لكثرة ما كان يزرع فيها من أشجار النخيل^{١١}.

ويعتقد بعض الباحثين أن كلمة تدميره ترجمة لكلمة تمار المروانية التي تعني
 النخلة ، وأن تمار المروانية اسم موضع أو بلدة تقع إلى الجنوب الشرقي من يهودا
 وفقاً لما ورد في التوراة^{١٢} ، ومذكرون أن تمار هي البلدة التي بناها سليمان ،
 وورد ذكرها في التوراة في جملة المدن التي أسسها سليمان ولكنها ذكرت تحت اسم
 تدمر^{١٣} ، وأن ورد اسم تمار على هذه الصورة كانت نتيجة خطأ ارتكبه كاتب
 أسفار أخبار الأيام ، فخلطوا بين تمار الواقعة جنوبي البحر الميت وبين تدمر
 المدينة المشهورة ثم كتبت في سفر الملوك الأول تحت اسم تدمر بدلاً من تمار^{١٤} ،
 وأصبحت تدمر على هذا النحو من بين المدن التي أسسها سليمان . ومن هنا ارتبط
 اسم تدمر بتمار أي النخيل وجاءت التسمية اليونانية ترجمة لمعنى كلمة تمار ،
 وذلك بعد تدوين أخبار الأيام^{١٥} . ونتج عن ذلك التحريف والخلط أن
 أصبح بناؤها منسوبة إلى سليمان سواء في المصادر المبررة أو العربية ، فقد ذكر
 يوسفوس أن تدمر من بناء سليمان^{١٦} واعتمد في ذلك على التوراة والروايات التي
 قوامت على ألسنة القوم ، جيلاً بعد جيل حتى وصلت إلينا . وتزعم الروايات
 العربية التي أخذت عن التوراة أن تدمر مما بقت الحس لسليمان ، ويتضمن شعر
 النابغة الغنياني هذه النسبة إلى سليمان في قوله :

(١) جود علي ، ج ٣ ص ٧٩

(٢) سفر حزقيال ، اصحاح ٤٧ : ١٥ — اصحاح ٤٨ : ٢٨

(٣) أخبار الأيام الثاني ، (الاصحاح ١٥)

(٤) سفر الملوك الأول ، اصحاح ٩ : ١٧

(٥) راجع : جود علي ، ج ٢ ص ٧١ — ٧٢

(٦) جود علي ، ج ٢ ص ٧٢

إلا سليمان ، إذ قال الإله له . فم في البرية ^(١) فأحدها عن الفند
وخيس الحن ، اني قد أذنت لهم

ولكن يا قوت يستمد نسة تدمر إلى سليمان فيملق على زعم الأخباريين بقوله:
« وأهل تدمر يزعمون أن ذلك الساء قبل سليمان بن داود » عليه السلام بأكثر مما
يبلغنا وبين سليمان ، ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيبياً جهلوا بأية أضافوه إلى
سليمان وإلى الحن ^(٢) .

وهناك من أخباري العرب من ينسب بناء تدمر إلى شخصية خرافية هي
تدمر بنت حسان بن أذينة بن السميدع التي يرفع نسبها إلى سام بن نوح ^(٣) . وذكر
بعضهم أن الرباه ملكة تدمر هي الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن
السميدع بن هور ، من أهل بيت عاملة من المالقي ^(٤) .

والواقع أن تدمر لم تكن من بناء سليمان ، لأن ملكه لم يمتد إلى هذه البلاد ، وأغلب
الظن أن تدمر نشأت حول بيع ماء في البادية ، فقصدتها البدو ، واستقروا في
واحتها ، فقد ورد اسم تدمر لأول مرة في نقوش تجلات يلاسر الأول المتعلقة

(١) وفي أخبار الآباء الثاني أن سليمان بن بحر في البرية

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١٧ - البرقي ، معجم ما استعجم ، ج ١
الطبعة ١٩١٥ ص ٢٠٦

(٣) نفس المصدر .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١٧ - البرقي ، معجم ما استعجم ، ج ١ ص
٢٠٦ - التكملة - ج ٨ ص ١١٦

• المصري ، سراج الذهب ، ج ١ ص ١٢ - والخمر ، بوزة ، أيضا ص ١٤
ص ٦٤

بحملانه ضد العموريين سنة ١١٠٠ ق م^{١١}، وساعد أهلها سوخذ نصر في هجومه على القدس ، وبدأت تدمر تظهر منذ ذلك الحين كمركز تجاري هام وطريق للقوافل بين العراق والشام ، خاصة بعد قيام الدولة الأكمنية ، فلما سقطت الدولة الأكمنية على يدي الاسكندر ، وورث الاسكندر بين الشرق والغرب ، وتابع سلوقس هذه السياسة التي تهدف إلى خلق دولة متحدة من الفرس والمقدونيين ، اشتهرت تدمر كدولة تجارية قريبا قوافل للتجارة بين العراق وسورية . غير أن قيام الدولة البارثية منذ نحو ٢٥٠ ق.م ، وانتصارها على السلوقيين ، وامتداد نفوذها في عهد بطريداتس (ت . سنة ١٣٧ ق م) من نهر الفرات إلى هراة ، سبب أضرارا جسيمة لاقتصاد تدمر ، فقد انفصلت العراق عن الشام ، وهدد ذلك الانفصال التجارة التدمرية التي يرجع الفضل في ازدهارها إلى ارتقاس القطرين فلما سيطر الرومان على سورية وفلسطين ومصر ، وهادوا الدولة البارثية ، عادت للتجارة الشرقية تمر بتدمر .

وقد ذكر بلينيوس سيجنيدوس مدينة تدمر ، ووصفها بأنها مدينة شهيرة لها موقع ممتاز ، ووصف أرحها بالخصب وكثرة البنابيع واليون^{١٢} . والواقع أن موقع تدمر يدين بشهرته إلى توافر مياهها الكبريائية ، وخصوبة حدائقها ، ثم إلى التباين بين الصحراء الكبرى العارية المفرامية نحو الجنوب وبين سلسلة الجبال التي ترتكن عليها تدمر في الشمال^{١٣} .

G. A. Cooke, Palmyra, Enc. Britannica, 1964, Vol. 17, p. 161 (١١)

(١٢) جواد علي ، ج ٢ ص ٧٥

Paul Collart, Selim Abdul Hak et Armando Dillon, Rapport (١٣)
de la mission envoyée par l'Unesco à la Syrie en 1953, Paris 1954,
p. 24. - Encyclopédie de l'Islam, Buhl. Art. Tadmur

ب - تاريخ تدمر ١

تاريخ تدمر السابق على التاريخ الميلادي غير معروف على وجه الدقة ، فإن أقدم الكتابات التي عثر عليها في تدمر لا يتجاوز تاريخها سنة ٩ ق.م .^{١١}

وقد حافظ التدمريون على استقلال بلادهم إبان الفراع بين البارثيين والفرس ، ولكن الرومان طعموا في الاستيلاء عليها منذ عام ٤١ ق. م. عندما حاول ماركوس أنطونيوس غزوها ، فاضطر أهلها إلى الهلاء عنها حاملين معهم أموالهم وأمتعتهم . ولا ندري على وجه الدقة ما أسفرت عنه حملة أنطونيوس ، وأغلب الظن أن تدمر اعترفت بسيادة رومة مع احتفاظها باستقلالها ، ولكن من المرجح أنها دخلت في فلك الدولة الرومانية في أواخر القرن الأول الميلادي ، إذ كانت من بين المدن التي أدخلها الإمبراطور ترايانيان في الكورة العربية سنة ١٠٦ م . وفي سنة ١٣٥ م زارها الإمبراطور هادريان ومنحها لقب *Hadriana Palmyra* ، وأصبحت تسمى *بادريانا* بصيرا أو *هادريانا بولس* *Hadrianopolis* ، كما منح أهلها حقوق أهل رومة : مثل حق الملكية المطلق والحرية الكاملة في إدارة سياسة المدينة ، وحتى إعفاء تجارهم من الضرائب^{١٢} ، وكان للشروط التي وضعها هادريان عندما انسأزل عن آشور والعراق للبارثيين قاتحة عهد سلام طويل كان له أكبر الأثر في رخاء تدمر

ومنحت تدمر في عهد هادريان ، وقبل في عهد سبتيموس سيفروس (١٩٣ - ٢١١ م) ، وقبل في عهد كركالا ، درجة مستعمرة رومانية ، وبدأ التدمريون يتخذون منذ ذلك الحين أسماء رومانية تضاف إلى أسمائهم العربية أو الآرامية

Encyclop Britanica, vol. 17, p. 162 .

Ibid. (٢)

باعتبار أنهم أصبحوا من رعايا رومة مثل اسم سبتيموس الذي أضافته إحدى
الأسرات التدمرية ، واسم جوليس أوريليوس^(١٦) . أما السلطة التنفيذية
والإدارية التي تنحصر في مجلس الشيوخ والشعب فقد كان يتولاها رجال يحملون
اللقاب يونانية مثل Proedros ، أي الرئيس ، و Grammateus أي الكاتب ،
وأسماء وظائف مثل Arohontes ، Syndicus و Dekaprotos وهي المجالس
المهنية التي يتألف كل منها من عشرة أعضاء^(١٧) .

انتهر التدمريون فرصة اشتغال الدولة الرومانية بالفروقات الحمرانية التي كانت
تهدد دولتهم في أوروبا الغربية وأخذوا يوسعون رفعة بلادهم ، فأصبحت دولة
تدمر تشمل عدداً من المدن الصغيرة التابعة لها مثل دورا أورويس والرصافة التي
كانت تسمى في الكتابات الآشورية باسم Bazeppa والتي سميت بعد ذلك باسم
مرجبوليس نسبة للقديس مارجيوس الذي استشهد فيها يقرب من عام ٣٠٥ م
في عهد الإمبراطور قلدنيانوس^(١٨) ومع ذلك فقد ظل التدمريون أوفياء للرومان .

ولما قامت الدولة الساسانية في سنة ٢٢٦ م على يد أردشير بن بابك ، وقطب
أردشير على الملك البارثي ارتبانوس الخامس وعلى ملك أرمينيا اشطيك مع الرومان
واستولى على قلعتي حران ونصيبين ، واستغلت إحدى أسرات تدمر العريقة
النزاع بين الساسانيين والرومان ، أحسن استغلال ، وحظى رئيس هذه الأسرة
سبتيموس أودوناتوس Odenathus المعروف في المصادر العربية باسم أذنة بن
السيدع ، والذي يرتفع نسب وفقاً للطبري إلى هوبر العمليقي^(١٩) ، بمكانة كبيرة

١١١ Cooke, Enc. Brit. vol 17, p. 162 - حوار على ج ٣ ص ٨٦

١١٢ - تلخيص حتى ، المربع مصرية ، ج ١ ص ٢٩٦

١٢١ Cooke, Enc Brit. p 162

١٢٢ ١ تلخيص حتى ، ج ١ ص ٢٩٦

١٢٣ الطبري ، المعتمد : اسم ٢ ص ٧٥٦

في المجتمع التدمري .

وأذينة هذا هو أذينة بن حيران بن وهب اللات ، وكان أذينة هذا يطعم في أن يستقل بتدمر ويتطلب بلطب ، ملك ، وقد نجح في خطته وأصبح ملكاً على تدمر في سنة ٢٥٠ م ، ووطن الرومان إلى ما يقويه من نوايا توسعية بعد ذلك ، فتآمروا على قتله ، وقول ابنه سبتيموس حيران رئاسة السناكو بعد مصرع أبيه^(١) ، ولما مات حيران خلفه أخوه أذينة الثاني في إدارة شؤون تدمر ، وكان أذينة هذا ذرياً ممتازاً ومهاراً جريئاً ، وكان يحمل درجة قنصل في عهد الإمبراطور فالريانس .

طالب أذينة الإمبراطور بالانتقام لقتل أبيه من قتل روفيسوس ، فلم يستجب فالريانس لذلك المطلب ، فعصب أذينة ، وانتظر فرصة مواتية لنار . وحدث في ذلك الوقت أن انتصر الفرس الساسانيون بقيادة ملكهم شاپور الأول ابن أردشير (٢١١ - ٢٧٢ م) على الجيش الروماني بقيادة فالريانس في موقعة دارت بالقرب من الرها ، وقع فيها فالريانس أسيراً في قبضة شاپور^(٢) ، كما أسر الفرس سمين

(١) لقيم له شئال في سنة ١٥١ تكرر عليه اسمه ولقب أبيه بلطب ، وليس تدمر ، أي رستم تدمر ، بلطب حي ٠ ج ١ ص ١٢٦ ، وقد عثر على نفس كتابي لشئال له نصه :
« شئال سبتيموس حيران صاحب السمو ابن صاحب السمو اذينة اللقبته ولبته الديانسيوس
وصاح القرب لمسيدها عام ٥٦٩ » (المراجع ٢٥٧-٢٥٨ ص ١)

Hann Seyrig, les fils du Roi Odsinat, dans les Annales archéologiques de syrie, t. XIII, 1963, p 159 - 172

(٢) انظر القيسري في هذا الحادث بقوله : « ملكاً ملك شاپور بن أردشير غزا أرض الروم ، فالتج مدينة تالموتية ومدينة شعوبته ، وانحر في الروم ... فكان شاپور قد أسر كيريانوس خليفة صاحبه الروم ، وأمره ببناء المنيرة على قبر شستر على أن يعليه ، فوجهه إليه ملك الروم مسلحاً من أرض الروم والاقوال فساداً ، فلما فرغ منها أطلقه » (الإصدار الطوال - ص ٩٦) كذلك انظر إليه الطبري في قوله : « وقد أن معها انتجع فطوية وفذوتية وأنه حاصر ملكاً كان بالروم يقال له الربانوس بمدينة النطاقية ، فأسره وجلسه وجلسه كيرة معه » (الطبري ٢ ج ١ قسم ٢ ص ٨٩٦)

أداء من الرومان في سنة ٢٦٠ م ، بسبب خيانة مكربادوس قائد الامبراطور الروماني . واجتاح ملك الفرس بلاد آسيا الصغرى وشمال سورية ، غزباً ومدراً ومصرماً للبيزان في البلاد حتى أنطاكية^(١).

ولما بلغ أذنة نسطور انتصار شاپور على الامبراطور وأسره له ، أرسل رسله إلى شاپور يحملون إليه كتاباً يتودد فيه إليه ويظهر له رغبته في موادته. ويبدو أن شاپور استهان بأمر أذينة فأساء استئصال رسله إليه ، وأسر القائد هدايا أذينة في الشهر وتوعد أذينة بالعقاب الشديد على حصارته في محاطيته ، وأثار ذلك التصرف إثارة أذينة ، فجمع فرسان تدمر بقيادة ريدا كبير قواده ، وزماني رئيس القواسين ورملة السهام ، وانضم إلى جيشه فلؤل جيش فالريانس ، ورحف على طيسمون ، واصطدم مع جيش شاپور في معركة عنيفة على ضفاف القرات انتهت بهزيمة شاپور هزيمة نكراء ، وتلبس أذينة فلؤل المهرمين حتى أسوار عاصمتهم ، ولكنه لم يستطع تخليص فالريانس . وكأما الامبراطور الجديد جالينوس بن فالريانس أذينة على هذا الانتصار الذي أحضره على الفرس ، فأجمع عليه بلقب قائد عام على جميع جيوش الشرق *Dux Orientis* في سنة ٢٦٢ م^(٢) وبدأ أذينة يسترجع أراضي الامبراطورية من الفرس ، فهاجم شاپور في طيسفون ، وجمع في استرداد البلاد الشرقية . وكانت لهذه الانتصارات أوجها العميق في نفس الاسبراطور ، فكأفاه على إخلاصه مرة ثانية في سنة ٢٦٤ بأن منحه لقب *Imperator Orientis* أي د امبراطور على جميع بلاد المشرق ، ولم يكف أذينة بما قاله من تكريم ، فلقب نفسه أيضاً بلقب د ملك الملوك ، ووسعه مجلس الشيوخ الروماني لقب أغسطس ، وهو لقب إمبراطرة لرومان^(٣).

Alors Muul. Palmyrena. New York, 1928, p. 247 (١)

Enc. Britannica. p. 143 ٢٢١ - جواد على ، ص ٩

Buhl. Tadmur. Enc. de l'islam ٩٢ - جواد سر ، ص ٩٢

لم ينس أذينة إهانة شاور له ، فعمز على مواصلة الحرب ضد الفرس ، فترك على تدمير ثائبا عنه هو سبتيموس وورود^{١١١} وعضى مع ابنه سبتيموس هيرودس (من زوجه الأولى) لمحاربة الفرس ، وحاصر أذينة وولده طيسفون فترة من الزمن ، ولكنها اضطرا إلى العودة إلى الشام لمواجهة القوط الذين نزلوا بيناء مرقلية وزحفوا نحو قنادوقية . فلما علم القوط بمودة أذينة هادروا بركوب سفنهم من مرقلية ، وغفلوا عائدين إلى بلادهم . وفي هذه اللحظات التي وصل فيها أذينة إلى ذروة مجده ، ذهب ضحية الحياة والغدر ، إذ قتله مانيوس ابن أخيه حيران ، وقتل معه هيرودس بن أذينة في سنة ٣٦٦-٣٦٧ م .

وكانت لأذينة من زوجته الثانية زينوبيا^{١٢١} ثلاثة صبيان هم : وهب اللات الذي كان يعرف باسم اليمودورس Athenodorus ، وحجران المعروف باسم هيريقياموس وتم اللات المعروف باسم تيمولاس ، فاستقل ملك تدمر بعد أذينة إلى ولده القاصر وهب اللات ، فتولت زينوبيا الوصاية عليه ، وشغصية زينوبيا من الشخصات الهامة في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، فقد كانت تطلع في تكوير امراطورية كبرى ، وكانت شعاة جريئة ، وبذكر المسعودي أنها كانت رومية ، وكانت تتكلم العربية وفقا لبعض الروايات ، وعربية من أصل بيت عاملة من المماليق الذين كانوا في سلاح^{١٣١} . وقامع الروايات العربية في الحديث عن الزناه ،

١١١ اورد اسمه في نقش كلسي على تيتال اقلية وورود لحران بن ابيه ص . ، تشارق سيميوس حران صاحب كلسو بن اذينة صاحب سبو لتسلي قبل وورود صوصو حشر الفصح ١ H. Sevrig, Les fils du Roi Odoinat p 2٧4

١٢١ أمما ، اترابية ت رباي اي ايه الطية ، ويسمى في المصادر العربية بالزباء بنت حلو بن طرب بن حسل بن اذينة المسعودي ، ج ١ ص ٩٢ ، . ويسمى بالطري باللة ، ويذكر ن لها أيضا حقل لها زبنة الطري ، ج ٢ ص ٧٨٧ ، . وير التواصح ان اسم الزباء مشتق من اسم ايها ربي ، تعذب الياء ، ويطلق بصرة ، فاصطحب رداء

١٣١ المسعودي ، ج ٩ ص ٩٢

فقرعهم أد حنود الزباء من بقايا المماليق والمبارية الأولى وزيد وسليح ابني حانوان
 ابن عمران بن الحاف بن قضاة ، وإثنا عندما استحكم لها الملك حرمت على غزو
 جذيمة الأبرش ، وهو جذيمة بن مالك بن قهم للتونسي ، أول من ملك عرب
 الضاحية النازليين بين الحيرة والأنبار في بادية العراق ، وكان قد قتل أمها عمرو
 ابن طرب ، فأثنتها أختها عن قصده ، وأقنعتها بإسطناع الدعاء لاجتذابه إليها ،
 فكشمت الزباء إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها ، وأن يصل بلاده ببلادها ،
 فلما بلغه ذلك طمع في ضم ملكها إلى ملكه ، فأقبل إليها ، فلما احتضنت به
 قتلته ، فانتقم عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة الأبرش منها ، فسير إليها رجلاً
 يقال له قصير بن سعد اللخمي ، فتهايل على قتلها ، ولجج قصير في دخول تدمر
 يجنود الحيرة ، فاضطرت الزباء إلى امتصاص شاقها المسموم ، فقتلت نفسها^{١١١} ،
 والفصة مليئة بمنصر الخرافة . وقد ورد اسم جذيمة في نص نبطي وروائي عثر
 عليه في أم الجبال جاء فيه اسم جذيمة على أنه ملك تنوخ أي تنوخ^{١١٢} . ولهذا النص
 أهمية خاصة إذ يستنتج منه وجود علاقة بين قبيلة تنوخ في الحيرة وبين عرب
 الشام ، ولعل لهذه الحقيقة أثر كبير في الروايات العربية السابقة ، ومن المعروف
 والثابت أن زبونيا حملت أسيرة إلى رومة ، وأن المزو الذي تعرضت له بلادها
 كان غزواً رومانياً ، فالروايات العربية لا تعدو أن تكون قصة خيالية اتخذ
 الأخباريون من الزباء وجذيمة وقصير أبطالاً لها .

ولقد أجمعت المصادر اليونانية واللاتينية والعربية التي تعرضت لذكر الزباء
 أو زبونيا على أنها كانت على قدر كبير من الذكاء وسعة الحيلة ، وأنها كانت
 قادرة على إدارة شؤون البلاد ، وكان أدينته قد ترك لها ملكاً مهاداً ، وجيشاً قوياً
 على رأسه قائدان من أعظم قواد مصر هما : زيدا ، قائد الحيلة الأكبر (رب

١١١ الطبري ٤ ج ١ قسم ٢ ص ٧٥٧ - ٧٦٨ ، المسعودي ٤ ج ١ ص ١٢ - ١٣

١١٢ صواد حلي ٤ ج ٢ ص ١٠٢

حيلة ربا) ورمي قائد خيالة تدمر (رب حيلة دي تدمور)^{١١١}

وأشارت بعض الروايات إلى أن زينوبيا كانت تدعي انتماسها إلى مصر وقرابتها
للفلطنة (كلومارة) ملكة مصر ، وأما لذلك السبب كانت تجيبه المتخاطب
باللغة المصرية ، كما أنها صفت كتاباً عن تاريخ مصر . وهناك من يزعم أنها أدرمية
من أصل يهودي ، ولكن من المرجح أنها عرمية ، من سلالة العماليق وهم الطبقة
الأولى من طبقات العرب (العرب البائدة) ، وسبب اختلاف هذه الأقوال في
أصلها يرجع فيما يظهر إلى تعدد اللغات التي كانت تخدم الحديث بها ، فقد ذكرنا
أنها كانت تعرف الآرامية والأفريقية واللاتينية والمصرية^{١١٢} . وذكر المسعودي
أنها كانت رومية تتكلم العربية^{١١٣} . ويفسر بعضهم ادعاءها بأنها من سلالة ملوك
مصر ، بأنها كانت بدوية بعيدة عن الحصار والممران ، فأرادت أن تكتسب
ود المصريين وأن تتعرب في نفس الوقت من الرومان ، فيسهل عليها حينئذ تحقيق
مشروعها الخطير الذي رسمته لنفسها وهو الاستيلاء على مصر^{١١٤} . ونعتقد أن
زينوبيا لم تكن تعلم اتصالها من أصلها بالعربي التدمري لجرد أنها امرأة بدوية
بعيدة عن مظاهر الحضارة والممران أو لرغبتها في كسب ود المصريين ، فقد كان
علمها باعتزازها بروحة أدينة ملك الملوك ، وامرأطور الشرق أن تفتخر بانتمائها
إلى عرب تدمر ، وإسألة لا تعدو في نظرها أن تكون مجرد مظهر من مظاهر
التمهيس على الشهرة ببيتها ومن كليوباترا ملكة مصر التي طغت شهرتها الآفاق ،
ولعلم كانت ترمي - بالإضافة إلى شعورها في أن تصح في يوم من الأيام ملكة
أكثر شهرة من كليوباترا - إلى الإيحاء بشرعية ملكها الذي سلكه نصم

١١١ نفس المرجع

١١٢ أجواد ملي ، ج ٢ ص ١٠٤-٥ Irenaeus Pollis

١١٣ المسعودي ج ٢ ص ١٢

١١٤ أجواد ملي ، ج ٣ ص ١٢ ، فلا من أوردني Johannes Obeedick

مصر إلى دولتها ، فتمهد المصريين نفساً لخطوتها التي متخطوها وهي الاستيلاء على مصر ، وتوفي نفوس المصريين لتقبل هذا العمل باعتبارها مصرية منهم ومثل كليوباترة ملكتهم ، وأنها تعمل على تخلص المصريين من السيطرة الرومانية (١) ، وهو أمر يبرهن عن ذكاء الحارق ويمد نظرها . وقد اختارت زينوبيا وقتاً مناسباً لهذه الأحوال الحربية عندما دب الضعف في كيان الامبراطورية الرومانية بعد أن استنفذت قواها في حروب الساسانيين ، ورأت زينوبيا أن الفرصة مواتية لها لتوسيع رقعة بلادها شمالاً وجنوباً . ولم تكن رومسة غافلة عن أهدافها التوسعية ، ورأى الامبراطور جالتيوس أن يبدأ بمهاجمتها في عقر دارها قبل أن تبدأ هي بالهجوم ، فنتظاهر بإرسال حوشه لمهاجمة الفرص ، ووجهها إلى سورية لمهاجمة تدمر ، فبلغ خبر ذلك إلى الزباء ، فتصدت لهذا الجيش ، وانتصرت عليه انتصاراً حاسماً ، وقتل هرقلانوس قائد الجيش الروماني في هذه الموقعة (٢) . وأخذت زينوبيا لتتربص بعد ذلك رد فعل رومسة ، فلما بلغها مصرع جالتيوس سنة ٢٦٨ م وانتقال عرش الامبراطورية إلى أوريليوس كلوديوس ، وارتباك الحالة في رومسة بسبب غارات الألمان وللقوط ومهاجمتهم للقسم الغربي من الامبراطورية الرومانية ، وخروج برويوس حاكم مصر من قبل الرومان في أسطوله بطاردة القرصنة ، وسيرت جيشاً كبيراً عتد مسمون ألف مقاتل إلى مصر . وقاتل الرومان قتالاً عنيفاً بقيادة برويوس الذي كان قد عاد إلى مصر ، ولكنهم انهزموا في النهاية ، وألقت مصر إلى زينوبيا . ويبدو أن زينوبيا انفلتت مع

١١ يبدو أن خطة زينوبيا اشترت على نحو لم يذكر في المصادر . فقد ذكر ب. الطوطيس في مصر والعراقين لحكم «رومان الحبش» وعلى «مهم سياجيس كاتورا» زينوبيا يطوبيا على تحرير مصر من الحكم الروماني .

(١٤) جواد علي ، ص ٨٠ .

رومة على بقائه جيوش تدمر في مصر نظير اعتراف تدمر بسيادة الرومان على مصر ، فقد عثر على عملة تدمرية صريت في الاسكندرية في سنة ٢٧٠ ، أي بعد اعتلاء الامبراطور الروماني أورليانوس عرش الامبراطورية ، تحمل نقشاً به .

« Vir Consularis Romanorum imperator dux Romanorum »

ونقشت صورة وجه الثلاث إلى جانب صورة وجه أورليانوس^١ ، والجمع بين الصورتين يدل على أن وجه الثلاث أصبح يحكم مصر من قبل الامبراطور الروماني ،

وفي نفس الوقت فكانت الزباء من بسط نفوذها على آسيا الصغرى ، وأحدث تحصن حدودها مع الفرس ، فأقامت مدينة على نهر الفرات عرفت باسم رينوبيا .

ويبدو أن سياسة الزباء التوسعية وما أشيع عن ثبتها في أي تواصل فتوحاتها ، وتحكم رومة نفسها^٢ ، قد أقلق الامبراطور أورليانوس ، فعزم على وضع حد لذلك ، ونادى بها . وأثار ذلك غضب الزباء ، فأرادت أن تتحدى الامبراطور ، فأمرت بصرب حملات بالاسكندرية بدون دفع أي صورة وجه أورليانوس^٣ . كذلك أقام قاعدتها زردا ورماني قذلاً لأدينة المتوفي ولقبوه بملك الملوك وقطعت تدمر بهذه التصرفات العدائية الجهر الذي كان يربطها برومة . وفي سنة ٢٧١ م . وجهت إليها رومة أولى ضرباتها ، وتكرر الحيف الروماني من إلحاق الهزيمة بحض تدمر في مصر ، وفي نفس الوقت كانت جيوش الرومان تجتاح آسيا الصغرى ، وتدخل سورية^٤ .

1. Ibid. p. 103 .

٢. « وقد عثر على ١ ح ٢ من ٩١٥ - سيبه عامر ضد ابنه + طرمه في امر السورى .
٣. انظر « دماء الحوامك » لآدمه لاسوره ص ١١١ - ١٢٠ سيبه ٦٦٠ - ١٦٦٢ م .

٤. « 1000-1000 (1000-1000) »

Ibid .

وحاولت جيوش تدمير بقيادة زبدا أن توقف تقدم الجيش الروماني في سورية ، ولكنها أخفقت في أنطاكية وتراجعت إلى حصص . وفي حصص كانت الهزيمة الناجية التي معي بها جيش تدمير ، وأصبح الطريق أمام الرومان إلى تدمير مفتوحاً . وحاصر أورليانوس مدينة تدمير التي تركز فيها كل دفاع الزباء ، وكانت الزباء تتوقع أن يقوم الفرس والأرمن بمساعدتها ، ولكن الفرس كانوا في شغل شاعل عنها بسبب الاضطرابات التي أعقبت وفاة سابور الأول في عام ٢٧١ م وعزل هرمز الذي تولى الملك من بعده بعد عام واحد من اعتلائه العرش . فلما رأت أنها عاجزة عن الدفاع ، قررت أن تذهب بنفسها إلى ملك الفرس على بصرها بجيش يمينها على استرحاج بلادها ، ودبرت خطة خروجها من تدمير بحيث لا يشعر به الرومان ، ونجحت في الوصول إلى ضفاف العرات عندما أحاط بها فرسان الرومان ، فقبضوا عليها وهي تم بركوب زورق ينقلها إلى الضفة الشرقية من النهر^{٢١١} .

وقت وقوع الزباء في قبضة الرومان في عضد المدافعين من أهل تدمير ، ففتحوا أبواب مدينتهم الرومان في طلبهم عام ٢٧٣ م ، ودخلها أورليانوس ودخول الظافرين ، فلما عن أهلها ماقتناء بعض حاصلة الملكة الأسيرة وبعض القواد ، فقتلهم^{٢١٢} ، وأبقى على رينوبيا وابنها وهب الثلاث حق يعود إلى رومة ، ومضى أورليانوس إلى حصص ومنه الملكة الأسيرة واسها وهب الثلاث في طريقه إلى رومة وعندما وصل إلى تراقية وصلته أنباء بقيام أهل تدمير بالثورة على الحامية الرومانية ، وتنصيبهم لأقطر وحوس ملكاً عليهم ، وقيام أهل مصر برعاية

٢١١ جواد علي ١ ج ٢ ص ١٧٠

Cassian de Perceval, Essai sur l'histoire des Arabes, Paris, 1847, 1, 2, p. 199

Crusoe, Enc. Brit. 10, 1841, 21

فيوموس والثورة على الرومان^{١١٠}. أسرع أورليانوس بالعودة إلى تدمر ، وهاغت الثوار فيها وقكن من دخولها بدون مقاومة ، وأباح أورليانوس لجنوده تخريب المدينة وقتل سكانها ، فدمرها جنوده ، وهدموا أسوارها وقلاعها وسائر أبنيتها . ولكنه أشفق بعد ذلك على من بقي حياً بها ، فأصدر أمره إلى جنوده بالكف عن المذابح وأعمال التدمير ، وأمر بترميم معبد الشمس والأسوار . ولكن المدينة فقدت عظمتها القديمة إلى الأبد ، وأخذت تتوادى منذ ذلك الحين عن المسرح السباسي والحضاري ، فلم تمد في عهد دقلديانوس سوى قرية صغيرة وحصناً أمامياً ثورية ، وأقام بها دقلديانوس معسكراً للرومان في الحلي الغربي ، وذلك بعد أن عقد الصلح مع الفرس^{١١١}. وقد أجرت البعثة البلبلوية حفريات أثرية منذ عام ١٩٥٩ في موضع هذا المعسكر الروماني تحت إشراف كارتيير ميشالوفسكي^{١١٢}.

وكانت المسيحية قد انتشرت في تدمر في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي ، وتعرض المسيحيون في عهد دقلديانوس لاضطهاد عنيف ، وكان من بين أهل تدمر بعض الشهداء والشهداء . ثم أصبح لتدمر أسقفية ، ووصلت إليها بعض أسماء أساقفتها في السنين الأولى من القرن الرابع الميلادي ، منهم الأسقف مارينوس الذي حضر المجمع النيقاوي في سنة ٣٢٥ ، والأسقف يوحنا الذي ورد اسمه في سجلات أعمال مجمع خلقدونية سنة ٤٥١^{١١٣}.

وفي عصر الامبراطور جستنيان أصبحت تدمر على خط الحدود الداخلية

١ | Paul Bovier Lapierre, op. cit. p. 400

١٢ | جواد علي ، ج ٢ ص ١٦٦

١٣ | الحفريات البلبلونية في تدمر ، مجلة المرمريات الأثرية السورية ، المجلد الصادر ١٩٦٠

١٤ | جواد علي ، ج ٢ ص ١٦٧

للإمبراطورية (Imen interior) ^{١١٠} ، وقد رارها الإمبراطور في سنة ٥٢٧ م ،
ورودها يحسر للديار ، وبني بها سوراً ، ما تزال بقاياه واضحة

ثم افتتحت في خلافة أبي بكر ، ففتحها خالد بن الوليد صلحاً وهو قادم
من الحيرة إلى الشام ^{١١١} ، ويذكر البلاذري أن خالد أقر تدمير فامتنع أهلها
وتحصنوا ، ثم طلبوا الأمان فأمنهم على أن يكونوا ذمة ، وعلى أن قروا المسلمين
ورضعوا لهم ^{١١٢} .

وفي عهد مروان بن محمد دار أهل تدمر وتحصنوا بأموارها ، وكان معظمهم
من الكلبين ^{١١٣} ، فقصدوا مروان بن محمد ، وقتل أهلها ، وهدم سورها ^{١١٤} .
وذكروا أنه وصل إلى بيت محصن عليه قفل ، ففتحه ، فادأ فيه سرير عليه
امرأة متلفة على ظهرها وعليها سمون حقة ، وإذا لها سبع غدائر مشدودة
خالصاها ، وإذا في بعض غدائرها صحيفة ذهب فيها مكتوب : يا محمد
اللهم ، أما تدمر بنت حسان ، أدخل الله الدار على من يدخل بيتي هذا . فأمر
مروان بالجرف فأعيد كما كان ، ولم يأخذ ما كان عليها من الخيل شيئاً ^{١١٥} ، فلم
يملك مروان بعدها إلا أياماً حتى أقبل عبدالله بن علي ، فقتل مروان بن
جبيش ، وأزال الملك عنه وعن أهل بيته ^{١١٦} .

والقصة كما تقدم - ألية ، لقها الأخباريون تليفاً لتفسير كارثة سقوط
الدولة الأموية على أيدي العباسيين ، وهناك قصة مماثلة ترتبط بفتح العرب للأندلس

Munil, Palmyrena, p 248 - Enc. Brit. p. 163 (١)

(٢) ابن الفقيه البغدادي - مختصر كتاب البلدان ، ص ١١١

(٣) البلاذري - فلاح البلدان ، ج ١ ص ١٢٩

(٤) الطبري ، المجلد الثاني ، ص ٩ - ج ١ ص ١٧٦

(٥) ياقوت ، معجم البلدان ، مجلد ٢ ص ١٧ - ابن الفقيه ، ص ١٠

(٦) ياقوت ، المرجع السابق ، ص ١٧

٧ - مجمع ابن الفقيه البغدادي - ص ١١ - ياقوت ، معجم البلدان ، ص ١٧

وسقوط دولة القوط الغربيين^{١١}.

وقد رار تدمير الرحالة والمتنقلون بين الشام والعراق في العصر الاسلامي ، ومن هؤلاء أوس بن ثعلبة التميمي ، الذي مر بها في عصر يزيد بن معاوية قادماً من الحيرة ، فشهد عدداً من التآليل الرخامية ، فأعجب بمثالين للتآليل قائمتين ، فأشبه :

فتأتي أهل تدمير خروبي أما تسأما طوال القيسام ؟
قيامكما على غير الحشاي على جبل أصم من الرخام^{١٢}

كذلك رارها الرحالة بديامين التطيلي اليهودي فيما بين عامي ١١٦٠ ، ١١٧٣ م ، فيقول : -

« وكذلك تدمير الواقعة في الصحراء ، والتي بناها سليمان ، فأبقيتها مقامة من أحجار عظام . ويحيط بمدينة تدمير سور في الصحراء بعيد جداً عن أي منزل مأهول ، وتبعد تدمير عن مدينتك بمحو أربعة أمم . ويميش بتدمير نحو ألفين من اليهود ، كلهم شجيمان وعجاريبي أشداء ، ومقومون بالحرب في جانب العرب والصارى التآبين للثلاث مور الدين ، ويعملون على نصرة جيواتهم المسلمين ، ومن رؤسائهم اسحق البوناني ، وثان وأرريل »^{١٣} وظلت تدمير مدينة مأهولة حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي ، وقد مر بها الرحالة ابن بطوطة في طريقه

١١ - طبع قصة تدمير تدمير في المراجع التالية : ابن عذاري المراكشي ، الديار المصرية ، ج ٢ ، طبعه بيروت ١٩٥٠ ص ٤ - الحصري ، قصة جزيرة الأندلس من كتاب البروق المظلم في عصر الاقطار ، تحقيق باي بروكسسال ، القاهرة ١٩٣٧ ص ٧١٦ - القرطبي ، كتاب صغ الطب في تدمير افسس الرطب - تحقيق الأستاذ حسين الديب ، صدر الطبع ، القاهرة ١٩٤٩ ، ج ١ ص ٢٧٥

١٢ - ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ١٨

Viajes de Benjamin de Tudela, trad. española por Ignacio ,
Gonzalez, Madrid, 1918, p. 81

من بغداد إلى دمشق^{١١}.

ج - حضارة التدمريين وأثارهم

يرجع بداية ازدهار تدمر وتألقها الحضاري إلى القرن الأول الميلادي ، فقد كسبت كثيراً من موقعها الجغرافي في معترك الطرق الصحراوية التي تربطها بالبحر ، ومن البتراء إلى عدن من جهة ، وبوأيء الساحل السوري ، وعلى الأخص بنصر عزة من جهة ثانية . وكانت تدمر على الصل بشعر حرمة Gerlano الواقع على الخليج العربي ، حيث كانت تحط الأساطيل التجارية القادمة من الهند ، وتفرع بضائعها ، فتقوم القوافل التدمرية بحمل هذه البضائع لتحميلها إلى بلدة دورا أو دوروبس Doura Europos الواقعة على الحدود الخارجية لمملكة تدمر ، ومن دورا كانت تصل إلى أدياكية وطرابلس ودمشق . وعلى هذا النحو كانت تدمر تحكم في هذه الشبكة من الطرق التي تربط السواحل السورية بآسيا والهند ، ولتجارتها مع الشرق أصبحت تدمر تنافس الاسكندرية^{١٢} . وعن طريق حرمة كانت تصل إلى تدمر المسلوحات الحربية والجواهر والآلات والطبوب والنفور من الهند والصين والعربية الجنوبية^{١٣} . وإلى سبب الطريقتين السابقتين كان هناك طريق ثالث عابر البحر الأحمر ومصر ثم الاسكندرية ، وكان هذا الطريق الثالث سيطرة الأساط الذين تخلفوا عنه بعد سقوط مملكتهم إلى تجسار تدمر^{١٤} . ولهذا السبب استقر عدد من تجار تدمر في خلال القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد في مدينة قسط بصرى . وكانوا يترددون على الطرق المصرية للبحر الأحمر ، وكانوا على اتصال وثيق بالعربية الغربية وبأسواقها الفسنة بأموال إفرنج^{١٥}

١١ - رحلة ابن حوقل ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٦٥

١٢ - Paul Boyer - Lapiere, op. cit. p. 398

١٣ - Conke, Enc. Brit. article Palmyra 1 17 p. 162

١٤ - Ibid 1 17 p. 162

١٥ - Paul Boyer - Lapiere, op. cit. p. 398

١٦ - جواد علي ، ج ٢ ، ص ٧٦

جنت تدمر من هذه التجارة المارة بها مكاسب هائلة نتجت عن الضرائب التي كانت تجبها عليها ، وتشهد هذه الثروات الآثار الباقية في هذه المدينة والتي تتمثل في بقايا المباني والأعمدة الضخمة وأقواس النصر وآثار القصور . ولضمان الحفاظ على هذه المكاسب اضطرت حكومة تدمر إلى إرسال الحراس مع القوافل لحمايتها ، ولإزاحتها في مراحل الطريق في البادية^(١) . وكان هؤلاء الحراس يتخذون من بين التدمريين الذين خدموا في الجيش الروماني . وتكون أيضاً من الجسد التدمريين الذين سرحوا من الخدمة في الجيش الروماني الذي كان يربط على الحدود مع فارس حاميات تقم في هنة Anath وفي الحيرة Hirlia^(٢) وفي دورا وعلى الرغم من أن رومة فقدت دوراً إبان الصراع بين الرومان والفرس فإن الصلات التجارية بين تدمر ودورا لم تنقطع .

كانت الحاضرة التدمرية خليطاً من عناصر سورية وبوادية وفارسية ، على الرغم من أن التدمريين كانوا قبائل عربية ، وكانت لغة التخاطب والكتابة عديم لغة من الآرامية العربية ، وتلتقي إلى نفس المجموعة التي تندرج فيها النبطية . على أن اللغة اليونانية كانت سائدة في تدمر إلى جانب اللغة الآرامية^(٣) ، ولا تخلو النقوش التي عثر عليها في إقليم تدمر من كلمات عربية أصيلة . ومن حيث العبادة فقد كان الدين في تدمر لا يختلف عن الأديان الشائعة في سورية الشمالية وعند قبائل العرب في البادية ، فمن الأصنام التي وردت أسماؤها في الكتابات التدمرية أصنام بمضاها كان معروفاً عند العرب ، وبعضها لآخر آرامي . وأعظم آلهة تدمر وأقواها جميعاً الإله شمس ، والإله بل أو بعل ، ويرج بول ، والته أي اللات ، ورحم

٢١١ المجمع السليبي ٤ من ٧٨

- (١) ان ورد اسم الحيرة في بعض الكتابات التي ترجع إلى سنة ١٢٩ م والتي ظهر فيها اسم الاله ، تسع انقوم ، جاس القوافل والتجار ، يدل على ان قوافل تدمر وصلت إلى الحيرة ، وقد يذكر هذا حصراً بقصة جديده وانزيا ، (راجع جواد علي ج ٣ ص ١٨١) .
- (٢) Ead Brit p 163 — نيلسا جني ، تاريخ سورية ج ١ ص ٩٩٢ — ٩٩٤

أي رحم ، وأشتر أي عشتار ، وملك بعل ، وعزیزو أي عزیز ، وأب أجل ، وسعد ، وبعل شمين أي بعل السماء . وبلي الإلهة شمس في مراتب الآلهة الكبرى اللات ، وقد رأينا أنها كانت تعبد في البتراء .

وقد تخلفت في تدمير آثار كثيرة ، وهي آثار كانت تثير إعجاب الرحالة المسلمين في الماضي ، ومن بينها قاتيل النساء والرجال ، ومن مظاهر إعجاب المسلمين بآله التاتيل ، قول أبي الحسن للمعجل في أشيق منها .

أرى بتدر فتالين رانها تألق الصانع المستغرق للظن

هما القان يروق العين حسنها تستطفان قلوب الخلق دافقن^(١)

وكان يشق تدمير طريق فسيح يشكل محور المدينة الرئيسي ، يبلغ طوله نحو ١٠٧٠ م ، وهو محبتها المظمى Cardo Maxima^(٢) ، ويعرف هذا الطريق بطريق الأعمدة ، إذ كان يحف به على اليمين واليسار صفان من الأعمدة الضخمة كان يصل عددها إلى ٣٧٥ عموداً ، ولم يتبق منها اليوم سوى ١٥٠ عموداً ليجانبها كورنتية ، وبعض الأعمدة من الحجر الجيري ، وبعضها من الجرانيت^(٣) . وكانت الأعمدة ترتبط من أعلاها فيما بينها بواسطة إفريز متصل وحلف على النظام اليوناني ، وينتهي هذا الطريق قرب معبد بعل بقوس النصر . ومن هذا القوس ثلاثي الفتحات يتعرف السارح الكبير منجهاً إلى معبد بعل بطريقة أصيلة ، فقد توصل المهندسون إلى حل جيد لهذا الانحراف وذلك ببناء قوس النصر على سطح شبه منحرف ، وقوس النصر على هذا النحو يمثل واحداً ضخمة من وجهين كل

(١) ياقوتة : معجم البلدان ٤ مجلد ٢ ص ١٨

(٢) راجع ملحة كتابي : نصليط الاستكشافية وعمرانها في التمرر الاسلامي : بيروت ١٩٩٢

ص ٢١

(٣) عجيلب حلي : ج ١ ص ١٤٦

وجه يتعامد مع الشارع الذي يواجهه ، وتسمح فتحات القوس الثلاثة برؤية منظر رائع للغاية ، وهو أمر من الصعب تحقيقه لو أن هذا الطريق الرئيسي كان مستقيماً^{١١١}.

وآثار معبد بل أو بعل تعتبر أروع ما تخلف من بنيان تدمر بحالة تدعو إلى الإعجاب ، وقد كان الشروع في بناء هذا المعبد في طليعة القرن الأول الميلادي ، وأضيفت إليه إضافات متعددة خلال القرنين الأول والثاني . أقيم هذا المعبد على سق المعابد الشرقية ، فهو يشتمل على هيكل رئيسي شامخ يتوسط فناء مربع الشكل طول كل ضلع منه مائتي متر . ويحيط بالفناء المربع سور تحف به أروقة رائعة تطل عليه بواسطة صف من الأعمدة ذات تيجان كورنية . ويقوم في الفناء مذبح وحوش وقوات وعمر للضحايا . ويمثل هذا المعبد من حيث النظام المعماري نظام البناء للتدمري ، أما العناصر المهارية كالأعمدة والتيجان فقد اتبعت الأسلوب الروماني الشائع^{١١٢} .

ومن آثار تدمر أيضاً آثار ممد بعل شمين ، وآثار حمامات ، ودور خاصة مملطة بالقسيساء والرخام ، وأعمدة تذكارية ، وآثار قصر آل الزباء القائم فوق للشر الغربي ، وهو بناء صغيم لتقدمه حنية ، ويشكل هذا القصر تيجانه للكورنية الكفية بالزحارف ، وعصاواته وواحاته المحرمة بالزخارف معجزة في فن النحت^{١١٣} .

كذلك تبقت في تدمر آثار مقابرها أو « بيوتها الأبدية » وبعضها على شكل

John Witmer, Palmyre - apprendre de l'histoire, dans, les (١١)
Annales Archéologiques de syrie, Vol. X, 1960, p. 170

١١١ - معاذ البسي ، حول المشروع التدمري الاستثنائي ، مجلة المجلات الآثورية السورية ،

المعد ١٦ حنم ١٩٦٩ ص ١١٧ - ١١٨

١١٢ - نفس المرجع ، ص ١١٨

أبراج مربعة الشكل ، تشتمل في الداخل على غرف يدفن فيها الموتى ، وبعضها الآخر على شكل بيوت ذات غرفة واحدة مزينة بالنقوش وأنواع الطرخرفة^{١١} . كذلك بلغت في تدمير آثار فنونات كانت محفورة في باطن الأرض ، وبقيت أسوارها وخزانات في ظاهر المدينة

(١) — Enc. Brit. p. 162 — جواد علي ، ص ٢ ص ٢٩

الفصل السابع

الفسانة والمناذرة

١ - الفسانة :

- (أ) أصل الفسانة والظروف التي أدت إلى قيام دولتهم
- (ب) الحوادث من حملة أعظم أمراء الفسانة
- (ج) خلفاء الحارث بن جبلة
- (د) حضارة الفسانة

٢ - المناذرة :

- (أ) معرفة التوحيين إلى أودية العراق
- (ب) ملوك الحيرة من التوحيين
- (ج) قصير الحيرة ونهاية إمارة المناذرة أو التوحيين
- (د) أشهر أمراء المناذرة بعد عمرو بن عدي
- (هـ) الحيرة في العصر الإسلامي
- (و) حصارة الحيرة في عصر التوحيين

الفسانة

١- أصل الفسانة والظروف التي أدت إلى قيام دولتهم

الفسانة من أزد اليمن ، تزحوا تحت قيادة رعيمهم عمرو بن عامر مزيقياء من جنوب الجزيرة العربية إلى وادي الشام قبل أو بعد حادثة جبل الهرم ، وما سببه ذلك من تدهور نظم الزراعة وأعمال الري في اليمن . ويؤمن مساهم العرب أن هؤلاء الأزد لم يرجعوا إلى الشام مباشرة ، وإنما أقاموا حياً من الوقت في تهامة بين بلاد الأشعرين وعلك ، على ماء يقال له غسان ففسحوا إليه ، ويفسر المسمودي هذه التسمية بقوله : « وإلى غسان ماء نزلوا منه » فسموا بذلك ، وهو ما دعى زبيد ورمح ، وادي الأشعرين بأرض اليمن ، « وردعهم المسمودي هذا التعبير بدلت من الشعر لحسان بن ثابت

أما سألت فؤاد معشر لحجب الأرد نسبنا والماء غسان^(١)

فالفسانة يلتسبون إذن إلى آل عمرو المعروف بمزيقياء ، وعمرو هذا هو ابن

(١) المسمودي مروج الذهب ، ج ٢ ص ٦ . ٧ . ووجهه أن غسان ابن كعب بن ماء ، أحد ملوك بني كعب ، وقيل ماء بالنسبة لقرية من الحفلة ، ص ١ ص ٩ . ١٠ .

عاصر ماء السماء بن حارثة الفطريف بن ابري، القيس الطريق بن ثعلبة بن حارث
ابن الأزد بن القوث^(١)، ويفسر الأخباريون تسمية عمرو مريقيا تفسيرين مختلفين،
يدكرهما جرة الأصماني، أحدهما أن الأزد تزعم أن عمرو إنما سمي مريقيا لأنه
كان يرقى كل يوم من سبي ملكه حلتين لتلايل جسمها غيره، فسمي هو مريقيا،
وسمي ولده المراقبة، مهد قول وفيل: إنما سمي مريقيا، لأن الأزد غزقت
على عهده كل عزمى عند مرجم من سبل الحرم، فاتخذت العرب اقتراق الأزد عن
أرض سبيل الحرم مثلاً، فقالوا: ذهبت يدو فلان أبادي ساء^(٢). ومن الواضح
أن التفسير الأول تفسير خرفي، لعل المقصود به إظهار نزاهة عمرو بن عامر
وحاشه، ويرجح ثيو دور تلك التفسير الثاني^(٣)، ويستقد أن هذا التفسير مأخوذ
أصلاً عن قوله تعالى: «فقالوا ربنا ما عبدنا من أسفارنا»، وظنوا أنفسهم فجعلهم
أحاديث ومزاعم كل عزمى إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور^(٤).

ويسمى النساسنة أيضاً بآل جفنة وبأولاد جفنة^(٥)، لأن أول ملوكهم ه جفنة
ابن عمرو مريقيا بن عامر ماء السماء بن حارثة بن ابري، القيس بن ثعلبة بن حارث
ابن الأزد^(٦)، وإلى جفنة ينسب أحد أمراء النساسنة، وهو الحارث الأول
ابن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، الذي يسميه الناصة بالحارث الجفني.

(١) حجة الاصماني، ص ٣٤

(٢) نفس المصدر

(٣) ثيو دور، ص ١٠٠، نقل، ترجمه الدكتور بسلي حوري والدكتور سمطون

درزي، ص ١٦٣٣، ص ١٠، حاشية ١

(٤) القرآن الكريم، سورة ص ٢٤، آية ١٩

(٥) يقول صلي بن ناسه:

ولاد خمسة صول قر يسهم

واضع ديوانه حارث بن ثعلبة القيسري، التمام ص ١٢٢١، ص ١٠٠، من أبي حنبل

ج ٦، ص ٨٨٥

(٦) المسعودي، قيسية والقبيلة، طبعه بيروت ط ١٩٦٦

كذلك يسمون آل ثعلبة ، نسبة إلى حمد لهذه الأسرة يعرف ثعلبة بن مازن^(١).

وكان يسكن مشارف الشام قبل نزوح الأردن المماسة قوم بمرهون الصخامة من قبائل بني سليح بن حنوان من قضاة^(٢) ، وقد عليهم المماسة وحلوا محلهم .

ولم يكن دخول المماسة في الشام ونفطهم على الصخامة أمراً يسيراً ثم يدون حرب ، فحمرة يذكر أن غسان لما نزلت في جوار سليح بن حنوان ، ضريت سليح عليهم الإفاوة ، فلما طالب سبيط الضجيمي ثعلبة بن عمرو الفسافي بالإفاوة ، تحابيل عليه حتى قتله أخوه حذع بن عمرو ، فقامت الحرب بين سليح وعمسان وانتهت بهزيمة سليح ، وآل الملك إلى غسان^(٣) . غير أن ثعلب المماسة على بني سليح الصخامة لم يقص على هؤلاء نهائياً . وبشيرة فذكة إلى أن الصخامة ظنوا مقيمين في مواضع أخرى من الشام إلى زمن متأخر ، ويستدل على ذلك من أن النابغة زار أحدهم في مصر^(٤) ، وأن جماعة من الضجاعم ، حاربوا خالد بن الوليد في هومة الجندل^(٥) ، وفي قسم^(٦) .

(١) للثعلبة : أمراء طبرستان ، ص ٤

(٢) التميمي ، القتيبي ، والاقتراب ، ص ١٨٦

(٣) حجة الإسماعيلي ، ص ٧٦ - أس حلفون ج ٢ ص ٥٨٢

(٤) يقول للثعلبة :

نصري نعم الممر ، من آل ضجيم

مصرى لم يكد يستعد نعم غزوهم

(فهو - الطاسة النديمة - شعر - الإسناد بعيد جيل - بيروت ١٩٢٦ ص ٢٨

(٥) نظري ، ج ١ ، ص ٨ - ص ٢٠٥

(٦) الإسماعيلي ، ص ١٠٠ - الشذوذ ج ١ ص ١٢٢

وأول أمراء عمان وفقاً لحزبة الأصفهاني هو جفنة بن عمرو مربياء، ويذكر
حزبة أن جفنة هذا ملك في أيام نسطورس الذي ملكه على عرب الشام، فلما ملك
جفنة قتل ملوك قضاة من سلبخ الذين يدعون الضجاعة ودانت له قضاة ومن
بالشام من الروم، وبني جلق والقرية وعدة مصانع^(١١). وأورد اليعقوبي هذا الخبر
مع تغيير بسيط هو أنه بدل نسطورس بنوش^(١٢)، والمقصود بنسطورس أو نوش
الامبراطور الروماني أسطاسيوس (٤٩١-٦٥٨ م)^(١٣)، ولكن السعدي وابن
قتيبة يخالفان حزبة واليعقوبي في اسم أول من ملك من الفساسنة، ويذكران أن أول
من تولى ملك الفساسنة هو الحارث بن عمرو بن عامر^(١٤).

ويذكر حزبة الأصفهاني أنه تولى بعد جفنة، أنه عمرو بن حفنة الذي أقام
عدداً من الأديرة، منها دير حالي، ودير أيوب، ودير هناء، ثم تولى بعد عمرو
ابنه ثعلبة الذي ينسب إليه بناء عقة وصرح القدير في أطراف حوران بمباني
البلقاء، وخلقه ابنه الحارث المعروف بالحارث الجلفي^(١٥).

وإذا كان أول من ملك من أمراء عمان موصح خلاف عند الأخباريين فإن
أول من نشق في صخرة إمارته منهم هو جيلة بن الحارث بن ثعلبة الذي ذكره
ثيوفاينس تحت اسم جبلس، وذكر أنه غزا فلسطين فيما يقرب من ٥٠٠ م^(١٦)،
وقد نسب إليه حزبة بناء القناطر وأمرج والفسطل^(١٧).

(١١) حزبة الاسمين، ص ٧٧

(١٢) اليعقوبي، ج ١، ص ١٦٧

(١٣) بلخنة، ص ١٠٠، جواد طبر، ج ٤، ص ١٢٤

(١٤) ابن عتية، كتاب الحارث، القاهرة، ١٢٠٠ هـ، ص ٢١٦ - المسعودي، ص ٢٠٢

الذهب، ج ٢، ص ١٠٧

(١٥) حزبة الاسمين، ص ٧٧

(١٦) بلخنة، ص ١٠٠، جواد طبر، ج ٤، ص ١٢٦

(١٧) حزبة، ص ٧٧

ب - الحارث بن جبلة أعظم أمراء الفصاحة :

وأول أمراء الفصاحة العظام الحارث بن حنظل بن الحارث الحنظلي (٥٢٩ - ٥٦٩ م) الذي ذكره المؤرخ السرياني يونس ملائس على أنه كان عاملاً للروم ^(١١) .
وتكاد المصادر العربية تجمع على أنه ابن امرأة تسمى مارية ذات القرطبي بنت عمرو بن جقة ^(١٢) أو بنت أرقم بن ثعلبة بن حمة بن عمرو ^(١٣) ، أو بنت ظالم ابن وهب بن معاوية بن ثور وهو كدنة ^(١٤) أو بنت الهامى من بني جقة ^(١٥) .

وذكر ملائس أن الحارث بن جبلة حارب المنذر Almondaris أمير عرب للفرس ، والمقصود به المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة ، وانتصر عليه في أبريل سنة ٥٢٨ م ، وجاء في معرجه حديثه هذا ذكر أميرين هما حنوفاس (جقة) وديمان ، من أميرة الحارث بن جبلة ^(١٦) . كما كان معاصراً للمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م) ، كما كان معاصراً للمكين من ملوك الفرس هما كسرى قيذ (٤٤٨-٥٣١ م) وكسرى انوشروان (٥٣١-٥٧٩ م) . وذكر بروكوبوس أن جستنيان منح الحارث لقب ملك ، ومسط سلطته على قبائل عربية متعددة ، وكان جستنيان يهدف من وراء ذلك أن يحصل من الحارث خصماً قوياً في وجه المنذر ملك عرب الفرس ، وذكر بروكوبوس أن هذا اللقب لم يمنحه الروم لأحد من عمال العرب في سورية من قبل . وعلى الرغم من أن

(١) بلنكة ، ص ٩

(٢) حيرة ، ص ٧٨ ، ابن هشام ، ص ٢١٩

(٣) السمودي ، ج ٢ ، ص ١٠٧

(٤) منبج المصدر ، ص ١٠٧

(٥) ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٨٥

(٦) بلنكة ، ص ١٠ ، حنوفاس ، ج ٤ ، ص ١٢٨

بروكوبيوس لم يحدد السنة التي رقي فيها الحارث إلى هذه الرتبة ، فإماً فذلكه
 يمتنع من سياق النص أن ذلك تم في سنة ٥٢٩ م . ويشك فذلكه أيضاً في أن
 الحارث قد منح لقب ملك باعتبار أن هذا اللقب كان قاصراً على القيصر وحده ،
 ويعتقد أن ما لقب به الحارث وغيره من آل جعنة لا يمدو لقب البطريق
 « Patricius » أو لقب شيخ القبيلة « ميلاركوس » Phylarchi أو Phylarchoi
 استناداً إلى اللقب الكامل الوارد في نقش يرجع إلى ابن الحارث وخليفته ونصه :
 (فلافيوس المنذر البطريق العائق المديع ورئيس القبيلة) ، وعلى اللقب الرسمي
 الذي أطلقه المؤرخ ثيوفايس على الحارث على النص التالي (الحارث البطريق
 ورئيس القبيلة) ، وعلى اللقب الرسمي للحارث الذي ورد في قرارات المجامع
 الكنسية وحفظته لنا الترجمة السريانية ونصه (البطريق العائق المديع الحارث) ،
 وما ذكره يوحنا الإفسي ونصه (المنذر البطريق الأجد)^{١١} . ولقب البطريق
 كان من أسمى الألقاب عند الروم حتى إن ملوك البرابرة المستقلين كانوا يفتشون
 بالحصول عليه ، ذلك لأن سلطة البطارقة كانت تعد عند البيزنطيين أعلى السلطات
 الاجتماعية على الإطلاق ، وكانت رتبتهم أرقى من رتبة القناصل^{١٢} . أما لقب
 فلافيوس الذي تلقب به المنذر بن الحارث فإذن من الألقاب التي بنم بها أسياناً
 قباصرة الروم على بعض رعيتهم ، وقد دعى به أيضاً الامبراطور جستنيان ومن
 سبقه من الأباطرة

ويبدو أن الحارث بن جعنة الفسافي قام بمرور بلاد الحضر بن النعمان ملك
 الحيرة ، وأنه هزم جيش ابن النعمان وعم غنائم كثيرة ، وقد أدى ذلك إلى قيام
 الفرس بفرو شمال سورية واستولوا على مدد كثيرة مثل الرها ومسيج وقلسرين
 وأطلاكية .

١١ ١٢ - مذكرة - ص ١٢-١٣

١٣ ١٤ - نفس المرجع - ص ١٤

ويدعو أن النزاع بين الفساسة والمناذرة كان سببه الأراضي التي أطلق عليها الروم اسم *Strata* وهي البادية الواقعة جنوبي تدمر على حد قول بروكوبوس ، ولكن الأستاذ ملدكة يرى أنها الأراضي الممتدة على جانبي الطريق الحربية من دمشق إلى ما بعد تدمر حتى مدينة سرحبوس ، فقد ادعى كل منهما أن قبائل العرب الضاربة في هذه الأراضي تخضع لسلطانها ، وأنها تدفع له الجزية ، وعلى هذا النحو قامت الحرب بينهما^(١١).

وفي سنة ٥٤١ م اشترك الحارث في الحملة البيزنطية الموجهة لمحاربة الفرس تحت قيادة بليزاريوس ، ولم يكبد الحارث يمبر نهر دجلة حتى ارتد إلى مواقعه السابقة عن طريق أخرى غير الطريق التي سلكها معظم الجيش ، وقد انصرف هذا الشك في إخلاصه الروم^(١٢). ويدعو أن الحارث أنف من الاشتراك في حملة يقودها قائد بيزنطي ، وأنه كان يعمل على الانفراد بالقيادة ، ولما انسحب لجره حدوث خلاف بينه وبين قائد الحملة ، والأرجح أن انسحابه يرجع إلى أنفته من أن يكون تابعاً لبليزاريوس ، بدليل أنه لم يكبد يضي على حملة بليزاريوس ثلاث سنوات حتى اشتبك الحارث في قتال عنيف مع المنذر بن النعمان المعروف بإبن ماء السماء^(١٣) في سنة ٥٤٤ م ، وانتهى القتال بهزيمة الحارث بن جندة ، ووقع أحد أبطاله أسيراً في يد المنذر ، فقدمه ضحية للالهة الغزى^(١٤). ولم يسكت الحارث على تلك الهزيمة ، فجمع جموعه واشتبك من جديد مع المنذر في موقعة انتهت هذه المرة بهزيمة المنذر وفراره من المعركة تاركاً ولدين من أولاده أسيرين في أيدي الفساسة^(١٥).

(١) تظلمة ، ص ١٨ - جواد علي ج ٤ ص ٢٠٠.

(٢) نفس المرجع.

(٣) المساء اسم امه سارة بنت مودع بن جندة ، وقد صيبت بها النساء فخطبتا وحسبها ، حبره المصماني ، ص ٧ - ح شباه ، كتاب البعارة ، ص ١١٨ .

(٤) ظلمة ، ص ١٨ - جواد علي ج ٤ ص ٢٠٠.

(٥) جواد علي ، ص ٢٠٠.

واستمر التوتر بين المسلمين الفصالي والشمعي على أشده حتى بعد أن عقدت الهدنة بين الروم والفرس في سنة ٥٤٦ م، ولم يلبث هذا الصراع بينهما إلا بعد أن قتل المنذر ملك الحيرة نفسه في موقعة دارت بينه وبين خصمه الحارث بالقرب من قفسرين في سنة ٥٥٤ م، وفيها سقط أحد أبناء الحارث ويدعى جبلة قتيلاً، فدفنه أبوه في قلعة عين عوداجة بالقرب من قفسرين^{١٦١}، وكانت تابعة لأقليم تدمر، ولعلها الموضع المعروف بمعدية في الوقت الحاضر، القريب من الطريق الروماني على رأي موسل^{١٦٢}. وذكر بلدكة أن هذه الموقعة حدثت بالقرب من الحيار، لأن هناك رواية عربية تعين موقع المعركة التي قتل فيها المنذر في هذا المكان نفسه الذي يقع على وجه التقريب في منطقة قفسرين^{١٦٣}، ولا يفرق بلدكة بين الموضع المسمى بالحيار وبين ذات الحيار، التي يذكرها ابن الأثير^{١٦٤} ويوم الحيارين الذي ذكره الحارث بن حازم في معطلت، ويمتد أن ذات الحيار ويوم حليلة موقعة واحدة هي نفس الموقعة التي قتل فيها المنذر بن المعتمد ملك الحيرة^{١٦٥}، ويستبعد أن تكون هذه الموقعة هي نفس موقعة عين أمّ الغوث التي وقعت قرب الحيرة، ونحى فوافقه على رأيه استناداً إلى قول الثابتة:

يوما حليلة كافة من قديمهم وعين ماغ فكان الأمر ما انتمرا
يا قوم إن ابن هند غير فار ككم فلا تكونوا لأدنى وقعة جررا^{١٦٦}

وبؤكد بلدكة أن حليلة اسم مكان لا اسم امرأة كما يزعم الأخشياريون، إذ يطلقون تسمية الموقعة بذلك بأن حليلة بنت الحارث كانت تطيب عسكر أبيها،

١٦١ Musil, Palmyrena, p. 144, Note 1. — بلدكة، ص ١٦ — حواء، ص ٥ — جر ٦١

(ibid) ١٦١

١٦٢ ابن حنبل، كتاب المصنف، ص ٢٢٨

١٦٣ ابن الأثير، ج ١ ص ٢٣٦

١٦٤ شذوذة، ص ٢٠

١٦٥ خيرال، النخبة، ص ٢٧

وتلعبهم الأكفان والدروع"^{١١}، وقيل أنه سمي بذلك الاسم نسبة إلى مرج حلبة
الملحوب إلى حليمة بنت ملك الحارث"^{١٢}

وأعتقد أن تلكدة يتفق في رأيه مع ما ذكره ابن قتيبة الذي يجعل موقعة
الحيار هي الموقعة التي قتل فيها المنذر بن النعمان ، وموقعة عين أباج هي الموقعة
التي قتل فيها ابن المنذر . ذلك الحيرة من بعده"^{١٣} كذلك أشار ابن قتيبة عند
قمره للولك الشام إلى أن المنذر ملك الحيرة لقي مصرعه في يوم حلبة"^{١٤} أي
أنه يجعل موقعة الحيار ويوم حلبة موقعة واحدة .

ورأى الحارث أن يرسل إلى القسطنطينية ليفارخ الحكومة البيزنطية فيمن
يخلقه من أولاده في ولايته وما يمكن اتخاذه من خطط عسكرية لمواجهة محروين
المنذر (٥٥٤ - ٥٦٨) ، فرحل إليها في سنة ٥٦٣ ، وبهرته مظاهر الحضارة
في عاصمة البيزنطيين ، وبيدو أنه لم يقابل هناك بما يجب أن يقابل به الأبطال
المنتصرون من مظاهر الفخارة والتكريم ، فقد كان الحارث مسيحياً على المذهب
المونوفيزيقي أي مذهب الطبيعة أو وحدة ، وكان يتولى الدواع عن المونوفيزيين
لتحريرهم من اضطهاد البيزنطيين لهم ، ويقال إنه سعى لدى الامبراطورة تبودورة
في سنة ٥٤٢-٥٤٣ لتعيين يعقوب البرادعي - مؤسس الكنيسة السورية اليعقوبية -
ورعيته ثيودوروس أممقعين في المقاطعات العربية في سورية"^{١٥} ، ونشر بذلك
المدح المونوفيزيقي في بلاده . وظل الحارث طوال سني حكمه حامياً للكنيسة
المونوفيزية ، ونجح في تحويل عرب الشام إلى متصرة على المونوفيزية . وقد هج

(١) ابن صبيح ٤ المطرف ٤ ص ٢١٦ - ابن الأثير ١ ج ١ ص ٢٢٩

(٢) ابن الأثير ٢ ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٩

(٣) ابن صبيح ٤ المطرف ٤ ص ٢١٨

(٤) ابن صبيح ٤ ص ٢١٩

(٥) تاريخه ٤ ص ٢١٦ - ٢١٧

Richard Bell. The origin of Islam, in its christian environment, London, 1946, p. 21

ابنه المنذر من بعده هذه السياسة . وعلى الرغم من أن العصاة كانوا يحكمون في الجالية من أرض الجولان ، فقد تمكنوا من التأثير على جميع الفئات العربية في الكورة الرومانية وفي فلسطين بل وعلى عرب سورية الشمالية^{١١٢} . ويبدو أن انتصار الحارث الكنيسة اليمينية كان سبباً في نظرة الشك التي كان ينظر إليه بها الامبراطور البيزنطي ، واستغل بطارقة الفسططينية هذه الفرصة لإثارة المشاعر هناك حول أمير مونيغيزيني^{١١٣} .

وتوفي الحارث بن جبلة الذي يقال له أيضاً الحارث بن أبي شمر في آخر سنة ٥٦٩ م أو أول عام ٥٧٠ م بعد أن قصى في إمارته أطول مدة في عهود أمراء القساسة ، وهي أربعون عاماً . ويشغل الحارث مكانة عظيمة في نفوس العرب إلى حد أن كتاب العرب القدماء كانوا يطلقون على كل أمير غساني حقيقي أو من خيالهم لا يعرفون اسمه ، اسم الحارث بن أبي شمر^{١١٤} .

ج - خلفاء الحارث بن جبلة ،

بعد وفاة الحارث بن جبلة انتقلت الإمارة إلى اسمه المنذر المعروف في المصادر اليونانية واللاتينية والبربرانية باسم Alamundaros ، ويذكر حمزة الاصفهاني أنه كان يلقب بالمنذر الأكبر تمييزاً له عن أخيه المنذر الأصغر^{١١٥} . والمنذر الأكبر هذا هو بطل موقعة عين ناع التي أشار بعض الأخباريين خطأ إلى أنها حدثت في سورية^{١١٦} . والواقع أن عين أباغ حدثت في موضع بعيد عن سورية ، فقد ذكر ياقوت أن عين أباغ ليست بمعين ماء وإنما هو واد وراء الأمان على طريقي

Richard ball, op. cit. p. 23 (١)

Ibid. (٢) - صفحة ١ ص ٢٢

(٣) - صفحة ١ ص ٢٢

(٤) - حمزة ١ ص ٧٨

(٥) - ابن الكلبي ١ ص ٢٢٦

المرات إلى الشام^(١١) ، وذكر ابن الأثير أن أمير السامرة يذكر أنه الحارث ابن أبي شمر) أرسل جيشاً إلى الحيرة فأسلمهم ، وأسرهم ، وأن اللقاء تم في عين أباع^(١٢) مما يدل على أن عين أباع حدثت بعيداً عن سوريه ، وفي موضع قريب من الحيرة . وفي هذه الواقعة^(١٣) - التي حدثت في سنة ٥٧٠ م في أوائل إمارة المنذر - انهزم جيش اللخمين هزيمة نكراء ، وذكر بعض المؤرخين العرب أن ملك الحيرة قتل في هذه الواقعة^(١٤) ، ولكن ابن الأثير يعتقد أن الذي قتل من اللخمين هو المنذر بن ماء السماء في واقعة مرج حليمة ، وأما عمرو بن المنذر فإنه لم يقتل^(١٥) ، وعلى هذا نستبعد الرأي القائل بأن عمرو بن المنذر قتل في عين أباع ، والمعروف أن عمرو بن المنذر الذي يسمى أيضاً بعمرو بن هند نسبة إلى أمه هند بنت عمرو بن حنجر الكندي^(١٦) قتل على يدي عمرو بن كلثوم التلي^(١٧) ، وقد يكون مصيره النسي عاملاً على الخلط بين هزيمتي عين أباع ومقتل أبيه في يوم ذات الحيار .

ويبدو أن الامبراطور البيزنطي جستين الثاني (٥٦٥ - ٥٧٨ م) لم يكن راضياً عن المنذر بن الحارث ، وأن العلاقة ساءت بينهما حتى انتهت إلى جفوة ، والسبب في ذلك يرجع إلى تمسك المنذر الشديد بالذهب المونوفيزيقي . ويبدو أن العلاقة بين الامبراطور قدهورت إلى حد أن جستين أوعد إلى البطريق مرقيانوس بأن يتحارب على قتل المنذر ، ولم يكن المنذر خافلاً مما يدبر له في بلاط الامبراطور ، ففر إلى السامرة ، وشق عصا الطاعة على الامبراطور مدة

١١ } ياقوت أم معجم البلدان ، ج ٤ ص ١٧٥

١٢ } ابن الأثير ، ج ٤ ص ٢٢٦ ، ٢٢٨

١٣ } ابن قتيبة ، كتاب المصنف ، ص ٢١٥ - ابن الأثير ، المعجم السابق - ابن

خالد ، ج ٢ ص ٥٨٦ .

١٤ } ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٢٠

١٥ } يجرى أيضاً باسم يضرب الحصار ، نسباً من توجه وشدة مله وفروه سببته

١٦ } ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٢٠ ،

١٧ } ابن المعجم ، ج ٤ ص ٢٢١

ثلاثة سنوات. فانتبهوا الضمير هذه الفرصة وأغاروا على سورية وأفسدوا فيها ، فاضطر الروم إلى استرضاء النذر بن الحارث^(١١) . ثم الاتفاق أخيراً وبعد مفاوضات طويلة بين المنذر والبطريق جستنيان مبعوث القسطنطينية ، في بلدة الرصافة ، عند ضريح القديس مرجيوس ، وعقد الصلح بينهما في أواخر أيام الامبراطور جستنيان^(١٢) .

وقد قام المنذر بزيارة الامبراطور الجديد طيباريوس الثاني (٥٧٨ - ٥٨٢ م) في القسطنطينية في ٨ مارس سنة ٨٨٠ م ، ورافقه ابنان له في هذه الرحلة ، وقد استقبل في عاصمة البيزنطيين استقبالاً حافلاً ، وأنعى عليه الامبراطور بالتساج بدلاً من الإكليل^(١٣) .

خير أن العلاقات بين المنذر وموريق ، فومس الشرق ، لذي يصبح امبراطوراً بعد ذلك ، والمنذر لم تلبث أن ساءت من جديد ، فعندما عزم موريق على غزو إحدى ولايات فارس في سنة ٨٨٠ م بالاشتراك مع المنذر ، وجد الجسر الكبير على نهر الفرات مهدماً ، فاضطر إلى العودة خائباً ، فاعتبر موريق أن في الأمر قرابته بين المنذر وبين الفرس ، وعزا هدم الجسر إلى خيانة من جانب المنذر ، وأبلغ موريق الامبراطور طيباريوس بهذه الخيانة. ولكن المنذر - إثباتاً لبراءته من هذه التهمة الملقطة - خرج وحده على رأس جيش كبير من العرب ، وأغار على بلاد الفُصيين ، وأحرق الحيرة ، وعاد من عروته بغنائم كثيرة . ولعل هذه الغزوة كانت سبباً في أن يطلق عليه مؤرخو العرب لقب المحرق ، وإن كانوا قد أطلقوا خطأ على جفنة الأصغر ابنه^(١٤) ، وبه سمي خلفاؤه بآل المحرق

(١١) تلخفة ١ ص ٢٥

(١٢) نفس المرجع ص ٣٦

(١٣) نفس المرجع ص ٢٦ - جود على ص ٤٦ - ١٢٦ - تلخفة ص ١ تاريخ سورية ج ١ ص ٤٢٩

(١٤) أخبار الصفهاني ص ٧٨ - ابن خنصور ج ١ ص ٥٨٦

ولكن الروم اعنمو هذا النجاح الذي أصابه المنذر تحدياً سافراً لجيشهم ، فعمروا على الانتقام منه ، فصدرت لأوامر إلى ماجنوس حاكم سورية الروماني «القبض عليه» ، على الرغم من أن هذا الحاكم كان صديقاً للمنذر ووليه . ولم يجد ماجنوس بداً من تنفيذ الأمر ، فأرسل إلى المنذر يدعو إلى حضور حفل افتتاح كنييسة شيدها في بلدة حوارين (بين تدمر ودمشق) ، فالتجده المنذر بهذه الدعوة ، ووقع في الكمين ، وتم القبض عليه وإرساله إلى القسطنطينية مع اثنين له وإحدى سافته^(١) . ولم يلبث طيباريوس أن توفي وخلفه موريق (٥٨٢-٦٠٢ م) ، عدم المنذر للدود ، فأمر بنفي المنذر إلى جزيرة صقلية ، كد أمر بقطع المعونة السنوية التي كانت تقدم لدولة البيزنطية لأسرة الفساسة . وقد أثار هذا التصرف غضب العساة ، فقام أولاد المنذر المخرج على دولة الروم ، فتركوا ديارهم وتحصنوا في البادية ، واتخذوها مركزاً للش المارات على حدود سورية ، فبنهون ويخربون ، وتمرضت بصرى لماراتهم . ولم يسع موريق إلا أن يعد حملة لتأديب أبناء المنذر ، حمل على قيادتها الحاكم ماجنوس ، وسير معه إيساً آخر للمنذر ليخلفه على إمارة الفساسة^(٢) . ولكن هذا الأمير القسالي توفي بعد أيام ، وهشت الحقة على الرغم من أن ماجنوس تمكن بطريق الخدعة والدهاء من القبض على السعان أكبر أبناء المنذر ، وأرسله أسيراً إلى القسطنطينية في سنة ٥٨٣^(٣) .

ويذكر العلامة بقلان يوحنا الإفسي أن حرب غسان بعد القبض على السعان تفرقوا وانقسموا إلى ١٥ فرقة لكل منها رئيس ، فدخلت بعض هذه الفرق في سلطان الفرس ، ورحل مصملاً إلى بلاد الروم ، والبعض الآخر إلى قباقق

(١) ٦١١ للملكة . ص ٢١ - جواد علي . ص ١٣٨

(٢) نفس المرجع . ص ٢٢ - جواد علي . ص ١١٩

(٣) نفس المرجع . ص ٢٢

Cappadocia ' ' ' ، ودخل من عاشر إلى بلاد الروم في متعب الطيبتين (١) . وعلى هذا النحو أعقب أسر السجان بن الحدر تصدع في إمارة غسان ، وتفتككت وحدة عرب سوريا إلى حد أن كل قبيلة اختارت لها أميراً ، وبدأت القبائل تتطاحن فيها بينما بعد أن فقدت زعيمها وملكها ، وبدأت تغير على المناطق المحصورة من سورية وتميت صداداً في المناطق المعمورة ، الأمر الذي دفع الروم إلى ضرورة إقامة أمير جديد للضامنة بدلاً من المنذر .

ويختلف الأخباريون العرب في ذكر أسماء أمراء غسان بعد المنذر ، اختلافاً كبيراً ، في الوقت الذي ينقطع الأخباريون اليونان عن الحديث عنهم . ولكن بما لا شك فيه أن من قولى أمراء الضامنة بعد المنذر كانوا ضعافاً ، وأن مدد حكمهم كانت قصيرة ،

وبما لا شك فيه أيضاً أن دخول الفرس لبلاد الشام في سنة ٦١٣ وما يلحقها قضى على ذلك بني حفنة ، فتلحقوا في الصحراء أو في بلاد الروم ، وأنه لم يتول في العقرة من دخولهم الشام في تلك السنة وغروهم منها على أيام هرقل في سنة ٦٢٩ أمير غساني بلاد الشام الجنوبية . ويذكر حسان بن ثابت أن كسرى الثاني أبريز قتل أحد أمراءهم (٢) .

(١) نفس المرجع ، ص ٢٤

(٢) نفس المرجع ص ٢٤ ، نقلاً عن ابن الجوزي ،

(٣) طبخة ، ص ٤٦ - وقد رآه حسنة بن ثابت ، بقوله :

فصاحبي كسرى سؤس ودوسه	فصاحبي من الجساس ما يظلم
لعمري لا يسقى الله ليرة	لعمري وصاحب الليل النجوم
لعمري مياه الخمرى وقد صعد	لعمري من كل هي مرمم

راجع ديوان حسنة بن ثابت مصر ١٠٢٠ ،

وأغلب الظن أن هرقل أسد حملة سوريّة إلى أحد أمراء عمان بعد نجاحه في طرد الفرس من البلاد في سنة ٦٢٩ م ، بدليل أن الفساسة حاربوا المسلمين مراراً في حاسب الروم ، وأن خالد بن الوليد أوقع بهم في سنة ٦٣٤ في مرج الصفر جنوبي دمشق ، كما أن جبلة بن الأحم ، وكان ملكاً عليهم حسب الروايات العربية ، قاتل خالد بن الوليد في دومة الجندل^(١١) ، وأنه اشترك مع الروم في وقعة اليرموك في سنة ٦٣٦ م^(١٢) . كذلك تشير المصادر العربية إلى اسم أمير غساني آخر هو الحارث بن أبي شمر الغساني أمير حوثة الذي أرسل إليه الرسول في سنة ٦ هـ شجاع ابن وهب ليطلب منه التحول في الإسلام ، وكان يحمل إليه كتاباً من الرسول^(١٣) ، وهو الذي سبر إليه الرسول حقل لتأديب العاسنة بقيادة رعد بن حوثة الكلبي^(١٤) .

أما جبلة بن الأحم الذي يزعم الأحباريون العرب أنه آخر أمراء الفساسة فهو الذي ه أسم وارتد عن دينه خوف الفار والقيود من اللطبة^(١٥) . ويذكر البلاذري أنه أتى عمرو بن الخطاب وهو على نصرانيته ، ه فعرض عليه الإسلام وأداء الصدقة ، فأبى ذلك ، وقال : أقيم على ديني وأؤدي الصدقة . فقال عمر : إن أقيمت على دينك فأد الجزية . فأنف منها . فقال عمر : ما عندك لك إلا واحدة من ثلاث : إما الإسلام ، وإما أداء الجزية ، وإما الذهاب إلى حيث شئت . فدخل

(١١) الطبري ، ج ٤ ، قسم ٤ ، ص ٢٠٦٥

(١٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ، ص ١٦٠

(١٣) الطبري ، موطأ ، قسم ٢ ، ص ١٦٥ ، — جواد علي ، ج ٤ ، ص ١٥١ — جلال الدين سيدي ، قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٢٦

(١٤) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ص ١٧٢ — الطبري ، موطأ ، قسم ٢ ، ص ٦١٠

(١٥) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٠٩

بلاد الروم في ثلاثين ألفاً . فلما بلغ ذلك عمر ندم . وعائنه عبادة بن الصامت فقال : لو فلتت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم^{١١} . وذكر ابن قتيبة أنه أسلم في خلافة عمر بن الخطاب ثم تنصر بعد ذلك ، وأن سبب تنصره ، أنه مر في سوق دمشق فأوطأ رجلاً فرب ، فوثب لرجل فلفظه ، فأحده النسياسيون فأدخلوه على أبي عبيدة بن الجراح ، فقالوا : هذا لطم سيدنا ، فقال أبو عبيدة بن الجراح : البينة أن هذا لطمك . قال : وما تصنع بالبينة ، قال : ان كان لطمك لطمته بلطمتك قال : ولا يفتن : قال لا قال . تقطع يده ، قال . لا إله إلا الله بالصامس ، فهي لطمته بلطمته . فمخرج حدة ولحق بأرض الروم ونصر ولم يزل هناك إلى أن هلك^{١٢} .

١٠ - حضارة الفصاحة

كانت ديار غسان ، كما نستنتج من أشعار العرب تمتد ما بين الجولان واليرموك^{١٣} ، وكانوا يقيمون بالقرب من دمشق في موضع على نهر بردى يعرف بـ «جلق» وقد أشار حسان بن ثابت إلى هذا الموضع في قوله :

أنظر خليلي سطن جاق هل تومس دون البلقاء من أحد^{١٤}
وهو أيضاً :

ف در عصابة نادمتهم يوماً يجلق في الزمان الأول

(١) اللاتري ، ج ١ ص ١٦١

(٢) ابن قتيبة ، كتاب المعتمد ، ص ٩١٧

(٣) التميمي ، ج ٢ ص ١٠٩

(٤) ديوان سيدنا حسان بن ثابت : ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ - ويؤيد : محمد الشاذلي ، ص ٢٤

سادة جلق ص ١٥٤

وفي ديار غسان يقول حسان مادحاً جنة بن الأيهم :

لم يدار أفقرت بمات بين أعلى البرموك قالحات
فالمربات من بلاس قداريا فكاء فالقصور الدوالي
فلفسا جاسم فاروية الصقروفتنا قنا بمل وهجان^(١١)

وكانت الجولان^(١٢) قاعدة تلك الفساسة وممكراً لهم في بلاد الشام ، وفيه يقول النابغة يرثي النعمان بن الحارث :

بكى حارث الجولان من فقد ربه وهوران منه موحش متعائل^(١٣)

والخذ الفساسة مدينة الجديبة مركزاً لإمارتهم ، ويقع الجديبة بالقرب من مرج الصفر في شال حوران ، ويذكر مدركة أنه لم تصل إلينا قط إشارة إلى أن الفساسة كانوا يمتلكون أباً من الأماكن المحصنة أو من المدن التي كانت مراكز الجيش كدمشق وحمص أو كتدمر التي حصنها جيكتبان^(١٤) .

وكانت للفساسة حضارة مزدهرة متأثرة إلى حد كبير بالحضارتين الساسانية والبيزنطية ، وحضارتهم على هذا النحو تتفق مع الحضارة الأموية التي أخذت أصولها من الحضارتين الساسانية والبيزنطية أيضاً ، ولعل ذلك من الأسباب التي جعلت علماء الآثار إلى الارتباك في نسبة بعض الآثار المرمية بالبادية مثل قصر المشتى

(١) ديوان حسان بن ثابت ، ص ١١٠ - مروج الذهب ، مجلد ٢ ص ١٠٨

(٢) الجولان ، قرية وقيل جبل بن موسى خشيخ لم يبق حوران ، ياقوت ، معجم البلدان ٢ مادة جولان

(٣) وقوت ، مادة جولان ، ص ١٨٩

(٤) المدركة ، ص ٥١

وفصر الطوبى ، فعضهم ينسبها إلى العصر الأموي والمعنى الآخر ينسبها إلى
الساسنة ^(١١) .

وقد اشتغل الساسنة بالزراعة ، فاستعملوا مياه حوران ^(١٢) التي تشدق من
أعلى الجبال في الزراعة ، فعمرت القرى والضاح ، وعدد حسان من بينها ثلاثين
قرية . غير أن اهتمام أمراء ساسن بالبنان كان أعظم . فعلى الرغم من إقامتهم
في الموادي فإنهم أقاموا كثيراً من الأبنية من قصور وقساطر وأبراج وغيرها
يرسب حرة الأصفاة إلى ثلاثة عشر أميراً منهم تشييد القصور والأبنية العامة .

وهناك أبنية لم يذكرها حمزة الأصماني ، ولكنها تدخل في عداد المنشآت التي
أقامها الساسنة ، منها قصر المشتق الذي يرجع إشتاؤه في القرن الخامس الميلادي
أو ما قبل القرن السادس وهو بناء متأثر إلى حد كبير بفن العمارة الساسانية الذي
كان يمارسه العرب في الحيرة ^(١٣) ، وقلمة القسطل المجاورة لهذا القصر شبيهة في
بنائها بقصر المشتق ، وقد ذكر حمزة أنها من بناء جلة بن الحارث .

ومستدل من بقايا آثار الساسنة في الشام على أن فهم كان أكثر تأثراً بالفنون
الساسانية منها بالفنون البيزنطية .

ولقد أفادتنا أعمار حسان بن النعمان والناطقة الديباني في وصف حياة الساسنة
في السلم وفي الحرب ، وهو وصف يلقي ضوءاً على حصارهم ، من ذلك قول حسان
يرثي آل جفنة :

(١١) راجع ما ذكره حمزة بن عبد الملك في : راجع ما ذكره حمزة بن عبد الملك في :

Creswell, Early Muslim architecture, vol. I, p. 398-405

(١٢) استعمل قول ، الدين الإسلامي ، ترجمه الأستاذ أحمد موسى ، للناسخ ، ١٩٦١ من ١١-١٢
(١٣) كورة واسمة من أعمال دمشق من جهة الصربية ، قائد قري ومزارع وحرار
وقسمها منى ، بالقوت ، بحجم الدناد ، بناء حوران ، بحط ٢ من ١٧٧٠ .
(١٤) راجع تيسو ، العرب في سوريا منذ الإسلام ، من ٥٢ - أرسيت كوتل ، من ١٤

أسألت رسم الدار أم لم تسأل
فالمرج مرج الصوري فجامع
فمن ثعالب الرياح دوارس
دار القوم قد أراهم مرة
قد در عصاة تادمتهم
يمشون في الخلل المصاعف بسحر
الصاريون الكيش يبرق ببصه
والخاطرون فقيرهم بعينهم

بين الجواني فالضجيع معمول
مديار سلى درسا لم تحصل
والمديجات من السالك الأعزل
فوق الأجرة عزم لم يتقبل
يوما يخلق في الزمان لأول
مشي الجمال إلى الجمال العزل
صرا يطيح له بيان القصل
والتمعن على الضعيف لمرمل^(١)

وقد وصف حسان بن ثابت مجلساً من مجالس جبة بن الأيهم أمام كاد أميراً على
الفاست فقال: « لقد رأيت عشرين حرس روميات يمين الرومية بالبراطة »
وحس يمين غناه أهل الخيرة ، وأهداهن إليه إياس بن قبيصة ، وكان يهد إليه
من يمينه من العرب من مكة وغيرها ، وكان إذا جلس للشراب قرش تحته الأيس
والياحمين وأصناف الرياحين ، وحرب له العبر والمك في صحاف العسة والذهب ،
وأتى بالمك الصحيح في صحاف العسة ، وأوفد له المود الندى أن كان شائياً ،
وإن كان صائفاً يحن بالثلج ، وأتى هو وأصحابه بكساء صيفية يخلص هو
وأصحابه بها في الصيف ، وفي الشتاء القراء المك وما أشبهه ولا والله ما حدثت
معه يوماً قط إلا جلع على ثيابه التي عليه في ذلك اليوم ، وعلى عيري من جلسائه
هذا مع حلم عمن حول وضعلك وبدل من غير مسألة ، مع حسن ورحمة وحسن
حديث » (٢) .

(١) الجواني مسلماً فاصل من كتابه ٧٩ ٨٠

(٢) أبو المرج الأصمعي . لأخبار . ١٦٦ . الفصل الأول ، يرموه ١٩٥٦ ص ٢١
- أمة يمين ، بحر الإسلام ١ ص ٢١

المنافرة

١ - هجرة التتويجين إلى بلاد العراق .

كانت بلاد العراق مفتوحة دائماً لغير العرب المسلمين بأطراف شبه الجزيرة العربية أو الوافدين من بلاد العرب الجنوبية ، وكانت هذه الهجرات وتدابيرها خاصة في الأوقات التي قصف فيها الحكومات في العراق . وعلى هذا النحو أصبحت المنطقة المجاورة للفرات الجنوبي هدفاً لهجرة عربية في عصر الطوائف ، وهي فترة الانتقال بين سقوط الدولة الباشية وقيلام الدولة الباشية ، وشبه الأخباريون هذه الهجرة إلى قبائل تنوخ ، وهي من قبائل العربية الجنوبية التي رحلت من اليمن على أثر تصدع سد مأرب وقيل أو بعد سيل الفرم ، وقد تركت إحدى ذي بدء في البحرين ، واستقرت هناك وتنوخت ، وتحالفت فيما بينها ، وأخفت هذه القبائل تطلع إلى الاستمرار في مشارب العراق ، وتقتدر فرصة مواتية لتحقيق هذا الغرض ، فانتهزت فرصة الحرب الأهلية في بلاد فارس في أواخر عصر الدولة الباشية ، ولطامن لذلك فيما بينهم ، وهاجرت إلى منطقة الحيرة والأنبار ، وقد أورد الأخباريون تفاصيل الهجرة التتويجية في روايات أشبه بالنص التي تختلط فيها الحقيقة بالخيال والوهم ، ولا تخلو هذه الروايات - على

ما هي عليه من طابع خرافي - من تفصيلات مصطرفة ومتناقضة ، ومعظم هذه الروايات منقولة من روايات ابن الكلبي^{١١} الذي يساقص نفسه في معظم ما رواه .

ومن المعروف أن توخ اسم قبيلة عربية يمنية ورد ذكرها في حميرية بطليموس تحت اسم *lamaitae*^{١٢} ، وكانت منازلهم في جنوب جبال *Amriten* وهي السلسلة الجبلية الممتدة حسب رأي جلاسر من البجامة إلى السراة ، وحسب رأي سيرنجر هي نفس جبال شم^{١٣} ، ولكن الأخباريين يرجعون مسارها إلى نهامة .

ومدينة الأبار التي هاجر إليها عرب قنوخ قديمة النيان ، وقد تبين من دراسة آثارها أنها من المواقع السابقة على عصر الدولة الساسانية . وقد ازدهرت هذه المدينة وهرت في عصر شاپور الثاني (٣١٠ - ٣٧٩ م) ، الذي حصنها بالفلح والأسوار لكي تسهم في مقاومة غارات الروم على بلاده . وحفر إلى الجنوب منها نهر يصل الفرات بدجلة كان يعرف باسم *Nararuen* أي نهر عيسى . واكتسبت الأنار بفضل هذا النهر أهمية عظيمة ، إذ أصبحت مركزاً تجارياً هاماً وتخزيناً للأموال ، واسم الأبار القديم *Han-bar* بمعنى الخزن ، يمر من هذه الشهرة التجارية التي أصابتها^{١٤} . وقد تعرف الأخباريون العرب على هذا المعنى ففسروها به ، فطابري يذكر أنه « سميت الأبار أسار لأنها كانت

(١) من المعروف أن لها انظر هشام بن محمد بن السلف الكلبي الف كبير من السيرة ،
أحدنا بصوار ، كتاب السيرة ، والثاني بصوار ، كتاب السيرة وسببه البيع والعبادة ،
وسببه الميقاتين ، راجع برانز رورتال ، ديم التاريخ عند بطليموس ، ص ١٦١

(٢) جواد علي ، ج ٣ ص ٤١١

(٣) نفس المرجع ، ج ٣ ص ٢٦٦

(٤) نفس المرجع ، ج ٤ ص ٢١ - ٢٢

تكون فيها أنابيب الصمام وكانت تسمى الأهر^{١١٠} ، لأن كسرى ورق أصحانه
 روقهم منها^{١١١} . ويذكر الأستاذ حواد على أن اسم الأنبار لم يرد بين المذنبين والواضح
 التي أوردها يزيدور للكر كسي الذي طاف في أمر طورية الدارثيين في الصمام
 الأول للسلافة ، ولذلك يرى بعض الباحثين أن الأنبار لم تبق إلا بعد أيام يزيدور^{١١٢}
 ومن المحتمل أن تكون أسست في القرن الأول الميلادي لحزن المواد والأقوات
 لتزويد الحاميات بما تحتاج إليه ، ثم اتسعت مراقبها وعمرت في العصر الساساني
 حتى أصبحت المدينة الثابتة في إقليم بابل بعد طيسعون^{١١٣} . وعلى هذا الأساس
 يمكن أن نعتبر بناءها متفقاً في الزمن مع عصر البارثيين

أما الحيرة فهي مدينة قديمة البديان أيضاً ، وتاريخ إنشائها مجهول ، فلم تتوصل
 بعد إلى العثور على أي نص تاريخي مدون يتخصص ما يشير إلى هذا التاريخ ، وأقدم
 كتابة تتضمن اسم الحيرة « حيرة » نص يرجع إلى شهر أيلول من سنة ١٤٣ من
 التاريخ السلوقي ، الموافق لشهر سبتمبر من سنة ١٣٣ من التاريخ الجلاوي^{١١٤} .
 ويستدل من هذا النص على أن الحيرة أقيمت في عصر سابق للعصر الساساني .
 ويرجع الأخباريون إنشائها إلى مختصر مؤسس الأنبار في راجم^{١١٥} ، وقيل أنها
 من بناء تبع الأكبر^{١١٦} .

ب - ملوك الحيرة من التنوخيين :

يكاد يجمع الأخباريون على أن أول من ملك من تنوخ الذين استقروا في الأخبية

١١١ | الطول ١٠ ج ١ قسم ٢ ص ٧١٨

١١٢ | حواد على ، ج ٤ ص ٢٢

١١٣ | تميم المرجع ، ج ٣ ص ٨١ ، ج ٤ ص ٦

١١٤ | حواد ، ص ٦٦ - التطريحي ، ج ١ قسم ٢ ص ٧١٨

١١٥ | بطون ، سجع البدار ، مجلد ٢ ، مكة الحيرة ص ٢١٩

والإطال ما بين الأنصار والحيرة مالك بن فهم ، وكان منزله مما يلي الأنصار^(١١) ،
ويذكر حمزة أنه اتحد الأنصار منزلاً ، وأنه ظل يقيم بها إلى أن رماه سليمة بن
مالك معهم أروء قتيلاً^(١٢) . وغلغله أخوه عمرو بن فهم في رواية^(١٣) ، وجذبة
ابن مالك في رواية أخرى^(١٤) . ولا نعرف شيئاً يذكر عن عمرو بن فهم ، فالأخبار
عنه لا تزيد على ذكر اسمه ، أما جذبة الأبرش ، فقد اهتم به الاخاريون اهتماماً
خاصاً ، ورووا أخباره بشيء من التفصيل .

وجذبة الأبرش هو جذبة الصناح في رواية المسعودي^(١٥) ، وأبوه هو مالك
ابن فهم بن غانم بن دوس الأدهي ، ويرفع ابن الكلبي نسبه إلى كهلان بن سبأ^(١٦) ،
ويرفعه آخرون إلى العرب العاربة الأولى من بني وبار بن أمية بن لؤي بن سام^(١٧) .
وقد نال الاخباريون في مدحه ، فذكروا أنه « كان ثقب الرأي ، بعيد المخار ،
شديد التكاية ، ظاهر الحزم ، وهو أول من غزا الجيوش ، فشن الغارات على قبائل
العرب »^(١٨) . ويطلقون تلقبه بالأبرش والوضاح أي الأبرص بصرى كان به ،
« فكنت العرب عنه وهابت العرب أن تسيه به وتلقبه إليه ، إعظاماً له ،

(١١) البغوي ، ج ١ ، ص ١٦٦ - حمزة ، ص ٦٦ - الطبري ، مجلد ١ ، قسم ٢ ، ص ٧٥٠ -
ابن جرير ، الجارية ، ص ٢٤٧ - ابن الأثير ، ج ١ ، ص ١٩٦ - ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٤٠

(١٢) حمزة ، ص ٦٤

(١٣) الطبري ، مجلد ١ ، قسم ٢ ، ص ٤٢٠ - ابن الأثير ، ج ١ ، ص ١٩٦

(١٤) البغوي ، ج ١ ، ص ١٦٦ - حمزة ، ص ٦٦ - المسعودي ، ج ٢ ، ص ٩٠

(١٥) المسعودي ، ج ٢ ، ص ٩٠

(١٦) الطبري ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٧٥٠

(١٧) الحسن بن مسعود ، ج ١ ، ص ٧٥٠ - ابن الأثير ، ص ١٩٦ - ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ٥٤٠

(١٨) حمزة ، ص ٦٤ - الطبري ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٧٥ - ابن الأثير ، ج ١ ، ص ١٩٧

ف قيل جذية الوضاح ، وحذية الأبرش ^(١١) . وكان ملكه على حد قول الاخباريين
 قبا بين الحيرة والأبار وبقة وهيت وناحيتها وعين التمر وأطراف البر إلى النخيل
 والقططانة وخفية وما والاها ^(١٢) . أما بقة فتقع بين الأسار وهيت ، على نهر
 الفرات ^(١٣) . وهيت ^(١٤) مدينة قديمة أسست في عصر يسبق الميلاد بقرون ، وعرفت
 باسم إيد وزيت ^(١٥) ، والقططانة ، على حد قول ياقوت موضع قرب الكوفة من
 جهة البرية بالطف ، به كان سجن النعمان بن المنذر ^(١٦) ، وأما خفية ، فجأة في
 سواد الكوفة ، بينها وبين الرحمة بضعة عشر ميلا . ينسب إليها الأسود ، يقال
 أسود خفية ، وهي غربي الرحبة ، ومنها إلى عين الرحبة مقربا ، وقيل عين
 خفية ^(١٧) . وعين التمر بلدة من الأنبار تقع غربي الكوفة ، وبالقرب من موضع يعرف
 باسم شفاة ، ومن عين التمر يصدر التمر إلى سائر البلاد ^(١٨) . ومنه إلى ذكر إقليم
 الحيرة عند حديثنا عن قصير الحيرة ،

وذكروا أن جذية كان له نعيان يقال لأحدهما مالك وللآخر عقيل ابنا هالج ،
 وقيل ابنا خارج بن مالك بن كعب ، وإياهما عني متمم بن نويرة أبو بوعبي في مراثيته

(١) حره ، ص ٦٤ — الطبري ، نفس الصفحة — ابن الأثير ، نفس الصفحة

٢ . نفس المرجع — الطبري ، نفس الصفحة — ابن الأثير ، نفس الصفحة

(٣) المقدسي ، أحسن التقسيم ، ص ١٢٢ — وشكوك ياقوت أن بقة موضع قريب من
 الحيرة ، وقيل حصن كان على ترسخين من حيث كان يملك جذية الأرض ياقوت ، ص ١٢٢
 البلدان ، مجلد ٢ ، مادة بقة ، ص ٤٧٣ .

(٤) مجلة بلدة على الفرات من سواحي بغداد فوق الكوفة ، ذات سهل كبير وجارات واسعة
 وهي مجاورة للبرية ياقوت ، معجم البلدان ، مجلد ٥ ، مادة جيت ، ص ٤٢١ .

(٥) جهاد طبري ، ج ٤ ، ص ٩٦ ، ٩٧

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، مجلد ١ ، مادة السلفطانة ، ص ٢٧٤

(٧) نفس المصدر ، مجلد ٢ ، مادة حنية ، ص ٢٨٠

(٨) نفس المرجع ، مجلد ٣ ، مادة عين التمر ، ص ١٧٦

لأخيه مالك حين قتله خالد بن الوليد يوم البطاح

وكنّا كدعائي جديدة حقة من الدهر حتى قيل لن يصعدنا
فلما قرعنا كأي ومالكا لطول اجتماع لم يبت لقة مما
وقال أبو خراش الهذلي بعثها :

ألم تعلمي أن قد قرع قبلك خيلاً صفاً مالك وعقيل^(١)

وذكروا أن جنيّة لم يكن بنادم أحداً ذهبا من نفسه ، وكانت يقول : « أنا
أعظم من أن أأدم إلا الفرقتين » فكان يشرب كأساً ويصب لكل منها في الأرض
كأساً^(٢) ، حتى أله مالك وعقيل بصرو بن عدي ابن أخته ، وكان قد ضل
واستسقى على جنيّة الثور عليه ، فالتقيا نديين له لا يفرق بينهما قط^(٣) . أما
الفرقة أن للذان كان يادوسهما فصنان منهما لما تكهن ، وسامحا الصيرونين^(٤) ،
وكان مكاتب الصيرونين بالهيرة معروفاً ، وكان يستسقي بها ويستنصر بها على
العدو^(٥) .

وبروي الطبري عن ابن الكلبي أن إباداً كانت تنزل بعين أمّالغ ، وكان فيهم
غلام من حُم يقال له عدي بن نصر بن ربيعة يتأثر بالوصامة والظرف ، فبلغ جديّة
أسره فأراد أن يستقدمه ، ففزعاهم جديّة ، ولكنه لم يستطع أن يظفر بالغلام ،

(١) الطبري ، ج ١ ، قسم ٤٩ ، ص ٧٩٦ - المسعودي ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ١٢٠ -
الكتبة والاعراف ، ج ١ ، ص ١٨٧

(٢) ابن كلبية ، سعدون الحمير - مجله ١ ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٧٤

(٣) نفس المصدر ، ص ٢٧٥

(٤) الطبري ، ج ٢ ، ص ١٦٦ - ابن خلّكان ، ج ٢ ، ص ٥٤١

(٥) الطبري ، ج ١ ، قسم ٤ ، ص ٧٩٦ - ابن الأثير ، ج ١ ، ص ١٢٧

قبضت بإيد قوماً سرقوا الصنمين المروقيين والضبيدين ، وأرسلوا إليه بأساومونه في أن يردوا الصنمين في مقابل أن يتعهد جديفة بمسالمتهم ، فوافق جديفة على أن يرسلوا إليه عدي بن نصر ، فأرسلوه إليه مع الصنمين ، فصره إليه ، وولاه شرايه^{١٩} . فأبصرته رقاش أخت جديفة ، فوقع من قلبها موقعا حسنا ، وعشقت ، وراسلته ، وطلبت منه أن يخطبها إلى جديفة ، فأبذى خوفه ، ولكنها هونت عليه الأمر ، وأشارت عليه بأن يقدم لجديفة - عندما يحضر بدماء - شرايا مركزا ، ويقدم للقوم شرايا مزوجا بالماء ، فإذا فعلت انحر مصولاها فيه ، سهل عليه أن يخطبها إليه فإنه لن يردده أو يتسرع ، فإذا وافق فعلى عدي أن يشهد القوم . ففعل ما أشارت عليه به ، ولجج في تنفيذ خطتها ، وانصرف عدي إليها ، وأعرس بها من ليلته ، وتضمن بالخلوق (أو الطبيب) ، فأنكر عليه جديفة ذلك وسأله عن سبب قطعه فأجابته بأن ذلك من آثار العرس ، فقامت جديفة عن الأمر ، فأوضحه له عدي ، فغضب جديفة وضرب يده على جبهته ، وأكب على الأرض مدحا ، ففر عدي ، ولم ير له أثر ، وقيل : بل قتله^{٢٠} ، وذكر الدينوري أن جديفة هو جديفة بن عمرو بن ربيعة بن نصر اللخمي وأنه هو الذي زوج أخته من ابن عمه عدي بن ربيعة بن نصر . والدينوري وحده هو الذي يتفرد بهذه الرواية الشريفة^{٢١} .

ونقل جديفة أخته رقاش إليه ، وحصلتها في قصره ، وحملت رقاش من عدي ، وولدت غلاما سمته عمرا ، ووشحته حتى إذا ترعرع عطرى والبست وحلته ، وطلبت من أخيها أن يراه ، فلما رآه جديفة أعجب به وأحبه ، ثم أمر فجعل له

(١) الدينوري ، نفس الصفحة - ابن الأثير ، نفس الصفحة - ابن خلدون ج ١ ص ٥٤٢

(٢) الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ٧٥٢ + ٧٥٣ - المسعودي ، ج ٢ ص ٦١ - ابن الأثير ، ج ١ ص ١٦٧ - ابن خلدون ، ج ٢ ص ٥٩٣

(٣) الدينوري ، الاختيار المثل ، ص ٥٩

على من فضة وطوق، فكان أول عربي ألبس طوقاً، فكان يسمى عمرو ذا الطوق. فلما شب عمرو، وراه حذيفة والطرق عليه فقال: «شب عمرو عن الطوق» فذهبت مثلاً^{١١١}. وكان حذيفة محارباً كثير الفوز، ففزا بلاد عمرو بن ظرب بن حسان بن أدينة بن السيدع بن هوهر العملي ملك العرب بأرض الجزيرة، ومشارف الشام، واشتبك معه في قتال عنيف انتهى بهزيمة عمرو بن ظرب ومقتله، فخلقته أبنته الزباء، وتحاملت على الانتقام من حذيفة، فاستدرحته إليها، ثم قتلته على البحر الذي أوصحناه عند دراستنا السابقة لتدمر. ولكن الديودوري يخالف الاخباريين فذكر أنه تزوج مارية ابنة الزباء الفسائية التي ملكت الجزيرة بعد عمها الضيزان^{١١٢}، فهو يحمل الزباء من البيت الفسائي، ويحمل حذيفة من البيت النخعي.

ج - قصير الحيرة وبداية إمارة المناذرة أو النخعيين

تولى عمرو بن عدي الإمارة على حرب الحيرة والأنبار بعد حذيفة^{١١٣}، وعمرو ابن عدي هو عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن ميمون بن مالك بن غنم بن غارة بن لحم، ولهذا فعمرو يعتبر مؤسساً لإمارة النخعيين في الحيرة. وهناك رواية أخرى عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحق تجمل حمراً هو عمرو ابن عدي بن ربيعة من نصر وأمه جده ربيعة بن نصر لما فسر له سطيج وشق رؤياه بقلعة الأحشاش على اليمن والفرس من بعدهم، جهز بيه وأهل بيته إلى العراق

(١١) الطبري ٤ ج ٢ قسم ٢ من ٦٥٥ — المسعودي ١ ج ٢ الف ٢ ج ٢ من ٩٢ ح ١٥٨

الكلد ٥ ج ١ ١ من ١٦٨

(١٢) الطبري ٤ ج ٢ القسم الأول ٢ من ٥

(١٣) يجعل يرسم على مدة حكمه من ٩٢٨ إلى ٩٨٨

بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ساور ذي الاكتاف فأسكنهم الحيرة ^(١١) . ولكن رواية ابن اسحق هذه مليئة بمصر الخيال وواضح فيها عنصر الاختلاق والتشويق ، فهي أقرب إلى القصص التي تخلو من أي حس أو متطور تاريخي ، ومن المعروف أن حمرو بن عدي وفقاً لرواية هشام بن الكلبي يقتصب إلى عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي ^(١٢) . وعمره هذا هو أول من اتخذ الحيرة موطئاً من ملوك العرب ، وأول من جده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق ، وإليه ينسبون ، وهم ملوك آل نصر ^(١٣) . ويذكر الاخباريون أنه كان منفرداً بملكه مستقداً بأمره ، يفزو المغاري ويصيب الفنائم ، وتقد عليه الوفود وهمرة الأطول ، لا يدين ملوك الطوائف بالعراق ، ولا يدينون له ^(١٤) ، وذكر ابن قتيبة أن الملوك عابته وعظمت له ، كان من حيلته في الطلب بثأر خاله حتى أدركه ^(١٥) . ويبدو أن أردشير بن بابك مؤسس دولة الساسانيين - وكان معاصراً لعمرو بن عدي وفقاً لما تشير إليه المصادر العربية - أبدى استعاضاً من نزوح قبائل العرب إلى العراق واستيطانهم في الحيرة ، فلما قضى أردشير على الفتن الداخلية ، وضبط

(١١) الطبري ، ص ٥٤ - الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ٧٧٠ + ٧٧١ . وطبع وشق بإصدار وزارة تلويح القرويا ، واسم سطح هو ربيع بن ربيعة بن مسعود بن حزن ، أما شق فهو ابن صبا بن يشكر بن زهم بن أريك بن عير بن قيس بن خبار ، والرواية التي رآها ربيعة بن نصر وعاله به رأي صبه خرجت من ظلمة توقفت بارض قبة بقلقت منها كل ذات جعبة ، راجع الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ٩١١ + ٩١٢ - السمردي ج ٢ ص ١٦٢ .

(١٢) وهذه رواية ثقلة في نسب حمرو بن عدي أوردها ابن قتيبة : لقد فكر ابن نصر أن الذي هو نصر بن الساطرون بنك السريشيين ، صاحب الحصن ، وهو حربغثي بن أهل الموصل من رستاق يدعى باجرسي (ابن قتيبة : كتاب المعارف ص ٢١٧) .

(١٣) حيلة ، ص ٦٥ - الطبري ، ج ١ قسم ١ ص ٧٦٨ - ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٢

(١٤) حمرا الأصمغني ، ص ٦٥ - الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ٧٦٩

(١٥) ابن قتيبة ، كتاب المعارف ، ص ٢١٨

ومصدر اشتقاقه ، فالأحدريون العرب يزعمون أنه مشتق من الحيرة لأن تسميها
أقبل يحوشه صل ذلك فتعبر في هذا الأمر^١ وقيل سميت الحيرة لأن تسميها
الأكبر كحلف ضفاف حننه في ذات الموضع قال لهم : حبروا به أي أقيموا
به^٢ . وفي رواية للزحاحي أنه كثر لها ذلك من رعيير جعلها حبراً وأقطعها قومها
فسميت الحيرة بذلك^٣ . وقيل أن الأردوان بن حيراً ، برله من أعانه من العرب
فسمي ذلك الحير الحيرة^٤ . وقيل من الحائر أي بركة من الماء أو حوض يسبب
إلى سيل ماء وسمي بذلك لأن الماء يتحير فيه ، وأكثر الناس يسمون الحائر
حيراً^٥ . ولدينا من أمثلة القصور المسماة بالحير ، قصر الحير الشرقي وقصر الحير
العربي اللذين أسسهما هشام بن عبد الملك في مدينة الشام بالقرب من الرصافة^٦ ،
وحبر الزجالي في شمال قرطبة الذي ينسب إلى بني الزجالي^٧ ، وقصر الحائر
من قصور قرطبة^٨ . والحير في اللغة العربية هو موضع محاط بالأشجار ، وهو
الحى أو الحظيرة^٩ .

وهناك من العلماء من يذهب إلى أن الحيرة كلمة من كلمات بني إرم ، وأنها
حيرة Herta أو حيرتو السريانية الأصل ومعناها الحميم والمسكر ، وأن حيرة
Herta وحيرة Hira في التواريخ السريانية التي تعرضت لتذكر القساسة تقابل
كلمة عسكر عند العرب^{١٠} . ويرى الأستاذ يوسف روق الله عنيمة أن الحيرة

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الحيرة ، جلد ٢ ، ص ٢٢٩

(٢) البكري ، معجم ما استعجم ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ — ياقوت ، المرجع السابق ، ص ٢٢٩

(٣) ياقوت ، مادة الحيرة

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة حير ، ص ٢٠٨ — تاج المروس ، ج ٣ ، ص ٢٦٨

(٥) Creswell, a short account of early Muslim architecture, (٥)

Penguin Books, 1958, pp. 111 - 123

(٦) ابن حيان ، المختصر في تاريخ رجال الأندلس ، للتقسيم الثالث ، خيرة الأب مشهور

انطوكة ، باريس ١٩٣٧ ، ص ٦ — ابن حباري ، النيل المبرور ج ٢ ، ص ١٨٢

(٧) الطبري ، ج ٩ ، ص ١٢

(٨) تاج المروس ، ج ٣ ، ص ١٧٠ . ونلاحظ أن الحيرة أيضاً تسمى الأرض المحفورة والمنطقة .

(٩) حوادق ، ج ٤ ، ص ١٠٥ — Muriel, Pahnayrena, p. 289

الأرامنة والحبر العربي من أصل سامي واحد ، إذ أن الضرب والمسكر والحى ألفامد يدل أصلها على معنى واحد^{١١} ونحن مؤيد الأستاذ رزق الله في ذهب إليه ، ويستدل على صحة هذا الرأي بما يستخلصه من وصف اليمقوي لخطط سر من رأى والحبر الذي أقيم بها وجعل حظيرة للوحش من الظباء والحسبر للوحش والأيايل والأرانب والندام^{١٢}.

وتقع الحيرة على مسافة لخمى نحو ثلاثة أميال جدوى الكوفة^{١٣}، على موضع يقال له للنجف ، ويروى من كافر ، يسمى هر الحيرة ، وقيل اسم قنطرة ، وفيه بقول المتلمس :

وألقيتها بالثني من بطن كافر كذلك أقو كل فسط مصلل
رحبت لها ماله لما رأيتها يحول بها التيار في كل جدول^{١٤}

وقد اشتهرت الحيرة برفق هواثها رضاء جودها وعدوية حاشها ، حتى قبل يوم ولية بالحيرة خير من دواء سنة^{١٥} ، وذكر حمزة أن العرب كانت تقول :
« لبيبة لبلة بالحيرة أفنع من تناول شربة ثادر يطوس »^{١٦} ، وذكر الأصمغري أن هواثها وترايبها أصبح من الكوفة^{١٧}.

وكان يسكن الحيرة بعد أن مصرها عمرو بن عدي ثلاثة طوائف . عرب

(١) يوسف رزق الله شعبة ، الحيرة المدنية والبلدية العربية ، بغداد ١٩٢٦ ص ١٢

(٢) الميعوس ، كتاب البلدان ، طبعه نيس ١٨٩١ ص ٢٩٢

(٣) باقوت ، معجم البلدان ، مادة الحيرة ، مجلد ٢ ص ٢٢٨ — يوسف رزق الله شعبة ، ص ١٠ — صالح أحمد الطي ، منطقة الحيرة ، دراسة طوبوغرافية مستندة على المصادر لادسة ، مجلة كلية الآداب جامعة بغداد ، العدد الخامس ، نيسان ١٩٦٢ ص ٢٨

(٤) باقوت ، معجم البلدان ، مادة كافر ، مجلد ٤ ص ٢٩١

(٥) ابن النديم الندائي ، بصير كتاب البلدان ، طبعه نيس ١٨٨٥ ص ١٨١

(٦) حمزة ، ص ٧٥ — قتيبة ، ص ١٥

(٧) الأصمغري ، كتاب مسلك الممالك ، ص ١٠٨ — نيس ١٩٢٧ ص ٩٢

وكلوا يشنون الزراعة ، كذلك كان يقيم بها جماعة من اليهود ، وطائفة من
الفرس سادة السلام الحقيقيين ، إذ كان الأكاسرة يمتنون المزارية والدعاقنة من
قبلهم ليعحكموا الحيرة في عصر ملوكها من آل نصر^(١١) . وقد اشتهر العبّادون
بمعرفة القراءة والكتابة ، مثل ذلك ، أن حمزة بن هند كتب المتنس الشاعر
وطرفة بن العبد كتابين إلى عمه بالحسين ، وقال لهما : احلاهما إليه ، ففهما
حبائي لكما ، وخرجا ، فمرا بصي في الحيرة ، فقال له المتنس : أنقرأ ؟ قال :
نعم . فذك كتابه وقال له . اقرأ . فلما نظر فيه الصي ، قال له : أنت المتنس ؟
قال : نعم ، قال : النجاء ، فقي هذا الكتاب هلاكك ، فالتقاء في نور الحيرة ،
فقال لطرفة : أعطه كتابك ليقرأ ، فباني أظنه مثل كتابي ، فقال : ما كان
ليتجراً علي ، فحضى المتنس .. ومضى طرفة بكتابه إلى الحسين فقتل^(١٢) .
واشتهر من أهل الحيرة بعض الشعراء أمثال عدي بن زيد العبّادي الحيري^(١٣)
الذي قتل على يدي النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة ، وكان عدي من تراجة
كسرى أبرويز^(١٤) . ومنهم أيضاً الشاعر عدي بن مرينا من بني مرينا اللخمين^(١٥) ،
أشرف بيوثات العرب الحيريين ، وكانت ديارهم بين دبر هند والكوفة ، وفي هذه
الديار قتل وهط من بني آل كلال في عهد المنذر ، وفيهم يقول امرؤ القيس :

ملوك من بني حجير بن عمرو بساقوت العتية يقتلوا
ولو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني مرينا^(١٦)

ومن بيوث الحيرة الكبار بيت بقية العبّاديين من الأزد ، وينسب إليهم قصر

(١١) جرحي زيد ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ - سيرة ، ص ١٨ - حواد علي ج ١ ص ٦ -
صالح عهد النبي ، بحاضرات في سراج العرب ج ١ ص ٧٢ ، ٧٣
(١٢) جاثوت ، مجمل البصائر ، ص ٤٤ ، مادة كثر ، ص ٢١
(١٣) الكوفي ، ج ٢ ص ١٢٩ - عهد أدب ، نشر الإسلام ، ص ٢٢ . وكان لبو زيد
أشرف شاعرا وهطيا وقارنا لكعب الصيرب والفرس
(١٤) الطبري ، ص ٢٢ ، ص ١٦٦ - ابن خلدون ، ج ٢ ص ٥٥٥
(١٥) عصر المنذر ، ص ١٩
(١٦) قصبة ، ص ١٧

بني بقة في الحيرة^{١١١} ، ويروون أنه في عبد المسيح بن بقة هذا القصص بالحيرة قال :

لقد بليت للعدنان قصرا لو أن المرء تميمه الحصون
طول الرأس أقمس شمشرا لأنواع الرياح به أنيا^{١١٢}

وسمعه إلى التحدث عن الحيرة عندما نتحدث عن حصارها

د - أشهر أمراء المناذرة بعد عمرو بن عدي :

١ - امرئ القيس (٢٨٨ - ٣٢٨ م) :

هو ابن عمرو بن عدي من مارية بنت عمرو أخت كعب بن عمرو الأزدي^{١١٣}، ويعرف امرئ القيس عند الاخباريين بامرئ القيس الده ، أي الأول ، وهو أول من نصر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمال ملوك الفرس . وذكروا أنه عاش مملكا ١١٤ سنة وأنه عاصر سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز ، وبهرام بن بهرام^{١١٤} ، وواضح أن مدة حكم امرئ القيس الده على ما رواه ابن الكلب مبالغ فيها للغاية ، وذكر اليعقوبي أنه حكم ٣٥ سنة^(١١٥). وقد لقب امرئ القيس بحرق العرب أو بحرق ، وأصبحت هذه الصفة تطلق على بني نصر يقولون آل بحرق ، وهم يقولون الشاعر الأسود بن يعفر :

مادا أو مل بعد آل بحرق تركوا منارهم وبعد إباد

أرض الحورني والمدبر وبارق والتقصردى الشرفات من سداد^{١١٦}

١ - أنشأني ، الفهرات ، تحقيق جورجيس عواد ، سداد ، ١٩٥١ ص ١٥٤

٢ - غنية ، الحيرة ، ص ٢٦

٣ - حمزة الاصمعي ، ص ٦٦ - الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ٨٢٤

٤ - نفس المصادر ص ٦٦ ، ٦٧ ، الطبري ، نفس الصفحة

٥ - اليعقوبي ، ج ١ ص ١٧٠

٦ - غنية ، كتاب المصنف ، ص ٢١٨

ويستند الدكتور جواد علي أن هذه الصفة لم تطلق على امرئ القيس لأنه اسرق أعداءه ، ولكن لهذه الصفة علاقة بصنم يدعى عرق فبذبت له بعض القبائل مثل بكر بن وائل وربيعة ، وقد ورد بين أسماء الجاهليين اسم له علاقة بهذا الصنم هو عبد عرق^(١).

ويبدو أن ملك امرئ القيس كان عظيماً وأنه كان من عمال سامور ، على مرج العرب من ربيعة وسمر وماثر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة^(٢) ، ونص الثائرة يميل حوران يتضمن هذه الألقاب إذ نقرأ فيه : (هذا قبر امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذي قتل التاج وأخضع قبيلي أسد وتزار وملوكهم وعزم مذحج إلى اليوم وقاد على الظفر إلى أسوار مجران مدينة سمر وأخضع معداً واستعمل بنيه على القبائل وأنهم عنه لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك مبلغه إلى اليوم ، توفي سنة ٢٢٣ في يوم ٧ مكملول وفق بنوه السعادة)^(٣).

وصاحب هذا النقش القدي هو امرئ القيس الأول موضوع الدراسة وقد توفي في حوران في ٢٢٣ من تقويم بصري الموافق لسنة ٣٢٨ م. ونستدل من النقش على أن امرئ القيس كان عارياً عظيماً تمكن من إخضاع قبائل العرب في شبه الجزيرة ، وأهمها وأفواها قبائل أسد وتزار ومذحج ومعد ، ويكفي برهاناً لتأييد اعتراف الرومان بسلطان امرئ القيس ، قبره الذي أقيم في الثائرة في إقليم روماني ، والنقش مكتوب بحروف نبطية في لغة عربية^(٤).

وقد لاحظ الأستاذ كليرمون جانو Clermont Ganneau أن ظهور كلمة التاج في النص - وهي كلمة معروفة عند الفرس - يدل على مظهر من مظاهر

(١) جواد علي ، ج ٤ ، ص ٢٢

(٢) الطبري ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٨٢٤

(٣) جرجي زيدان ، ص ٢١٧ ، ٢٢٨ - حوران ، ج ٤ ، ص ٦٨٦ - مجلة ، ص ١٢٦

(٤) ربيع ميسر ، العرب في سوريا قبل الإسلام ، ص ٢٦

السلطان العربي الذي تأمّن تحت الرعاية الفارسية . وذكر الأستاذ رشتين أنه إذا كان عرب غسان قد أبدلوا الإكليل بالتاج في عام ٥٨٠هـ ، فلماذا كانت مفرقتهم بالتاج عن طريق اللخمين ؟^(١١)

٢ - النعمان الأول بن امرئ القيس الثاني (٣٩٠-٤١٨)

هو ابن امرئ القيس المده الثاني من شقيقة ابنة أبي ربيعة بن دهل بن شيان ابن ثعلبة^(١٢) ، ولكن المسعودي يذكر أن أمه هي الهبيجة بنت سلول بن مراد ، وأما بما يقال من إباد^(١٣) ، وقد حظى النعمان الأول بشهرة كبيرة بين ملوك الحيرة ، فهو النعمان الأعور^(١٤) ، وهو النعمان السائح^(١٥) ، لأنه زهد في الدنيا في آخر عمره ، فتحلى عن الملك ولبس المسوح وصاح في الأرض^(١٦) ، وذلك بعد ٢٩ سنة وأربعة أشهر من الحكم وفقاً لرواية الطبري عن هشام ابن الكلبي ، وثلاثين سنة وفقاً لرواية حمزة ، وهو أيضاً النعمان الذي بنى الخورنق والسدير^(١٧) . وذكر الطبري وغيره أنه « صاحب الخورنق »^(١٨) فقط ، وقالوا أيضاً أنه « فارس حليمة »^(١٩) ، وهو

١١١ | ليس المرجح من ٢٤ + ٢٥

١٢١ | حمزة ، ج ٦٨ - الطبري ، ج ١ قسم ٤ ص ٨٥٠

١٣١ | المسعودي ، ج ٢ ص ٩٨

١٤١ | حمزة ، ج ٦٨ - ابن تقيّة ، كتاب المعالم ، ص ٢١٨

١٥١ | حمزة ، ج ٦٨

١٦١ | حمزة ، ج ٦٨ - الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ٨٥١ - ابن تقيّة ، كتاب المعالم ص ٢١٨

١٧١ | نفس المصدر

١٨١ | البيهقي ، ج ١ ص ١٧ - الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ٨٥٠ - ابن تقيّة ص ٢١٨

١٩١ | حمزة ، ج ٦٨ - الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ٨٥٠

قول مردود لأن يوم حليمة حدث في عهد المنذر بن ماء السماء .

وهكذا قال النعمان الأكبر من الشهرة عما لم ينك أحد من ملوك الحيرة قبله أو بعده . ويبدو أن النعمان كان جديراً بهذه الشهرة ، فقد وصفه الاخباريون بأنه كان صارماً حارماً صابطاً للملكة وأنه اجتمع له من الأموال والأرباح والرقب ما لم يملكه أحد من ملوك الحيرة ، وكان من أشد ملوك العرب نكابة في الأعداء ، وأمدمهم مفاراً ، وغزا الشام مراراً كثيرة وأكثر المصائب في أهلها وسبى وغنم^(١) ، وبذكرون أيضاً فيما يختص بقوة العسكرية أن ملك الفرس جعل معه كتيبتين يقال لاحدهما دوسر وهي لتنوخ وللأخرى الشها وهي لفارس ، وهما القتان يقال لهما القيلتان ، فكان يفز بها بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب^(٢) ، ويظهر أن كتيبة دوسر للتنوخية كانت من القوة بحيث ضرب العرب بها المثل في البطش فقالوا : أبطش من دوسر^(٣) ، ودوسر مشتقة من النسر وهو الطمن بالثقل لثقل وطنتها . وفي قوة هذه الكتيبة يقول أحد الشعراء :

ضربت دوسر فيهم ضربة أثبتت أوتاد حلك فاستقر^(٤)

وذكروا أن جيشه كان يتكون من خمس كتائب منها الأشاهب (أي بيض الوجوه) ودوسر ، الاثنان ذكرتهما ، ثم ثلاث أخريات هي :

(١) الرهائن ، وكانوا خممئة رجل رهائن لقنائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ، ثم يحمل عليهم خمسمائة آخرون في فصل الربيع .

(١) حلة ٤ ص ٦٨ - الطبري ٥ ج ١ قسم ٢ ص ٨٥٢

(٢) حلة ٤ ص ٦٨ - الطبري ١ الجزء الخامس

(٣) الميمني ، أبو النضر أحمد بن محمد البصري ، مجمع الزوائد ١ ج ١ ص ١٦٥

الناصر ١٢٥٩ ٤ ص ١٢٤

(٤) مسر ١ ص ١٦٥ - الأتوسي ، دواع العرب ٥ ج ٢ ص ١٧٦

(ب) الصنائع : وهم بنو قيس وبنو تميم والأشعث الذي ذمناه وكثروا حواصل الملك لا يبرحون بآية .

(ج) الوضائع : كانوا ألف رجل من الفرس بعضهم ملك فارس في الحيرة نجدة للملك العرب ، وكانوا يرايطون سنة ثم ينصرفون ويأتي بكانهم ألف جند^{١١١}

وكانهم النعمان الجليش اهتم بالتمتع السلي ، وبإيه يسحب الأخباريون بناء قصر الخورنق مل وينسبون إليه أيضاً بناء الدير^{١١٢} . وذكر الطبري في سبب بناءه للخورنق أن بردجورد بن بهرام كرمان شاه بن سايرد ذي الأكتاف كان لا يبش له ولد ، فسأل عن منزل بريه صحيح من الأدوية والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة ، فذهب ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مكنأ له ، وأنزله إياه ، وأمره باخراجه إلى بوادي العرب^{١١٣} . وفي موضع آخر يذكر الطبري أن يزجورد دفع بولده بهرام إلى المنذر بن النعمان ، وفي مقابل ذلك ملكه على العرب ، وحاشا لمرتفتي سفيتين تدعى أحدهما رام أبز ، يزجورد ، وتأويله راد سرور يزجورد ، والأخرى تدعى بمشت وتأويلها اعظم الخور ، وأمر بصفة وكسوة يقدر استحقاقه لذلك في منزلته ، وأمره أن يسير بهرام إلى بلاد العرب ، فسار به المنذر إلى محله منها واختار لرضاعه ثلاث سوة ذوات أحسام صميجة وأدهان ذكية وآداب رضية من بنات الأشراف ، منهن امرأة من بنات العرب وامرأة من بنات العجم ، وأمر لهن عا أصلحين من الكسوة والفرش والمطعم والشرب وسائر ما احتسب إليه ، فتداولن رضاعه

١١٠ المبدئي ج ٤ ص ١٢٥ - التوسيع ج ٢ ص ١٧٩

١١١ صورة ٤ ص ٦٦ - ٥٥٠ م. ١١٢ Perceval, op. cit. ١١٢ ٥٥٠

١١٣ الطبري ج ١ قسم ٢ ص ٨٥١

ثلاث سنين وقطم في السنة الرابعة .. هلك أبوه يزوجرد وهرام قائبا فتعاقد
ناس من العظماء وأهل البيوت أن لا يذكروا أحداً من ذرية يزوجرد لسوء
سيرته .. ١١٠ . فتولى المنذر مهمة مساعدة هيرام في الظفر بالتاج ، وسير جيوشه
إلى فارس وانتهى الأمر بتطليق هيرام ١١١

ويمكن التوفيق بين الروايتين بأن يزوجرد أمر النعمان بإقامة الخورتق حتى
يقع فيه ابنه هيرام وينشأ فيه ، فلما مات النعمان في سنة ١٦٨ ، وخلفه المنذر ،
تولى رعاية هيرام وتربيته ، ثم قام أخيراً بمساعدته لامة حاح عرتى أبيه ، وقد
توصل اليعقوبي إلى هذا الحل الموفق في الجمع بين روايتي الطبري ١٢١ .

ويذكر الطبري أن الذي قام ببناء قصر الخورتق رجل يقال له ستار ، فلما
ع من بنائه تعجبوا من حسنه وبتقان صنعته ، فأظهر ستار أنه قادر على بناء
أعظم منه بدور مع الشمس حيث دارت ، إذا ما أوفوه أجره ، فقال النعمان :
« وإني لكقدر على أن تسلي ما هو أفضل منه ثم لم تقنه » ، ثم إنه أمر به فطرح من
رأس الخورتق ، وفي ذلك يقول الشاعر أبو الطمعدان القيني :

جزاء ستار جزاهما ورهباً ومالات والمزى جزاء المكفر

وقال عبد العزى بن ابري : القيس الكلبي :

جواني حواء الله شر جزائسه جزاء ستار وما كان ذا دميب
سوى دمه الشبان عشرين حجة يدل عليه بالقراميد والسكب
فلما رأى النيان ثم سحوقه وآس كذل الطود ذي الباذع الصمب

(١١) راجع المجلد ١ ج ٢ ص ٨٥٥ - ٨٦٠

(١٢) المعجم ٢ ج ١ ص ١٧٠

به من بعد حرس وحشة وقد هره أهل المشارق والغرب
 وظن سائر به كل حيرة وفار لديه بالودة والقرب
 فقال اقلدوا بالعليج من فوق برجهم بهذا المعراة من أعجب الخطب^(١١)
 وسائر في هذه الأشعار عليج ، أي من جلس عبر عربي ، وذكر ياقوت عن
 الهيثم بن عدي أن سائر رجل من الروم^(١٢)

وهناك رواية أخرى في بناء الخورنق أوردها ياقوت جاء فيها : « وبني
 الخورنق في ستين سنة ، بناء له رجل من الروم يقال له سائر ، فكان يمني السنين
 والثلاث ، ويصيب الخمس سنين وأكثر من ذلك وأقل ، فيطلب فلا يوجد ، ثم
 يأتي فيحتج ، فلم يزل يفعل هذا الفعل ستين سنة حتى فرغ من بنائه ، فصعد
 النعمان على رأسه ، ونظر إلى البحر تجاهه ، وأبصر خلقه ، قرأى الخوت والضب
 والطي والنخل ، فقال : ما رأيت مثل هذا البناء قط ، فقال له سائر : إني أعلم
 موضع أجرة لو زلت لسقط القصر كله ، فقال النعمان : أيعرفها أحد غيرك ؟
 قال : لا ، قال : لا جرم لا دعنها وما يعرفها أحد . ثم أمر به فهدف من أعلى
 القصر إلى أسفله ، فتقطع ، فضربت العرب المثل ،^(١٣)

وفي عهد النعمان بدأت جذور المسيحية التي كانت قد نبتت في عهد امرئ
 القيس الأول تنمو ويستطعم هودها ، فقد اجتذب انتمزال القديس سمعان العمودي
 St. Simeon Stylite على قمة جبل بسورية جهوراً كبيراً من هرب الحيرة المباد
 وكانوا يصدونه ليلابكهم أو يشفيهم من أمراضهم ، ولما بلغ النعمان ذلك خاف

(١١) الطبري ، ج ١ ، قسم ٢ ، ص ٨٥٦ .

(١٢) ياقوت ، معجم البلدان ، مجلد ٢ ، مادة خورنق ، ص ١٠١ .

(٢) ياقوت ، نسر المسير ، مادة خورنق ، ص ١٠٩ .

أن تعرض مصالح دولته الأخطار بتليحة إقامة رعيته المحبرين ، فصاد القديس سمعان ، في بلاد نابضة للرومان ، الأعداء الألداء لسادته القروس ، فأمر منع هذه الرحلات ، وعدد فساد القديس بالتمريض المقالب . ولكن القديس سمعان أله في إحدى رؤياه ، محوطاً بشمامين ، ونهره بشدة ، وأمر شمامية بأن يضرباه بأحصا ، فأنبته النعمان من نومة مبهكا عليها ، وأيقن أن هذه الرؤيا إنذار سماوي ، فأباح حرية ممارسة الشعائر المسيحية في الحيرة ، كما أباح بناء الكنائس ، وتلقى الرهبان الأساقفة ، وتم شفاؤه بعد ذلك ، واعتبرت الرؤيا معجزة من معجزات القديس سمعان . وقد روى هذه القصة القس كورماس عن لسان قائد روماني يدعى أمطيوخوس ، معها بأقننه من قم النعمان نفسه ، وذلك عندما رآه هذا القائد في الحيرة . ويضيف كورماس قائلا أن النعمان صرح للقائد الروماني بأنه كان يرضب من قلبه في اعتساق المسيحية لولا خوفه من سخط ملك القرس^(١) . وبروي الأخباريون^(٢) تأكيداً لهذه الرواية أن النعمان جلس يوماً في مجلسه من الخورتق ، فأشرف منه على الجحف وما يليه من البساتين ، والنخل والجان والأشجار مما يلي المربه ، وعلى الفرات مما يلي المشرق ، وكان الخورتق يطل على الفرات الذي يدور حوله ، فأعجب النعمان بما فيه من خضرة ومبهاء ، فغير عن إعجابه بجمال المكان لوزيره وصاحبه ، وقال له : أرايت مثل هذا المنظر وحده ؟ فقال : لا والله أجا الملك ما رأيت مثله لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة . قال : فبم يتال ذلك ؟ قال : بترك هذه الدنيا وعادة الله والتماس ما عنده . فترك ملكه في ليلته وأوتدى مسوح الرهسان واختفى عن الأنظار ، وتسلق في الجبال والقفلات . وفي ذلك يقول

(١) C. de Perceval, t II, p. 36-37 . ويذكر من ملحقون نقلا عن البعلبي

أن روماني يدعى أمطيوخوس ، معها بأقننه من قم النعمان نفسه ، وذلك عندما رآه هذا القائد في الحيرة . ويضيف كورماس قائلا أن النعمان صرح للقائد

(٢) نصي بهم حشام من بيعة دير السائد الكامي قرب القند منه كلاليري وحيرة

شاعر الحيرة عدي بن زيد العبادي

ولتكرم رب الخورساق إذ أشرف يوماً ولاهدى تبصير
بمره حاله وكثرة مسا يملك والبحر ممرض والمدير
فأرعى قلبه فقال فما غب حلة حي إلى المات بصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمر لة وارثهم عنك القبور
ثم أضعوا كأنهم ورث جف ء فألوت به العبا والديور^{١١}

ويعتقد بعض المؤرخين أن تنصر النعمان أمر لم يثبت منه بعد ء وليس من الضروري أن تكون روايات الرواة وأخبارهم حقائق صحيحة أو وثائق لا تقبل الشك ء ولكن هذه الروايات تحملنا على الاعتقاد بأن النعمان كانت يتأهب لتقبل المسيحية أو أنه كان يميل إليها وأن رعاياه النصارى قنعوا في عهده بحرية كلمة^{١٢}.

٣ - المنذر بن امرئ القيس المعروف بأبن ماء السماء ء (٥١٢-٥٥٤ م) :

يعرف المنذر بن امرئ القيس عند الأخباريين بالمنذر بن ماء السماء ء كما يعرف أبطاً بهذا القرنين . وعاء السماء هو لقب أمه هاربة بنت عوف بن جشم

(١١) ص ٦٨ - الطبري : ج ١ قسم ٢ ص ٨٥٤ - ابن قتيبة : معجم المعارف : ص ٢١٨ - واثبت معجم البلدان : مادة طورى : ص ٤٠٢

Nicholson, a literary history of the Arabs, Cambridge, (٢١)

1952 p. 41 - جواد علي : ج ١ ص ٤١

ابن هلال بن ربيعة من زبد متاة بن عامر الضحيان بن الحزرج بن قيس الله بن النمر
 ابن قاسط ، وقد سميت بآباء السباء بلحائها وحسنها^(١١) ، وسبب تسميته بهذا القرنين
 يرجع إلى صغيرتين برأسه^(١٢) . وفي عهده اغتصب الحارث بن عمرو بن حجير
 الكندي ملك الحيرة ، فجا بين ٥٢٤ و ٥٢٨ ، على رأي الأستاذ جواد على^(١٣) .
 ويعمل الأخباريون ذلك بأن قتاد نجا عن الملك لأنه لم يقبل اعتناق المزدكية ،
 ووضع مكانه الحارث بن عمرو الكندي لأنه قتل الزمقة^(١٤) . فلما قتل كسرى
 أنوشروان ملك فارس ، وحارب الزنادقة ، رد المنتد إلى حرش الحيرة^(١٥)
 وذكروا أن المنتد فر على أو اغتصاب الحارث الكندي الحيرة إلى الجرماء الكلبي
 وأقام عنده^(١٦) . ولكن الأستاذ جواد على يرى أن القضية ليست قضية مزدكية
 أو اختلاب في الدين كما ذهب إلى ذلك الأخباريون ، بل هي قضية ملكه وسلطان ،
 فالملر رجل كفء ذو شخصية قوية ، أوقع العرب في أرض الروم ، وأكره
 القيصر على إرسال وفد لفك قاتدين من قواده سقطا أسيرين في يده ، ولإقناعه
 بالانصاف إليه إن أمكن ، أو تأمين جانبه على الأقل . وقياد رجل لاقى في ملكه
 مصائب جمة : طرد من الملك ، وسجن ، وأريد إهلاكه ، ولكنه هرب من سجنه
 ونجا ، وبعد جهد وتعب وعمل مري استعاد ملكه ، وحكم دولة لم تكن قواعد
 الأمن فيها رصينة ساعة قبله الملك ، ثم حارب الروم ، وحارب الروم ، فوحد
 مثل هذا الرجل لا بد أن يكون قلقاً يخشى منافسة الرجال الأقوياء ، فليس
 بمستبعد إذن أن يكون قتاد قد حسب حساباً لتوسع نفوذ الملر ، ولاحتلال

(١١) حصة ٤ ص ٧١ - الطبري ٤ ج ١ - قسم ٢ ص ٩٠٠

(١٢) الطبري ٤ ج ١ - قسم ٢ ص ٩٠٠

(١٣) جواد على ٤ ج ٤ ص ٧١

(١٤) حصة ٤ ص ٧٢

(١٥) نفس المصدر - الطبري ٤ ج ١ - قسم ٢ ص ٨٩٩

(١٦) حصة ٤ ص ٧١

اتصال الروم به لإنشائه بالاضمام إليهم ، فلما ظهر الحارث الكندي في العراق ، طامعاً في ملك المنذر ، وفي ملك عرب العراق ، لم يجد من مصلحته الدفاع عن المنذر فتركه وشأنه ، فتقلب الحارث عليه ^(١١٠) . وبضيف الدكتور جواد على فيذكر أنه لا قبعة لمزاعم الأخباريين فيها قاله بأن عودة المنذر كانت في بدء تولية كسرى حكم فارس سنة ٥٣١ م ، إذ ثبت فعلاً أن المنذر غزا بلاد الشام منذ سنة ٥٢٨ م . ويعلم ما أشاعه الأخباريون من علاقة المردكية بمرل المنذر بأن رواية أهل قصدوا من وراء ذلك الخط من شأن الحسارث الكندي لكي يظهره عظم الرجل الذي باع دينه وعقبته وقبل الزندقة والإباحية في سبيل الملك ^(١١١) . ومن المعروف أن حمزة الأصفهاني والطبري استقيا مادتيهما من هشام الكلبي الذي اعتمد على وثائق كانت محفوظة في بيع الحيرة ، إذ يقول : « إني كنت أستخرج أخبار العرب وأساب آل نصر بن زبينة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وثأريخ منبهم من بيع الحيرة وفيها ملكهم وأمورهم كلها » ^(١١٢) .

كان المنذر بن امرئ القيس محارماً شجاعاً ، قضى حياته في عزو لبلاد الروم والعرب ، ففي سنة ٥١٩ م أغار على بلاد الروم ، وتكن في بعض حروبه من أسر قائدين هما يوسراتوس ويوحنا ، فأرسل إليهم هبة من إبراهيم وشعمون الأرشامي وسرجيوس أسقف الرصافة سنة ٢٥٤ للمفاوضة في إطلاق سراح القائدين المذكورين ^(١١٣) . وفي سنة ٥٢٨ م هاجم المنذر بلاد الروم مؤيداً الفرس ، وتوغل في بلاد الشام ، وغنم غنائم كثيرة ، ثم عاود غزوه لبلاد الشام في العام التالي ،

١١٠ } جواد على ، ج ١ ص ٧٠

١١١ } نفس المرجع ، ص ٧٢

١١٢ } الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ٨٥١ ، ٨٤٢

١١٣ } جواد على ، ج ١ ص ٥٢ - يوسف نسبه ، ص ١٦٨ ، نقل عن السيعلي .

ويوغل في البلاد حتى يبلغ حدود أطاكيا ، ولم تطفح المناوشات بين المنذر وبين الحارث الحفي بسبب تنازعها على الإاقرة التي كانت تجس من عرب منطقة تدمر ، ولم تمتد هذه الحروب إلا بمصرع المنذر بن امرئ القيس في موقعة حلينة أو موقعة خدار في سنة ٥٥٤هـ على النحو الذي أوضحناه عند دراستنا للنقشنة^(١).

وينسب ابن الأثير يوم أواراة الأول إلى المنذر بن امرئ القيس ، فيذكر أنه سار إلى بكر من وائل في جموع حبشه ، فالتقوا بأواراة وأسمرت المعركة عن هزيمة بكر وأمر يزيد بن شرحبيل الكندي ، فأمر المنذر بقتله فقتل ، وقتل في المعركة بشر كثير وأسر المنذر من بكر عدداً كبيراً من الأسرى أمرهم فذبحوا على جبل أواراة ، وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار^(٢).

ويروي الأخباريون أن المنذر بن ماء السماء هو صاحب القريين اللذين بناهما بظاهرة الحيرة ، وكان السبب في ذلك أنه كان له مديان من بني أسد يقال لأحدهما خالد بن نضلة والآخر عمرو بن مسعود ، فتملا ، فراجعا الملك في بعض كلامه فأمر وهو سكران فعفر لهما حفرتان في ظهر الكوفة ودفنهما حيين ، فلما أصبح استدعاهما ، فأحمر بالدي أمضاء فبهما ، ففهم ذلك ، وغصد حفرتهما ، وأمر ببناء طرطالين عليهما وهما صومعتان ، فقال المنذر : ما أنا بملك إن خالف الناس أمري ، لا يمر أحد من وفود العرب إلا يبنهما ، وجعل لهما في السنة يوم يؤس ويوم يعيم ، يدعى في يوم يؤس كل من يلقاه ويفسري بدمه الطرطالين ، فإن

(١) يخطئ الأخباريون من يوم حنية ويوم من أباغ ، ويذكرون أن المنذر لم يصرعه في من أباغ ، حيرة ، من ٧ : وقد سبق أن تحدثنا عن هذا الخطأ ، ولشرنا إلى أن يوم أباغ حدث بعد يوم حنية ، وأن المنذر قتل في يوم حنية الذي يصره أيضاً بيوم الضيفر اعتقاداً على ابن كتيبة ، انظر ١٦٦ ج ١ .

أما عمرو بن عبد الذي ذكر ابن كتيبة أنه قتل في من أباغ ، فهو عمرو بصرمه العجالة الذي قتله عمرو بن كلثوم القطامي ، حيرة ١ من ٧٤ - امرئ القيس من ٢١٨ ج ١ .

وفعت له الوحش طلبها الخيل ، وإن رفع طائرته أرسل عليه الجوارح حتى يذهب ما يمن ويظليان بدمه ، ولست بذلك برهة من دهره ، وسمى أحد اليوميين يوم البلوس وهو اليوم الذي يقتل فيه ما ظهر له من إنسان وغيره . وسمى الآخر يوم النعم يحسن فيه إلى كل من يلقى من الناس ويحملهم ويحمل عليهم . فعرج يوماً من أيام رؤس إذ طلع عليه عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر ، وقد جاء متدحفاً ، فلما نظر إليه قال : هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد ؟ فقال عبيد : أتتكَ بحائن رحلاء ، فارسلها مثلاً ، فقال له المنذر : أو أجسلي قد بلغ أمانه . فقال رحل من كان معه : أبيت اللعن اركه فإني أظن أن عتده من حسن القريرض الفضل مما يريد من قتله . فاسمع فإن سمعت حسناً فاسترده ، وإن كان غيره قتلك وأنت قصاده عليه ، فأزل فطعم وشرب . ثم أمر به المنذر ففصد حتى زف همه ، فلما مات فرى بدمه القريرين ، فلم يزل على ذلك حتى مر به في بعض أيام البلوس رجل من طي ، يقال له حنظلة بن هفراء ، فغضب ليقتل فقال : أبيت اللعن ، إني أدينك زاراً وأهلي من بمرح ماؤاً ، فلا تجعل غيرهم ما تورده عليهم من قتلي . قال له المنذر : لا بد من قتلك فسل حاجتك تكفل لك قبل موتك ، فقال لوجلي سنة أرجع فيها إلى أهلي فأحكم فيهم بما أريد ثم أسير إليك فينقذني أمرك . فقال له المنذر : ومن يكفلك أنك تعود ؟ فنظر حنظلة في وجوه حلفائه فمرف شريك بن عمرو بن شراحيل الشيباني ، فقال :

يا شريك يا ابن عمرو	هل من الموت محالة ؟
يا شريك يا ابن عمرو	يا أخا من لا أخاله
يا أخا المنذر لك الد	يوم رهنا قد أسي له

فكفاه شريك : ومضى حنظلة . وانتهى الأحمل المهدد ، وأعد كل شيء للقتل شريك الكافل ، وبينما يتأهبون لقتل شريك إذ بهم يرون حنظلة قادماً ، وقد تحسب وتكهن ومعه ناديت تدبه ، فلما رأى المنذر ذلك عجب من وفائه وقال :

ما حلك على قتل بملك ؟ فقال : أيها الملك إن بي ديناً ينبغي من الضر . قال
وما دينك ؟ قال . النصرانية . فاستحسن ذلك منه وأطلقها معاً ، وأبطل تلك
الس . وكان سبب تنصره وتنصر أهل الحيرة فيما رعدوا .^{١١}

٤ - عمرو بن المنذر (أو عمرو بن هند) : (٥٥٤ - ٥٧٤)

هو عمرو بن المنذر بن امرئ القيس ، وأمه هند بنت عتبة امرئ القيس
الشاعر بليت عمرو بن حجر الكندي آكل المرار ، وبه د عمرو أيضاً وعمرو
مصرط المجارة ومحمق^{١٢} . ويذكر الأخباريون أن عمر قصى حياته يحارب
العرب والروم ، ويذكرون أنه غزا تيمناً في دارها فقتل من بني دارم ١٥٠ شخصاً
في يوم أواره الثاني^{١٣} ، وذكروا أنه ألقى بالقل في النار ولهذا عرف بمحمق .
وفي سنة ٥٦٣ أغار عمرو بن هند على بلاد الشام ، وكان على عربها الحارث بن حمة
السامي^{١٤} ، ثم عهد إلى أخيه قابوس بموعدة غزو ديار الفساسنة في عامي ٥٦٦ ،
٥٦٧ لتأديب الروم الذين أساءوا إلى رسوله في القسطنطينية لمناوضة القيصر على
دفع الإثارة^{١٥} . ونسبت إلى عمرو حملة غزوات منها غزوة لتعلب ، وغزوة
لطيبة . ويذكر المؤرخون أن عمرو بن المنذر قتل على يدي عمرو بن كلثوم ،
وكان سبب قتله عروده السالم ، فقد قال لجلسائه يوماً : هل تعلمون أن أحداً
من العرب من أهل مملكتي يأنف أن يخدم أمه أمي ؟ قالوا : ما نعرفه ، إلا أن

(١١) بالوثق : معجم البلدان ، مادة فرسان ، مجلد ٤ ص ١٨ ، ١٩ . وبيد ابن
سيرة الغريب إلى الفصائل من المنذر ، ككتاب المجازة : ص ٢١٩ .

(١٢) مجلة : ص ٧٢ - ابن نجيبة ص ٢١٦ .

(١٣) نفس المصدر : ص ٧٢ - ابن القيم : ج ١ ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(١٤) C. de Perceval, t. II, p. 117 - حوادث بني أمية : ص ١٠٠ .

(١٥) Ibid, p. 114 - يقول طيبي : ج ١ ص ٧٦ .

يكون عمرو بن كلثوم التميمي ، فإن أمه ليلت مهلهل بين ربيعة ، وعمها كليب وائل ، وروجها كلثوم ، وابنها عمرو . فسكت مضطربا الحجة على ما في نفسه ، وبعث إلى عمرو بن كلثوم يستقره ويأمره أن تزور أمه ليلي أم نفسه هند بنت الحارث ، فقدم عمرو بن كلثوم في قرسان من بني تغلب ومعه أمه ليلي ففزل على شاطئ الفرات . وبلغ عمرو بن هند قدومه ، فأمر فضربت خيامه بين الحيرة والمرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فصنع لهم طعاماً . ثم دعا الناس إليه ، ففزع إليهم الطعام على باب السراق ، وليلي أم عمرو بن كلثوم معها في القبة . وقد قال مضطربا الحجة لأمه : إذا فرغ الناس من الطعام ولم يبق إلا الطرف فمضى خدمك عنك ، فإذا دعا الطرف فاستخدي ليلي ورجيا فلتناولك الشيء بعد الشيء ، ففعلت هند ما أمرها به ابنها ، فلما استدعى الطرف ، فقالت هند ليلي : تأولي ذلك الطبق ، قالت : لتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فألحت عليها ، فقالت ليلي : واذلاء يا آل تغلب ، فسمها ولدها عمرو بن كلثوم ، فثار الدم في وجهه والقوم يشربون ، فمرف عمرو بن هند الشر في وجهه ، وثار ابن كلثوم إلى سيف ابن هند وهو معلق في السراق ، وليس هنالك سيف غيره ، فأخذه ، ثم ضرب به رأس مضطربا الحجة فقتله ، وخرج ، فنادى : يا آل تغلب ، فنتهبوا ماله وخيله ، وسبوا النساء ، وساروا ففلقوا بالحيرة ^(١) .

وقد أشار عمرو بن كلثوم إلى هذه الواقعة في مملته ، وفيها يقول :

بأي مشيئة عمرو بن هند	تكون ليلكم فيها قطينا ؟
بأي مشيئة عمرو بن هند	تطيع بنا الوشاة وتزدرينا ؟
تهدها وأوهدها رويدا	مق كنا لأملك مقنونا ؟

وإن قتلتنا يا همد أعيت على الأعداء قتلك أن تلتنا^١

ويلسون إلى همد دير هند الكبير من أديرة الحيرة^٢.

٥ - المنلو بن المنلو (٥٧٩-٥٨٣)^٣

تولى ملك الحيرة أربع سنوات ، وكان له عشرة أولاد مختلف النعمان ، وكانوا
يسمون الأشاهب بلعالم^٤ ،^٥ يخص بالذكر منهم الأسود . وكان المنذر قد دفع
إليه النعمان من زوجته سلمى بنت وائل بن عطية من كلب^٦ إلى عدي بن زيد
ابن حماد التميمي ليربيه وبلثته شاة أميرة ، ودفع ابنه الأسود من زوجته مارية
بنت الحارث بن حلهم إلى عدي بن أوس بن ريثنا من أشراف الحيرة التميميين
المهذمين عند كسرى . ويذكرون أنه لما دنت ساعة وفاته أوصى إلياس بن قبيصة
الطائي بأولاده ، وملكه على الحيرة إلى أن برى كسرى هرم راية ، فمكت إلياس
ملكاً على الحيرة أشهراً^٧ . وسقنتج من هذا أن سلطة أمراء التميميين قد
ضخت ضعفاً واضعاً بحيث أصبح نصيب أمراء الحيرة أمراً من صميم اختصاص
الأكامرة .

٦ - النعمان بن المنلو (٥٨٣-٦٠٥)^٨

هو النعمان أكبر أبناء المنذر من سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل

(١) تراجم أصحاب المظالم بشر واحد ثم : حسنة احمد بن الامير الشيباني .
الطائفة ١٢٢٩ هـ ص ٤٩ - ٥٠

(٢) اراجع : السكري ، معجم بني معجم - باقوت ، معجم القدر ، ١٢ مادة ٥٥
ص ٤٤ - الشيباني ، كتاب القهلات ، ١ : ٢٤٦

(٣) ابن الأثير ، ٥ ج ١ ص ٢٨٨

(٤) المسعودي ، ٢ ج ١ - ٢ ص ٢٩

(٥) السكري ، ٤ ج ١ قسم ٢ ص ١٧-١٠

فذلك^(١١) ، وسبها معظم إلى كلب^(١٢) . وذكر الطبري أنها كانت أمة للحداد
 ابن حصن بن ضمضم بن عدي بن جندب بن كلب^(١٣) . يستدل من هذا على أن
 أم النعمان كانت من طبقة وضيفة لا تليق بأمة من الملوك^(١٤) ، ولعلها من أهل
 يهودي^(١٥) ، لأن معظم أهل ذلك من اليهود بالاصافة إلى أن حدها كان صائفاً ، وهو
 أمر يزيد احتمال كونها يهودية ، فإذن حرفه الصياغة كانت من الحرف الرئيسية التي
 يحررها اليهود ، وكان النعمان أحمر الوجه ، أبرشاً ، قصير القامة ، دمع الخلق^(١٦) ،
 بخلاف إخوانه الآخرين الذين كان يقال لهم الأشاهب لمهام^(١٧) ، وفي ذلك يقول
 الأعشى :

وبو المنذر الأشاهب بالحد يرة يمشون عدوة بالسيوف

وكان أنشاء المنذر طامعين في الملك ، بحيث استعصى على أبيهم أمم يختار
 واحداً منهم من بعده ، فوكل لايس بن قبيصة الطائي بإدارة الحيرة إلى أن يختار
 كسرى واحداً منهم . ويروي هشام بن محمد الكلبي أن عدي بن زيد هو ولد
 زيد بن حماد بن زيد بن أوجب بن محروق بن عامر بن عصبية بن أمية الفليس بن
 زيد فتاة وريم ، وكان عدي هذا يجيد معرفة الفارسية ، فسيرة قابوس بن المنذر
 إلى كسرى بن هرمز ليستغل متوجهاً في بلاطه^(١٨) ، ثم عهد إليه المنذر بن المنذر

(١١) حيرة الاسفندي ، ص ٧٤

(١٢) السموذي ، مروج الذهب ، ج ١ ص ٩٩

(١٣) الطبري ، ج ١ قسم ٢ ص ١٠٩٧

(١٤) جواد علي ، ج ٢ ص ٨٥

(١٥) الطبري ، ج ٢ ص ١٠١٧ ، ١٠١٨ - ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٨٦

(١٦) نيس المصنوع ، ص ١٧٧ - ابن الأثير ، ج ١ ص ١٨٥

(١٧) نيس المصدر

مربية ابنه النعمان ميثا عهد إلى عدي بن أوس بن مريثا بغيره ابنه الأسود .

ويروي لنا هشام بن محمد الكلبي أنه لما توفي المنذر دعا كسرى أبرويه عدي بن زيد فقال له : « من بقي من بني المنذر ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت المنذر بن المنذر ، وهم رجال ، فقال ابعت إليهم ، فكسب فيهم ، ففقدوا عليه . ولما قدموا مشوا وحداً بعد واحد أمام كسرى ليعتبرهم ويختار واحداً منهم فيؤليه ملك الحيرة ، فاشتد عدي بن زيد بأولاد المنذر ، وتظاهر بأنه يؤثرهم على النعمان ، وأوصاهم أن يجيبوا جواباً واحداً على سؤال النعمان ، فإذا سألهم : أفكفوني العرب ، يجيبونه : فكفبكم إلا النعمان . ثم اختل بالنعمان وأوصاه بأن يجيب على كسرى بهذه الصارة : « إن عبرت عنهم فإني عن غيرهم أعبر » ، أما عدي بن أوس بن مريثا فقد نصح ببيعة الأسود بن المنذر بأن يجيب على سؤال كسرى إجابة تختلف عن إجابة إخوته ، فلم يبد الأسود اهتماماً بنصحه . ولما أدموا على كسرى اختار من بينهم النعمان بن المنذر ، إذ سر باجابهته ، فلعله وكساه وألبسه ثياباً قيمته شئون ألف درهم فيه الأولاد والذهب . فلما آل أمر الحيرة إلى النعمان غضب عدي بن أوس ، وأخبر الكبيد لعدي بن زيد فما زال يشي به في الحفاه ، ويتظاهر بمحبته أمام النعمان ، ثم قام عليه فوضع كتاباً على لسان عدي إلى فورمان لعدي فيه مؤامرة بالنعمان ، فلما اطلع النعمان على تفاصيل الكتاب عزم على قتل عدي بن زيد . فطلب منه أن يروره لاشتياقه إليه ، وكان عدي بن زيد في طيسفون فاستأذنه كسرى ، فأذن له . فلما وصل إلى الحيرة أسرع بالتوجه إلى قصر النعمان إذ كان متلفاً لرؤيته ، فلم يكذب يدخل عليه حتى أمر به فأدخل سجيناً بصنيين ^١ ، لا يدخل عليه فيه أحد ، فكسب في سجنه أشماراً فصرع فيها إلى النعمان ، وما قاله :

(١) الصبي ولد كان يظهر الحكمة بعرف السهلون بن - بخارل عسري - صلح النعمان .

سطة الحيرة ص ٢٧ .

ليت شعري عن الهام وبات
 حيك بخبر الأنباء عطش السواد
 ولم تفر أشعار عدي بن زيد في النعمان ولم تجده شيئاً ، فلما نثر عدي
 كتب إلى أخيه أبي الذي كان يعمل مترجماً لكسرى .

أبلغ أبيت على نأيه	فهل ينفع المرء ما قد علم
بات أخاك شقيق الفؤاد	دكت به والها ما سلم
لدا ملك موثق بالحد	يد إما بحق وإما ظلم
فلا أعرفك كعداب الفلا	م ما لم يحسد عارماً يعترم
فأرضك أرضك إن تأتينا	تم رومة ليس فيها حلم

فكتب إليه أخوه يقول :

إن يكن خاتك الزمان فلا عا	جز باع ولا ألف صيف
وبين الإله لو أنت جاؤا	طحنوا نصيـه فيها السيوف
ذات رز عتابة عمرة المو	ت صحيح سربها مكفوف
كت في حيا جلتك أسمى	فأعس لو سمعت إه لتضيف

ثم مضى أبي إلى كسرى فأخبره بما كان من أمر أخيه ، فبعث كسرى كتاباً
 إلى النعمان حمله إليه رسول من قبله ، وكان للنعمان عند كسرى ثأناً عداً ،
 فآدر بالكتابة إلى النعمان يخبره بخبر رسول كسرى ، كما أرسل إلى أعداء عدي
 أن زيد من بني بليقة يملهم تدخل كسرى ، ولما علم بنو بليقة أسر عوا بالنهاب
 إلى النعمان وطلبوا منه أن يقتل في التو والاضطة قبس أن يصل إليه رسول
 كسرى ، وحذروه من خطر الإنقاء على حياته ، فأذن لهم النعمان بقتله فقتلوه ،
 ثم دفنوه . ولما أبلغ رسول كسرى بوقته ذهب إلى النعمان يسأله تفاصيل موته

فأكرمه ورأه جازة واستوثق منه أن لا يخدر كسرى، إلا أنه قد مات قبل أن يقدم عليه^{١١٠}. فعاد الرسول إلى كسرى وأخبره أن عدياً مات قبل أن يصل إلى الحيرة بأيام.

مدم النعمان على موت عدي، واجترأ أعداء عدي عليه، فهاجم، وحارب أن شوابه عند كسرى، وشج يوماً في بعض صيده فلقي ابناً لعدي يقال له ريد، فقربه إليه واعتذر إليه من أمر أبيه، ثم أرسله إلى كسرى، وأعطاه كتاباً يجعله إليه، أشار فيه إلى مكانة عدي منه وإلى خسارته بوفاته، ثم وصى كسرى يزيد بن عدي، فلما مثل ريد أمام كسرى، وطالع هذا كتاب النعمان، قلده وطيعة أبيه وارتفعت منزلته عنده، وهناك أخذ زيد يقسح خيوط مكيدة للانتقام من قاتل أبيه. عذكر لكسرى جمال ساء آل المندر ووضعوه له، فكتب إلى النعمان مع ريد بأمره أن يبعث إليه باحدى ساء بيته، فلما قرأ النعمان كتابه قال لزيد بن عدي: «يا ريد، أما لكسرى في هذا السواد كفاية حتى يتعطيني إلى المردبات؟» فقال: «بدا إنما أراد الملك إكرامك - أبيت اللعن - بصورك، ولم علم أن ذلك يشق عليك لما فهموا أن عدي قد عذرك، وأعذرك ما يقبله، فقال له النعمان: «ما فعلت؟ فقد تعرفوا على العرب في تزويج العجم من المضاعفة والشناعة»^{١١١}.

فما انصرف ريد - - في قعر عليه مساح، فالتفت عليه، وناج في ذلك، وأدى إليه هول النعمان في هذا السواد على أفصح الوجوه، وأوحده عليه، فسأل كسرى: «ما ألها؟» فقال: «ليقر، فأخذ عليه، وقال: رب عدي قد صار في الطببان إلى أكثر من هذا»^{١١٢}. وذكر الطبري هذا القول بصورة أخرى،

(١١) الطبري، ج ١، ص ١٠٦١.

(١٢) المسعودي، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٠٠.

(١٣) ابن الجوزي، ص ١٠١.

قال : « رب عند قد آر دعا هو اشد من هذا يصير أمره إلى التائب »^{١١١} . فلما بلغت هذه الصارة إلى النعمان تحوفه وأخذ يتأهب ويتوقع الشر ، حتى أتاه كتاب كسرى بأمره فيه بالقدوم إليه ، فأدرك النعمان سوء المصير ، فحمل سلاحه وما قوى عليه ، ثم مضى إلى بني طيس ، ليعبر كان له فيهم ، وأراد النعمان أمب يمسوه ، فأبوا ذلك خوفاً من كسرى . وأحد بطوف بمائل العرب يطلب النعمة إلى أنزل بددي قدر في بني شيدان سرأ ، فلقى هاني بن مسعود بن عامر بن عمرو ابن أبي ربيعة بن دهل بن شيدان ، وكان سيداً منيعاً ، فاستودعه سلاحه وأولاده ، وذكر أبو عبيدة معمر بن لثي أب هاني . هذا هو هاني بن قبيصة بن هاني . ابن مسعود^{١١٢} .

ثم أقبل النعمان إلى المدائن ، فصف له كسرى ثمانية آلاف حمامية عليهم المصنفات صفين ، فلما سار بيمن قلن له . أم هذا الملك عى عن بقى السواد . فأدرك النعمان أنه غير ناج معه . ولقى ريد بن عدي على قطرة ساطع ، فقال له النعمان . أنت فعلت هذا بي ، لأن تخلصت لأسقنك بكأس أبيك ، فقال له ريد : امض نعم فقد أخيت لك أخاً لا يقطعها المهر الآن^{١١٣} . وأمر كسرى بالنعمان ، فخرج ساطع المدائن ، وقيل بخانقين^{١١٤} ، ثم أمر به قرمى تحت أرجل العلة ، وقيل مل مات في محبسه ساطع . وفي موته يقول هاني بن مسعود الشدي :
 إن ذا التاج ، لا أملكه ، أضعي في الوري رأسه نخوت الفبول
 لب كسرى عدا على الملك النعمان حتى سقاء من البيل

(١) الطبري ، ج ١ ، ص ٢ ، ص ١٠٢٧

(٢) الطبري ، ص ١٠٢٩

١٠ الطبري ، ج ١ ، ص ١ ، ص ١٠٢٨ — مسعودي ج ٢ ، ص ١٠١

(١) الطبري ، ص ١٠٢٩

وقال أحد الشعراء يرثيه :

م تكة هند ولا أخها حرقاء ، واستجتم فاعيه

بين قبور الهند مخدطه محتطاً قديم راحيه^(١١)

عرا النعمان بن المنذر قرقبياً^(١٢) ، وقمرضت الحيرة في رمنه ، وفي أثناء غيابه بالبحرين لمارة قلم بها جعنة بن النعمان الجففي^(١٣) ، وذكر ثيوفلكتس أن أن عرب عسان أعاروا على دولة الفغبيين في سنة ٥٥٠ م أي أثناء الصلح الذي عقد بين الروم والفرس^(١٤) ، ويبدو أن النعمان بن المنذر لم يكن موقفاً في حروبه التي حاصرها مع العرب ، ففي يوم طخفة هزمه بنو يربوع ، وكادر يقتلوه^(١٥) ، وفي يوم السلان أهرم جيش النعمان ، هزمه بنو عامر بن صعصعة ، وأمر ويرة ابن روماس الكلبي أخو النعمان ، فافتداه بألف بصر ودرس من يزيد بن الصعق^(١٦) ،

وقد فتح للنعمان بن المنذر أبواب قصره لقصاده من الشعراء أمثال النابغة الذبياني والمنجل البشكري والمثقب المدي والأسود بن بقر وحاتم الطائي ، وعرف النعمان بأنه صاحب النابغة^(١٧) إذ كانت صلته به وثيقة للغاية ، ويبدو

١١١ المسمودي ، ج ٢ ص ١٠٢

١٢٢ حيرة ، ص ٧٢

١٣٣ الطري ، ص ١٠٢١

١٤٤ جولد علي ، ج ٤ ص ٩١

١٥٥ ابن الأثير ، ج ٢ ص ٣٩٦

١٦٦ نفس المصدر ، ص ٣٩١ ، ٣٩٢

١٧٧ حيرة ، ص ٧٢

أن صدقته له ألارت أحقاد خصوم النابضة الذين ساءم قربه من النعمان وتتمه
 بجوازته ، فسموا به حق كثير عليه وكاد يقتله ، ففر النابضة إلى ملوك جعنة
 بالشام ، وأقام في ظلها فترة ثم عاوده الشوق إلى صاحبه ، فاعتذر إليه وتبرا
 بما قالوه عنه ظلما ، فمقاهه النعمان ، وعاد النابضة إلى الحيرة . وكان المنقل
 اليشكري من قدماء النعمان وأصحابه ، وكان يمدح النعمان بقصائده ، ويسم
 بجوازته ، ولكنه لم يلع من قلبه مثل ما بلغه النابضة ، فغضب للإيلاع به وأوغر
 صدر النعمان عليه حق ثم يقتله ، فهرب النابضة بنفسه ، وحل المنقل محله واختص
 بمجالسة النعمان ، ولكن النعمان لم يلبث أن انقلب عليه ، فدفع به إلى عكب
 صاحب سجن النعمان سجنه وعذبه ثم قتل ^(١) .

ويزعم بعض الأخباريين أن النعمان دخل في النصرانية ، وكان عابداً ون ،
 ورجعون فضل ذلك إلى عدي بن زيد الذي تولى قنشته ، وقالوا إن سبب ذلك
 أنه خرج ذات يوم راكباً ومعه عدي بن زيد ، فوقف بظهر الحيرة على مقابر
 ما يلي النهر ، فقال له هدي بن زيد : أبيت الأمن أندري ما تقول هذه المقابر ؟
 قال : لا ، قال : إنها تقول شر ،

أيها الراكب المهنون على الأرض مجنون
 مثل ما أنتم حيننا وكما نحسن نكوبون
 فقال له . أعد ، فقال : أنها تقول :

وب ركب قد ألهنوا حولنا يشربون الخمر بالماء الرلال
 ثم أضعوا لعب الدهر بهم وكذلك الدهر حالاً بعد حال

(١) جواد علي ، ج ١ ص ٩٥

واعتقد أن لامبات أمراء لحم أثر كبير في تحول بعضهم إلى المسيحية ، فارحوى
 القيس بن عمرو بن عدي كان أول من تنصر من ملوك آل لحم لأن أمه حارية بنت
 عمرو كانت فيما يظهر مسيحية ، وكانت أم عمرو بن امرئ القيس حارية للبرية
 أخت ثعلبة بن عمرو عساية ، والفسانة سبقوا المنافرة في اعتناق المسيحية
 لاقصا لهم بنصارى الشام ووجودهم بالقرب من فلسطين مركز المسيحية الأولى .
 ومن المعروف أيضاً أن النعمان بن امرئ القيس المعروف بابن الشقيقة كانت قد
 تنصر في أواخر أيامه وأنه ساح في الأرض وتسلق في الجبال ، وكانت أم المنذر
 ابن النعمان بن امرئ القيس أميرة عسائية . وكانت أم المنذر بن امرئ القيس
 الثالثة وهي حارية بنت عرف - كما يظهر من اسمها - مسيحية ، ومن المرجح أن
 ابنها المنذر كان مسيحياً لأنه أنف من اعتناق المردكية ، فعزله كسرى قبادز
 وپروون أن إبطاله لسنة الفريين كان مرتبطاً بتنصره ، وذكروا أنه أقسام في
 الحيرة للكنائس العظيمة ١٩١ . وكذلك كان عمرو بن هند مسيحياً ، بتأثير أمه
 هند الكبرى صاحبة الدبر المشهور . فالنعمان بن المنذر ليس أول من تنصر من
 ملوك لحم .

وقد ترك النعمان من السمات أربعاً هي هند وحرة وحريفة وعنفقر ١٩٢ .

١٩١ / حرة ، ص ٧٩ . وذكر ابن مفضل أنه من النصارى كان يسمى في دير هند ويحترق
 فيه ، وأنه خلق في شكله جسمائه فتبدل من لحمه ودمه ، وكانت أذهابها في إيجاده من ريق
 وياح وما شاكلها من أذهاب ، ابن مفضل لثمة العمري ، مملوك النصارى في المدائن والنجف ،
 تعقبي عند رجلي ملكها ، القاهرة ١٩٢٤ ص ٢٢٢ ، وينسب ابن النعمان بناء دير الطنج
 بالحيرة يومئذ إلى عنتبة ، ص ٤٥ .

٢ / ياقوت : معجم البلدان ، مادة حمير

(٢) حرة ، ص ٧٤

وعند هي أشهر من جميعاً ، فقد ذكروا أنها كانت زوجة لعدي بن زيد ، وقد عاشت طويلاً حتى أدركت قيام الدولة الأموية ، وكانت ما تزال حية في أيام عبد الملك بن مروان . وذكر أن المعيرة بن شعبة ركب إلى هند بلب التمان ابن المنقر وهي في ديارها في الحيرة مقرمة ، وكانت المعيرة وقتئذ أميراً على الكوفة ، وكانت هند قد غفدت نصرها ، فلما جاء المعيرة إلى الدير استأذن عليها فرحبت به ، وسأله عن سبب مجيئه ، فذكر لها أنه أتاها ليخطبها فقالت له : أما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت إلا بمجيتك ، ولكفي أخبرك الذي أردت ذلك له . قال : وما هو ؟ قالت . أردت أن تنزوجني حتى تقوم في الموسم في العرب فتقول . تزوجت ابنة التمان . قال : ذلك أردت ^(١) .

وذكر الثابتي أن سعد بن أبي وقاص عندما فتح العراق أتى هند في ديارها ، فخرجت إليه فأكرما وعرض عليها نفسه في حراحتها ، فقالت : سأحيك بتحية كانت أملاكنا تحياها (مستك يد نالها فقر بعد غنى ولا مستك يد نالها غنى بعد فقر ، ولا جعل الله لك إلى شيء حاجة ، ولا تزغ الله عن كريم نعمة إلا جعلك سبباً لرحمها عليك) ^(٢) .

ويبدو أنها عاشت حتى بعد سنة ٥٧٤ هـ ، فقد قدم عليها الحجاج في هذه السنة ، فرارها في ديارها ، فلما رآها قال : يا هند ، ما أعجب ما رأيت ،

(١) المسعودي ، ج ٢ ، ص ٢٢

(٢) الثابتي ، المبررات ، ص ١٥٧ ، ١٥٨

وتذكر ياقوت أن خالد بن الوليد دخل عليها لما فتح البصرة فمسست ظهره ، وعرض عليها ألا تلبسني بزوجة رجلا ثمنا سلبا ، فقلت له : أما الذي فلا رقية لي فيه غير ديني أبشئ ، وأما التزوج فهو كلفت في بقية لما رمت فيه ، فكيف وأنت مجور حرمة أقرب اليه بين اليوم وقد . لتكرما وأكرم ذمينا ولير بها يمحوه (راجع ياقوت ، سادة غير مسة المصري ، المجلد الثاني ص ٥٤١)

قالت : « روح مثلي إلى مثلك » فلا تمعربا حماح بالنفيسا « فلما أصبحنا ونحن كما
قال النابغة

رأيتك من تقعد له حمل دمة من الناس يأمر مرحة حيث أرمعا
ولم عس إلا ونحن أدل الدماء من وقل إناه امتلا إلا اكفنا

فأنصرف الحجاج معصياً وبعت إليها من يخرجها من الدبر ويستأديها الخراج
فأخرجت مع ثلاث جوار من أهلها « فقالت إحداهن بن خروجهما :

خارجات بسفن من دبر همد منعشات بدلة وهوت
لبت شعري « أول الحشر هذا أم عا الدهر غيرة الفيقان ؟

فشد حتى من أهل الكوفة على فرسه « فاستنفذهن من أشراط الحجاج و''
ولما فوجئت همد دفعت في نفس هذا الدبر إلى حوار قبر أبيها .

أما حرقه بنت النعمان فبعضهم يخلط بينها وبين همد '' . وذكر المسعودي
أنه لما وفد سعد بن أبي وقاص إلى القادسية أميراً عليها بعد أن هزم جيش الفرس
أنته حرقه بنت النعمان في حفدة من قومها وجوارها ومن في زجها عليهم الموح
والقطعات السود « مرهفات تطلب صلتها « فلما وقفن بين يديه أنكرهن وسأل
عن حرقه « فعرفته نفسها « فدعش لرؤيتها في حالتها تلك « فقالت له : « ان
الديار دار روال ولا تدوم على حال « ننتقل بأهلها انتقالاً وتقبهم بعد حال
حالا « كنا ملوك هذا المصريمي لما أخرجناه « ويطيعنا أهل مدى المدة ورومان
الدولة « فلما أدير الأمر وانقصى صاح بسا صانح الدهر « فصدع عصاة وشقت
شعلنا « وكذلك الدهر يا سعد انه ليس بأني قوساً عسرة إلا ويعقبهم بحسرة »

فأكرمها سعد وأحسن جازيتها^(١١).

٧ - إلياس بن قبيصة الطائي (٦٠٥ - ٦١٤ م)

هو إلياس بن قبيصة بن أبي عفرة بن النعمان بن حبة الطائي، وكان من أسرة من أشرف أسر الحيرة، عهد إليه كسرى بإمارة الحيرة بعد أن قتل النعمان ابن المنذر. وكانت المنذر يثق به ويعهد إليه بإدارة شؤون الحيرة حتى يختار كسرى من شاء من أولاده على إمارتها.

ولقد كان سبب اختيار كسرى لبروز إلياس ملكاً على الحيرة أن كسرى لما حرب من هرام بن إلياس بن قبيصة، فأهدى له فرساً وجزوراً، فشكر له كسرى ذلك^(١٢). وظل يحفظ له هذا الصنيع حتى جاءت اللحظة التي كامأه فيها بتوليته على الحيرة. وذكر حمزة الأصفهاني أنه أقام معه عليها النحرجات العارسي^(١٣) وقيل النخوشان^(١٤) وقيل النخيرجان^(١٥)، ويظن بعض المؤرخين أن هذا الاسم هو اسم وظيفة تولاهها إلياس في الحيرة^(١٦). وكانت مدة حكم إلياس سبع سنوات وفقاً لرواية حمزة^(١٧)، وتسع سنوات في رواية الطبري^(١٨)، وأربع

(١١) السموهري ١ ج ٢ ص ١٠٤

(١٢) الطبري ١ ج ١ قسم ٢ ص ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ ج ١ ص ٢٨٩

(١٣) حمزة ١ ص ٧٤

(١٤) ابن الأثير ١ ج ١ ص ٢٦٢

(١٥) الطبري ١ ج ١ قسم ٢ ص ١٠٢٨

(١٦) جواد علي ١ ج ٢ ص ١٠٢

(١٧) حمزة ١ ص ٧٤

(١٨) الطبري ٢ قسم السبعة

عشرة سنة في رواية ابن الأثير^{١١١} ، وثمانية أشهر في رواية ابن قتيبة^{١١٢} ، ونحيل إلى الأخذ برواية الطبري .

وقد ساعد إياس كسرى في حربه ضد الروم ، فوجهه كسرى أبرويز لقتال الروم بماتيدما وهو نهر يصبغ بالقرب من أرزن ، فهرمهم إياس^{١١٣} . وأعظم الأحداث التي وقعت في عهد إياس وأشهرها على الإطلاق حادثة يوم ذي قار . وهو قار عاء لسكر بن وائل يقع قريباً من الكوفة ، بينها وبين واسط^{١١٤} . وبالقرب من هذا الموضع يقع حنو ذي قار على بعد ليلة من ذي قار^{١١٥} .

٨ - انتصار العرب على الفرس في ذي قار :

يطلق الأخباريون على هذا اليوم أسماء عدة منها يوم قراقر و يوم الحنو أي حنو ذي قار ، ويوم حنو قراقر ، ويوم الجبابات ، ويوم ذي المعجوم ، ويوم الفذوان ويوم البطحاء أي يطحاء ذي قار^{١١٦} .

وتعصيل خبر الواقعة أن كسرى طالب بركة النعمان ، فأخبره إياس بن قبيصة بأنها وديعة عند بكر بن وائل ، فأمره كسرى يضمها إليه ، فأرسل إياس إلى هامان بن قبيصة بن هاشم بن موهوب الشيباني يأمره برد ودائع النعمان

١١١ ابن الكلبي - ج ١ ص ٢٩٢

١١٢ ابن قتيبة - المعتمد ص ٢١٩

١١٣ ياقوت - معجم البلدان ، جلد ٢ مادة سفيها ص ١٦٩

١١٤ نفس المرجع ، مادة دار ، جلد ١ ص ٢٩٢

١١٥ الفهرست ص ٣٠٠ - ياقوت - المرجع السابق

١١٦ الفهرست ، ج ١ قسم ٢ ص ١٦٠

من أموال ودروع وغيرها ، وعدتها غنائمة ، وقبل أربعمائة درع ، وقبل مائة آلاف ، فاستع هانيء ، وأبى أن يعلم ما استودعه عليه النعمان ، فغضب كسرى أبرويز وهدد باستئصال بكر بن وائل ، فنصحه النعمان بن زرعة التلي ، وكان يكره بكر بن وائل ويسمى هلاكهم^(١) ، بأن يهل بكر أسوق الصيف فيجوعوا إلى ماء لهم يقال له ذو قار ، فيساقطون تساقط العراش في النار ، فيأخذهم كسرى ، فلما قاظت بكر نزلت الخنو وهو حيوي قار ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زرعة يخبرهم إحدى خصال ثلاث : الاستسلام لكسرى بفعلهم ما شاء ، أو الرحيل من الديار أو الحرب . فذبح حنظلة بن ثعلبة بن سيار المجلي قومه بكر بالقتال لأهم إذا اسلموا قتلوا وسبيت ذرارهم ، وإذا رحلوا قتلوا عطشا وتلقاهم نيم فتهلكهم . فأرسل إليهم كسرى جيشا من الفرس على رأسه الهامز السفري المزيان الأعظم لكسرى وصاحب ملحمة القحطانة ، وكان يقود ألف فارس من المعجم ، وجلاب بن صاحب ملحمة بارق في ألف فارس ، وخرج إلياس في كتيبتين شبابوين وفي كتيبة دوعر ، ومعه خالد بن يزيد البهراي في هيراء وإياد ، والنعمان بن زرعة التلي في نطس ، والنمير بن قاسط^(٢) ، وقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجدين ، عامل كسرى على طلف سفوان^(٣) ، وأمر كسرى أن يجمع الجيش تحت لواء إلياس ، ووصل الفرس ومعهم القيول عليها الأساوره . فلما أقبلت جيوش الفرس ، نزل قيس بن مسعود ابن هذيل الجدين إلى معسكر هانيء الطائي ونصحه بأن يورع على قبيلته أسلحة النعمان يتسلحون بها ثم يردوها إليه ، فاستجاب لتوصيته وقسم الدروع والسلاح

(١) كان النعمان شاعرا يكره وتلقب اسم وائل بن هند بن أنس المذليين معه . نقل عليه نسخة الجرمي وما سمي ذلك من قيام الحرب . من بكر وجلبه في أيام حيرة ووردات والحو والقصبات وهفة أو استلقى والسقية والفصل وهي حرب دامت أربعين سنة . أرجع إلى ابن الأثير ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٢) يلقبه + صاحب البلدان ، مادة خرقه حنظلة ٤ ص ٢٩٥

(٣) السفري ج ١ ص ٢ ص ١٠٢٠

في ذوي القوى والجلد من قومه^{١١١} فلما دنت حشود إيلس ، خاب هاسي ، بن
قبيلة الطائي من اهريمة واقترح على قومه السجاة بأنفسهم إلى الغلاة ، إذ لا طاقة
لهم بمحيوش كسري ومن لاذ به من العرب ، وعز على حنظلة بن ثعلبة من سيار
العجلي أن يعر العرب أمام الفرس ، وهب قائماً أمام هاسي ، وقال : « إنما أردت
مخافة ، فلم تزد علي أن ألقيتنا في الهلكة »^{١١٢} فرد الناس ، وقطع وضئ الموادج
حتى لا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إذا هربوا ، وصرب على نفسه قنة سطحاء
دى قار ، وآلى على نفسه ألا يراجع .

ثم حدث الاشتباك الأول ووقعت الحروب ، ومرر عارز ، فتلناه يزيد بن
حرثة اليشكري ، فقتله ، وعزم ديباجة وفرطيه وأورته . وكان الاستظمار
في ذلك اليوم للفرس^{١١٣} . ولكن الطبري يؤكد أن مقتل الهامر السري تم في
المعركة الأخيرة^{١١٤} ، وهو الأرجح .

وفي اليوم الثاني جوعت محيوش الفرس من العطش ، فراجعت إلى الجبال ،
فتبعتهم بكر وعجل ، وأبليت عجل يومئذ بلاء حسماً ، وقد افعت عليهم حشود
الفرس وتكاثر حتى أيمن القوم هلاكهم ، ثم حملت بكر لوازرة عجل قرأوا
بي جعل يقاتلون في استسار وإحدى نساءهم تقول :

إن يظفروا يحرزوا فينا الغول إيا فداء لكم بني عجيل

ونقول أيضاً تحت الاسم على التفاني :

إث تهرموا بمسائق ونفسر السمارق

أو تهرموا بمسائق فراق غير وامق

١١١ نفس المصدر ، ص ١٠٣٢

١١٢ نفس المصدر

١١٣ ياقوت ، معجم البلدان - مادة قار ، ص ٢١٤

١١٤ طبري ، ص ١٠٢٩

وازداد عطش الفرس ، فمالوا إلى بطحاء ذي قار ، ويسعدو أن إياه التي
 ظهرت الفرس في أول الأمر عدلت عن موقفها من عرب بكر ، فعزموا على
 الانضمام سراً إلى بكر لأن المعركة أصبحت معركة مصير للعرب جميعاً ، لن
 يقوم للعرب إذا انهزموا بعدها قاذفة ، فأرسلت إياه إلى بكر تحييم بين الانضمام
 إليهم فوراً أو التظاهر بالحرب مع الفرس حتى إذا تلاقوا في اليوم التالي انخفروا
 عنهم ، واختار قوم بكر الحل الثاني^{١١} . وفي اليوم الثالث نصب يزيد بن حار
 السكوتي ، وكان حليفاً لبني شيبان ، كميناً للفرس في موضع من ذي قار يعرف
 في زمن الطبري باسم الجلب ، واصطفيت جيوش الفرس : إياس بن قبيصة في القلب
 والعامر القسري على ميمنته والحلاب بن علي ميسرته ، واصطف العرب ، حل
 نفس للنظام : هاتئ بن قبيصة في القلب وعلى ميمنته يزيد بن مسهر الشيباني
 رنيني بكر ، وعلى ميسرته حنظلة بن ثمة المجلي ، وأخذ حنظلة يحث القوم على
 القتال والصمود فارتجزم قائلاً :

قد شاع أشياكم فجدوا	ما علي وأنا مؤء جلد
والقوس فيها وتر عره	مثل دراع البكر أو أشد
قد جعلت أخبار قومي تبدر	لأن المنايا ليس منها بد
هذا غير جب ألد	يقدمه ليس له مرد
حق بمرء كالكميت الورء	خلوا بني شيبان واستبدو

نفسى فداكم وأني والجد

وقال أيضاً :

يا قوم طيسوا بالقتال نفسا أحذر يوم أن تفصلوا الفرسا

وقال يزيد بن المكارين حنظلة بن ثعلبة العجلي يدعو القوم إلى الصمود
ويحذرهم من الفرار :

من فر عنكم فر عن حريمي وجاره وفر عن نديه
أنا ابن سبصار على شكيمة إن الشراك قد من أديمة

ويبدو أن بكر أوت قيادتها إلى حنظلة العجلي بدلاً من حاسي ، فبادر إلى
هوج ماربة ابتغى قطع وصيفه ، فوقعت على الأرض ، وأخذ يقطع وذن
الفناء ، وصرخت ابنة القرن الشيبانية تحت رجال قها على الموت :

ويا بني شيان صقاييد صفب إن تهزموا يصبغوا قينا الخلف

فقطع سبعمائة من بني شيان أيدي أقيمتهم من قبل مناكهم حتى بسول
عليهم الطمن والصرب وتحف أيديهم بضرب السوف ، وحانت ساعة القتال ،
فهرر الهامز وصاح مرد مرد أي إلى البراز وجلا رجلا ، فبرز إليه برد من
حارثة اليشكري وقتله من ساعته^(١) وآثر حنظلة أن يبدأ العرب المهاجم ،
فعملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميسرة الفرس بعد أن فقدت قائدها
الهامز ، وحلت ميسرة بكر بقيادة يزيد بن مسهر على ميسرة الفرس وعليهم
جلازين ، وفي الوقت نفسه خرجت كائن يريد من حار تشددت المهاجم على قلب
الجيش الفارسي ، وفدت ايام ما احمرقه من خذلان الفرس فولت منهزمة من
المركة ، وأحدث ذلك اضطراباً شديداً في جيش الفرس ، فانهزموا هزيمة نكراء ،
وكتيبة عجل تطاردهم بين مطعاه دي قار ، حتى بلغ حل الفرس الراحة دون أن
يسمى واحد منهم وراء سلب أو مفق^(٢) . وتمكن حنظلة من قتل جلازين وكسر

(١) الطبري ٥ ص ١٠٢٤

(٢) نفس المصدر - اليد الآخر ١ ج ١ ص ٢٦١

الفرس على هذا النحو كسرة لم يعرفوها من قبل ، وقتل أكثرهم^(١١).

وفي انتصار العرب على الفرس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أول يوم انتصفت العرب فيه من المجمع ، وفي نصره^(١٢) . وتبارى الشعراء في التثني بهذا الانتصار ، فقال سيمون بن قيس يمدح بني شيبان :

فدى لبني دهل بن شيبان ناقي وراحبها يوم اللقاء وفلت
م ضريرا بالحنو حنوا قراقر مقدمه الحامر حتى تولت
وأفلتنا قيس وقلت لاه هنالك لو كانت به النمل رلت

وقال بكير أصم بني الحارث بن عباد :

إن كنت ساقية الدامة أهلا فاسقي على كرم بني هام
وأيا ربيعة كلها ومعلب سبقا بقاية أجمد الأيام
ضربوا بني الأحوار يوم لقوم بالثري على مقليل الهام
هربا ثلثة آلاف وكتيبة ألفين أعجم من بني القدم
شد ابن قيس شدة دعت له ذكرا له في مرق وشأم^(١٣)

وقا أبو تمام يمدح خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني :

ألاك بنو الأفضال لولا غماهم درجن فلم يوجد لكرمة عقب
لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد وحيد من الأشباه ليس له صعب

(١١) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة خمر ، ص ٢٩٤

(١٢) البصروي ، ج ١ ص ٢٧٨ - ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٨٥

(١٣) البصري ، ج ١ ص ٢ - ص ٢٥ - ١-٢٦

به علمت صهب الأعاجم أنه به أعربت عن ذات أنفسها العرب
هو الشهيد الفرد الذي ما نجابه لكسرى بكسرى لا سنام ولا صلب^(١١)

وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ الواقعة، فالعض يجعلها بعد أن هاجر
النبي إلى يثرب^(١٢)، وبعضهم يحددها بعد وقعة بدر بأشهر^(١٣)، وبعضهم يجعلها
عند مصرف الرسول من وقعة بدر^(١٤)، وآخرون يرون أنها حدثت لتام أربعين
سنة من مولد الرسول، وهو بمكة بعد أن بعث^(١٥)، وقيل أنها حدثت يوم
ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١٦). ويذهب رشتين إلى أنها وقعت قبل
يقرب من سنة ٦٠٦، بينما ذهب بلذكة إلى أنها وقعت بين عامي ٦٠٦-٦١٠^(١٧).
أما كوسان دي برسيغال فيعتقد أنها حدثت بعد أن اكتمل عمر النبي صلى الله
عليه وسلم أربعين عاماً أي في يناير سنة ٦١١ م، استناداً إلى ما ذكره المسعودي
وأبو الفداء اللذان حددتا تاريخها بعد أن بعث بمكة لتام أربعين سنة من مولده^(١٨).

ويرى نيكلسون أنها حدثت في سنة ٦١٠ م^(١٩). ويميل معظم المؤرخين إلى
القول بأنها حدثت في ٦١١ م، وأعتقد أن الموقعة حدثت قبلًا يقرب من عام ٦٠٩

(١١) ياقوت، معجم البلدان، مادة قفر، ص ٢٩٤

(١٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ١ ص ٢٧٨

(١٣) ياقوت، معجم البلدان، مادة قفر، ص ٢٩٤

(١٤) حرة، ص ٧٤ - القسري، ج ١ ص ٢٨ - المسعودي، ج ١ ص ٢٧٨

(١٥) ابن الأثير، ج ١ ص ٩٢ - أبو الفداء، ج ١ ص ١٠١

(١٦) بيهقي، معجم البلدان، مادة كوفة، ص ١١٢

(١٧) جواد علي، ج ٤ ص ١٠٤

(١٨) Caussin de Perceval t. II, p. 184

(١٩) Nicholson, a literary history of the Arabs, p. 70

أو بعد ذلك بأشهر ، فإن المصادر تكاد تجمع على أن النبي ﷺ بعث على رأس أربع سنين من ملك إياس بن قبيصة ، وروى قوم أنه بعث وهو ابن أربعين سنة^(١١) ، ولما كان من المعروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام توفي في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ هـ (٨ يونيو ٦٣٢ م) وهو في سن الثالثة والستين على أرجح الآراء^(١٢) ، فإن بعثه فكون قد حدثت في سنة ٦٠٩ م وهو ابن أربعين سنة^(١٣) وتكون وقعة ذي قار حدثت بعد سنة ٦٠٩ بقليل ، أو على أبعد تقدير في سنة ٦١٠ م .

٨ - آزاذيه بن ماصيهان بن صهرامنداد (٦١٤ - ٦٣١ م)

اختلف المؤرخون العرب في اسمه^(١٤) ، ولكنهم أجمعوا على أن مدة حكمه ١٧ عاماً . ولا نعرف من أمره شيئاً ، فالمصادر العربية تصمت صمتاً مطبقاً عن أعماله ولا تذكر شيئاً من أحداث الحيرة في عهده .

ويبدو أن سلطان آزاذيه اقتصر على الحيرة ، فإن بكر بن وائل من نفسه انتصرت في ذي قار أصبحت لا تربط بالدولة الساسانية بشيء ، ويذكر برسيغال أنها استقلت في منطقة البحرين^(١٥) التي كانت تابعة لحكومة الحيرة في عصر المناذرة ، وحدثت بعض قبائل العرب في أواسط جزيرة العرب التي كانت قد اعترفت بسلطان المنذر بن المنذر حذو بكر بن وائل ، وشقت عصا الطاعة على الفرس ،

(١١) حمزة ٤ ص ٩٨

(١٢) البلاذري ، أسبغ للثرف ص ٥٧٩ - ابن الأثير ، أسد الغابة ج ١ ص ٥٣

(١٣) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ١ بين ١٢٢٢ + ج ١ ص ١٢٩ - ابن هشام ، المصنف ج ١ ص ٢٤٩ - البلاذري ، انصر المصنف ص ١٠٤ - ابن الأثير ، أسد الغابة في حروفه الصحاح ، تحتق الاستاذ محمد سبيع ، ج ١ القاهرة ١٩٦٤ ص ٢٤

(١٤) حمزة ٤ ص ٧٤

سلب انقطاع الحكم العربي عن الحيرة ، وبسبب الثمن والعلاقل التي أخذت تخرق الدولة الساسانية^{١١١}.

٩ - المختار بن النعمان (المفرور) (٦٣١ - ٦٣٣)

يسجل مصرع النعمان بن المنذر على يدي كسرى فارس نهاية حكم النعمانيين في الحيرة ، ولكن ابن الكلبي يذكر في آخر قائمتهم أميراً منهم هو المنذر بن النعمان الأخير ويدعوه المفرور ، الذي قتل بالبحرين يوم جواثا^{١١٢} ، وذكر أن ملكه إلى ورود خالد بن الوليد إلى الحيرة ثمانية أشهر^{١١٣}.

ويبدو أن انقلاباً سياسياً حدث في الحيرة في السنة الأخيرة من حكم آرز فيه الفارسي ، فولى عرب الحيرة على أنفسهم ابناً للنعمان الأخير هو المختار المفرور ، فقد كانت العناصر العربية في الحيرة ما زالت تحتفظ بقوتها ، وظهر منهم في العصر السابق مباشرة على الفتح العربي الإسلامي شخصيات عظيمة مثل عبد المسيح بن عمر بن قيس بن بقة ، وهاني بن قبيصة بن معوية الشيباني ، وإياس ابن قبيصة الطائي ، وعدي بن عدي ، والسادق بن عبد القيس ، وزيد بن عدي^{١١٤}. واستغل عرب الحيرة فرصة الفتح التي كانت تخرق الدولة الساسانية وعزلوا آرز وذهبا وأقاموا المنذر المفرور . وقد ورد اسم آرز في فتوح البلدان للبلخاري عندما نعره في محلة خالد بن الوليد على العراق ، وذكر أن حالداً عندما أقبل إلى مجمع الأنهار في ناحية البصرة ، وفيه أراذبه صاحب مسالغ كسرى عما بيته وبين العرب ،

١١١ - U. de Perceval, I, II, p. 466.

١١٢ - حيرة ، ص ٧٤ - الطبري ، ج ١ ، ص ١٠٢٩.

١١٣ - ص ١٠٢٩.

١١٤ - ج ١ ، ص ١٠٢٩.

عن أن المنذر ، لم يلبث أن فرغ عديم بانه خروج جيوش المسلمين إلى العراق ، وبدوا أنه عزل من الحيرة إما بإيعاز من كسرى أو نتيجة ثورة قام بها أهل الحيرة ، فمضى إلى البحرين ، فوصلها في الوقت الذي ارتد فيه أهلها من ربيعة وقيس بن ثعلبة ، فأمروه عليهم ، وزحف المنذر الفرور أو المفورر بن انضم معه من عرب ربيعة حتى نزل جوات حصن البحرين ، وفيها هرم حيوش المسلمين بقيادة العلاء بن الحضرمي ، فلحق المسلمون إلى الحصن ، وحاصروهم المنذر والحطيم وهو شريح بن صبيحة بن عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة . ولكن العلاء خرج من الحصن بفترة من دمعه من المسلمين واشتدك مع الحطيم والمنذر في قتال عنيف انتهى بهزيمة الحطيم ومقتله^(١) . ثم فر المنذر عن معه من قلوب ربيعة إلى موضع الخط ، ولكن العلاء أدركه وقتله هناك . وقيل إن المنذر نجح فدخل إلى المشقر ، ثم لحق بمسيرة وقتل معه . وقيل قتل يوم حوالة^(٢) .

أفضل خالد بن الوليد نحو الحيرة ، وحاصرها ، فخرج إليه عبد المسيح بن عمرو ابن قيس بن ثعلبة وهاني بن قبيصة بن عمرو الشيباني وإياس بن قبيصة الطائي ، ويقال قروة بن إياس بن قبيصة ، فصالحوه على مائة ألف درهم وعلى أن يكونوا عيوماً للمسلمين على أهل فارس ، وأن لا يهدم المسلمون لهم قصر أو دابة^(٣) . وهكذا ، ففتحت الحيرة صلحاً . وبدوا أن قروة بن إياس بن قبيصة هو الذي كان يقوم بإدارتها عند الفتح الإسلامي .

(١) البلاذري ، الفوج البلدان ، ج ٢ ص ٢٩٧

(٢) البلاذري ، القس للمصر ، ج ١ ص ١٠٢

(٣) البلاذري ، المصير السيلق ، ج ١ ص ١٠٢ + ١٠٣

(٤) أنيس المصير ، ج ٢ ص ٢٩٧ - أبو صيف ، كتاب الفراج ، طبعة بولاي ١٣٠٢ هـ

وأثار قسليم الحيرة للعرب العاصم عصب كسرى يزوجده فعمل على استرجاعها ،
 وغلبك واحد من أعقاب قابوس بن المنذر عليها ، وهو قابوس بن قابوس بن المنذر ،
 فاستقدمه إليه ، وأخراه بالعرب ، ووعده ملك آمنة فصار قابوس إلى القادسية
 ونورها ، وهناك صدمته قوات المسلمين ، ففرض جمعه وقتل^(١)

٥ - الحيرة في العصر الإسلامي :

كان الشروع في إنشاء الكوفة في سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) على يدي سعد بن أبي
 وقاص إيداعاً بتدهور الحيرة وتناقص عمرانها . وقد استحدثت في بناء المسجد
 الجامع بالكوفة ألقاض قصورها ، فقد ذكر البلاذري نقلاً عن شيخ من أهل
 الحيرة : « واحد في فراطيس هدم قصور الحيرة التي كانت لآل المنذر أن المسجد
 الجامع بالكوفة بني ببعض نقص تلك القصور » وحديث لأهل الحيرة قيمة ذلك
 من جريتهم^(٢) ، وبدأ الخراب يستولي على ديارها ، وبست بعض قصور الكوفة
 بأجر وأساطين رخام قصور الحيرة وكنالها المتخربة^(٣) ، ومع ذلك فإن انحسار
 العمران في الحيرة وتقلصه لم يتم دفعة واحدة ، ولما تم على مراحل طويلة ، ويرجع
 الفضل الأعظم في الإبقاء على الحيرة ، واستمرار العمران فيها إلى أنها فتحت
 صلحاً بالإضافة إلى أن حشرات أهلها التجارية أتاح لها مجالاً واسعاً للاستفادة المادية
 من الفتوح الإسلامية ، فضلاً عن كونها مركزاً مسيحياً بالقرب من الكوفة بما

(١) ابن بطون : ج ٢ ص ٥٦١

(٢) البلاذري : ج ٤ ص ٢٥٠ - الطبري : ج ١ قسم ٥ ص ٢١٨٦

(٣) الطبري : ج ١ قسم ٥ ص ٢١٦٠ ، يقول طبري أن دحقاً بن أهل همدان
 يقال له رزيح من بورجمر من سعد بن أبي وقاص ابن بني له الحليم وسمر التكريت
 وبسليم يسمى فيكون مدينتها واحدة ، « بعد قصر الكوفة على مائة خط فيه » ثم انتفاء
 من نقش آخر قصر كان للاكاسرة في ضواحي الحيرة »

أضحى لها أن تكون موضعاً من مواضع النزهة والزيارة لأهل الكوفة^(١) فقد ذكر
ياقوت أن بظاهر الكوفة كانت « منازل النعمان بن المنذر والحيرة والنجف
والخورنق والسدير والغريان وما هناك من المتنزهات والديرة الكبيرة »^(٢) .

وكانت الحيرة مدينة مأهولة بالسكان في العصر الأموي ، إلا أنها في العصر
العباسي أخذت في الاضمحلال . ولم يزل عمرائها يتناقص في هذا العصر إلى صدر
من أيام المعتضد ، فإنه استولى عليها الخراب^(٣) ، وكانت بالرغم من ذلك مقصد
خلفاء بني العباس في العصر الأول كالسفاح والمتصور والرشد والواثق ، فقد كانوا
يقلونها ويطلبون المهام بها لطيب هوائها ، وصفاء جوهرها ، وصحة تربتها ،
وصلابتها ، وقرب الخورنق والنجف منها^(٤) . ولم يلبث سكان الحيرة أن
في البلاد لتداعي الخراب إليها ، وأقهرت في زمن المموي من كل أنيس « ليس
بها إلا القدي واليوم »^(٥) . وعندما زارها الشريف الرضي سنة ٣٩٢ هـ شاهد
قصورها وديارها وقد أصبحت أطلالاً دراسة ، فقال من قصيدة :

ما زلت أطرق المنازل بالنوى حتى نزلت منازل النعمان
بالحيرة البيضاء حيث تقابلت ثم المهاد عريضة الأردن
ورأيت عجائب الطول من البلى عن منطوق عريضة التبان
أقاصير الفزلات غيرك البلى حتى غدوت مرايض الفزلات

(١) صفح سفيح احمد الطي ، خطته الصرة ، ص ١٨ .

(٢) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة ناز ، ص ٢٩٤ .

(٣) المموي ، ج ٢ ص ١٠٤ .

(٤) نفس المصدر .

(٥) نفس المصدر .

وملاعب الأس الجريح طوى الردى
ومضت أسأل بعضها عن بعضها
قدحت زفيرى فاعتصرت عدامعى
رقى الدموع ويرعوي جزم الفتى
مسكية النضجات تحسب ترها
برد الخليل معطر الأردان^(١)

وقد اشتهرت الحيرة في العصر الاسلامي بخصائرها وحاناتها التي كان يقصدها
أهل الكوفة لقرىها منهم^(٢)، وفي آخر الحيرة يقول عبد الله بن أرب التيمي أحد
العلماء في الدولة العباسية :

هل إلى سكرة بناحية الخيرة شماء يا قبيص سبيل^(٣)

كذلك اشتهر المشون والمغنيات في الحيرة بالغناء الحيري ، كما دأبت شهرة
بعض الآلات الموسيقية في الحيرة مثل العود الحيري والمزمار والدف^(٤)

و - حضارة الحيرة في عصر العباسيين

١ - الحياة العلمية :

ازدهرت الحياة العلمية في الحيرة ازدهاراً لم تشهده عاصمة عربية في العصر

(١) ديوان الشريف الرضى ، ج ١ ، ص ١٨٧ ، طبعته بيروت ١٣٠٧ ص

٨٨٥ - ٨٨٧

(٢) أبو النضر الأصفهاني ، كتاب الأغاني ج ١١ ص ٤٨ ، ج ١٨ ص ٢٧٧

(٣) نفس المصدر ، ج ٦٨ ص ٢٧٧

(٤) ينسب ذلك لعمارة ، ص ٩

الجاهلي . إذ كانت تزخر بمعاهد العلم ومدارسه ، فقد تلقى ايليا الحيري مؤسس دير مارا ايليا في الموصل دراسته الدينية في مدرسة بالحيرة ، كما تلقى مار عبدا الكبير دراسته في إحدى مدارس الحيرة^(١١) . وفي الحيرة تعلم المرقش الأكبر وأخوه حرمة الكتابة على أحد النصارى من أهلها^(١٢) . وكان بشر بن عبد الملك الكندي صاحب درمة الجندل ، يأتي الحيرة فيقيم بها الخبز ، فتعلم الخط العربي من أهل الحيرة . وعن طريقة تعلم سمعان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة الكتابة^(١٣) . وذكر ياقوت أن الصبيان في الحيرة كانوا يتعلمون القراءة والكتابة في كنيسة قرية من قرانا اسمها القصرة^(١٤) . والخط الحيري هو أساس الخط العربي ، وهو أقدم أشكال الخط العربي ، وقد اشتق الخط الحيري من الخط الآرامي^(١٥) . وذكر اللاذري نقلا عن عباس بن هشام بن محمد الكلبي أن ثلاثة نفر من طبرستان اجتمعوا ببقعة (بلدة بالحيرة) ، وهم مرمر ابن مرة ، وأسلم بن سدوة ، وعامر بن جندرة ، فوضعوا الخط ، وقاسوا حواء العربية على حواء الفارسية . فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار^(١٦) ، ولكن الدكتور حليل يحس نامي يعتقد أن بلاد الحجاز عرفت الكتابة عن طريق آخر غير الحيرة هو طريق البصرة حاضرة الأنباط ، وكان عرب الحجاز في رأيه يستخدمون الكتابة النبطية في شؤونهم التجارية بسبب خضوعها للأنباط ، ومن الحجاز انتشرت في جميع البلاد العربية

(١١) نفس المرجع ، ص ٥٤

(١٢) الاعناني ، ج ٥ ، ص ٢٧٥

(١٣) اللاذري ، فروع البلدان ، ج ٢ ، ص ٣٧٩

(١٤) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة حيرة ، مجلد ٥ ، ص ٢٠١

(١٥) عبد الفتاح حلاوة ، انتشار الخط العربي في العالم الشرقي والعالم العربي ،

مطبعة ١٩٩٥ ، ص ٩

(١٦) اللاذري ، ج ٢ ، ص ٤٧٩

في نهاية القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي . كما يظهر في نقش أم الحلال المؤرخ سنة ٢٧٠ م وفي نقش للملا المؤرخ في سنة ٣٠٦ ، ٣٠٧ م . كما يستدل أن الكتابة النبطية التي عرفها عرب الحجاز تطورت تطوراً سريعاً تبعاً لحركة التجارة ونتيجة الحركة الأدبية التي قامت في الحجاز بسبب الأسواق الأدبية والتجارية ، حتى أصبحت لها طابعها العربي الأصيل في أوائل القرن الخامس الميلادي^(١) . ومع ذلك فهو لا يجد أدلة تاريخية ثابتة تشير إلى أن الخط النبطي كان مستعملاً في بلاد الحجاز ، ولا يعتقد الدكتور حليل يحيى نامي لإثبات رأيه إلا على الدراسة القائمة على المقارنة بين الخط النبطي الأول والنطور الذي أصابه في بلاد الانباط والنقوش الكتابية التي تم العثور عليها في نواحي مختلفة من بلاد العرب في القرن الثالث والرابع والخامس لميلادي . ورأيه يخالف ما تشير إليه المصادر العربية من أن العرب في الجزيرة العربية تعلموا الخط من الهيرانيين ، ومن المعروف أن الخط العربي الكوفي هو تطور من الخط الهيراني عرفه عرب الحجاز عن طريق عرب الحيرة قبل ظهور الإسلام بزمان قليل ، والخط الهيراني متخلف عن الخط السطورنجيبي السرياني^(٢) ، وللتوفيق بن الراسي اعتقد أن عرب الحجاز اقتبسوا الخط العربي المعروف بالكوفي من الخط النبطي والخط الهيراني في آن واحد ، كما اقتبس العرب في مصر لأموي فهم المعناري والزخرفي من الفنين الساماني والبيزنطي .

وكان لموقع الحيرة بين العراق والشام وبلاد العرب أثر كبير في استحكاك أهلها بغيرهم من الشعوب ، إذ تأثروا بالثقافات الفارسية والسريانية واليونانية ، وكانت لمعرفة بعض أهالي الحيرة للغة الفارسية أثر كبير في نقل كثير من آداب الفرس إليهم ، كما تسرب شيء من علوم اليونان وأدبهم إلى عرب الحيرة عن طريق

١ . حليل يحيى نامي ، أصل الخط العربي وتوزيع نظوره إلى قبل الإسلام ، مطبع

مكتبه الآداب ، الجامعة المصرية ، المطبعة الثالثة ، الجزء الأول ، مايو ١٩٣٤ م ، ١-٢-٩٠

٢ . محمد مفتاح صادق ، تطور الخط العربي ، ص ١٢

أسرى الروم^{١٢١}

وكان علوك الحيرة من البيت الخمي يشجعون الشعراء بالمطايا والصلوات ، وفود إليها من شعراء الجاهلية المرقش الأصغر ، وعمر بن قنينة ، والمتنبي ، وطرفة بن العبد ، وعبد بن الأبرص ، والمرقش الأكبر ، والمتنقف العبدي ، والمنفل الليشكري ، والسابعة الدبائي ، وحنظلة الطائي ، وليد بن ربيعة ، وحسان بن ثابت ، وي زيد بن عبد المدان ، والأسود بن بقر السهلي ، والثابت الجدي ، وحاتم الطائي ، وصلام بن جندل ، وعذرة العبدي ، وأحس قيس ، وعمر بن كلثوم التقي ، وظهر فيها من الشعراء عدي بن زيد العبادي ، وعدي ابن مرثد ، وإياس بن قبيصة الطائي . كما ظهر من شعرائها المسلمين أبو قيس التميمي^{١٢٢} .

وكانت الحيرة مركزاً علمياً هاماً ، وملتقى الأدباء العرب في الجاهلية ، وكان النعمان بن المنذر يجتمع بأهله العرب في قصر الخورق ، ويقع مهرجاناً أدبياً يتفاخر الجميع فيه بالجلوس العربي ، ويذكر ابن الكلبي أن النعمان بن المنذر عندما قدم على كسرى وعنده وقود العرب والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب ، وفضلهم على جميع الأمم لا يستثنى فارس ولا غيرها ، فقال كسرى وأخذته غيرة الملك ممدداً فصائل الأمم ومقطعاً من حق العرب ، فانطلق النعمان يمدد من مآثر العرب وهو فضائلهم حتى بهت كسرى . فلما عاد النعمان إلى الحيرة أرسل في طلب خطباء العرب وأدائها أمثال أكم ابن صيفي وحاجب بن رواة التميمي ، والحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البكري ، وعمر بن الشريد الكلبي ، وعمر بن عمدي كرب الزبيدي ،

١٢١ لقد أجمع : خراج الإسلام ، ص ١٨

١٢٢ راجع اسم القاص بالشعر العربي في الحيرة ، في بحث الحيرة للاستاذ يوسف

رزق ، ص ٥٨ - ٧٦

وخالد بن جعفر ، وغيرهم ، فلما اجتمع بهم قال . قد عرفتم هذه الأعاجيب وقرب حوار العرب منها ، وقد سمعت من كسرى مقالات مخوفت أن يكون لها غوراً ولا يكون ، فلما أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خوفاً كبعض طهاطمته في تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بلوك الأمم ، فاقترض عليهم مقالات كسرى وعارض عليه ، ودعا لهم بما في خزائنه من طرف حلال الملوك ، وأعطى كل منهم حقة ، وعمه عمامة ، وختمه بياقوته ، وأمر لكل رجل منهم بتجسيه سمورية وهرس لجبية ، وأرسلهم إلى كسرى وكتب معهم كتاباً ، فلما صاروا إلى مجلس كسرى خطب كل منهم خطبة آية في البلاغة ، والفرا من درر الكلام ما يزدري بالجان ويصح أن تتخذ فصاحته مثوالاً ينسج عليها^(١) . وأغلب الظن أن موقف النعمان بن المنذر من كسرى على النحو الذي وضعناه كان من العوامل التي أثارت عليه غضب كسرى ، فقتله .

وكان الطب متقدماً في الحيرة في رس الأخمين ، وقد ظلت الحيرة محافظة على شهرتها في الطب في العصر الإسلامي ، فكان حنين بن اسحق الطبيب النصراني البصري من أقدر أطباء المتوكل المأمي ، وكاد أبوه اسحق صيدلابا بالحيرة^(٢) ، وذكر أبو الفرج أنه بينما كان المتوكل الليثي بن عبد الله بن تهمش الشاعر بالحيرة ، ومهد وحده شديداً أنعم به قس نصراني مذكور وعابله^(٣) .

٤ - الحياة الاقتصادية

كان أهل الحيرة يشتغلون بالزراعة والرعي وهما حرفتان أمثلتهما طبيعة المكان الذي تقع عليه الحيرة ، فوقوع الحيرة في أرض السواد ووقوعها على نهر كافر جعلها تجمع بين حياة البداوة وحياة الاستقرار ، وكانت مراعي التخيل والمساكن

(١) ابن سعد ربه ، العقد الفريد ، المجلد ١٦٢٨ ج ١ ص ١٦٦ - ١٧١

(٢) ابن الجوزي ، تاريخ مختصر الدول ، ص ١٤٦

(٣) الألباني ، ج ١ ص ٧١

والجنان تمتد في فراحيهما من النخف حتى الفرات . كذلك اشتغل الحيريون بالتجارة ، فقد كان قرب الحيرة من الفرات ييسر لأهلها أن يركبوا السفن في الفرات حتى الأبله ثم يركبوا السفن الضخام من هناك فيطوفون بالبحار إلى الهند والصين من جهة المشرق وإلى البحرين وهدن من جهة المغرب ، وكانت تتوارد على الحيرة المتاجر المطام لأنها كانت من ظهر البرية على مرفأ سفن البحر من الصين والهند وغيرها^(١١) . ومن الحيرة كانت القوافل تحمل تجارة الهند والصين وعمان والبحرين إلى قنبر وحوران ، وترب على هذه الخرفة تدفق الثروات على أهل الحيرة ، فأقاموا القصور واستمتعوا بالحياة واستعدموا الغنين والمغنيات ، واتخذوا في دورهم نفيس الأثاث والرياش^(١٢) واستعملوا الأواني الفضية والذهبية للأكل^(١٣) ، وناموا على فرش الحرير فوق الأسرة الجليلة بالكلل كما قال عدي بن زيد :

أبواب طائف الخبز والدير جاج فوق الحذور والانتاط
حوررات من اللحوم وفيها لطف في الشنان والأوساط^(١٤)

واتخذوا الطيوب والبخور في الممار قبل النوم^(١٥) ، وكانوا يضمخون ذفارهم بالمسك والعنبر ولببسون فاخر الثياب ، ويشربون الخمر ، وفي ذلك يقول الشاعر :

تفح بالملك ذفارهم وعنبر يقطبه القاطب
والقر والسكتان أفرابهم لم يحب الصوف لهم جانب
والمسز والملك لهم راحن وقهوة تاجودها ساكب^(١٦)

(١١) البكري ، ص ٤٠ ، ص ٢٠٦ ، ص ٢٩٨

(١٢) الأتقي ، ص ٢٠٦ ، ص ٥٤

(١٣) نفس المصدر ، ص ٢٠٦ ، ص ٢٩٧

(١٤) بلاوت ، ص ١٠٠ ، ص ١٠١ ، ص ١٠٢ ، ص ١٠٣

(١٥) الأتقي ، ص ٢٠٦ ، ص ٢٠٣

(١٦) ص ١٠١ ، ص ١٠٢ ، ص ١٠٣ ، ص ١٠٤

وقد بلغت الصناعات دوسة كثيرة من الخلق والافتقار في الحيرة حتى أصبحت كثير من الصناعات تنسب إلى الحيرة ، ومن أهم صناعات الحيرة صناعة الفسج ، وخاصة نسيج الحرير والكثان والصوف ، وكان قصر الخورمق يصمم عدداً من القين والفساج وفي ذلك يقول عمرو بن كلثوم .

إذا لا ترجى ملى أن يكون لها من الخورمق من قين وفساج^١

ومن أزياء الحيريين الساج والطيلسات والبشدار والبلق والشرعية والسياء^٢ ، وكان ملوك الحيرة يخلعون على القماء^٣ ، وس يرضون عنه أثواباً تعرف بأثواب الرض ، وهي جباب أطواقها الذهب في قصب الزرد ، ومنها ما يسمى المقل^٤ .

واشتهرت الحيرة بصناعة الأسلحة من سيوف وسهام ونصال للرماح . أما صناعة النحف المعدنية والحمل فكانت من أرقى الصناعات في الحيرة ، فقد كان الصاغة الحيريون يفتنون ويبدعون في صناعة أدوات الرينة من دعب وفسة وبرصونتها بالخوامر والياواقيت^٥ . وداعت شهرة الخزف الحيري وصناعة الجلود والسباغة والنحف المصنوعة من الساج .

٣ - فن الصاغة ،

أخذ فنوا الحيرة أصول هذا الفن عن طريق الفرس ، بحكم مجاورتهم وتبعينهم لهم ، ولكنهم طوروا في نظام الممارسة عندهم نظوياً أعمده عن أصوله الأولى ،

١ ١ / يوسف رزق نجية ، ص ٨٢

٢ ٢ / نفس المرجع ، ص ٨٢ ، ٨٣

٣ ٣ / نفس المرجع ، ص ٨٣

٤ ٤ / نفس المرجع ص ٨٤ ، ٨٥

وأصبح الطراز الحيري في فن النساء طرازاً قائماً بدهاقته وقد ظل الطراز الحيري لئلا القصور معروفاً في العصر الإسلامي ، ويذكر المصنوعي أن المتوكل العباسي اتبع في بناء قصوره نظام البناء المعروف بالحيري والكمين والأروقة وذلك أن بعض مبنائه حدثه في بعض القبالي أن بعض ملوك الحيرة من الساسانية من بني نصر أحدث ببائناً في دار غراره وهي الحيرة ، على صورة الحرب ومبناها^(١١) ، للجهة بها وميله نحوها ، لئلا يضرب عنه ذكرها في سائر أحواله ، فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو الصدر ، والكمين مبنة وميسرة ، ويكون في البتين الذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه ، وفي البتين مبهما حراسة الكسوة ، وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب ، والرواق قد عم فضاء الصدر ، والكمين والأبواب الثلاثة على الرواق ، هــ هذا البناء إلى هذا الوقت بالحيري والكمين. إضافة الحيرة ، وانتع الناس المتوكل في ذلك انتماء بقبلة ، واشتهر إلى الغاية^(١٢) .

واشتهرت الحيرة بقصورها التي ضربت الأمثال في عظمتها مثل قصر الحورنق والسدير ، وبأدبرتها التي أقيمت بها منذ أن انتشرت المسيحية بين سكانها ونستعرض فيما يلي أمثلة من هذه المنشآت بشيء من الاختصار

١ - القصور :

كانت قصور الحيرة موضوعاً ناري فيه الشعراء مقصائدهم ، فأبدعوا في وصفها ، وأشهر هذه القصور قصران قصر الحورنق وقصر السدير . وقصر الحورنق من بناء الملك السمان الأول الملقب بالأعور ، وهو النعمان بن امرئ القيس المعروف بأبن الشلبقة (٣٩٠ - ٤١٨)^(١٣) ، وقد تحدثنا عن هذا القصر

(١١) ي على سكر حكم الجيوش في الممالك ، موضح كلية الطب في الوسط وبعيد
ما على اليسر كلية الصحة وطير الهند المعمورة

(١٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٨٧

(١٣) الطبري ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٥٢

وعن بانيه ساجد عند تعرضنا لدراسة عصر هذا الملك واسم الخورنق على الأرجح
 معرب من لفظة « خورن كاه »^(١) الفارسية أي موضع الأكل والشرب . وكان
 هذا القصر قائماً بظاهر الحيرة على مسافة تبعد نحو ميل مما يلي الشرق^(٢) . وقد
 تعرض هذا القصر في العصر الأموي لاضافات مختلفة ، ويذكر ابن الفقيه الحمذاني
 نقلاً عن الحشم بن عدي ، أنه « لم يقدم الكوفة أحد إلا أحدث في هذا القصر
 شيئاً ، يعني الخورنق ، فلما قدمه الصمك ، بناء وعمره ، فدخل عليه تريح
 القاضي ، فقال : أما أمية أرايت بناء قط أحسن منه ، قال : نعم ، قال : كذبت
 وأي بناء رأيت أحسن منه ، قال السماء »^(٣) . ثم أقام القصر في بداية الدولة
 العباسية لإبراهيم بن سلمة الداعي بخراسان ، فأحدث في رتق قبة جديدة وذلك
 في خلافة أبي الصاس^(٤) . وقد تخرب الخورنق في القرن الثامن الهجري ، وشاهده
 الرحالة ابن بطوطة أثناء رحلته من مشهد علي إلى البصرة ، فقال عنه : « فنزلنا
 الخورنق موضع سكنى النعمان بن المنذر وآبائه من ملوك بني ماء السماء ، وبه
 محارة وبقياء قباب ضخمة ، في فضاء فسيح على نهر يخرج من الفرات »^(٥) .

ويُلبى الخورنق في الشهرة قصر السدير ، بل يقرن اسم السدير بالخورنق وقد
 ذكرنا أن السدير أيضاً من بناء الحمان ابن الشقيقة ، والسدير هذا قصر يقع قريباً
 من الخورنق في وسط البصرة التي تتجه إلى الشام^(٦) . والسدير للغة معربة من
 { سه دل } الفارسية بمعنى القبة التي تتداخل فيها ثلاث قباب ، وقد حوت هذه

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، مجلد ٤ ، مادة خورنق ص ٤٠١ .

(٢) نفس المرجع ، مادة حيرة ٤ ص ٢٤٨ .

(٣) ابن الفقيه الحمذاني ، جامع تحف البلدان ، ص ٧٨ ، ياقوت ، معجم البلدان ،

مادة الحيرة ٤ ص ٢٠٢ .

(٤) الأتتري ، معجم البلدان ٤ ج ٢ ص ٢٥٢ .

(٥) ابن بطوطة ، الرحلة ، نسخة بيروت ١٩٦٠ ص ١٨٦ .

(٦) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الحيرة ٤ ص ٢٢٨ .

الفتحة إلى سدي ثم عربت إلى سدير . ونظام القصر بقبابه الثلاثة في الصدر من صميم نظام العمارة الخيرية الذي تحدثنا عنه ويعرف بطراز الحارثي بكمين^(١) ، وقيل سمى بهذا الاسم لكثرة سواده وشجره ، ويقال : اني لأرى سدير تحل أي غابة من النخل . وقال ابن الكلبي : إنما سمى السدير لأن العرب حيث أقبلوا ومطروا إلى سواد النخل سدرت فيه أعينهم بسواد النخل ، فقالوا : ما هذا إلا سدير^(٢) .

ومن قصور الحيرة قصر سنداد ، وكان يقع فيما بين الحيرة والآلة ، وذكر ابن الكلبي أنه كان منزلاً لإياد ، وهو القصر الذي ذكره الأسود بن يضر النهشلي :

ماذا أوصل بعد آل محرق تركوا منازلهم وبعد إياد
أهل الحرونق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد^(٣)

ومنها قصر العذيب والصنبر اللذان بناهما امرئ القيس بن النعمان بالقرب من الفرات^(٤) ، وقصر القرص ، وقصر الزوراء ، والقصر الأبيض ، وقصر مقاتل ، ودار المقطح^(٥) .

ومن أهم قصور الحيرة قصر العدسين ، وينسب إلى بني حمار بن عبد المسيح ابن قيس بن حرمة بن علقمة بن عشير الكلبي ، وسمي بقصر العدسين نسبة إلى جدتهم عدسة بنت مالك بن عوف الكلبي . وكان يقع في طرف الحيرة ، وقد

(١) ياقوت ، نفس المرجع ، بلدة سدير ، جلد ٢ ، ص ٢٠١ .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع ، بلدة سنداد ، جلد ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٤) يوسف دقاق فنية ، ص ٢٥ .

(٥) الخوارج السنداء ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

كان أول قصور الحيرة التي استولى عليها المسلمون^(١١)، ومنها قصر بني ببيعة الذي بنى عبد المسيح بن بقة^(١٢) وقصر بني مازن^(١٣) وقصر الطين^(١٤) وقصر القرس^(١٥) وهناك قصر بظاهر الحيرة أقيم في العصر الماسي على أنقاض قصر قديم، ويعرف هذا القصر بقصر أبي الحصيب^(١٦).

ب - الأديرة والكنائس

كان لتدمير القادسية أثر كبير في تفشيظ حركة بناء الأديرة والكنائس، ولقد حفظ لنا الأخباريون أسماء كثيرة من هذه المنشآت المسيحية، التي أقيمت في عصر الساسانية بعد أن أصبحت الحيرة أسقفية تابعة لكنيسة جبالين المدائن. ومن بين كنائس الحيرة كنيسة تقسب إلى قوم من الأزد من بني عمرو بن مازن الغسانيين وتسمى بيعة بني مازن^(١٧)، ومنها بيعة بني عدي التي تقسب إلى بني عدي بن الذميل من لحم^(١٨)، ومنها كنيسة الساغولة التي اعتبرها لعمداني إحدى مراكز بيعة للعامة عند العرب^(١٩)، ومنها بيعة دير الحج بظاهر الحيرة^(٢٠) وغيرها من كنائس الأديرة.

أما الأديرة، فبعضها ينسب إلى ملوك الحيرة وأمرائها والبعض الآخر ينسب لأفراد من النباه الأشراف، فأما أديرة الملوك والأمراء فأهمها:

١ - دير الحج : بناء النعمان بن المنذر أبو قافوس في أيام ملكه، وكان من

(١١) نفس المصدر، ص ٢٤ - ياقوت، معجم البلدان، مادة قصر البطريق، ص ١٦٠

(١٢) نفس المصدر، ص ٢٥٢ - ياقوت، معجم البلدان، مادة قصر أبي الحصيب، ص ٢٥٢

(١٣) الجاهلي، ج ٢، ص ٢١٤

(١٤) نفس المصدر، ص ٢٩٨ - ياقوت، معجم البلدان، ص ٢٢٢

(١٥) النعماني، قصة جزيرة العرب، ص ١٢٧

أجل أديرة الحيرة ، ومن منازلها المقصودة ، وقد قيل فيه

سقى الله دير اللج غيثاً قامه
على مصده متى إلى حبيب
وذكره جرير الشاعر في قوله :
يا رب عائد فما لتور لو شهدت
عرت عليها بدير اللج شكواة
إن الميون التي في طرفها حور
قللنا ثم لا يحسين قتلا^(١١)

ويذكر البكري أن :

« النعمان كان يركب في كل أحد إليه وفي كل عيد ومعه أهل بيته خاصة من آل الخضر عليهم حلل النيباج المذهبة ، وعلى رؤوسهم أكاليل الذهب ، وفي أوساطهم الرثيب المفضضة بالجوهر ، وبين أيديهم أعلام فوقها صلبات ، وإذا فضوا صلاتهم انصرفوا إلى مستشفرة على النجف ، فشرب النعمان وأصحابه فيه بقية يومه ، وخلع وذهب وحمل ووصل »^(١٢) .

٣ - دير عازت مريم ، ذكر ياقوت أنه دير قديم من بساء المنذر بنو احمي الحيرة بين الخورنق والسدير ، وبين قصر أبي الحصب ، وكان مشرفاً على النجف ، وفي هذا الدير يقول القرواني :

عازت مريم للسكرى وظل فتاتها فقفا
قصر أبي الحصب المش عرف الموقى على النجف
نأكاب الخورنق والد مدرج ملاحب المصاف^(١٣)

(١١) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة دير ، ص ٥٣٠

(١٢) البكري ، معجم ما استمعتم ، ج ٢ ص ٦٦

(١٣) البكري ، ج ٢ ص ٥٦٧ - ياقوت ، معجم البلدان ، مادة دير ياقوت مريم ،

مجلد ٤ ص ٥٢٦

وقد ظل هذا الدير قائماً إلى زمن الولاة العباسي ، فزاره ومعه اسحق بن ابراهيم الموصلی ، وأعجب بموقعه وممارقته .

٣ - دير هند الكبرى : بئنه هند أم عمرو بن هند ، وكثرت في صدره ، بئنت هذه البيعة هند بئنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بئنت الأملاك وأم الملك عمرو بن النضر ، أمة المسيح ، وأم عبده ، وبئنت عبده في ملك الأملاك خسرو أنو شروان في زمن مار انجوس الأسقف ، فالإله الذي بئنت له هذا الدير ينفر خصيتيها ، ويترحم عليها وعلى ولدها ، ويقبل بها ويقومها إلى إقامة الحق ، ويكون معها ولدها القهر الدهر . وروى ياقوت عن عبدالله بن مالك الطخارمي أن يحيى بن خالد البرمكي خرج مع الرشيد إلى البصرة لشاهدة آثار قبر النعمان ، فطالما كتابة على أحد حدران الدير نصها :

إن بني المنذر عام انقضوا بحيث شاد البيعة الراهب
تفتح بالمسك فمارجهم وعبر بقطبه القاطب^(١)

ويقع هذا الدير بالقرب من دير الحج على طرف الجف^(٢) .

٤ - دير هند الصغرى : كان يقع في موضع نزه مما يلي خندق القادسية ، ويقارب خطّة ابن دارم بالكوفة^(٣) ، بئنه هند أمة النعمان بن المنذر ، وأقامت فيه حتى ماتت ، ودفنت فيه^(٤) .

وقبه يقول ممن بن زائدة الشيباني : وكان بيئته قريباً من هذا الدير :
ألا ليت شعري هل أيتن ليلة لدى دير هند والطبيب قريب

(١) الحسن المرجع ، بشارة دير هند الكبرى ، ص ٤٢ .

(٢) معجم ما استعجم ، ج ٢ ص ٦٠٧ .

(٣) مباحث الطي ، منطقة البصرة ، ص ٢١ .

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، بقعة دير هند الصغرى ، ص ٥٤١ .

فذهب لبائث ونظري أسبة ويورد قصص السرور وطيب^(١)

أما الأديرة الخاصة فتشأ :

١ - دير بني موهنا ، يقع بظاهر الحيرة ، وينسب إلى أسرة موهنا من أشرف
أمراء الحيرة . وقد أقيم هذا الدير في موضع حفر الأملاك الذي ضربت فيه
أعناق بني حجر بن عمرو بن حجر آكل المرار بأمر المنذر بن النعمان ، وفي هذه
الحادثة يقول امرئ القيس :

ألا عين بكى لي شينا وبكى لي الملوك الذاهبين

ملوك من بني حجر بن عمرو يساقون العتية يقتلون

فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بني موهنا^(٢)

٢ - دير الجملج ، ينسب إلى أيام ، ويذكر ابن القطامي أنه كانت بينهم
وبين بني جراء ، بن عمرو بن الحاف بن قضاة وبين بني القين بن جسر بن شيع
ألف حرب ، فقتل فيها من إباد عدد كبير ، فلما انتهت الحرب دفنوا قتلاهم عند
الدير ، وكانت الناس بعد ذلك يحفرون ، فيستخرجون جاجهم ، فسمى الدير
بهذا الاسم^(٣) . وذكر ياقوت نقل عن أبي عبيدة معمر أن الججمة قدح من الخشب ،
سمى الدير بالججاج لأنه كان يعمل فيه الأقداح من الخشب^(٤) . وذكر رواية
أخرى لابن الكلبي تفسر سبب التسمية بحرب قامت بين قيم وذبيان ، فبنى بو
عامر الدير يجاجهم قتلى قيم ، ثم ينكر ياقوت هذه الرواية لأن وقعة بني عامر وبين
قيم وذبيان كانت بشعب جبة بأرض نجد . ويرجع ياقوت رواية ابن الكلبي التي

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، جلد دير هذه الصغرى ، ص ٥٤٦

(٢) ياقوت ، نفس المصدر ، ثلاثة ديار بني موهنا ، ص ٥٠١

(٣) التلخري ، ج ٩ ص ٢٤٧

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة دير الججاج ص ٥٠١

أوردها البلاذري في فتوح البلدان إذ يقول : كان مالك الرماح بن عمرز الأيادي قتل قوماً من الفرس ونصب جاجهم عند الدبر ، قسمي دير الجاجم ^(١١) . وعند هذا الدبر كانت الرقعة بين الجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث التي انتهزم فيها ابن الأشعث ، وفيها يقول جرير :

ولم تشهد الجونين والشعب ذا الحفا وشهدت قيس يوم دير الجاجم ^(١٢)

٣ - دير عهد المسيح : بناء عبد المسيح بن عمرو بن بنية القسائي ، وسمي بقية لأنه خرج على قومه في حطين خضراوين ، فقالوا له : ما هذا إلا بقية . وكان يقوم بظاهر الحيرة في موضع يسمى الجرعة ، وفي هذا الدبر دفن عبد المسيح . ثم خرب الدبر من بعده وظهر بعد مدة أزج معقود من حجارة فطنوه كزاً ، فقتلوه فلذا فيه ضريح عبد المسيح بن بقية ^(١٣) .



وقد أجرى علماء الآثار حفريات أثرية في أطلال الحيرة في سنة ١٩٣١ تحت إشراف العالمين رولنكر ورابيس أخفرت عن كشف آثار ياريليكتين مسيحيتين من اللبن والأجر ، وقد ثبتت من الحفريات أن كنائس الحيرة لم تكن مزودة بمجنيات وإنما كانت لتتهي بفتحات مربعة الشكل على النحو الشائع في معابد آشور وبابل ، كذلك عثرت البعثة الأثرية على صلبان من البرونز وقناديل من الزجاج ^(١٤) . وكانت الجدران مكسوة بكسوة جصية نقش فيها زخارف نباتية تتجلى فيها التقاليد البيزنطية والساسانية . وقد عثر العالمان الألمان رولنكر ورابيس في أطلال أحد

(١١) البلاذري ، ج ٢ ص ٢١٧ - يقول : معجم البلدان ، مادة دير الجاجم ص ٥٠٢

(١٢) يقول : المرجع السابق ، ص ٥١٤

(١٣) يقول : معجم البلدان ، مادة دير عهد المسيح ص ٥١١

(١٤) يوسف زكي الله فحمة ، ص ٤٩ - ٥٢

دور الحيرة على رخاوف مدهونة في الحديران بالألوان الزاهية والأصباغ ينكور فيها قصر الصليب محاط بدائرة . ولكن ما عثر عليه المالك المذكوران يمثل رسوماً تختلف من صور الإنسان والحيوان ، مع أن النصوص والأشعار تدل على وجود مثل هذه الصور فالأخطل يقول :

حلى يشب بياض النحر وأقدة كما تصور في الدير التائبيل

وباقوت يذكر أن أهل القدر كانوا يحملون في حيطان ديارهم الصافس وفي سقفها القصب والصور^{١١١} .

وقد وصفت الحيرة عند الأخباريين بالياض فقالوا الحيرة البيضاء^{١١٢} تعبراً عن حسن عمارتها ، ووضح هذا اللون على سائر أبنيتها ، كما وصفوها بالامتداد والاتساع فقالوا : الحيرة الروحاء^{١١٣} . وقد يكون تسميتها بالبيضاء بسبب ظهور قصرها المعروف بالقصر الأبيض شامخاً لمن يقبل عليها . وكان صاحب هذا القصر جابر بن شعمون الأسقف أحد بني الأوس بن قلام^{١١٤}

ر - الحفافة الذهبية في الحيرة :

كان أهل الحيرة إما وثنيين يمدون الأصنام ، أو صابئة يمدون الكواكب ، أو مجوس يمدون النار أو نصارى وجود . فمن أصنام الحيرة ، صتان يعرفان بالفيذين كان جذية يسلمتي ويستنصر بها على العدو . ومن أصنام الحيرة صم يقال له ببد كانوا يحلفون به ويقولون « حق صد »^{١١٥} ، وكانت صهم من يعبد

١١١ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة حير دجرج ، ٢ من ٥٢٨

١١٢ أبي الفتح الهذلي ، ٤ من ١٨٦

١١٣ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الحيرة ، ٤ من ٢٢٨

١١٤ الهذلي ، ج ٢ من ٤٦

١١٥ يوسفة صبيح ، ١ من ٢٠

العري ويتغرب إليها بالذباح وعرفت الحيرة عبادة القمر أما الزندقة فقد كان مركزها الحيرة ومنها انتقلت إلى قريش^(١) والمراد بالزندقة الشنوية . كذلك سادت المزدكية في حصر قيامة .

وقد تحدثنا من قبل عن انتشار المسيحية في الحيرة منذ أن منذ النعمان عبادة الأوثان وتصر فبلت البيع والكتافس والأديرة وأصبحت بالحيرة طائفة هامة هي طائفة العباد .

ويذكر ابن العربي أن المنذر بن امرئ القيس تنصر على المذهب السقوي^(٢) ولكن الأستاذ يوسف عنيمة يدحض هذا القول ويثبت أنه كان كاثوليكياً يستند في منعه للطبعتين^(٣) .

وكان معظم بشاري الحيرة مسطرة^(٤) أما الباقية فقد كانوا قلة . ومع ذلك فقد كانت للباقية أسقفيتان عربيتان : أسقفية عقولا وأسقفية الحيرة^(٥) .

(١) ابن قسوة ، انصارى ، ص ٢٠٥ - الكوسى ، بلوغ الأرب ، ج ١ ص ٢١٨

(٢) يوسف عنيمة ، ص ٢٢

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٦

البَابُ الرَّابِعُ

الحِجَازُ

الفصل الخامس : حواضر الحِجَاز .

الفصلُ الثَّامِنُ

حوادثُ الحجاز

١ - مكة : المدينة المقرة

٢ - مدينة الطائف

٣ - مدينة يثرب

مكة - المدينة المقربة

١ - أهمية دراسة بلاد الحجاز اقتصادياً

تعتبر بلاد الحجاز من المناطق الهامة في جزيرة العرب من الناحيتين الاقتصادية والدينية، أما من الناحية الاقتصادية، فقد كان يشقوا شريان رئيسي من شرايين التجارة العالمية، تتفرع منه شرايين تمتعه صوب الشرق والشمال الشرقي، وفي موارثه شريان رئيسي آخر كان له خطره في عالم تجارة ذلك الزمن^(١)، ونقصد بهذا الشريان الثاني طريق البحر الأحمر الموصل إلى الهند، ولذلك كانت الحجاز جسراً يربط بلاد الشام وحواسن البحر المتوسط باليمن والحبشة والصومال والسواحل المطلة على المحيط الهندي، وكان لذلك أعظم الأثر في قيام مدن تجارية بالحجاز تتمتع بمحطات تجارية واقعة على هذا الطريق البحري، وفي قبسام ثغور تجارية تقيم منها ضمن الروم السلطانك ومنتجات الهند مثل ثغر الشعبة^(٢) مرفأ مكة القديم قبل ظهور ثغر جدة، وثغر ينبع مرفأ يثرب أما من الناحية الدينية،

(١) جواد علي، ص ١٦٦

(٢) الأزهري، القاموس، ج ١ ص ١٠١

بـ، المعروف أن ملاد الطحجار كانت لها أهمية، الدفعة ٤، وهذا تلاقط جميع الأدان الوثيق إلى حدت اليهودية والصراية ١، وهذا ظهر الإسلام كدرس ودولة

وستنجم من اللغوش الكتابية القديمة التي عثر عليها في أعالي الحجار ٢ وخرج إلى ما قبل الميلاد ٤ أن ملاد الطحجار الشمالية كانت تابعة للمعنيين ٥ ثم للبيبيين فالعبريين ٦ ٧ ولما صحت شأن العبريين تخلص ملاد الطحجار من طود اليمن ٨ ولكن الأساط استموا هذه الفرصة ٩ وأحدوا يعرضون سلطانهم على شمال الحجار ١٠ وبذل عثورتا على كنائس سبطية في الملا ومداين صالح خرج إلى القرن لأول الميلادي على أن لأساط نوعوا في الحجار ١١ وبسطوا سلطانهم المادي والروحي عليا ١٢ وعرضوا على أهلها حصرتهم ثقافتهم ١٣ فانخذ الحجاريون آلهة الأساط مثل ١٤ ذو الشرى واللات والرعى ومناة وهمل ١٥ آلهة لهم ١٦ كما أخذوا يكتبون بالخط السطحي ١٧. ويؤيد ذلك أن بلاد العرب كانت تقسم عند الجعرافي سترابون إلى قسمين: الشمالي بلاد العرب المصحرة ١٨ والجنوبي بلاد العرب السعيدة ١٩ ويستنتج الأستاذ بجي ماسي من هذا التقسيم أن القسم الشمالي من بلاد العرب كان دائما لسلع أي بلاد لأساط ٢٠ ولقد أدرك الرومان أهمية ملاد الحجار ٢١ فآخذوا يتظلمون إلى البيطرة على الصريق التجاري إلى الهند عبر البحر الأحمر وذلك بالاستيلاء على اليمن ٢٢ فاستغلوا تسمية شمال الحجار بالأساط ٢٣ وسجروا حملتهم بقيادة اليوس سالوس ٢٤ استموا عنها بفرقة من الأسباط عدها ألهة مقابل سطي ٢٥ كما استموا بوزير الأساط ويدعى سلبوس أو صالح ليكون مرشدا لهم ودليلا عبر معاور الحجار ٢٦ ثم تجددت منذ أيام جستنيان فكرة البيطرة على الطريق

١٦) الوبي سول ٤ شمال الحجار ٤ ص ٩٠ + ٨٦ - جوه ص ٤ ج ١ ص ١٦٥

١٧) خليل يحيى تقي ١ فصل الخط للعربي ٤ ص ١١٥

١٨) نفس المرجع ١ ص ١٠٥

١٩) نفس المرجع ٤ ص ١٢٠

التحاري إلى الهند^{١١١}، وذكر بروكوبيوس أن ملك الحبشة المسيحي كان يسعى لفرض حكم مسيحي على بلاد حمير الوثنية، ولقد دخل حنتليان بقصد توحيد جميع الأقطار المطلة على البحر الأحمر صد فارس، للسيطرة بمعادتهم على حمير، نصين^{١١٢}. ولكن فارس التي كانت تسيطر على وادي 'رافدين ومصبها ظلت تحتفظ بمفتاح المواصلات في آسيا الوسطى، على الرغم من المحاولات الفاشلة التي قام بها البيزنطيون لتعطيل السائر الحديدي^{١١٣}. ومع أن البيزنطيين أنشئوا لمجابهتهم في السيطرة على الطريق البحري عبر البحر الأحمر بفرض حائلهم الأحباش الذين استولوا على اليمن، فاهم أخفقوا عندما حاولوا أن يعودهم على المحازمين طريق الأحباش كذلك، وفشلت حملة أرمة فشلا ذمسيا^{١١٤} كما فشلت حملة ايليوس جالوس قبل ذلك بقرون.

ولم يظل مقام الأحباش في البحر، إذ حل محلهم الفرس، وتقلص نفوذ البيزنطيين، وأصبح يقتصر على فلسطين، وعاد للطريقين البريين إلى الهند عبر المرات ودجلة من جهة، وعبر اليمن والشام عن طريق مكة من جهة ثانية مكانتهما الأولى، وجنت الحيرة في ظل الناذرة، ومكة في ظل بني النصر من وراء ذلك مكاسب هائلة. أما الطريق البحري عبر البحر الأحمر فقد أصبح خالياً من سفن الروم، ولم تعد البحرية الحبشية تقوى على سد الفراغ فيه، وأصبح ميداناً لسفن القراصنة بالإضافة إلى صعوبة الملاحة فيه^{١١٥}.

Lammens, La Mecque à la veille de l'Hégire, Beyrouth, 1924, p. 9. (١١)

Perey Neville (re. Justinian and his age, Penguin Books series (١٢)

London, 1951, p. 67

Lammens, op. cit. p. 9 (١٣)

(١٤) جواد علي، ج ١ ص ١٦٥

(١٥) حمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الخطبة ومصر العربية - لدمر.

١٦٦٧، ص ١١٤

ومند نهاية القرن السادس الميلادي احتكرت قریش تجارة الهند بفضل جهود زعيمها هاشم بن عبد مناف، الذي يعتبر أول من سن رحلتي قریش . رحلة الشتاء إلى الشام ورحلة الصيف إلى الحبشة^(١١) ، وقيل ، رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والمراق ، ورحلة الصيف إلى الشام^(١٢) ، وبدكر البغوي في ذلك أن تجارة قریش كانت لا تعدو مكة ، فكان القرشيون يعاونون صيفاً بسبب ذلك ، إلى أن رحل هاشم إلى بلاد الشام التابعة للبلاد قيصراً وشاع عنه الكرم والسماحة ، وبلغ ذلك قيصراً ، فأرسل إليه ، فلما رآه وسمع كلامه أعجب به ، فقال له هاشم : « أيها الملك لي قوم وهم تجار العرب ، فتكتب لهم كتاباً يؤمنهم ويؤمن تجارتهم حتى يأتوا ، بما يستطرف من أدم الحجار وثيابه ، ففعل قيصراً ذلك ، ففعل كل ما يرغب من العرب أخذ من أسرارهم الإيلاف (أي العهد) أن يأمنوا عندهم وفي أرضهم » فأخذوا الإيلاف من مكة والشام^(١٣) . وذكر البلاذري أن هاشم ابن عبد مناف أخذ بقریش ، عصماً من ملوك الشام ، فتجسروا آمنين ، ثم إن أخاه عبد شمس أخذ لهم عصماً من صاحب الحبشة ، وإليه كان متجراً ، وأخذ لهم المطلب بن عبد مناف عصماً من ملوك اليمن ، وأخذ لهم نوفل بن عبد مناف عصماً من ملوك العراق ، فآلهوا الرحلتين في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق ، وفي الصيف إلى الشام^(١٤) ، وفي ذلك يقول مطرود بن كعب الحرامى :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بأل عبد مناف

الآخذون العهد من آفاقها والراجلون لرحلة الإيلاف^(١٥)

(١١) البغوي ، ج ١ ، ص ٩ ، ص ٢٠٩

(١٢) البلاذري ، السند الباقى ، ج ١ ، ص ٥٩

(١٣) البغوي ، ج ١ ، ص ٢٠١

(١٤) البلاذري ، ج ١ ، ص ٥٩ - السند الباقى ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ٨٥

(١٥) البلاذري ، ج ١ ، ص ٢٠

وقد ساعد على اختصار قريش لتجارة الهند والحبشة واليمن الحروب المتواصلة بين قورس وبيرمطة ، وهي حروب انتهت بتعليب الفرس على الروم^{١١} ، وبإغلاق المسالك التجارية عبر آسيا الغربية ، وهكذا أصبحت الحجاز ملتقى القادم إلى اليمن أو المختار إلى الطائف أو المتوجه إلى الشام والمشرق^{١٢} ، وساعد موقع الحجاز بين الشام واليمن على طريق التجارة بين الشمال والجنوب على قيام مدن تجارية بقلها التجارة ، ويحيطون بها للراحة ، فاردهرت مكة والطائف ويثرب . وهناك عامل آخر ساعد على ازدهار هذه المدن ، هو قربها من الأسواق التجارية المشهورة التي كانت تقعد في الأشهر الحرم لتأمين الناس أثناءها على أموالهم وأعراضهم^{١٣} ، مثل سوق عكاظ الذي كان يقام في بساتين من الأرض بين مكة والطائف ويثربا قريش وسائر العرب وأكثرهم من مضر ، وسوق بجنة وكانت سوقا بأسفل مكة لبي كنانة ، وسوق حباشة بالقرب من بارق وكانت سوقا للأرد ، وسوق دى الحار ، وكانت لتدبل بالقرب من عرفة . ولذا ذكر الأزرقي أن الناس كانوا يخرجون في موسم الحج في شهر ذي الحجة ، فيصحبون بمكاتب يوم هلال ذي القعدة ، فيقيمون به عشرين ليلة ، فليوم فيها أسواقهم بمكاتب ، والناس على عدلهم ودرائتهم ، منعازين في المنازل ، قطط كل قبيلة أشرفها وقادتها ، ويدخل بعضهم في بعض للبيع والشراء ، ويحتمون في بطن السوق ، فإذا مضت الأشهر انصرفوا إلى محلة فأقاموا بها عشرة ، أسواقهم قائمة ، فإذا رأوا هلال ذي الحجة ، انصرفوا إلى دى الحار ، فأقاموا به ثمان ليال ، أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من دى الحار إلى عرفة ، فثيرون ذلك اليوم من الماء يذى الجاهز^{١٤} .

(١١) للفرس ، مسودة الروم رقم ٢٠ ، أية ١ - ٢

(١٢) البلاذري ، ص ٤٣ ، ٤٤

(١٣) ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ص ١٦٦

(١٤) الأزرقي ، اختيار مكة ، ج ١ ص ١٢٩ ، ١٣٠

ب - اشتقاق اسم مكة وتفسيره ، وذكر أسماؤها الأخرى :

اختلف الأخباريون في اشتقاق كلمة مكة ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ،
وسنمعرض فيما يلي مصدر اشتقاق كلمة مكة في الروايات المختلفة .

١ - قال أبو بكر بن الأسدي . سميت مكة لأنها تلك الحماير أي تذهب
نحوهم^(١) .

٢ - ويقال إنما سميت مكة ولأرواح الناس بها من قهرهم : قد امتك العصيل
ضرع أمه إذا مصه مصاً شديداً ، ويرد يافوت على هذا التفسير بقوله : ومقلط
في التأويل لا يشبه مص العصيل الناقة بأرواح الناس ، وإنما هما قولان^(٢) .

٣ - قال الشرقي بن القطامي : إنما سميت مكة لأن العرب في الحافلة
كانت تقول لا يتم حجها حتى تأتي مكان الكعبة فتمك فيه أي يصغر صغير المكاء
حول الكعبة ، وكانوا يصغرون ويصفقون بأيديهم إذا كانوا بها ، والمكاء
بتشديد الكاف طائر يأوى الرياح^(٣) .

٤ - وقال قوم . سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها ، وهي في منطقة
بقرية المكوك^(٤) .

٥ - هناك تفسير لنفوي على أساسه تكون مكة مشتقة من امك ، من قولهم
امك الفصيل أخلاف الناقة ، إذا جدب جميع ما فيها جذباً شديداً فلم يبق

(١) يكثر : معمر اللذان ، مكة مكة ، مجلد ٥ ، ص ١٨١

(٢) حصى الصغر : ص ١٨٢

(٣) تسمى : المصغر

(٤) حصى : المصغر

فيها شيئاً . ولما كانت مكة مكاناً مقدساً للعبادة ، فقد امتنعت الناس أي جذبتهم
من جميع الأطراف^(١١) .

٦ - ويرى ياقوت أنها سميت مكة من مك الشدي أي مصه ، لغة ماها لأنهم
كانوا يشكون الماء أي يستخرجونه . وقيل إنها غك الدوب أي تذهب بها كما
يك التفصيل ضرع أمه فلا يبقى فيه شيئاً .

٧ - جاء ذكر مدينة مكة في جغرافية بطليموس تحت اسم ماصور ما
Macoraha^(١٢) ، ويبدو أن هذا الاسم له علاقة باليت المتيق الذي كان سر
شهرتها كماصمة دينية في الحاضرة ، فكلمة ماكوربا قريبة من مكرب التي عرفت
عند السبئيين ، وتمر عن لقب كان يحمله الكهنة في سبأ قبل أن يتحولوا إلى
ملوك ، ومن المرجح أنها تعني « المقرب إلى الله » لأنها مدينة مقدسة ، ويذكر
بروكلان أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية وصنعها
المبكل^(١٣) ، بينما يذكر آخرون أنها قد تكون مشتقة من مك في البابلية بمعنى
البيت^(١٤) .

وورد في القرآن الكريم اسم آخر لمكة هو بكة ، فذكرت بكة في قوله
تعالى : « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين » فيه
آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً والله على الناس حج البيت من
استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غي عن العالمين^(١٥) . وهو الأخصاريون

(١١) طمس المستر

(١٢) جود علي ، ج ٤ ، ص ١٨٨

Lamimen, la Mecque a la veille de l'Hégire, p. 22

(١٣) - دوكمان ، تاريخ التيمور - الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٢ - ص ١ ، تاريخ التيمور - دوكمان

(١٤) جورج زيدان ، ص ٢٧٥

(١٥) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ٩٦ - ٩٧

المقصود بكفة فقالوا أن مكة موضع البيت وما حول البيت مكة^(١١) وذكر
 ياقوت رواية أخرى عن منيرة بن إبراهيم حياء فيها أن بكفة هو موضع البيت
 ومكة هو موضع القرية ، وقيل إنها سميت بكفة لأن الأقدام تبتك بمصها ممضاً
 أمام البيت ، ونقل عن يحيى بن أبي أنيسة أن بكفة موضع البيت ومكة هو الحرم
 كله ، وعن زيد بن أسلم أن مكة الكعبة والمسجد ، ومكة دو طوى وهو بطن
 الوادي^(١٢) الذي ذكره الله تعالى في قوله : « وهو الذي كف أيديهم عنكم
 وأيديكم عنهم بطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصير »^(١٣) .
 ويرى بعضهم أن بكفة هي نفس مكة أبدلت فيها الميم بباء على عادة أهل الجيوب ،
 ويستفاد ذلك من جواد علي أن بكفة ليست سوى لهجة من لهجات القبائل التي
 تبدل الميم بباء^(١٤) .

وذكر الأختار بن مكة أسماء أخرى غير بكفة ، منها الفساسة ، والناسة ،
 والناسة لأنها تبس أي تحطم الملعدين ، وقيل تخرجهم ، وسميت أيضاً بأم وحم
 وأم القرى ، ووردت بهذا الاسم في قوله تعالى : « لتتذكر أم القرى ومن حولها »^(١٥) .
 وسميت أيضاً معاد والمخاطمة لأنها تحطم من استخف بها ، وسميت البيت المنيق
 لأنه اعتق من الجبابرة^(١٦) ، والحرم ، وصلاح ، والبلد الأمين ، والمرعى ، والقدس لأنها
 مقدس أي تطهر من الغروب ، والقدسة ، وكوني باسم بقعة كانت منزل بني
 عبد الدار وسماها الله تعالى البلد الأمين ، في قوله تعالى : « والتين والزيتون

(١١) الأزرعي ، أصار مكة ، ج ١ ص ١٨٨ — ياقوت ، معجم البلدان مجلد ٢ ص ١٨٢

(١٢) ياقوت ، تفسير المرجع

(١٣) القرآن الكريم ، سورة الصبح ، ١٨ آية ٩٩

(١٤) جواد علي ، ج ١ ص ١٨٩

(١٥) القرآن الكريم ، سورة الانعام ٦ آية ٦٩

(١٦) الأزرعي ، ج ١ ص ١٨٦

وطور سينين ، وهذا البلد الأمين^(١١) ، والبلد في قوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد »^(١٢) ، والبيت العتيق في قوله تعالى : « وإبطووا بالبيت العتيق »^(١٣) . روى الله تعالى الكعبة البيت الحرام ، في قوله تعالى : « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس »^(١٤) ، والبيت المحرم ، في قوله تعالى : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم »^(١٥) . واستفيد من جميع التسميات التي أطلقت على مكة . أنها كانت في أول أمرها مقاماً دينياً أسسه إبراهيم ، ولهذا لا يستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أي مقدس ثم تحول إلى مكة .

ج - جغرافية مكة : الموقع والناخ :

يتخذ عمران مكة شكل حلال يميل إلى الاستطالة ، ويتجه حبابه نحو سفوح جبل قميصان ، وهي على هذا النحو تدور وقد ضيقت عليها سلسلتان مزدوجتان من التلال^(١٦) ، فوالى الشرق يمتد جبل أبو قبيس ، وإلى الغرب يحلها جبل قميصان^(١٧) . ومكة تقوم في بطن وادي يمر بطن مكة ، وتشرف عليها الجبال من جميع النواحي دائرة حول الكعبة^(١٨) . وكانت المناطق المنخفضة نسبياً

(١١) القرآن الكريم ، سورة النجم ، ٩٥ : ٩٦ - ٢

(١٢) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، ٩٠ : ٩١ - ١

(١٣) القرآن الكريم ، سورة الحج ، ٢٢ : ٢٣

(١٤) القرآن الكريم ، سورة البقرة ، ١٢٥ : ١٢٦

(١٥) القرآن الكريم ، سورة إبراهيم ، ١٣ : ١٤

(١٦) Lammen, la Mecque à la veille de l'Hégire, p ١٦٥

(١٧) إبراهيم رستم ، مر ، جرجس ، القاهرة ١٩٢٥ ، ج ١ ص ١٧٨

(١٨) واكوت ، معجم البلدان ، مادة مكة ، ص ١٨٧

من ساحة مكة تسمى البطحاء^(١١)، وكل ما نزل عن الحرم يسمونه المسلة^(١٢)، وما ارتفع عنه يسمونه للملاة^(١٣). وفي غامر البطحاء كان يسكن بنو قصي مجتمعين حول الحرم^(١٤)، وكانت الدور محدة بالمسجد الحرام من كل جانب، فاضطر عمر بن الخطاب إلى شراء بعضها وهدمه لإسباح ساحة المسجد وتوسيعه^(١٥). وذكر الأزرقي أن المسجد الحرام كان محاطاً بمحيطار قصير غير مسقف^(١٦)، وكان الناس يحملون حول المسجد بالفداء والعشى يتبعون الأضياء، فإذا قلص للظل انقضت المجالس^(١٧). وكانت المنطقة الواقعة بين بيوت أشراف مكة بالبطحاء وسين الحرم تشغلها ساحة ضيقة هي البقعة التي كان يقوم عليها البيت العتيق. أما في الظواهر^(١٨) أي عند طرفي الهلال الذي تولفه التيجسات العمرانية فتقوم أبلية سائجة متطامنة الأسقف بيتا تتوارى خربات وراء منحنيات الشب التي سفرها السيل في حفاقي الجبال. ومعظم هذه الشب كانت مسرحاً لحوادث جرت في فجر الإسلام، فإليها لجأ المسلمون الأوائل للتعبد بعيداً عن أعين الوثنيين من أهل مكة، واحتفظت كثير من هذه الشب بأسماء القبائل التي أقامت بها، ومن بينها شعب بني هاشم. هذه الشب لا تتصل فيها بينها وبين مكة إلا عن طريق ممر صيق (عقب) أشب بأخدود كانت تندقق فيه السيول. ومن هذا المجموع العمراني كانت تتألف مدينة لا يراها قاصدها حتى يصل إليها^(١٩).

ومن جبال مكة: أبو قيس وهو الجبل الأعظم، ويقع إلى الجهة الشرقية من مكة، ويشرف على المسجد الحرام، وجبل قميعة، وجبيل فاضح،

(١١) Lammeus, op. cit. p. 86

(١٢) القنسي، أصل التسمية، ص ٧١ - وتحت، نفس المرجع

(١٣) القنسي، ج ٢ ص ٥٤

(١٤) نفس المرجع، ص ٥٥

(١٥) ابن بطوطة، الرحلة، ص ١٢١

والحصب ، ولوز ، والحبون ، وسفر ، وحراء ، وثير ، وتفاحة ، والطابخ ،
والفلق^(١) .

وكانت المياه شحيحة في مكة فكان المكيون يمانون من قناتها ، مما دعا بعض
الأخباريين إلى تفسير اسم مكة بأنها مشتقة من «مكة» أي امتنع ، لقلة مياهها^(٢) .
وذكر الأزرق أن ماء بمكة كان عزيزاً ، وأن الناس كانوا يشربون من آبار خارجة
من الحرم^(٣) ، وكان الماء يسقى من بئر كر آدم بالمصجر ، وبئر خم وكانت لبني
مخزوم^(٤) ، وكانوا يحصلون مياه هذه الآبار في المراد والقرب ، ثم يسكبونه في
حياض من آدم بفناء الكعبة ، فيرده الحاج ، وذكر الأزرق عن ابن عباس أن
قريشاً لما انتشرت بمكة ، وكثر ساكنها ، قلت عليهم المياه ، واشتدت المؤنة في
الماء ، فصعرت بمكة آثاراً ، فحضر مرة بن كعب بن لؤي بنراً يقال لها رم بالقرب
من عرفات^(٥) . وذكر ابن هشام أن قريشاً قبل أن يجمعها قصي ، وقيل أن
تدخل مكة كانت تشرب من حياض ومصانع على رؤوس الجبال ومن بئر حفرها
لؤي بن غالب خارج الحرم تدعى البصرة ، ومن بئر حفرها مرة بن كعب
تدعى الروي وهي ما يلي عرفة . ثم حفر كلاب بن مرة خم ورم والجفر بظاهر
مكة^(٦) . ولما قولي قصي رئاسة قريش حفر بمكة بئراً يقال لها المبعول كانت
يردها العرب عندما يقدمون إلى مكة فيسقون منها ويتراجزون عليها ، وفيها
قال القائل :

(١) الحمص ، كقوله اليلمان : ص ٢١٤ .

(٢) وهو : مصم اليلمان ، ملحة مكة : ص ١٨٢ .

(٣) الأبرق : ج ٩ ص ٦٤ .

(٤) نفس المصدر : ج ٩ ص ١٦١ .

(٥) نفس المصدر : ص ١٧٢ .

(٦) ابن هشام : المسودة ج ١ ص ١٥٨ .

تروي على المعجول ثم ينطلق
 هل صدور الحاج من كل أفق
 إن قصيا قد وثق وقه صدق
 بالشح الناس دري مفتق^{١١١}

كذلك حفر قصي بنزراً عند الردم الأهل هند دار أمان بن عثان ، ثم وثرت
 فنثله جبير بن مطعم من هدي بن نوفل بن عبد مناف وأحياءها^{١١٢}

أما هاشم بن عبد مناف فتغصب إليه بنزراً بدر وسجد^{١١٣} ، وحفر عند شمس
 ابن عبد مناف بنزراً للطوى بالطحاء^{١١٤} ، وحفر أمية بن عبد شمس الجفر^{١١٥} ،
 وحفر بنو عبد شمس بنزراً لم حبلان ، وبنو العلوذة بأعلى مكة ، وحفر بنو أسد
 ابن عبد المطلب بنزراً شفية^{١١٦} ، وحفر بنو عبد الدار بن قصي بنزراً أم أجراه ، وحفر
 بنو حنظل بنزراً السلبلة ، وحفر بنو سهم بنزراً القصر ، وبنو قيس الخزاعة ، وحفر حويطب
 ابن عبد المطلب بنزراً حويطب^{١١٧} ، وحفر ميمونة بن الحارث بن حليف بن عبد شمس
 ابن عبد مناف بنزراً وهي آخر بنزرات في الجاهلية^{١١٨} ، وحفر عبد المطلب
 بنزراً رزم ، فطفت على آلها مكة كلها ، لمكانها من قبيل والمسجد وفضلها على ما
 سواها من المياه ، ولأنها بنزراً اسماعيل بن إبراهيم^{١١٩} . وكانت ماء رزم تقيلاً

(١) ابن هشام ، ج ١ ص ٢٥٨ - الأوزني ، ج ٢ ص ٢٩١ ، ١٧٢

(٢) الأوزني ، ج ٢ ص ١٧١

(٣) ابن هشام ، ج ١ ص ٢٥٧ - الأوزني ، ج ٢ ص ٢٧٥ ، ١٧٦

(٤) ابن هشام ، ج ١ ص ٢٥٦ - الأوزني ، ج ٢ ص ١٧٦

(٥) الأوزني ، ج ٢ ص ٢٦٥ ، ١٧٦

(٦) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٦٥ ، ١٧٧

(٧) ابن هشام ، ج ١ ص ٢٥٨ - البغدادي ، ص ١١٥

(٨) الأوزني ، ج ٢ ص ٢٦٥ ، ١٧٦

(٩) ابن هشام ، ج ١ ص ٢٥٨ - الأوزني ، ج ٢ ص ٢٦٥ ، ١٧٦

الأوزني ، ج ٢ ص ٢٦٥ ، ١٨٠

فكان عبد المطلب يخففه ما بين ابنة وبحلطة العسل في حوض من أدم عند رمزم ، ويشترى الربيب فينبذه بهاء رمزم ويسقيه الحجاج ، وكان لعمباس بن عبد المطلب كرم بالطائف ، فكان يحمل ربيبته إلى رمزم فينبذه في الماء ويسقيه للحجاج في أيام الحج^(١) . وكان ماء زمزم يعذب في فصول الأمطار العزيرة إذ يخفف غلظه^(٢) .

وكانت مكة في راد عبر ذي ررع ، وقد كان ذلك سبباً رئيسياً في اعتماد أهل مكة على غيرها في حياتهم المعيشية وفي أقواتها ، وكانت الأقوات تأتيها من الطائف ومن السراة . ولهذا السبب اهتم معاوية من أبي مسنان بعد ظفرو بالخلافة بتوصيل الماء إلى بساتين أنشأها في وادي مكة ، وفي ذلك يقول الأبرقي : « كان معاوية ابن أبي سفيان رحمه الله قد أحرق في الحرم عبوداً ، واتخذ لها أخفافاً ، فكانت حوايط ، وفيها النخل والزرج ، ومها حايط الحمام وله عين ، وهو من حمام مصوية الذي بالمعلاة إلى موضع بركة أم جعفر^(٣) » . وفي خلافة سليمان بن عبد الملك أقام خالد بن عداة القسري البركة الواقعة عند فم النعبة ، وشق من هذه البركة عيناً تجري إلى المسجد الحرام في أنابيب الرصاص^(٤) .

وبينا كانت تترقب بلاد ذات أرض خصبة يكثر بها الزرع ، ويعتمد أهلها على الزراعة ، كان عماد حياة أهل مكة على التجارة والضرائب التي تجبى على القوافل التجارية وما كان يتفقه الحجاج في مواسم الحج . وكانت يفتت بمكة في عصور الجاهلية الأولى ، عندما قدمت قبائل جرهم من اليمن ، غياض ملتفة من سم وسر وبنات تسمن مواشيه^(٥) ، ولكن هذه النياض أخفت تلاشى

(١) الأبرقي ، ج ٢ ص ٦٥

(٢) تفسر المصدر ، ج ٢ ص ٤١ ، ٤٢

(٣) تفسر المصدر ، ج ٢ ص ١٨٦

(٤) تفسر المصدر ، ج ٢ ص ٨٦

(٥) تفسر ، ج ١ ص ٤٢

تدريجياً ، ولم يعد ينبت بمكة قبل ظهور الإسلام سوى الأضغافيس والسنا وهي نباتات كان يؤخذ منها الندو ، والسواك^(١) . أما الشجر والنخل وما كان ينبت من وريح فقل ما يظهر ، ولذلك حرم على أهل مكة قطع شجر الحرم للانتفاع به .

أما فيما يختص بمناخ مكة فقد كان قارياً ، فالحرارة تشتد في أشهر الصيف والرياح الساحية تكاد تحمد الأنفاس ، وقد وصف المقدسي مناخ مكة بقوله : « ويمكن بالحرم حر عظيم وريح تقتل رذائب في عتبة الكثرة »^(٢) . وكان هذا المناخ يوجب الأومئة والأمراض ، فقد ذكر ابن هشام أن حليلة الصمدي حدثت أم النبي في إيقائه معها في ديارها بعيداً عن مكة خوفاً من الوباء الذي تفشى فيها^(٣) ، ومن المعروف أن مرض الجدري والحصبة تفشيا في مكة والمدينة في عام الفيل^(٤) . ويبدو أن درجة الحرارة في مكة كانت ترتفع ارتفاعاً شديداً في فصل الصيف حتى ذكروا أن النبي ﷺ قال : « من صرع على حر مكة تساعد منه جهنم مسيرة مائة عام وتقربت منه الجنة مسيرة مائتي عام »^(٥) . وكان هذا الوعد سبباً في نزول كثير من المهاجرين بمكة وملازمتهم الطواف حول الحرم مع شدة الحر بالمطاف ، والمطاف على حد قول ابن بطوطة معروش بالحجارة السوداء ، وتصير بجزر الشمس كأنها الصفائح الحية ، ولقد رأيت السقائين يضيئون الماء

(١) الجلالدي ، فروع البلدان ، ج ١ ص ٥٢

ونذكر من هشام أن أول ما رؤي بمرض العرب من مرائر الشجر العرقل والحنظل والمطر كان في عام الفيل (ابن هشام ، ج ١ ص ٥٦)

(٢) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٩٥

(٣) ابن هشام ، المسيرة ، ج ١ ص ١٧٢

(٤) شمس المصير ، ص ٥٦

(٥) ابن القتيبة ، المعذات ، مختصر كتاب البلدان ، ص ١٧

عليها لما يجاوز الموضع الذي يصب فيه إلا ويلتصق الموضع من حينه^(١) وكان
وثيقو مكة يعدون لسنتين ينرضهم لحرارة الشمس ، إذا حبت الظهيرة ،
بعذبونهم برمضاء مكة^(٢) ، وكانت أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح
يخرج بلائاً بن رباح إذا حبت الظهيرة فيطرحه على ظهره في يطعاه مكة ثم يأمر
بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره^(٣).

وما يكاد ينتهي الصيف الحار حتى يأتي الحريف ، فيعيش الناس تحت تهديد
السيول^(٤) ، وكانت السيول تشكل خطراً على عمران مكة ، ومن أقدم السيول
القرعة سبل حدث في زمن الجرميين قدس البيت ، فانهم ، فأعادته جرم^(٥) ،
وسبل سال في عهد حزاعة فتدفقت مياهه داخل للمسجد الحرام وأحاطت بالكعبة ،
ويعرف هذا السيل بسيل قارة^(٦) . وعلى الرغم من أعمال الإصلاح والإجراءات
التي قام بها الخلفاء الراشدون في العصر الإسلامي لتجنب الكوارث التي تسببها
السيول ، كإقامة السدود في لأحياء المرتفعة ، وعن الردم الأعلى وبنائه الضفاف
والصخر وكبسه ، وذلك في خلافة عمر بن الخطاب عقب سيل أم نجل الذي
قتل مقام إبراهيم وسرقه إلى أسفل مكة^(٧) ، وعمل حفاير للدور للشاوعة على
وادي مكة ، وصغار للمسجد الحرام ، وصغار الدور الواقعة في حسي الوادي في

(١) من مخطوطة : الرقعة ٩ ص ١٥٩

(٢) ابن أبي عمير ، ص ٢٠٨ - من مخطوطة : السيرة ج ١ ص ٢٤٢

(٣) من المخطوطة ٥ ص ٢٢٩

(٤) Lammen, le Berceau de l'islam, vol. I, p. 23 - La Mecque
à la veille de l'Hégire, p. 103

(٥) ١٥١ ١٢ ص ١٢

(٦) من المخطوطة ٤ ج ١ ص ١٦١ - العنبر ٤ ج ١ ص ٢٦٠

(٧) (٧) البلاد ٤ ص ١٦٢ - من المخطوطة ٤ ج ١ ص ١٢٥

سنة ٨٠ هـ في خلافة عبد الملك بن مروان، وذلك عقب سيل الجفاف^(١١)، فقد ذكروا أن عبد الملك بعث ليعمل هذه الضغائر والردوم على أفواه السكك مهندساً نصرانياً^(١٢)، فإن السيول الجارفة اكتسحت بطن مكة ودخلت المسجد الحرام، وأحاطت بالكعبة، وهدمت كثيراً من دور مكة^(١٣).

وكثيراً ما كانت الأوبئة تنفث عقب السيول المخرية، فقد أصيب أهل مكة بمرض شديد في أحشائهم وألسنتهم أصابهم منه شدة الجبل، عقب سيل سنة ٨١ هـ، فسمى هذا السيل بسيل الجبل^(١٤)، كما أصيبوا بمرض شديد من وباء وموت فاش، عقب سيل ابن حنظلة الذي حدث في سنة ٢٠٢ هـ في خلافة المأمون^(١٥). ولم تكن هذه الأوبئة تقتصر فقط على مواسم السيول، بل كانت تعقب مواسم الحج بسبب الحرارة الشديدة التي تلدّي العيون وكثرة الذباب^(١٦)، ويفسر هذا كثرة عدد الصبيان في مكة^(١٧)، ويبدو أن المقصود « بأولى الضرر » الواردة في القرآن الكريم^(١٨) الذين أصيبوا بالعمى^(١٩). وإلى جانب ما كانت تسببه الحرارة الشديدة من أمراض للمعونات، فقد كان الجدب والجمل يسودان البلاد في السنة « الشها » حيث لا تجد الماشية ما يشبعها من العشب، فلا تدر ألباناً، ويضطر

(١١) الأزهري، ج ٢، ص ١٢٦ - القليسي، ج ٢، ص ٢٦١

(٢) البلاغري، ج ١، ص ٦٢ - الأزهري، ج ٢، ص ١٢٦ - المعاصر، ج ٢، ص ٢٦١

(٣) الأزهري، ج ٢، ص ١٢٧

(٤) الأزهري، نفس الصفحة - القليسي، ج ٢، ص ٢٢٢

(٥) نفس المصدر - القليسي، ج ٢، ص ٢٦٢

(٦) القليسي، أحسن التلخيص، ج ١، ص ٩٥

(٧) ابن خلدون، كتاب المعتمد، ص ١٩٦ - ابن ربطة، الإقبال النبوية، ص ٢١٤ -

(٨) القرآن الكريم، سورة النساء، آية ٩٥

(٩) Lecomte, la Mecque à la veille de l'Hégire p. 90 (٩)

القوم إلى النزوح إلى مواطن الكلا والمشب . وقد تسبب كل ذلك في كثرة الأمراض وانتشار الأوبئة .

ومع ما تسببه السيول من كوارث ، فإن مياهها تنجم في بحيرات طبيعية أو عذران لا تدوم طويلاً ، أو تكون يركناً ومواسل وعبوراً جوفية تمسك الماء وحول هذه الميوت والفدران تكثر الأعشاب ويكثر النخيل^{١٠٠} .

د - مصادر الثروة الاقتصادية في مكة في العصر الجاهلي :

رأينا أن مكة كانت قبل الاسلام مركزاً للطريق التجاري بين اليمن وبلاد الشام ، فعليها كانت تندفق منتجات الشرق الأدنى من دلتا الفرات عن طريق خليج فارس واليمن ، ومنتجات مصر والشام عن طريق الشام . وكانت مكة على اتصال وثيق ببلاد الحبشة ، يدل على ذلك وجود طالفة من الصنائع والشذاذ تعرف بالأحابيش أو عذن أهل مكة ، أو سودان مكة^{١٠١} ، وأخيار الحبشة بالذات ملاذاً للمهاجرين المسلمين الأوائل . وكان للكعبة وكلاء عنهم في قبالة وجرش وفي مجربات وغيرها من المدن التجارية في شبه الجزيرة . وكانت مكة تقوم بدور الوسيط بين عالمين ، شأها في ذلك شأن قديم بالنسبة للبارثيين والرومان ، وقد أتاح موقع مكة الجغرافي من جهة ، ثم حيدة قريش من جهة أخرى ، لها الفرصة لتحقيق نجاح واسع النطاق في هذا المجال ، وعلى الرغم من أن البيزنطيين كانوا يأملون من التعامل مع العرب ، ويزرون إقصاءهم عن بلاد سورية المتضررة ، فإن إقبال بمرطة الشديد وتهافتها على منتجات الهند والصين ،

١٠٠ : راجع القدر والعيون والموانئ في اقتصاد مكة ، ج ٢ ، ص ١٨١ - ١٧٨ ، بيروت .

محمد المنذر ، مادة مكة ص ١٧٨ -

Lammens, le Berceau de l'Islam, t 1 p 26-31

Lammens, l'Arabie occidentale avant l'Islam, Beyrouth 1928, p. 269

لم تصرفهم عن الاستعانة بالقرشيد كوسطاء للتجارة الهندية، وكانت السلطنة بطبيعة
تستخدم منتجات الشرق لإبرار مظاهر المنظمة والآية في السلاط الامبراطوري،
فالاماطرة أنفسهم كانوا يحيطون أنفسهم بحاشيات مترقبة تلبس الثياب الحريرية،
وكانت آية الكتانيس البيزنطية وقضائها تتطلب مبرداً من البخور والطيب
ومزيداً من الأقنعة الحريرية المصنوعة في الصين والهند، ومن الأرائك والأنسرة
المصنوعة من أخشاب الصومال والاعوام التي لا توجد إلا في الشرق، هذا بالإضافة إلى
الحبال البيزنطيين الشديدة على التوابل الهندية. ولقد سميت مكة إلى التفاوض مع
الدول المجاورة لسداد العرب للصناعات على ضمانات لتأمين تجارها^(١١). ونجح القرشيدون
في عقد المعاهدات التجارية مع حكومي بيزنطة وطيغسون^(١٢)، وكان يمثل
الامبراطور البيزنطي عظيم بصري يساهم بمثل كسرى فارس مرزبان البحرين.

ولكن بيزنطة، حتى مع ارتباطها مع العرب من الناحية التجارية، لم تكن
تقبل التفاوض مع العرب على مبدئ «الباب المفتوح»، فقد كانت ترى في كل
غرب عنها عينا يجب مراقبته عن كثب، ولذلك كانت الممارسات التجارية مع
العرب تتم على الحدود السورية، فلم تكن حكومة بيزنطة تسمح لتجار العرب
بحرية الإقامة والتجارة إلا في عدد ثابت من المدن السورية، ففي فلسطين كان
يسمح للعرب بحرية التجارة في صيناني أية وغزة، وفي مدينة القدس، أما في
سورية، فقد كان سوق بصرى مفتوحاً لهم، وردد ذكر بصرى في كثير من
أشعار العرب في الجاهلية، وكانت بصرى مدينة شديدة الحصانة والمنعة، لتقوم
بوظائفها كمرقب وبحرس لبلاد الشام، وكانت تؤولف المحطة التجارية الأخسيرة
لقوافل حمير، والسوق الكبرى للفلل والنسج للعباز، كما كانت تشتهر بأسلحتها
ودروعها، وكانت أسواق بصرى تعد خارج أسوارها. وقد قصدنا النبي صلى

Lammens, la Merque à l'Veille de l'Hégire, p. 26 (١١)

Ibid. p. 32 (١٢)

الله عليه وسلم وهو صغير مع عمه أبي طالب أيام اشتغاله بالتجارة إلى الشام^{١١} ويدكرون في كتب السيرة قصور بصرى^{١٢} وقصور الشام ، ولهم كانوا يصون بقصور بصرى أسوارها المشرفة الذروة ، وقصور الشام خطط التحصينات الفاصلة بين البادية ومدن الشام . أما غزة فكانت أول ثغر بقلطين يقابل تجار العرب القادمين من الصحراء ، وكانت مخازنها تتدفق عليها بضائع مصر ومنتجات العالم اليوناني الروماني ، فهي كانت تعتبر بحق باب العرب إلى فلسفة العرب .

وقد عقد القرشيون معاهدات معاملة مع أمراء العرب في الجزيرة العربية ، مع شيوخ قيس وأقبال اليمن وأمراء اليمامة ومكة وغيرها والحيرة ، وكانت هذه للمعاهدات تسجل في مہارق وحفص أو على الأديم ، ومن بين هذه المعاهدات : المعاهدة التي عقدها رسول الله مع المكين في العام السادس للهجرة ، وتعرف بصلح الحديبية ، ويذكر أبو يوسف صاحب كتاب الخراج أن رسول الله لما قدم إلى مكة ، وهبط على الحديبية أرسل إليه أهل مكة أحد صالحينهم وهو ابن الحنبل لرد النبي وصحافته عن مكة ، ثم أرسلوا إليه عمرو بن مسعود الثقفي ، فعاد كل منهما إلى أهل مكة وهو يظلم في النبي ، فاضطروا إلى إرسال واحد من رؤسائهم من أولي الشجاعة والعزم هو سهيل بن عمرو الملقب بفدي الأياد ومنه مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزي لمفاوضة النبي في عقد معاهدة بين أهل مكة والرسول ، وكان المسلمون يقطعون الطريق على تجار قريش وعلى غيرهم ، وقد أدى ذلك إلى إرغام المكين على التماقد مع النبي^{١٣} . فمثل قريش في هذه المعاهدة سهيل بن عمرو ، وشهدها أبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد أبي وقاص ، وعثمان بن عفان ، وأبو عبيدة بن

١١) ابن هشام ٥ السيرة ٢ ج ١ ص ١٩٢

١٢) ابن هشام ٤ ج ١ ص ١٦٦

١٣) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم ١ كتب الخراج ٤ طبعة بولاق ٢٢ ١٣ ١ هـ ص ١٢٠

الجراح ، ومحمد بن مسلمة ، من الجانب الاسلامي ، وحويطب بن عبد العزيز ، وسكر بن حفص ، من الجانب المكي ، وكتب المقد علي بن أبي طالب ، ونسخ سحيتي^(١١) . وقد نزلت سورة الفتح عند منصور النبي من الحديبية ، وتعتبر معاهدة الحديبية نصراً أكيداً للبهلين ، لأن قريشاً بقتضى هذا العهد اعترفت بمحمد رئيساً لدولة .

وكانت قريش تفرض الإفاوات على التجار الغراء وعلى العرب الذين لا يرتبطون مع قبائل قريش بخلف^(١٢) ، ومن بين الضرائب التي كانت تفرضها قريش ضريبة المشور ، فكانوا يشرون من يدخل مكة من تجار الروم^(١٣) . وتشير المصادر العربية إلى وجود عدد من تجار الروم في مكة ، نزلوها وأقاموا فيها ، واتخذ بعضهم موالى لأشراف أهل مكة مثل نسطاس مولى صفوان بن أمية^(١٤) ، ويوحنا مولى صهيب الرومي ، وصهيب الرومي نفسه وكان مولى لعبد الله بن جدهان ابن عمرو بن كعب ، وكان أسيراً في أرض الروم ، فاشترى منهم ، ثم أسلم^(١٥) . وكان بمكة قطعا من مصر ، فقد ذكروا أنه كان يقع فيها تجاراً قبطياً^(١٦) . وكان من الروم من اندس بين تجار مكة بمكة للتجسس على العرب وتسقط أخبار الفرس وصلاتهم بالعرب^(١٧) . كما توافد على مكة تجار من الروم والفرس ، ساكنوا المكين

(١) البخاري ، التلخيص ، ص ٢٥٠ - ٢٥١

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ٥٨ - الفاسي ، شعاع الفهرم ج ٢ ص ٧١

(٣) الأندلس ج ١ ص ١٠١

(٤) الأندلس ج ٢ ص ٧٦

(٥) ابن هشام ، ج ٢ ص ٢٨٠

(٦) خطب الدين النويري ، كتب الأعلام بأعلام بيت الله الحرام ، تحقيق وسجله

ج ٥ ص ١٨٥٧

(٧) جواد علي ، ج ٤ ص ٢٠١

والمخالفوا مع أربائهم ، ومنهم من أقام بحكمة نظمو دفع جزية لحمايته وحفظ أمواله وتجارته . وكان تجار بلاد الشام يحملون القمح والزيت والحبور ومصنوعات الشام إلى مكة ^(١١) . وكان تجار الجنوب يحملون حاصلات الهند من ذهب وأحجار كريمة وعاج وخشب الصندل والتوابل والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والأرجوان والزعفران والآنية الفضية والفضة ، كما كانوا يحملون منتجات إفريقيا الشرقية واليمن كالمطور والأطيان وخشب الأبنوس وورق النعام والأدم واللبان والمر والأحجار الكريمة والجلود ، ومنتجات البحرين كاللؤلؤ ، والبقاويت ^(١٢) . واشتهرت بعض الأصناف المكية بترواتها من التجارة مثل أبو أسيرة ، وعبد الله بن جدهان ، والوليد بن المغيرة الخزومي ، وأبو سفيان ، وهاشم بن عبد مناف ، والمطلب بن عبد مناف ، ونوفل ، وقد توفي هؤلاء الثلاثة بعيداً عن مكة ، فهاشم توفي بغزة من أرض الشام ، والمطلب توفي برمصان من أرض اليمن ، ونوفل توفي بسلطان من ناحية العراق ، وفي غلتم يقول مطرود ابن كعب الخزاعي :

إذا تذكرت أخي نوفلاً ذكرني بالأوليات

فذكرني بالأزر الحمر والأردية الصفر القشيات

أربعة كلهم سيد أبته سادات لادات

ميت برمصان وميت بسلطان وميت عند غرات ^(١٣)

ويكفي للإشارة على كثرة أرباء مكة ما ذكره كعب بن الأشرف مطلقاً على

(١١) جواز ملي (ج ٢ ص ٢٠٢ - لحد إبراهيم الشريف : مكة والمدية ، ص ٦٦)

(١٢) لحد الشريف ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦

(١٣) ابن مكرم ، السيرة ، ج ١ ص ١٢٦

هزيمة الكيين في بدر، قال: « بطن الأرض اليوم خير من ظهرها » هؤلاء أشرف الناس وساداتهم وملوك العرب وأهل الحرم والأمن قد أصيبوا^(١)، وعده فقه أهل مكة من فديات لأمرهم في بدر: عقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء يوم بدر أربعة آلاف لكل رجل من أسيرة ثرية إلى ثلاثة آلاف إلى ألفين إلى ألف إلى قوم لا مال لهم من عليهم رسول الله، وكان أبو وداعة بن ضبيعة أول أسير مكبي اعتد به ابنه المطلب بأربعة آلاف، وقد قال عنه الرسول: « إن له عكة ابننا كيبا له مال وهو فعل عداءه »^(٢). ومن مظاهر فراء أهل مكة أن قاعلتهم إلى الشام يوم بدر كانت تتكون من ألف بعير فيها أموال عظام بلغت نحو خمسين ألف دينار، أكثر ما فيها من المال لآل سعيد بن العاص لأبي أحبيبة، إما مال مع قوم فراض على النصف، فكانت غنامة المير لهم. ويقال إنه كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة ألف مثقال، وكان لأمية بن خلف ألفا مثقال... وكان لبني عبد مناف منها عشرة ألف مثقال، وكان متبرحم إل غزة^(٣). هذه الأموال كلها كانت متجمعة في قافلة واحدة ولقيلة مكبية واحدة، ويمكننا قياساً على ذلك أن نتصور فراء أهلها من الأسرات التجارية الأخرى، وتوافر إمكانياتها المالية، ووضع رؤوس أموالها في التجارة.

« وكانت أسيرة بني محروم من الأسرات المكبية ذاتة الثراء، وظهر منهم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن محروم، وكان يعتبر نفسه هو وأبا محمود عمرو بن عمير الثقفي سيد قبيلة عظيمي القريتين، وهو للقائل: « أبذل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدنا »، ويذكر أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد

(١) الواقدي أبو عبد الله محمد بن عمر: صفات رسول الله - القاهرة، ١٩٤٨.

ص ٩١ - ٩٢.

(٢) نفس المصدر ص ٩٨.

(٣) نفس المصدر ص ١١٧ - ١٨.

ثعيف ، ونحن عظماء القريتين ،^{١١} ، فأنزل الله فيه . وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ،^{١٢}

وكان عبد الله بن أبي ربيعة المخرومي من أكبر أغنياء مكة ، تبرع بخصانة ديار محاربة النبي^{١٣} ، واقتدى كلاً من خالد بن هشام بن المغيرة ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأمية بن أبي حديفة بن المغيرة بألفي عشر ألف درهم يوم بدر^{١٤} ، وغنم ريد بن حارثة مولى الرسول قافلة له بالقرعة وبلغ الخس يومئذ ٢٠ ألف درهم^{١٥}

وكان عبد الله بن جدعان يشتغل بتجارة الرقيق^{١٦} ، وكان عظيم الغناء إلى حد أنه أرسل ألفي بعير إلى الشام تحمل إليه البز والشهد والسن قفقراء^{١٧} ، وكان صفوان بن أمية ، صاحب حرن قلاح ، وكان يشتغل بتجارة الفضة الغر والائنة الفضة^{١٨} .

ويبدو أن اتصال تجار مكة بالحبيشة والصومال كان يتم عن طريق آخر غير طريق اليمن البري هو طريق البحر فقد كان لمكة ميناء على البحر الأحمر يسمى

١١١ ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ص ٢٨٧

١١٢ القرآن الكريم ، سورة الفرقان ١٦ ، آية ٢١

١١٣ التوكل ، مغازي رسول الله ، ص ٢٢

١١٤ نفس المصدر ، ص ٧٠

١١٥ نفس المصدر ، ص ١٥٦

١١٦ كانت تجارة الرقيق تسمى على الاسرى ابهيس عدون كثير ، ويحسون في ايدي الروم أو الفرس أو العرب المنهين في الهامة ، يهاجرون في اسواق التجارة ، كما كانت تمتد حليى الرنتين الاسود من خلف الاطبال في الجزيرة الحربية أو من زوج امريدا

١١٧ القاسمي ، الفتوح المبررة ، ج ٢ ص ١٠٥

١١٨ التوكل ، ص ١٥٦

الشمسية، فكان تجار مكة مستخدمون هذا المناء والموانئ القريبة منه للاتصال بالحبشة والصومال وحصر أيضاً، ومن المعروف أن قریش لم تكن تملك سماً في البحر الأحمر، والأرجح أنهم استخدموا سماً كانت تعمل لحاسيم^(١١)

ومن مصادر ثروة أهل مكة حج البيت، وطيح إلى جباب كونه مظهرأ ديباً للعرب في الحاملية، وسيلة للاحتجاج والالتقاء والتعارف، كان وسيلة من وسائل التكسب بالتجارة، فقد كانت تقام في موسم، كما سبق أن تحدثنا أسواق تجارية وأدبية مثل سوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز، وفي هذه الأسواق كان العرب من سائر أنحاء شبه الجزيرة يقدون بسلهم للتبادل والبيع

وكانت العملات السائدة في مكة والحجاز عامة الدينار والدرهم، وهما عملتان أحديتان، والدينار لفظة مشتقة من اللفظة اليونانية اللاتينية «ديناريوس»، وهو اسم وحدة من وحدات السكة النحبية عند العرب^(١٢)، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الوحدة النقدية في قوله تعالى: «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك»، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما فمت قليلاً، ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل»، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون^(١٣)، أما الدرهم فلفظ مشتق من الدراخمة اليونانية، واستعاره العرب من الفرس. والدرهم وحدة فضية^(١٤)، ومن المعروف أنه لم تكن بلاد العرب دار للسكة، وأن العرب - باعتبارهم وسطاء للتجارة بين الشرق والغرب - كلنوا يتعاملون بين اثنين الوحدتين النقديتين، وكانت تجارتهم مع الدولة الساسانية ومع الدولة البيزنطية قدر عليهم كيفية كبيرة من اللتانيير والمهرام.

(١١) انصه إبراهيم الشريف، مكة ولدينة، ص ٢٩

(١٢) عبد الرحمن عيسى، النقود القديمة، ص ٢٠

(١٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران ٧٥، آية ٧٥

ص ١٠ ترجمان قصير، عيسى المرجع، ص ١٠

ونج عن اشتغال مكة بالتجارة معرفة أهلها بالكتابة والحساب، وبالمكاييل والموازين والمقاييس، فمن المكاييل المستخدمة الصاع والمسد والمكوك، ومن الموازين الرطل والأوقية والفن، وهو نصف الأوقية، والدرهم والمقال^(١). وعرف تجار مكة بنظام الأمانات والودائع ونظام الصكوك وغير ذلك مما يتطلبه العمل بالتجارة^(٢).

أما عن الصناعات التي كان يعمل بها أهل مكة فبما صناعة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع وبال، وكان سعد بن أبي وقاص يبري النبل، وكان الوليد بن المغيرة حداداً وكذلك كان العاص بن ميثم، أخو أبي جهل^(٣)، وكان خباب بن الارت قينا يعمل السيوف^(٤). وعنها صناعة الفخار، من قنطور وجفان وصعاف وأباريق، وهي الفاظ ورد ذكرها في القرآن الكريم^(٥) وفي الشعر^(٦)، ومن اشتغل بهذه الصناعة أمة من خلف الذي كان يبيع البروم^(٧)، كما عرقوا صناعة الأسرة والأرائك، وما أيضاً لفظتان وردتا في القرآن الكريم^(٨)، ومن

(١) أحمد الشريد، ص ٢١٦ - Lammens, La Mecque, p. 128

(٢) Lammens, op. cit. p. 130

(٣) ابن قتيبة، المعانيذ، ص ١٦٤

(٤) ابن هشام، ج ٢ ص ٢٨٧

(٥) القرآن الكريم - سورة الأنعام ٧٦ - آية ١٥ - ١٧، المائدة ٨٨، آية ١٥ - سورة الواقعة ٥٢ آية ١٨ - سورة الزخرف ٢٤ آية ٧١

(٦) قال جرير بن الحارث يكي المطلب بين مائتين من عذ حلف :
 قد جئت للحجيج بعد الطيب بعد الجبل والشراب المنضب
 أيت فريضة بعده على نصب

(٧) الفاسي، ج ٩ ص ٧٧

(٨) ابن قتيبة، ص ١١٩

(٩) القرآن الكريم - مائدة ٨٨ آية ١٢ وسورة الواقعة ٥٢ آية ١٥، الأرائك في سورة الكهف ١٨ - ٢١ وسورة المطففين ٨٢ آية ٢٢ وسورة الأنعام ٢٦ آية ٢٦

اشتهل بالتجارة عشة بن أبي وقاص^(١).

وقد ارتفع أفق أهل مكة بسبب اتصالاتهم التجارية من حولهم من الأمم والشعوب ، فمن النبط وأهل الحيرة عرفوا الكتابة ، وعن الأحباش عرفوا بعض الأدوية^(٢) ، وعن الروم والفرس عرفوا كثيراً من مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافات .

٥ - ترميع مكة قبيل ظهور الإسلام ،

يزعم الاخباريون أن أقدم من حكم مكة والحجاز المعالفة وعليهم السميدع ابن هوبر بن لاوي^(٣) ، وخلفهم بنو جرهم القحطانية . وكان ابراهيم (عليه السلام) قد أسكن ولده اسماعيل مكة مع أمه هاجر ، وبني البيت الصيق بالحجر بمناوة ابنة اسماعيل . وتزوج اسماعيل امرأة جرهمية ، وكانت منازل جرهم بمكة وما حولها ، وقام بأمر البيت بعد اسماعيل الحارث بن مظاهر الجرهمي ، وهو أول من ولي البيت .

ثم وفدت خزاعة إلى مكة بعد ميل الحرم ، فغزوا بظواهر مكة ، وغلبوا الجرهميين على مكة ، وطردوهم عنها ، وكان أول من ولي أمر البيت من خزاعة عمرو بن لحي ، فغير دين ابراهيم وبهله بعبادة الأوثان ، فقد ذكروا أنه استحضر معه من القبلاء بالشام أصناماً نصبها حول الكعبة^(٤) ، وظلت خزاعة تلي أمر

(١) ابن كعب ، المصنف ، ص ١٩٤ .

(٢) البلاذري ، النسب الإسرائي ، ص ٥٦ .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ، ص ١٦ - الأزرقي ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(٤) المسعودي ، ج ٢ ، ص ١٦ - الأزرقي ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٥) ابن الكثير ، كتاب الأسلام ، ص ٨ - ابن عسكارة ، السيرة ، ج ١ ، ص ٢٩ - البهقي ، ج ١ ، ص ٢١١ - أبو الطيب ، في الدين ، ص ٦٠ - أحمد بن حنبل ، في فضائل الخيام ، في أخبار الخيام ، ص ٢٤ .

البيت، أما مصر فقد احتفظت بحق الإجازة بالناس من عرفة والإفاضة بهم غداة النحر إلى متى^{١١}.

ثم تشعبت مضر وبطون كنانة، وصاروا أحياء وبيوتات، وكلوا بقمون بظاهر مكة، إلى أن تمكن قصي بن كلاب بن مرة من السيادة في مكة وامتزاج ولاية البيت من خراعة، من أبي غيثان الخزاعي. وإلى قصي هذا يرجع الفضل في جمع قريش وتزويدها على منارها بمكة، فبرز بين قريش البيطاح وقريش الظواهر، وقريش المطاح هم البطون التي كانت تسكن مكة نة. بها، وكان منهم التجار والأرياء، وهم بنو عبد مناف وبنو عبد الدار، وبنو عبد العزي وبنو زهره، وبنو محروم وبنو قيس بن مرة، وبنو جحج، وبنو سهم، وبنو عدي، وبنو عتيك، وبنو عامر. أما قريش الظواهر فقد سكنوا خارج مكة، ومنهم بنو عارب، والحارث بن فهر، وبنو الأدم بن غالب بن فهر، وبنو هصيص بن عامر ابن لؤي^{١٢}.

ولما قسم قصي مكة حططاً ورماحاً بين قريش، واقفقت له طاعتهم وحار شرف قريش كلها، بنى داره فصيت دار الندوة، ولهم كانوا يلتدون فيها فيتحدثون ويتشاورون في حروبهم وأمورهم، ويعقدون الألوية، ويروجون من أراد الترويج^{١٣}. كانت هذه الدار دار مشورة في أمور السلم والحرب، ودار حكومة بديرها^{١٤} الملاء، أو مجلس شيوخها، وهي تشبه الأكليسيا في أثينا والسناتو في روما^{١٥}. وإلى جانب دار الندوة كانت له الحجابة ولزادة والسقاية

١١) التبعدي ج ٩ ص ٥٧ - ابن حنبل ج ٩ ص ١٨٩

١٢) ج ١ ص ٥٩

١٣) التبعدي ج ١ ص ٥٢ - البحتري ج ١ ص ١٦٧ - فطيم الذي

البرقاني ج ١ ص ١٤٨ - الأعلام ب ١ ص ١٤٨

١٤) كان لا يدخل دار الندوة من قريش أو غيرهم إلا من سعة، وكان

منه لواء ليس يدخلها جديداً فطلب الذين المبروراني ج ١ ص ١٤٨

واللواء والقيادة ، وخرس قصي على فريش لرئاسة الحبيص ، لمكانوا يخرجوه ، ويأمر بانفاقه على طعام الحاج وشراجه^(١١) خرجاً . أما الحجابة فكان القائم بها بتلك مفاتيح الكلمة ، وأما الرقادة فهي إطعام من لم يكن له سعة ولا زاد من الحجاج ، وأما السقاية فهي التكفل بسقاية الحجاج عن طريق أحواض من آدم كانت توضع بفناء للكعبة ومعى وعرفات ، وأما اللواء فمراية يلونونها على رمح وينصبونها علامة للسكرك إذا توجهوا إلى الحرب ، وقدور حوله المعارك ، والقيادة هي قيادة الجيش عند المعرك يتولاها قصي أو من يليه عنه^(١٢) .

ولما شاخ قصي جعل لابنه عبد الدار ، وكان يؤزره على بقية بنيه ، دار الندوة والحجابة واللواء والرقادة والسقاية . ويبدو أن قصي آخر عبد الدار بهذه الامتيازات لأن عبد الدار كان ابنه البكر ، ولأن عبد مناف كان قد شرف في زمان أبيه ونصب كل مذهبه^(١٣) ، وقيل أن قصي قسم مهام مكة بين ولده ، فجعل السقاية والرياسة لعبد مناف ، ودار الندوة لعبد الدار ، والرقادة لعبد المري ، وصافق النوادي لعبد قصي^(١٤) . وذكر الأزرقي أنه قسم أمور مكة الستة بين ابنه عبد الدار وعبد مناف فأعطى عبد الدار السدانة وهي الحجابة ، ودار الندوة واللواء ، وأعطى عبد مناف السقاية والرقادة والقيادة^(١٥) .

والأرجح ما ذكره ابن هشام ، وهو قيام عبد الدار بجميع مهام مكة . فلما هلك قصي بن كلاب ، أجمع بنو عبد مناف بن قصي ، وهم عبد شمس وهاشم والمطلب وفضل على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي ، ورأوا أنهم

(١) ابن هشام ، السيرة ج ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ - البغدادي ، ص ٥٢

(٢) التنفسي ، شعاع الخرام ج ٢ ص ٨٨٦٨٧

(٣) ابن هشام ، ج ١ ص ١٢٦ - البغدادي ، ص ٥٢ - شعاع الخرام ج ٢ ص ٧٠

(٤) البغدادي ، ج ١ ص ١٩٦

(٥) الأزرقي ، ج ١ ص ٦٦

أولى بذلك منهم لشرهم عليهم ، وفضلهم في قومهم ، فتكرمت قريش عند ذلك ، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً ، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ، ثم غس القوم أيديهم فيها ، فتعاهدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم (بنو أسد بن عبد العزي بن قصى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تميم بن مرة بن كعب ، وبنو الحارث بن فهر بن مالك بن النضر^(١١) ، وتعاهد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم (بنو عذرة بن يقظة بن مرة ، وبنو سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب ، وبنو جهم بن عمرو بن هصيص ، وبنو عدي بن كعب) عند الكعبة حلفاً موكداً على ألا يتضافروا ولا يسلّم بعضهم بعضاً ، قسموا الأحلاف^(١٢) ، وأجمع كل من الفريقين على الحرب ، ثم تداعوا إلى الصلح على أن يملطوا بني عبد مناف السقاية والرغادة ، وأن تكون الحجبية واللواء والندوة لبني عبد الدار ، وتحاصر الدرس عن الحرب ، ولتبت كل قوم مع من حالفوا^(١٣) ، وظفروا على هذا النحو حتى ظهور الإسلام^(١٤) .

أما دار الندوة فقد ظلت لعد الدار ولولده ، حتى باعها عكرمة بن هاشم ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار من معاوية بن أبي سفيان ، فبعلها داراً للإمارة بمكة ، وأما الحجبية ، فكانت لعد الدار ، ثم آلت من بعده إلى عثمان بن عبد الدار ، ثم إلى عبد العزي من عثمان ، ثم إلى أبي طلحة عبد الله بن عبد العزي ، ثم إلى طلحة بن أبي طلحة . لما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة أراد دفع مفتاح الكعبة إلى محمد المباس بن عبد المطلب ، فأنزل الله عليه : (وإن الله يأمرك أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) ، إن الله نعماً يعظكم به ، إن الله كان جليلاً بصيراً^(١٥) ، فأعطى النبي

١١ ابن هشام ، ج ١ ص ١٢٨ ، ١٢٩ - السلافري ، ص ٥٦ - النجاشي ، ج ٢ ص ٧٦

١٢ نفس المصدر ، ص ١٢٩ - السلافري ، ص ٥٦ - النجاشي ، ج ٢ ص ٧٦

١٣ النجاشي ، شفاء العثرات ، ص ٧٦

١٤ ابن هشام ، السيرة ، ج ١ ص ١٤٠

١٥ القرآن الكريم ، سورة النساء ، آية ٥٨

منشأ الكعبة إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وكان قد أسلم في صفر سنة ٥٨ هـ^(١) .
 أما اللواء فإنه لم يزل في بني عبد الدار حتى كان لواء المشركين يوم بدر مع طلحة
 ابن أبي طلحة بن عبد المطلب ، وبطل اللواء بعد أن أسلم بنو عبد الدار^(٢) .

أما السقاية والرعاة قصارة هاشم بن عبد مناف ، ثم المطلب بن عبد مناف ،
 ثم لعبد المطلب ، ثم للزبير بن عبد المطلب ، ثم لأبي طالب ، ولم يكن أبو طالب
 قادراً على الإنفاق ، فآلت الرعاة والسقاية إلى العباس بن عبد المطلب ، ثم
 آلت إلى عبد الله بن عباس^(٣) . وذكر الأزرقي أن السقاية والرعاة كانت لهاشم
 ابن عبد مناف ، وأن القيادة كانت لعبد شمس بن عبد مناف . وكان هاشم يطعم
 الناس في كل موسم عما يجتمع عنده من ترافد قريش ، فكان يشترى بما يجتمع لديه
 حقيقاً ، وبأخذ من كل ذبيحة من بدنة أو بقرة أو شاة فضضها ، فيجمع ذلك
 كله ، ثم يحرز به الدقيق ، ويطعمه الحاج . فلم يزل على ذلك من أسره حتى أصاب
 الناس في سنة جدب شديد ، فخرج هاشم بن عبد مناف إلى الشام فاشترى بما
 اجتمع عنده من ماله حقيقاً وكحكاً ، فقدم به مكة في الموسم ، فبشم ذلك
 الكحك ، ونحر الجزور وطبخه ، وجمعه لريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم^(٤) ،
 ثم تولى عبد المطلب الرعاة ، ثم قام بها أبو طالب حتى جاء الإسلام ، أما
 السقاية فقد ظلت بيد عبد مناف ، ثم آلت إلى هاشم ثم إلى عبد المطلب ، ثم
 إلى العباس بن عبد المطلب^(٥) .

وذكر الأخباريون أن أول من كسا الكعبة في الجاهلية أسد قبح الهجري ،
 كساها الأنطاع ، ثم كساها الوصائل ثياب حمرة من عصب الين^(٦) . ثم أصبحت

(١) البلاذري ٤ ص ٥٢ - الأزرقي ١ ج ١ ص ٦٢ ، ٦٣

(٢) نفس المصدر ٤ ص ٥٥

(٣) نفس المصدر ٤ ص ٥٧

(٤) الأزرقي ١ ج ١ ص ٦٣

(٥) نفس المصدر ١ ج ١ ص ٦٥

(٦) نفس المصدر ١ ج ١ ص ١٦٦

تَكسى بعد ذلك بطارقة الخبز الخضراء والصفراء، ويشقق الشعر والكرار وهو الخيش الرقيق . وذكروا أن الكمة كانت مكسوة ، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر بعد ، بكسى شق من وصايل وأنطاع وكرار وخزوغارق عراقية وبرود^{١١١} . وذكر بعض الأخساريين أن قريش كانت في الجاهلية ولقد في كسوة الكمة ، فيضربون ذلك على القبايل بقدر احتياها من عهد قصي بن كلاب إلى أن ظهر أبو ربيعة من المخيرة بن عدي الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يختلف إلى اليمن يتجر بها ، فأثرى من المال ، فكان يكسوها وحده سنة ، وجميع قريش تكسوها سنة أخرى على التعاقب^{١١٢} .

وذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكسو الكمة بالثياب البانبة ، ثم كساها عمر وعثمان اللباضي ، ثم كساها الحجاج الديلمي^{١١٣} .

١١١ | نفس المصدر ، ج ٩ ص ١٦٦

١١٢ | نفس المصدر ، ص ١٦٧

١١٣ | ابن هشام ، ج ٩ ص ٢١١ - الأثرى ، ج ٩ ص ١٦٨

مدينة الطائف

(١) جغرافية الطائف ، الموقع والمناخ :

الطائف مدينة صغيرة قديمة البنيان ، تقع قريباً من مكة ، وقد سميت بهذا الاسم لأن رجلاً من الصدف يقال له الدمون بن عبد الملك - وكان تاجراً ثرياً - قتل ابن عم له بمضرموت ، ثم خرج هارباً حتى زل بأرض الطائف ، فخالف مسعود بن مضرب الثقفي ، وتزوج من ثقيف . وفي مقابل ذلك أقام لهم طوقاً مثل الحائط حتى لا يصل إلى ثقيف ، أتخذ من العرب ، ويكون هذا الطوق حصناً لثقيف ، فبناء بهالة ، وسمى الموضع لذلك بالطائف^{١١} ، وأعتقد أن الطائف إنما سميت كذلك من الطواف حول بيت اللات ، وأن التسمية بالطائف كانت نتيجة لأهمية الطائف الدينية باعتبارها المركز الوثني الثاني في الحجاز بعد مكة .

وكانت الطائف تسمى في القديم بامم وج وهو اسم وادي وج الذي ينسب إلى وج بن عبد الحمي من المماليق .

وتقع الطائف على ظهر جبل غزوان من حبال السراة ، وبمزارع قبائل

١١١ الهجري ، يحتمل ما استعمله - ١٠ م ٦٧ - بالقرب من حوض البلد . - مادة طائف .

هدبل^(١) والطائف محلتان محلة إلى حساب من وادي وج تكن تليف ،
والأخرى على الجانب المقابل ويقال له الوعظ^(٢) وقد ظل اسم وج يطلق على
موضع من الطائف يقع على الوادي يقال له برد في العصر العباسي ، إذ أنامت فيه
ريدة ووجه هارون الرشيد حائطين ، يقال لهما وج^(٣) وادي الطائف الذي
يسمى بوادي وج تجري فيه مياه المدائح التي يديع بها الأديم^(٤)

وشرف جبل غزوان ، أعظم جبل السراة ، على المدينة ، وجبال السراة
تنتد بجذاه البحر الأحمر ، وكان يعتقد أنها تبدأ من البحر ، لكي تصل إلى الشام^(٥) ،
وراحية السراة الشرقية تشرف على عصاب متفتحة ، بلالاعربية الوسطى عن
طريق أفجاج وشعب وأودية تنتهي إلى البحر ، وقد سهلت هذه الشعب الإنصال
بين القائل الضاربة في الداخل والمدن التجارية بالمحجار ، ومن بين هذه الوديان
وادي نعمان بين الطائف وعرفة ، وفيه طريق الطائف المختصرة إلى مكة^(٦) .
وجبال السراة جنوبي الطائف امتداد لجبال اليمن ، وهي جبال كانت تتخذ
أسماء القبائل التي سكنتها مثل سراة بني علي وغيرهم وسراة بجيلة والأرد بن سلمان
وسراة ألح وعوس وعازر^(٧) . ويحيط بالطائف نطاق من المزارع والبساتين تمتد
إلى نحو ثلاثة أو أربعة كيلومترات من المركز العمراني بالمدينة ، ويطلق جبل
غزوان حاليًا من هذه المزارع بينما يفتح سهل الطائف تجاه مكة^(٨) . وبالقرب
من الطائف تقع قرية المرج المعروفة بمرج الطائف ، وهي قرية جامعة في واد

(١) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٧٩ - ياقوت ، المرجع السابق

(٢) ياقوت ، نفس المرجع

(٣) الحمداوي ، صلة جزيرة العرب ، ص ١٩٠

(٤) المقدسي ، ص ٧٩ - ياقوت ، المرجع السابق

(٥) الحمداوي ، ص ٤٨

(٦) نفس المصدر ، ص ١٢١

(٧) نفس المصدر ، ص ١٢١

Lamons, La cité Arabe de Taïf à la veille de l'Hégire. ١٨١

Beyrouth, 1922, p. 20

ر. نوح الطائف، وإليه ينسب المرحي الشاعر، وهو عبدالله بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وهي أول نامة.

وذكروا أن المرحي كان له حائط يقال له العرج، وكان العرج وادياً يبعد عن الطائف بسحو ساعة من الزمان^(١) وإلى الجنوب الغربي من الطائف تقع قرية سلامة، وكان لأم الخليفة المقتدر فيها حائط^(٢) ومن نواحي الطائف المشهورة العنق وحلوان، وحلوان هذا كان وادياً ينقلب إلى نجد، وكانت تسكنه قبائل بني هلال^(٣). ووسط قرية الطائف على ثلاثة أميال من وادي كانت لعمر بن العاص، وقد سميت كذلك لكثر ما كان فيها من كروم، فقد غرس فيها عمرو ألف ألف عود كرم على ألف ألف خشبة^(٤). وإلى الشرق من الطائف يقع وادي لية، وكان يسكنه مدبر من هوازن. وقد مر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الموضع عند منصرفه من حجة منجماً إلى الطائف، وأمر وهو بلية بهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان، وقد اشتهر وادي لية بكرمه وفي ذلك يقول خفاف بن ثبة:

صرت كل واد دون رهوة دافع وحلوان أو كرم بليسة عذق^(٥)

وبالغرب من الطائف يقع وادي ركة، ووادي مطار^(٦)

وكانت الطائف المدينة الثانية في الحجاز من حيث الأهمية الاقتصادية، واسمها يقترن عادة بحكمة فيقال مكة من الطائف والطائف من مكة، وكانت اسمياناً مقترعتين^(٧) كما عرفت بالمكتتب من قول ورقة بن نوفل:

(١) ياقوت، معجم البلدان، مادة عرج، ج ٤، ص ١٩.

(٢) الأضواء، صفة جزيرة العرب، ص ١٩١.

(٣) نفس المصدر.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، مادة وحده، جلد ٤، ص ٣٨٦.

(٥) ياقوت، معجم البلدان، مادة لية، جلد ٥، ص ٣.

(٦) المصادر، ص ١٢ - ١٢٤ - ياقوت، مادة ركة، جلد ٢، ص ٦٣ - مادة مطار، جلد ٥، ص ١١٧.

(٧) من نوبة تملح، ونقلوا لولا مر هذا الثراب على رجل - القريش فقيم مسورة الزهره، ٤٣، نوبة ٢١.

بطن المكتين على رحلاني حديثك أن أرى منه خروجاً^(١)

وقد يكون المقصود بالمكتين المطاح والظواهر، أو قد يكون المراد باللفظة الشقية فحسب، كما يقولون الكوهان والرقان والمرقان والشرقان والمقران والنجدان^(٢)، والطريق بين مكة والطائف طريقان، واحدة من ثلاثة مراحل، والأخرى مختصرة من مرحلتين^(٣).

ومناخ الطائف معتدل، فقد عرفت بأنها طيبة الهواء شمالية^(٤)، وذكر المقدسي أنها شامية الهواء يارده الماء^(٥)، فكانت سبباً لأهل مكة، يقولون إليها في الصيف عندما تشتد حرارة مكة^(٦)، وبما لا شك فيه أن موقع الطائف في منطقة مرقعة، وتفتحها للرياح الشمالية كان سبباً في تلطيف مناخها أثناء الصيف. أما في فصل الشتاء فيبرد البرد إلى حد تتجمد معه المياه^(٧).

ب - الحياة الاقتصادية في الطائف

ساعد اعتدال حرارة الطائف وجودة تربتها بالإضافة إلى توافر مياهها وعذوبتها على قيام نشاط زراعي على نطاق واسع، وتمتد الخطة الانتاج الزراعي الأول في الطائف، وعلى حنطة الطائف كانت تعتمد كل حواضر الحجاز وخاصة مكة، فكانت المعبر تقبل من السراة والطائف تحمل الحنطة والجبوب والسمن

(١) ابن خلدون، المصنف، ج ٦، ص ٢٠٢

(٢) Lammens. op. cit p. 12

(٣) المقدسي، ص ١١٢

(٤) ياقوت، بلاد الطائف، ص ٩

(٥) المقدسي، ص ٧٩

(٦) نفس المصدر، ص ٦٨، وفي ذلك قال محمد بن عبد الله الليثي يذكر ما كتبه عليه رضى عنه جده يوسف أخت الصيغ بن قيس ورفاهية

ويصحبها بالطائف

تسفر مكة مصر

راجع ياقوت، ص ١٢

(٧) ياقوت، معجم البلدان، بلاد طائف، الأوصاف، ج ١، ص ١٦١

والصل إلى مكة^{١١} كذلك اشتهرت الطائف بمواكبه المتعددة الأنواع ، فقيم
 بكثير النخل والأعناب والاور والزمان ، والتين والخرنوب والسفرجل والبطيخ^{١٢} ،
 وأكثر فواكه مكة تحمل من الطائف^{١٣} ، وأهم هذه الفواكه على الإطلاق التمر
 والانب ، أما تمر الطائف فكان يتمتع بشهرة كبيرة ، فهو تمر طري يمتلئ برسول
 فيه القرمص^{١٤} ، أما العنب فعليه تعتمد ثروة الطائف الاقتصادية ، وكان إنتاجها
 من الكثرة بحيث يذكر ابن سليمان بن عبد الملك لما أدى فريضة الحج مر بالطائف ،
 فرأى ببادر الزبيب فقال : ما هذه الحرار ؟ قالوا : ليست حراراً ولكنها ببادر
 الزبيب^{١٥} ، وذكر المقدسي أن في أكناف الطائف كروم على جوانب جبلها ،
 فيها من العنب العذب ما لا يوجد مثله في بلد من البلدان ، وأما ريفها فيصرب
 بحسه المثل^{١٦} ، وكان يوهط من الطائف كرم كثير لعمر بن العاص بلغ عدد
 شجره ألف ألف عود على ألف ألف خشبة^{١٧} . وذكروا أن شاعر الطائف أبا
 عجين الثقفى قال :

إذا مت فادفوني إلى أصل كرمه تورى عظامي بعد موتي عروقها
 ولا تدفنوني بالفلاة فهاني أخاف إذا مت ألا أفوقها

وذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى الطائف يلتزم النمرة من
 ثيف سوه وتصابحوا به وأجلوه إلى حائط (بستان) لعنة بن ربيعة وشيبة بن

(١) القرطبي ، ج ٢ ص ١٩٢ - Lamiaens, La cité de Laif, p. 32

Lamiaens, le Berceau de l'Islam. I, p. 83

(٢) البلاغري ، فروع البلدان ، ج ١ ص ٦٦ - المقدسي ، ص ٧٩ - ياقوت ، معجم
 البلدان ، مادة الطائف ، ص ٩ - ابن بطوطة ، الرحلة ، ص ١٢٢ ، ١٥٤

(٣) المقدسي ، ص ٧٩ - ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الطائف - الأزرقي ، ج ٢ ص ١٩٢

Lamiaens, la cité de Laif, p. 33 (٤)

(٥) ابن ربيعة ، ص ٧٩ - ياقوت ، معجم البلدان ، ص ١٢

(٦) المقدسي ، ص ٧٩

(٧) ابن العديم البغدلي ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٢ - ياقوت ، معجم البلدان ،

مادة رها ، ج ٥ ص ٢٨٦

ربيعه ، فجلس الرسول في ظل حلة من عشب^(١)

وإلى جانب حرفة الزراعة ، كان أهل الطائف يشتغلون بثلاثة حرف أخرى هي الصيد وتربية النحل واستخراج العسل ثم حرفة التجارة .

أما الصيد ، فكان يتم في الغابات المجاورة للطائف على سفوح جبل غزوان ، فهذه الغابات إلى جانب ما كان مستفاد من أشجارها في اغتذاء الحطب للوقود وصناعة الفحم ، وما كان يستخرج من قطران ، كانت ميداناً للصيد ، ففي هذه الغابات كان جماعات الصيادين يأثرون من مكة ومعهم^(٢) ب الصيد واللبزة لصيد الحيوانات والفقود^(٣) . وأما تربية النحل فكانت من الأعمال الهامة التي اشتهر بها أهل الطائف ، وكان العسل أحد مصادر ثروة الطائف ، وكان أصحاب النحل يؤثرون إلى الرسول من كل عشر قرب عسل قرية ، ثم انقطعوا عن أدائها بعد وفاته ، فكتب أمير الطائف إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فأمره بأن يؤدرا إليه ما كانوا يؤدونه إلى النبي ، وس المعروف أن في العسل العشر إذا كان في أرض العشر ، إما إذا كان في أرض الحراج وفي المقاور والجبال وعلى الأشجار وفي الكهوف ، فلا يؤخذ عليه العشر ، لأنه يكون بمنزلة الثمار^(٤)

وكان العرب يعتبرون العسل من أشهى الأطعمة ، وكان عسل الطائف مما يهادى به في مكة ، فقد ذكر البلاذري أن أم سلمة زوج الرسول كان لها سيب بالطائف يهديها عسل^(٥) ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب شرب العسل عند زواجه ثم حرمه على نفسه^(٦) ، فنزلت الآية الكريمة : « يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أرواحك والله غفور رحيم »^(٧) . ولقد وعد الله

(١) ابن حنبل ٤ ج ٢ ص ٦١

(٢) Lanthoma, La cité de Laif, p. 32

(٣) أبو يوسف ، كتاب الفراج ، ص ٤٠ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ١ ص ٦٧ ويلابها

(٤) البلاذري ، تفسيره ، الأثر ٤ ص ٢٢٧

(٥) ابن الجوزي ، ص ٤٢٤ ، ٤٢٥

(٦) الترمذي ، صحيحه ، سورة المائدة ٦٦ آية ١

المسلمين بحنات تجري فيها أنهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ، ومن غسل مصفى^(١١) ، وكان المسلم دواه يعالج به المرضى ، من قوله تعالى : « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس »^(١٢) . ولذلك كان المسلم من الأهلعة المتأثرة عند العرب ، وكانوا يستخرجونه من بيوت الجبال ومن الشجر ، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله : « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يمرشون »^(١٣) . وكان غسل الطائف يطلب في سائر أنحاء بلاد العرب في الجاهلية والإسلام ، فقد ذكر الأصمعي أن بعض الخلفاء كتب إلى عامله بالطائف « أن أرسل إلى مسلم أخضر في سقاء أبيض في الإماء من غسل الندغ والسحابة من حداب بني شيبانة » ، وكان بنو شيبانة يسكنون في السراة مما يلي الطائف^(١٤) .

أما التجارة فكانت من الحرف الهامة في الطائف ، وكانوا يتجرون في الزبيب والحلطة والمسل والأدم ، وكانت القوافل تخرج إلى مكة حاملة هذه السلع كل يوم . وقد عانى أهل مكة كثيراً عندما كان يخرج ويد في حارة يقصد هو وجاعة من المسلمين تجارة قريش من الطائف في أرض سحلاء^(١٥) . وكان غيلان ابن ملحمة الثقفي أحد وجوه تكيف الطائف يشتغل بالتجارة إلى العراق وفارس ، وقد بقى له كسرى بالطائف أطماً ، وكان قصرأ مملأاً بالحجارة^(١٦) .

ج - سكان الطائف وعلاقتهم بأهل مكة .

كان سكان الطائف من قبيص ، وهو قصى بن منه بن بكر بن هوارث بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وكان سبب نزوله في الطائف أن

(١) القرآن الكريم : سورة محمد ١٧ آية ٦٥

(٢) القرآن الكريم : سورة النحل ١٦ آية ٦٦

(٣) القرآن الكريم : سورة النحل ٦٦ آية ٦٧

(٤) ابن قتيبة : معون القصار ، ج ٢ ص ٢٠٥

(٥) الأمازيقي : السلب الإثراء ص ٢٢٧

(٦) القاموس : بلوغ الأرب : ج ١ ص ٢٢٦

فسي هذا كان له ان خالة يقال له النضج بن عمرو ، فخرجا مستجعين ومعهما
شيء وعزلبون بشر بان لنسأله فتمرض هما مصدق لبض مالوك اليمن ، فطعم
في شاة لهم ، وأراد أخذها ، فمناه من ذلك ، ورعى أحدهما المصدق قتلته ،
فقال أحدهما للأخر : والله ما تحملنا أرض واحدة ، فاتفقا على الاقتراق فمضى
لنضج شرقاً حتى نزل بيضة من أرض اليمن ، أما قسى ففقد غرب حتى أتى
وادي القرى ، ونزل على عبور يهودية لا ولد لها ، فالتحذته ولداً ، ولما حضرته
الوفاة أعطته مالا وقضبان من العنب ، ونصحته بان يفرسها ، في وادي يثزل به
فيه ماء ، ففعل ما أمرته به ، وأخذ المال وقضبان العنب بعد موته ، ومضى
سائر حتى إذا كان قريباً من واد الطائف ، وإذا هو بأمة حبشية ترعى مائة
شاة ، فطعم فيها ولم يقتلها ، فعدولته الأمة ألا يفصل حتى لا يتمرض لنفسه
صاحب النظم وهو عامر بن الظرب العدواني سيد قيس وحكمتها ، ونصحته بأن
يتزل عنده ، فأفاه قس واستجاره فزوجه ابتته ، ثم غرس قس قضبان الكرم
برادي وج ، فنبتت ، فلما أثمرت قالوا : قال الله كيف تكف عامراً حتى بلغ
فيه ما بلغ ، وكيف تكف هذه العبدان حتى جاء منها ما جاء ، قسى ثقيفاً
من يومئذ ، وما زال ثقيف مع عدوان حتى كثر ولده وربوا ، وقوي جاشهم ،
وجرت بينهم وبين عدوان حروب انتهت بإخراج عدوان عن أرض الطائف ،
واستخلصها بنو ثقيف لأنفسهم ، وغرسوا فيها كرومهم ، وأصبحت ثقيف
أعز الناس بلداً ، وأسمه جانباً بأفضل مسكناً ، وأحصب جانباً ، مع توسطهم
الحجار ، وإحاطة قبائل مضر واليمن ، وقضاة بهم من كل وجه ، فحمت دارها
وكاوت العرب عنها ^(١) . وهربوا بثقيف المثل في حاية بلدهم ، فقال أبو طالب
ابن عبد المطلب :

منعنا أرضنا من كل حمي كما امتنعت بطائفها ثقيف

(١) : الألفري ، انساب الاشراف : ص ٢٧ - البكري ، معجم ما استمع ، ج ١ ، ص ٦٤

- ٦٧ - غلوت ، معجم البلدان ، مادة طقف ، جلد ١ ، ص ١٠

أقامهم مشر كي يملوهم فعالت دون فللكم السيوف
وقال بعض الأنصار :^١

فكولوا دون بيشكم كفوم حوا أعناهم من كل عادي^٢

وكان يسكن بالطائف إلى بقي ثقب جماعة من حبر وقوم من قريش ،
عالميرين من أرد السراة ، والفرشيون من كنانة وعدرة ، كما سكنها جماعة من
هوارد والأوس والحزرج ومزينة وحبيسة . وكان يسكن غزوان قبائل هذيل^(١) .
وكان المكبون يربطون بأهل الطائف ارتباطاً وثيقاً ، من الناحية الاجتماعية
والاقتصادية ، فن الناحية الاجتماعية كان يقال : قرشي وخثناه ثقيبان ، أو ثقيفي
وخثناه قرشيان^(٢) . وكان كثير من قريش يتلكنون في الطائف مزارع ومساكن ،
كما كانت لهم فيها تجارات وأموال ، فالعاصي بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص
كانت له أموال ومزارع برهط ، ومات وهو في شعب من شعب الطائف^(٣) ،
كذلك توفي أبو أحيحة سعيد بن العاص من أمية بالطائف^(٤) . وكان لعمر بن
العاص كروم كثير في وهط بالطائف ، كما كانت لعمر بن الخطاب أملاكاً بركة
من أرض الطائف . وكان للعباس بن عبد المطلب أرض بالطائف مروعة بالكروم ،
وكان الزبيب يحمل منها إلى مكة فيبذل في السقاية للعبيج ، وكان لعامة قريش
أموال بالطائف يأقونها من مكة فيصلحونها^(٥) . وإلى جانب هذه الطبقة من
العرب ، كان يسكن الطائف جماعات من اليهود أقاموا فيها للتجارة ، ومن بعضهم

(١) ياقوت ، المرجع السابق ، ص ١١

(٢) نفس المرجع ، ص ٩

(٣) Lammen, la cité de Taif, p. 12

(٤) البكري ، أسطحة الأثرية ، ص ١٢٩

(٥) نفس المصدر ، ص ١٤٢

(٦) البكري ، نسب الأشراف ، ص ٥٧ — متوح ، بلاد ، ج ١ ص ٦٦ — الأزمعي ،

ج ٢ ص ٦٥

ابتاع معاوية أمواله بالطائف ، كما سكنها قوم من الروم ، فقد ذكر البلاذري من بينهم الأزرق والد قاسم بن الأرقم الخارجي ، وكان عبداً رومياً حداثاً ، كما ذكر بالطائف عبداً رومياً يقال له عبيد ، تزوج سمية أمة الحارث بن كلفة اللثقي ، وكان طبيب العرب^(١١) ، وذكر ابن هشام اسم غلام لمثبة وشيبة ابني ربيعة يقال له عداس وكان نصرانياً من نينوى^(١٢) .

د - مركز الطائف الديني

كانت الطائف المركز الديني الثاني في بلاد العربية الغربية بعد مكة ، فقد كان للثقيف بالطائف بيت يستوره بالثياب ويهدون له الهدى ويطوفون حوله ويسمونه الربة ، يعظمونه كتعظيم أهل مكة للكعبة^(١٣) ، هذا البيت كان يضم صخرة مربعة تعرف بالملات ، وكان مدنتها من ثلثيف وهم بنو عتاب بن مالك ، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها^(١٤) . فلما حرم الرسول ﷺ على فتح الطائف ، في العام الثامن للهجرة عند منصرفه من حنين ، امتنع أهل الطائف في حصنهم ، فنصب عليها عليهما محجبتا اتخذها سمان الفارسي ، وكان مع المسلمين بداية يقال أن خالد بن سعيد بن العاص قدم بها من جرش ، فعاصر النبي أهل الطائف خمسة عشر يوماً^(١٥) ، وقيل شهراً^(١٦) ، فلما استهل ذو الحجة رجع معتمراً إلى مكة ، ثم تجهز بعد الأشهر الحرم لمعاودة حصار الطائف ، فلما بلغ أهل الطائف ذلك بحثوا وقدموا إلى النبي للمفاوضة في الصلح فطلب الصلح على الشروط التالية . ألا

١١ (١) البلاذري ، انساب الأشراف ص ١٨٩ (١٩) - فتوح البلدان ٤ ج ١ ص ٦٥

١٢ (٢) ابن هشام ٤ ج ٢ ص ٦٤

١٣ (٣) ابن هشام ، السير ٤ ج ١ ص ٤٩ - بعد مبعث انجرام ، أعيان العرب مسبو

اجاعليه ، القاهرة ١٩٢٢ ص ١٤٩

١٤ (٤) ابن الكلبي ، كتاب الاصلام ٤ ص ١٦

١٥ (٥) البلاذري ، انساب الأشراف ٤ ص ٢٦٦

١٦ (٦) الواقدي ، سنن رسول الله ٤ ص ٢٢٨

يخشروا ولا يمشروا ولا يمتنوا وأن ينتموا باللات سنة ١١١. فأعرض عنهم رسول الله ﷺ فقبلوا أن تكسر اللات، وقول كسرهما كما يزعمون المنيعة بن شعبة، وقيل هدمها وأحرقها بالنار، وفي ذلك يقول شداد بن عارض الجهمي حين هدمت وحرقت ينهى ثقيفاً عن العود إليها :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها	وكيف نصركم من ليس يقتصر ؟
إن التي حرقتم بالنار فاشتعلت	ولم تقاقل لدى أحجارها هدر
إن الرسول متى ينزل بأسهكم	يظعن، وليس بها من أهلها بشر ١٢١

[١٩] نفس المصدر ، ص ٢٢٩

[٢٠] ابن الكلبي ، كتاب الاستبصار ، ص ١٧

- ٣ -

يسثرب

أسماء يسثرب

يسثرب مدينة قديمة ، ورد ذكرها في الكتابات الميعينية ، وكانت من المواضع التي أقامت فيها جاليات من معين ، ثم آل أمرها إلى السبئيين بعد أن دالت دولة انعميين . ومن المعروف أن معين وسبأ كانتا قفرصان نفوذهما على بلاد العرب الشمالية . كذلك جاء ذكر يسثرب في جغرافية بطليموس فذكرت مرة باسم Iathrippa ومرة باسم Iathrippa ، وذكرها اصطيفانوس البيزنطي باسم Iathrippa Polis^(١) .

وعرفت عند الأخباريين باسم أثرب ويسثرب^(٢) ، وذكروا أن يسثرب هي أم قرى المدينة ، وسعدوا حثدادها ما بين طرفه قناة ، إلى طرفه الجرف ، وما بين المال الذي يقال له الثراوي إلى رماله^(٣) . ويذهب بعض الأخباريين

(١) جواد علي ، ج ٣ ص ٢٩٥ - ج ٤ ص ١٨١

(٢) محمد بن محمود بن النجار ، الفرة القديمة في خارج المدينة ، القاهرة ١٩٥٦ ص ٢٢٢
أبو الحسن بن عبد الله السجودي ، كتب ولاء الرضا بأخبار دار المصطفى ، الناصرية ١٣٢٦ - ج ١ ص ٧ - ياقوت ، معجم البلدان ، مادة أثرب ، مطبوعه ٢ ص ٢٣ - أحمد بن محمد القصد المصلي ، كتب عمدة الأمير في مدينة الخزار ، ص ٤١

(٣) الفرة القديمة ، ص ٢٢٤

أنها سميت يثرب نسبة إلى يثرب بن قامية بن هلال بن إرم بن عيل بن عوص
 ابن إرم بن سام بن نوح ، وهو أول من رهاها عند تغرق قرية نوح ^{١١} ورغم
 آخرون أن اسم يثرب مأخوذ من الثرب بمعنى الفساد أو الثريب أي المؤاخذة
 بالذنوب ، وذكروا أن النبي ﷺ نهي عن تسمية يثرب بـ يثرب ، وسماها طيبة
 وطابة كراهية للتثريب ^{١٢} . وذكر البلاذري أن يثرب سميت باسم رئيس للعالمين
 الذين نزلوها بعد أن أخرجوا منها بني عيل بن عوص بن إرم بن سام من ولد
 نوح ^{١٣} . وقد ورد اسم يثرب في القرآن الكريم عند ذكره لما يقوله المنافقون :
 يقول تعالى : « وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله
 إلا غرورا » . وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستئذون
 فريق منهم النبي يقولون أن يئوتنا عورة ، وما هي بعورة ، إن يريدون إلا
 فراراً ^{١٤} ، ويثير السهمودي إلى أن ما وقع في القرآن الكريم من تسميتها بهذا
 الاسم إنما هو حكاية عن قول المنافقين ^{١٥} .

فالاسم للعديم لمدينة الرسول إذن هو يثرب ، وقد اختلفوا فيها إذا كان إسماً
 للمدينة نفسها أو لموضع غصص من أرضها ، أو أنها اسم للناحية التي منها مدينة
 الرسول ^{١٦} . أما اسم « المدينة » الذي أطلق على يثرب بعد الهجرة النبوية فقد
 يكون مأخوذاً من لفظة مدينتنا Medinta الآرامية ومعناها الحى أو المدينة ،
 وقد يكون اختصاراً من « مدينة الرسول » ، واعتقد أنه في كلتي الحالتين أطلق
 عليها بعد الهجرة ، ولم يكن يطلق عليها قبل ذلك وإن كان بعض المستشرقين
 يرى أن اليهود المتأثرين بالثقافة الآرامية أو بعض اليهود من بني إرم الذين نزلوا

(١) السهمودي ، حروج الذهب ، ج ٢ ص ١٤٨ - ياقوت ، معجم البلدان ، ص ٤٩٠ -
 حيدرة الأثير ، ص ٩) .

(٢) ياقوت ، نفس المرجع - السهمودي ، ج ١ ص ٨ - حيدرة الأثير ، ص ٤٢

(٣) البلاذري ، اسباب الكرامات ، ص ٦ - السهمودي ، حروج الذهب ، ج ١ ص ٤٢

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأحزاب ٢٣ ، آية ١٢ ، ١٤

(٥) السهمودي ، ج ١ ص ٨

(٦) نفس المصدر ، ص ٧

يثرّب وعوها مدينتا ، ومن هذه اللفظة جاءت لفظة « المدينة » أي أن لفظة المدينة كانت تطلق قبل ظهور الإسلام على يثرّب^(١١) .

ويتفق الأخاريون على أن يثرّب سميت بمدينة الرسول لظول رسول الله بها^(١٢) ، ولنفوره من اسمها القديم سواء كان بمعنى التثريب أو الانسداد أو لأنه اسم رئيس من المعاينة الذين ملوا بها في العصور القديمة فيما يقرب من سنة ٢٦٥٠ ق.م. على حد قول بعض الباحثين المحدثين^(١٣) .

وذكر الأخاريون أن يثرّب أو المدينة ٢٩ اسماً ، هي : المدينة ، وطيبة ، وطابسة ، والمسكنية ، والمعدراء ، والجارية ، والمهبة ، والمجبورة ، ويثرّب ، والناحية ، والموقية ، وأكالة اللدان ، والمحفوفة ، والسلة ، والمجنة ، والقدسية ، والماسحة ، والمرزوقة ، والشافية ، والحقيرة ، والمحبوبة ، والمرحومة ، وجارية ، والمختارة ، والمحرمة ، والقاسية ، وطابا^(١٤) . وأضاف إليها بعضهم البحرة ، والبارة ، واليرة ، وقندر ، والحسية ، ودار الأبرار ، وحسنة ، ودار الأخيار ، ودار الإيمان ، ودار السلة ، ودار الهجرة ، والمختارة ، وخبلة ، وقبة الإسلام ، والمحفوفة ، ومدخل صدق ، والمقدسة^(١٥) . وجعلها اليهودي ٩١ اسماً^(١٦) ، أما ابن زبالة فيجعل أسماءها ١١ اسماً هي المدينة ، وطيبة ، وطابسة ، والمسكنية ، وجارية ، والمجبورة ، والمرحومة ، والمعدراء ، والمهبة ، والمحبوبة . وقاسية^(١٧)

(١) راجع جواد علي ، ج ٢ ص ١٨١

(٢) ياقوت ، مادة يثرّب ص ٤٢٠ - ومادة مدينة يثرّب ، مجلد ٤ ص ٨٢

(٣) بولاي محمد علي ، محمد رسول الله ، ترجمة الأستاذ مصطفى مهدي ، القاهرة ١٩٤٥ ص ٨

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة مدينة يثرّب ، ص ٨٢

(٥) صحاح الألفاظ ، ص ٤١

(٦) اليهودي ، ج ٤ ص ١٩

(٧) الدرر المدينة ، ص ٢٢٢

وكل هذه الأسماء عرفت بها المدينة بعد الهجرة ، أي في العصر الإسلامي باعتبارها دار الهجرة ، وركز الدولة الإسلامية في عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين^(١) وهناك اسم عرفت به بحكم طبيعة موقعها الجغرافي بين حرتي واقم ورومة ، فهي ذات الحرار أو ذات الأحرين^(٢) . ومعظم أسماؤها صغائر لها وصفت بها لتعظيمها وإظهار فضائلها ومآثرها .

ب - جغرافية يثرب : الموقع والمناخ

تقع مدينة يثرب على بعد نحو ٥٠٠ كيلومتراً إلى الشمال من مكة في بسيط من الأرض مكشوف من سائر الجهات^(٣) ، في حرة سبخة الأرض كثيرة المياه والشجر والنبوءات ، وأقرب الجبال إليها هو جبل أحد ، ويقع شمال يثرب^(٤) ، في حين يقع جبل عير في جنوبها الغربي . وجبل عير حبلان أحمران متقاربان ببطن العقيق : أحدهما عير الوارد ، والآخر عير الصادر^(٥) . وإلى الشرق من يثرب يقع الشرقد ، وإلى الجنوب منها تقع قرية العرع على الطريق المؤدية إلى مكة . إلى القبة ، وإلى الجنوب منها تقع قرية العرع على الطريق المؤدية إلى مكة .

ووادي العقيق من أخصب متاحق يثرب ، ويبعد عنها من جهة الغرب بنحو ثلاثة أميال ، وقيل ستة أميال ، والعقيق مجموعة أعقة (أي أودية تنحدر للسهول) : أحدها عقيق المدينة ، عرق عن حرتها وهذا العقيق الأصغر ، وفيه بئر رومة^(٦) ، ولتقع بئر رومة إلى الشمال الغربي من يثرب على مسافة ساعة منها ، بالقرب من مجتمع الأسياال ، في راح من الأرض ، وكانت ملكاً لليهودي

(١) لحد الشريف : مكة والمدينة ، ص ٢٩٢

(٢) التسمودي ، ج ١ ص ٩١

(٣) مرآة الصحاح ، ج ١ ص ٧٠

(٤) بلقوش ، معجم البلدان ، هذه طبقة يثرب ، ص ٨٢

(٥) نفس المصدر ، بلدة عير ، دجلة ٢ ص ١٧٢

(٦) نفس المصدر ، بلدة عقيق ، ص ١٣٩ - القبة القبة ، ص ٢٤٤

في الجاهلية ، فاشترعاهم عتبة بن ربيعة ، ونصرت بها على المسلمين في عهد الرسول ^(١١) . ويحيط العتيق بيزرب أيضاً من جهة الجنوب الغربي ، ولكنه يبعد عنها من هذه الجهة ، فهو يقع بعد قضاء ، إلى الشمال من وادي النقيع ، وكانت تشغله غابات كثيفة . أما من جهة الغرب فكان يمتد إلى ما بعد دى الحليفة عند آثار علي ، وكانت الرسول ^(١٢) قد أقطعه بلال بن الحارث المزني ، ثم أقطعه عمر الناس .

ومن وديان المدينة الأخرى : وادي بطحان ويقع إلى الغرب من يزرب ، ووادي راوون ، ويبدأ من جبل غير قبلي المدينة ، ويمر بقباء ثم يختلط بوادي بطحان . ومن أوديتها أيضاً وادي مذنب في الجنوب الشرقي ، وهو شعبة من مطحان ، ووادي قناة ، ويقع إلى الشمال الشرقي من يزرب ، ووادي مهزور في الجنوب الشرقي ، ويأتي من الحرة الشرقية حرة واقم ^(١٣) . وبالعتيق حرسطان : هما عرساة البقل وعرساة الماء ، وثلاث جمادات هي جماد تضرع ، وجماد أم خالد ، وجماد العاقر . والعرساة أرض فضاء مكسوة لا يقوم فيها بناء ، أما الجماد فهضبة مسطحة لا تقوم لها ، والعرسطان من أكرم بقاع المدينة .

وحرات المدينة ثلاث : هي حرة واقم في الشرق ، وحرة الويرة في الغرب ، وحرة قضاء في الجنوب ، والقرب من المدينة ثلاث حرات أخريات هي : حرة شوران وتقع على يسار الوائف بطن العتيق يربد مكة ^(١٤) ، وحرة ليلى لبي مرة بن عوف بن ديان ، يطلوها الحاج في طريقهم إلى المدينة ، وحرة النار بالقرب من حرة ليلى ^(١٥) .

(١) سورة الحديد : ج ١ ص ١٤٠

(٢) السجدة : ج ٢ ص ٢١٠ وما يليها - سورة الأنعام : ص ٢٨١ وما يليها -

للحرير : ج ٤ ص ١٢١

(٣) بالنسبة : صحيح البخاري : مادة حرة : ج ٢ ص ٢١٧ - سورة الأنعام : ص ٢٨١

(٤) سورة القصص : ص ٢٤٨ - سورة الأنعام : ص ٢٦٢ وما يليها

أما حرة واقم الواقعة إلى الجهة الشرقية من يثرب هي أشهر حرات بلاد العرب ، وثرثبها من أغصب بفاع يثرب ، ودكروا أن واقم اسم رجل من المهاجرين سميت به ، وقيل أنه اسم أطم من أطسام بني الأشهل إليه تصاف الحرة ، وكانت تسكن أرض هذه الحرة بطون من الأوس مهايمو عند الأشهل ، وبنو ظفر ، وبنو معاربة ، كما كانت تسكنها أيضاً فنانل من اليهود من بني قريظة والنضير . وهذه الحرة كانت وقعة الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في سنة ٥٦٣ هـ ، وقد عرفت حرة واقم أيضاً بحرة قريظة ، لأنهم كانوا ينزلون بطرقها القلي ، كما عرفت أيضاً بحرة زمرة لمجاورتها لها . ورهرة قرية من أعظم قرى يثرب بين حرة واقم والسافة وكان بها ٣٠٠ صائغ^١ .

أما الحرة الغربية ، فتعرف بحرة بني يافض أو حرة الوبر ، وتقع على ثلاثة أميال من يثرب ، وتشرف هذه الحرة على وادي المقيق الذي يليها غرباً^٢ ، ويبدأ من موضعها الطريق إلى مكة^٣ . ويشبه مناخ يثرب مناخ مكة ، فالحرارة تشتد في الصيف ، والبرودة تشتد في الشتاء^٤ ، وتسقط الأمطار وتحدث سيولاً في كثير من الأحيان ، فقد سال وادي ميزور ، من بدابته عند حرة سوران والنفائنه مع وادي بطحان في زغاية ملتقى الميول ، سال هذا الوادي في خلافة عثمان بن عفان سبلاً عظيماً على المدينة حشي منه عليها من الفرق ، فأقام عثمان الردم الذي يقع عند ممر مدرى لرد السيل عن المسجد وعن المدينة . وسال مره أخرى في خلافة أبي جعفر المنصور في سنة ١٥٦ هـ ، فذهب إلى المدينة للناس

١) التمهيد ج ٤ ص ٢٨٦

٢) ياقوت ، مادة الحرة - مادة الأشهل ، ص ٢٦١

٣) التمهيد ج ٢ ص ٢٢٠

٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٦٠

٥) أيضاً الشريف مكة والمدينة ج ٢ ص ٢٨٨

٦) وفي ذلك رأى ج. ج. أن الذي قال ج. ج. غير على أوامر المدينة وجرها كتبت له يوم

نفسه ، ففما وثقه ج. ج. ياقوت ، ففهم النصارى ، مادة ميمه يثرب ، ص ٨٢

أصرف مياهه في وادي البطحان^{١١١}. وتسقط الأمطار عادة في أوقات قصيرة ، ولكنها تهطل في عصف فتحدث هذه السيول ، وقد حدث أن غابت الأمطار ، وعزت على المدينة فترة طويلة ، ولكنها لم تلبث أن جاءت بعد أن صلى النبي بالمؤمنين صلاة الاستسقاء ، واعتد سقوطها أسبوعاً حتى بدأت بعض بيوت المدينة تنهار ، وانقطع المرحى عن الماشية بسبب كثرة مياه الأهطار ، فاضطر الرسول إلى أن يسأل الله اللطف ، ورفع يديه إلى السماء ثم قال : « اللهم حولينا » أي أنزل المطر حولينا ، ولا تنزل علينا ، والمراد صرفه عن الأبقية^{١١٢} . وتتخلف عن الأمطار غدران وصلقعات وبرك ، ومن المفيد أن المشورة بوامي المقيق غدير السدر و غدير السدر ، و غدير خم ، و غدير سلا ، و غدير البيوت ، و غدير حصير ، و غدير الجواز ، و غدير المرسى^{١١٣} . وكانت هذه الغدران والبرك عندما تتعرض لموامل النحر ، تزيد مالوحة مياهها بالإضافة إلى ما يسبب ركود المياه فيها من أمراض وحميات ، وظاهرة انتشار الأربطة والأمراض بالمدينة من الظواهر المألوفة فيها. فقد قدم الرسول وأصحابه إلى المدينة ، وهي وية ، فاشتكى أبو بكر ، واشتكى بلال ، ففأ رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال : « اللهم حبيب إلينا المدينة كما حبيت مكة أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدنها ، وحول حماها إلى الجحفة »^{١١٤}. فالمدينة كانت على حد قول بلال : أرض الوباء^{١١٥}. وكانت سبب هذه الحمى أن مياه بطحان كانت أحمرة ، وروى ابن اسحق : أنه لما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحمى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله عن نبيه ﷺ ، قالت (عائشة) : فكان

(١) السجودي ، ج ٢ ، ص ٢١٧ ، ٢١٨

(٢) أحمد بن محمد القسطلاني ، كلب أركان المعري لشرح صحيح البخاري ، ج ٢ ،

ص ٢٧٢ وما يليها (القاهرة ١٢٨٨ هـ)

Lammana, le berceau de l'Islam, t. I. p. 23

(٣) السجودي ، ج ٢ ، ص ٢١١

(٤) ابن عشاء ، السيرة ، ج ٢ ، ص ١٢٩ - السجودي ، ج ١ ، ص ٢٦

(٥) لقنن المسفر

أبو بكر وعامر بن خيرة وبلال موليا أبي بكر مع أبي بكر في بيت واحد فحاصبتهم
الطير ففعلت عليهم أحرهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وهم ما لا يعلمه
إلا الله من شدة الورع^(١) فدفنوا من أبي بكر فقلت : كيف تجده يا أبا ثابت أي
كيف تجد نفسك ؟ فقال :

كل امرئ مصحح في أهله والموت أدنى من شرالك نعمة

قلت : والله ما يدري أبي ما يقول . ثم دفنوا إلى عامر بن خيرة فقلت :
كيف تجدك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حقه من لوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالنور يضيء جهنم بوقه

قلت : فقلت ما يدري عامر ما يقول . وقالت : وكان بلال إذا ركنه الطير^(٢)
لمضطجع بفناء البيت ثم رفع عقبره وقال :

ألا ليت شعري هل أبيق لي به بئع وحولي أخضر وجليل

و هل أريد من حيا صباه عنة وهل يبذون لي شامة وطفيل^(٣)

ويصح الأخباريون هل أن الربذة كان شديدا عند دخول النبي يارب^(٤) وذكر
ابن اسحق عن هشام بن عروة قال : « وكان وبلاها معروفيا في الجاهلية »^(٥).

وكان مناع يارب مستدلا بوجه عام^(٦) ، وقد حيا ذلك الجمال بالإضافة إلى
توافر الماء وخصوبة القرية إلى اشتغال سكانها بالزراعة وجعل زراعتها يارب تقوم
على التخييل والشعر والقصص ، وعلى الفواكه مثل اللب والرمان والموز والقيصون

(١) ابن عسك : المصنف ج ١ ص ٢٤٨ - المرة الأخيرة في تاريخ المعينة ج ١ ص ٢٢١ -
السيدودي ج ١ ص ٦٦ - ٦٠ - مجلة الأخبار ج ١ ص ٢٨٢ - والتشبية والطفيل جيلان
سكة ، مجلة قسم موزيل بمكة ،
(٢) نفس المصدر ج ١ ص ٢١
(٣) بلال وعروة ، أنما طيبة الريح ج ١ مادة دخيلة يارب ج ١ ص ٥٧
(٤)

والبطيخ ، والخصروات (١١) . وقد أوى كثير من أهل يثرب من الزراعة ومهم غنريق اليهودي الذي أوى وكثرت أمواله من العمل (١٢) .

ج - سكان يثرب :

يزعم الأخباريون أن أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخيل ، وعمر بها الدور والأطام ، واتخذ بها الضياع ، المالبق ، وهم بنو علقان بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وكان بسكن المدينة منهم بنو هف وسعد بن هفان ، وبنو مطرويل (١٣) ، ثم نزل اليهود يثرب ، وكان سبب نزولهم يثرب وأعراسها وفقاً لروايات الأخباريين أن موسى ابن عمران بعث يثرباً عنهم إلى المالبق فقال لهم حتى قنا م . وكان هذا أول سكنى اليهود بالحجاز وبشرية (١٤) . ويسند الدكتور جواد على هذه الرواية لافتقارها إلى سند (١٥) . ولكن بني قريظة يزعمون أنه لروم ظهوروا على الشام فقتلوا من بني إسرائيل خلقاً كثيراً ، فخرج بنو قريظة والتنضير وهذا هاربن من الشام يريدون الحجاز الذي فيه بنو إسرائيل ليسكنوا معهم ، فلما فصلوا عن الشام وحده ملك الروم في طلبهم من يردهم ، فأعجزوا رسله وقاتلهم (١٦) . وذكر بعض الرواة والأخباريين أن علماء اليهود كانوا يحدون في التوراة صفة النبي ، ﷺ ، وأنه هاجر إلى بلد فيه نخيل بين حرتين ، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفة حرصاً منهم على اقتبائه ، فلما رأوا ثياباً وقيل المدينة ، وفيها النخل عرفوه صفت ، وقالوا هو البلد الذي زريده ، فنزلوا (١٧) . ويميل الدكتور جواد على إلى الأخذ برواية بني قريظة إذ تتضمن شيئاً من الحق .

(١١) أحمد الشريف ، ص ٢٥٦ و٢٥٧ .

(١٢) ابن هشام ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

(١٣) دجوت ، محمد الداني ، مادة بجمه يثرب ، ص ٨٤ - اليهودي ، ج ١ ، ص ١٠٠ .

(١٤) اليهودي ، نفس المصدر ، ص ١١٢ .

(١٥) جواد على ، ج ٢ ، ص ١٨٩ .

(١٦) دجوت ، نفس المصدر - اليهودي ، ص ١١٩ .

(١٧) نفس المصدر - اليهودي ، ص ١١٩ .

فلما كان سيل العرم ، نزل يشرب قبائل الأوس والخزرج ابنا حادثة بن ثعلبة
 ابن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ، وأمه قبة
 بنت الأرقم بن عمرو بن حنفة ، وقيل قبة بنت مالك بن عذرة من قضاعة ،
 وقيل قبة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد ، ولذلك سمي الأوس والخزرج
 بنو قبة . وكان ملك بني إسرائيل على يارب الفيلطون ، وقبيل الفيلطون ،
 وكانت رجلاً صلياً يمشي على نساء الأوس والخزرج ، فقتله منهم مالك بن
 العجلان بن زيد السلمي الخزرجي وفر إلى الشام ، فنزل على ملك من ملوك غسان
 يقال له أبو جبية ، وقيل فر إلى اليمن وقصد تبع الأصغر بن حسان تبع ، ويميل
 الأخاريون إلى الأخذ بفراره إلى الشام . فوعده أبو جبية الضماني^{١١} بنصرة
 الخزرجي ، وسار إلى يشرب ، وتحابيل على قتل رؤساء اليهود ، فصار الأوس
 والخزرج منذ ذلك الحين مادة يشرب وصارت لهم الأموال والأطعام ، وتفرق
 الأوس والخزرج في عالية المدينة (جنوباً) وسافلتها (شمالها حتى أحد)^{١٢} .
 وقصة استبداد الفيلطون يشرب واعتدائه على نساء الأوس والخزرج قصة
 استبداد ملوك فلسطين في الحياة يحدس واعتدائه على نساء الأمر الذي دعا
 الأسود بن عفارة سيد جدس إلى قتل ملوك^{١٣} .



كانت يشرب في الجاهلية تضم كئلتين رئيسيتين من السكان: اليهود والعرب :

١ - اليهود :

أدت الثورات التي قام بها اليهود في أورشليم على الرومان إلى قيام هؤلاء

(١١) نسخة العارث بن جبلة للفسقي

(١٢) بالوس ، مجسم (بطلان) مادة طعمه يشرب ، من ٨٦ - السجودي ، ج ١ ص ١٦٦ وما بعدها

(١٣) السجودي ، مروج الذهب ، ج ٢ ص ١٢٦ وما بعدها

بتشيتهم وطردهم من فلسطين ، وعدج معيهم على يد الامبراطور الروماني
 طيطس ، في سنة ٧٠ م ، وفرت جموع كثيرة من اليهود على أثر ذلك إلى جزيرة
 العرب ، فاستوطن بعضهم أخصب بقاع الحجاز في يثرب وقدة وخيبر ووادي
 القرى وتيها ، كما نزل بمصم اليمن ، وتمكنوا من تهويد جماعة من أهلها^(١) .
 وكان يمش في يثرب عند هجرة اليهود إليها جماعات يهودية قديمة كانت قد نزحت
 إليها في عهود قديمة ، وقلمبت عليها من أصحاب الميثاق ، فاجتمع يثرب سنة
 ٧٠ م كان يتألف من اليهود القدامى الذين نقلوا على البقي يثرب^(٢) ، ومن اليهود
 الجدد الذين تحفروا من بلاد العرب دار هجرة أمام علماء الرومات لهم^(٣) ،
 واختاروا من جزيرة العرب أخصب مواضعها مثل وادي القرى ، وهو واد خصب
 غريب المياه كان محطة من محطات الطريق التجاري القديم الذي يصل بين الشام
 واليمن ، ومثل واحة خيبر وهي حرة خصبة ذات مياه وفيرة .

وفي يثرب أقام اليهود أطاماً وهي حصون يهاون إليها في أوقات الفارات
 ويتحصن فيها النساء والأطفال والشيوخ عندما يخرج رجالهم إلى القتال ، كما
 حدث عند حصار الرسول ليهود بني النضير في العام الرابع للهجرة ، فتحصنوا
 منه في الحصون^(٤) ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ما أصاب الله اليهود من نقمته
 في قوله تعالى : « هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول
 الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم ماننتهم حصونهم من الله ، فأناهم الله
 من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب ، يخربون ديارهم بأيدي
 المؤمنين ، فاعتبروا يا أولي الأبصار »^(٥) .

(١) جوف علي ، ج ١ ص ١٧٨

(٢) بحته أحمد رائق ، وبحته يوحنا المصيون ، بحته واليهود ، سلسلة « مع الحرب »

عدد ١٩ ص ١٩ — بحته جمال المدر سرور ، قيام الدولة العربية الإسلامية ، ص ١٢

(٣) بحته أحمد رائق ، ص ١٩

(٤) ابن هشام ، النسب ٤ ج ٢ ص ٢

(٥) القرآن الكريم ، سورة الحشر ٥٩ آية ٢

كان يهود يثرب يتجمعون في قرى أعدوا فيها هذه الحصون والأطام ، وقد أشار الله تعالى في القرآن الكريم إلى هذه القرى ، في قوله تعالى : لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقوههم شتى ، ذلك بأسهم قوم لا يعلمون^{١١} . وكان اليهود يثرب بيت يعرف باسم بيت المدراس^{١٢} ، كان يجلس فيه علماءهم وأحبارهم ورعايوهم بتدارسون للتوراة ويفصلون فيها شجر بينهم . وكان اليهود عندما نزل بينهم وحولهم الأوس والخزرج يريدون على عشرين قبة ، وذكر بن النجار أن أطامهم كانت قبة وخمسين أطماً ولا حرب التارلين عليهم قبل الأوس والخزرج ثلاثة عشر أطماً^{١٣} . وكان ممن بقي من يهود يثرب عند نزول الأوس والخزرج : بنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو محمد ، وبنو زعورا ، وبنو قينقاع ، وبنو ثعلبة ، وأهل دهره ، وأهل ربالة ، وأهل يثرب ، وبنو القصيص ، وبنو فاعصة ، وبنو ماسكة ، وبنو القمعة ، وبنو ريد اللات وهم رهط عبد الله ، وبنو عكوة ، وبنو مرارة^{١٤} . وكان جمهور اليهود ينزلون مجتمع السبيل : سيل بطحان والعقيق وسيل قنعة ، وخرجت قريظة وإخوانهم بنو هذيل وحمره ، فنزلوا بالعالية على وادي مذنيب ومهرور ، فنزل بنو النضير على مذنيب ، ونزل بنو قريظة وهذيل على مهرور ، وكانوا أول من احتقر بها الآثار واعتزم الأشجار ، وامتوا الأطام والمنازل^{١٥} . ومن أولاد هذيل أو هذيل ثعلبة وأعد ابنا سمعة ، وأعد بن عبيد ، ورفاعة بن سمائل ، وسحبت وعنه ابنا هذيل^{١٦} . وكان بنو قينقاع يسكنون عند منتهى جسر

١١ القرآن الكريم ٥ سورة الحجر ٥٩ آية ١

١٢ ابن هشام ٢ السيرة ٤ ج ٢ ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٢١٢

١٣ الفرد النجدة ١ ص ٢١٤ - السجودي ٤ ج ١ ص ١١٦ . ولك أن المعار أنه رجل

المدينة قبل الأوس والخزرج أجداد من العرب من بني ثعلبة بن بني مره ، وبني

معاوية من الخزرج بن ربيعة بن جهم غيلان وبني النخعيان من بني

١٤ الفرد النجدة ٤ ص ٢٢٦ - السجودي ٤ ج ١ ص ١١٢

١٥ نفس المصدر ١ ص ٢٢٥

١٦ السجودي ٤ ج ١ ص ١١١

«طحان ما يلي العالية» ، ونزل بنو حجر عند الشربة التي عند الحسر ، ونزل بنو زعورا عند مشربة أم إبراهيم ، ونزل بنو زيد اللات قريبا من بني قصينة^(١١) .
وأكبر هذه القبائل اليهودية ثلاث : بنو قريظة ، وبنو النضير ، وبنو قينقاع عاشت في منازلها من يشرب ، ويحوارهم أقامت بطون يهودية صغيرة ، وتأثر اليهود بحيرانهم العرب ، فاندغموا إلى قبائل وبطون ، واتخذوا أسماء عربية ، وكانوا يتخاطبون بالعربية ، ولكنها كانت عربية تتداخل فيها رطانة عبرية^(١٢) ، ولكنهم مع ذلك ظلوا يؤلفون طبقة متحاذرة عن 'عرب' ، فكانوا يحافظون على انكسابهم إلى المدن والأقاليم التي قدموا منها ، كما أنهم سموا لمعالم يشرب ومواسعها أسماء عبرية ، فوادي بطحان يعني بالعبرية ، الاعتاد ، ووادي مهور منناه مجرى الماء ، ويشر أريس لا ينسب إلى شخص بهذا الاسم ، ولكن أريس تعني في اللغة العبرية الفلاح الطارث^(١٣) . وكان اليهود يخشون على أنفسهم من حيرانهم العرب ، ولملمهم أدركو أن قراهم المحصنة ومزارعهم الفنية بالأشجار والثمار ، ووديانهم التي تفيض بالمياه ، وآبارهم وعيونهم العديدة ، سوف توجه إليهم أنظار عرب الصحراء ، ولذلك عمدوا إلى الإكثار من بناء الأكام والحصون ، وازدادت هذه الحصون كثرة بعد نزول الأوس والحزرج وتطلعهم إلى السيادة والعلوية .

٢ - العرب :

كان يسكن يشرب قبل نزول اليهود الأوائل قبائل عربية فنسب إلى العماليق ، وقد قلب اليهود الوافدون على العرب ، وأصبحت لهم السيادة عليهم ، فلما كثرت اليهود في المدينة عقب هجرهم من أورشل بعد عام ٧٠ م ، أصبحت لهم الغلبة على يشرب وعلى القبائل العربية التي كانت تسكنها ، فقد ذكر ابن النجار أنه كان يسكن يشرب مع اليهود بطون عربية من اليمن ومن بني ومن سليم بن منصور بن

[١١] المرجع السابق ، ص ١١٦

[١٢] وانستون : اسرئيل ، تاريخ اليهود في بلاد العرب : القاهرة : ١٩١٧ ، ص ٢٠

[١٣] لحد الشريف : مكة والمنطقة ، ص ٢٦٨

عكرمة من قيس عيلان ، وبغايا من الماهليقي ^(١١) .

ثم كانت هجرة الأوس والخزرج البنيين إلى يثرب بعد هدم سد مأرب ، والأوس والخزرج في روايات الأخباريين ولدا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن اسرى القيس الذي يرتفع نسبه إلى الأزدي بن الفوث بن مالك بن كهلان . ويسمون قبائل الأوس إلى أوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء ابن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة القطراني من امريء القيس البطريق ^(١٢) .

ترك الأوس والخزرج في يثرب وأقاموا مسح اليهود ، وكانت الأموال والأطام والتخيل في أيدي اليهود ، وكانت الفلسفة والمنفعة لهم أيضاً ، فسأهم الأوس والخزرج أن يعقدوا معهم حلفاً وجواراً يأمن به بعضهم من بعض ، فتعاقدوا وتحالفوا ، واشتركوها وتماثلوا ^(١٣) . أما الأوس فقد سكنوا جنوب وشرق يثرب ، وأما الخزرج فسكنوا في الشمال الغربي من يثرب ، وجاوروا قبيلة بني قينقاع اليهودية .

بنو الأوس

أنجب الأوس بن حارثة مالكا ، فالنجب مالك بن الأوس عوفاً وحمراً (وهو النبيت) ومرة (ومم الجعادرة) وجشم ، وامريء القيس ، وأسمهم كلهم هند بنت الخزرج . أما عوف فالنجب من الأولاد حمراً والحارث ، وهما أهل قباء ، ومن أولاد عمرو بن عوف . عوف وثعلبة وجبيب ووائل ولوفان . أما عمرو بن مالك فقد أنجب الخزرج بن عمرو ، عامر بن عمرو (ومم النبيت) ، فمن الخزرج ابن عمرو : الحارث وكعب ، فكان للحارث بن الخزرج جشم وحارثة ، وكان

(١١) القرية اشبية ، ص ٢١٥

(١٢) ابن حزم ، جيرة لقبيل العربية ، ص ٢١٢

(١٣) القرية للشبلة ، ص ٢٢٦ - قيسوذي ، ج ١ ص ٢٢٥

لحشم عبد الأشهل ورعوداه وعمرو والجريس

أما حشم بن مالك بن الأوس فكان له من الولد : عبد الله (وهو خطمة) ،
وأما أخرى القيس بن مالك : فقد كان له من الولد : مالك والسلم .
وأما بنو مرة بن مالك وهم الجمادرة هم : عامر وسعد ، فكان لهما من
الولد قيس .

بنو الخزرج *

ولد للخزرج بن حارثة خمسة هم : عمرو وعوف وجشم وكعب والحارث
أما عمرو فأنجب ثعلبة ، وأنجب ثعلبة قيس الله وهو السجاري ، وأنجب للنجار
مالك وعدى ومازن وديلمو .

وأما عوف فقد كان له من الولد : عمرو وعثم وقطن ، فأنجب عمرو بن عوف
هوفاً وسالمًا وشما وهذلاً .

وأما جشم ، فكان له من الأولاد : غضب وزيد ، ومن ولد غضب مالك ،
فأنجب يزيد بن جشم صاردة .

وأما الحارث فأنجب الخزرج وشما وزيداً وعوفاً وصخرأً وجرد شا .

وأما كعب بن الخزرج فكان من ولده ربيعة ، فأنجب ساعدة الخزرج ،
فأنجب الخزرج طريفاً وعمراً ، ومنهم سعد بن عبادة ^(١) .



رأبنا أنت الأوس والخزرج الزاغبين عقدوا مع اليهود المتكلمين على يثرب
وأصحاب العدد والقوة حواراً وحلفاً ، يأمن به بعضهم من بعض ، ويمعون به

(١) ابن عسمة ، المصنف ، ص ٢٦ ، ٢٧ — ابن جرير ، جيزة لسبب العرب ص ٢١٢ —
— ابن عسمة ، كتاب السير ، ج ٢ ص ١٩٨ وما يلحقها

من سواهم ^(١) . ويبدو أن يهود يقرب رجوا بمقد هذا الحلف لضمان سيادتهم على يثرب ، ولكنهم يستخدموا حلفاءهم في رد أي غزو خارجي على يثرب ، ثم أنهم كانوا يسمون إلى الإبقاء على صلات الجوار بينهم وبين قبائل العرب في المدن والتجمعات العمرانية المجاورة لـ يثرب ، ووجود أحلاف لهم في يثرب يمكن بلوقدم على المدينة من جهة ، ويقوي تصاهرهم بالاندماج بين العرب من جهة ثانية ، ويسبغ على سيادتهم على يثرب نوعاً من الشرعية . ولعلمهم كانوا يفكرون في الإغادة من خبرات هؤلاء الواقدين من عرب اليمن في الجهاد الزراعي وهي خبرات اكتسبوها منذ القدم في أراضيهم اليمنية التي هاجروا منها ، فأرادوا أن يتخذوا منهم أعواناً في فلاحه الأرض ، ويصطنعوهم في الأعمال التجارية التي برع عرب الجنوب فيها ، فيشتغلون لحسابهم ، وبذلك تمو ثرواتهم ، وترده أموالهم ..

وقع الأوس والخزرج بأدىء ذي بدء بتماثلهم مع اليهود وبالاشتغال لهم ، عليهم يصيروا من وراء ذلك مكاسب تهيء لهم مشاركة اليهود في استغلال مصادر الثروة في يثرب ، والاستثمار مستقبلاً بهذه الثروات عندما يقوون عليهم . ومع أن الأوس والخزرج قنعوا بمجاورة اليهود ، ومع أن هؤلاء كانوا متفوقين على العرب من حيث القوة العددية والقوة ، فقد كانوا يخشون أن يقوى العرب عليهم ذات يوم ، فيتمكنوا من انتزاع السيادة على يثرب من أيديهم ، فترام يكثرون من اتحاد الأوطام والحصون ، وراقبوت العرب عن كتب . ومضى على الحلف المنعقد بين اليهود والعرب زمان طويلاً ، فأقرى الأوس والخزرج ، وصار لهم مال وعدة ، فصارأت قريظة والضير حالهم حافوهم أن يظليوهم على دورهم وأموالهم ، فتمتمروا لهم ، وقد حطم الحلف الذي كان بينهم ، وكانت قريظة أعدوا وأكثروا ، فأقامت الأوس والخزرج في منازعهم وهم خائفون أن تخنلهم يهود ، حتى نجى منهم مالك بن النجلاء ، أخو بني سالم بن عوف

(١) ابن رسته ، ص ٦٢ - القرطبي مشنقة ، ص ٢٢٦

ابن الخزرج^(١).

واسم اليهود بمصر يثرب ، وكانت اليهود بعد الفلبه والكثارة ، وهز على العرب أن يستبد بهم أغراب لا تربطهم بالعرب حبة ، وكان قد ظهر من بين الأوس والخزرج شاب قوي طموح هو مالك بن المجلان ، سوده الحيان عليهما ، وألف مالك أن يظل قومه تحت رحمة اليهود في الوقت الذي استطاع ذووه من بني عمرو ابن عامر الأزدي أن يصيبوا ملكاً لهم في الشام ، والمصريين والبحرين ، فعزم على أن يصنع حداً لتدود اليهود على قومه ، فوثب برعم يهودي يقال له الفطيون وقتله ، وخرج حتى قدم لشام فنزل على أبي جينة الصافي ، من ملوك غسان^(٢) ، وقبل أن مالك أرسل إلى أبي جينة الصافي رسولا من قومه هو الدمقي بن زيد ابن امرئ ، القيس أحد بني سالم بن عوف بن الخزرج^(٣) . ويستعد السهمودي ما ذكره الأخباريون من اعتداء الفطيون ملك يهودي يثرب على بنات الأوس والخزرج ، وسواء أرسل مالك رسولا من قومه أم ذهب هو بنفسه إلى ملك غسان لالتباس نصرته على يهود يثرب ، فمن الملك الصافي لم يفرده في تسير حشد من قواته إلى يثرب لمصره الأوس والخزرج ، ويذكر الرواة وأصحاب الأخبار أن ملك غسان عاهد الله لا يبرح حتى يخرج من بها من اليهود أو يدهم ويصيرهم تحت يد الأوس والخزرج ، وذكروا أنه سار إلى بلاد العرب متظاهراً بقصد بلاد اليمن حتى اقترب من يثرب ، وانصل بوفد من الأوس والخزرج ، فاتفق معهم على أن يتكتموا خبر وصوله حتى لا يتحصن لليهود في آطامهم فلا يقدر العرب عليهم ، وبصحه الأوس والخزرج بأن يدعمه للقائهم ، ويتلطف بهم ،

(١) ابن رستم ، ص ٦٢ - انظر النسخة ، ص ٢٢٧ - السهمودي ، ج ١ ، ص ١٢٥

(٢) ذكر ابن حزم أن أما جينة الملك بصيني الذي استقر به مالك بن المجلان لقتل يهود المدية قال ابن رستم أنه بن جيب بن عبد خنزل بن مالك بن غنم بن جهم بن الخزرج . ابن حزم ، ص ١٢٦ - تنسب العرب ص ٢٣٦ . ولكننا لم نسج عن حد ملوك قيس بن بكر هذا الاسم أو نسب إلى الخزرج ، وليس من بطون الخزرج عسائي ، راجع السهمودي ، ج ١ ، ص ١٢٦ ، والراجح أنه أندلسي الخزرج سار إلى انشليم وبرزل في ديار الفيلسفة والفسطاط ، وأصبح أميراً بين أمراءهم .

(٣) انظر النسخة ، ص ٢٢٧

حتى يأتوا جانبه فيتمكن منهم . فصنع ملك غسان اليهود طعاماً ، وأرسل إلى وجوههم ورؤسائهم ، فقدموا ، ثم وثب بهم وقتلهم عن آخرهم . فلما تم له ذلك أصبح العرب للقبلة على يهود يثرب ، فغزت الأوس والخزرج بالمدينة ، واتخذوا الديار والأموال ، وتفرقت الأوس والخزرج في عالية المدينة وصافلتها ، وبعضهم نزل في مناطق لم تكن مأهولة ، فعمرها ، ومنهم من لجأ إلى قرية من قرى يثرب ، واتخذوا الأموال والأطام ، فابتنوا مائة وسبعة وعشرين أطماً^(١) . وروى السهوي عن ابن ربيعة أن بني عبد الأشهل بن جشم ، وبني حارثة بن الحارث بن الخزرج الأصغر بن عمرو بن مالك نزلوا دار بني عبد الأشهل بطرف الحرة الشرقية ، وأتى بنو عبد الأشهل أطماً يقال له واقم ، وبه سميت الناحية كما ابتنوا أطماً يقال له الرعل ، وأطاماً أخرى غيرها . وابتنى بنو حارثة أطماً اسمه المسير^(٢) ، آلت ملكيته إلى بني عبد الأشهل بعد خروج بني حارثة من ديارهم إلى موضعهم الذي نزلوه في الشمال الشرقي من يثرب ، وذلك عقب حرب فاصت بينهم وبين بني عبد الأشهل . ونزل بنو عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس قباء ، فابتنوا أطماً يقال له الشيف ، وأطماً آخر يقال له واقم بقباء في جنوب يثرب . وكان في رحبة بني ربيعة بن مالك بن عوف ١٤ أطماً يقال لها الصياصي ، كما ينسب إليهم أطم المسكبة إلى الشرق من مسجد قباء ، وأطم يقال له المستظل . ونزل بنو معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف وراء بقيق للفرقة ، وابتنى بنو لؤذان أطماً يقال له السعدان ، وابتنى بنو واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الأوس أطماً يقال له للزيدان ، ونزل بنو خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس دارهم المروقة بهم ، واتسوا بها الأطام ، وخرسوا للنضيل ، ومن بين أطامهم أطم يقال له صحر درع جعلوه كالحصن للقتال . أما بنو الحارث بن الخزرج فنزلوا دارهم بالمواالي أي شرقي وادي بطحان ، وابتنوا أطماً يقال له السنج وبه سميت الساحة . ونزل سالم وغنم ابنا عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج دارهم المروقة بدار بني سالم ، وقنع على طرف الحرة الغربية

(١) الحرة السبعة ٤ من ٢٢٧ — السهوي ٢ ج ١ ، ص ١٢٧ ، ١٢٤

عربي الوادي ، بطن راونا ، وابتلوا أطاماً منها المزلف الذي بناه عتال بن مالك ، ومنها الشحاح والقوازل . وأطام بني الحزرج كثيرة لا تتسع لها صفحات هذا البحث^(١) . ويربط بعض المؤرخين المحدثين مكة بيهود يشرب بنكة يهود اليمن ، ويحملون النكة الأولى نتيجة من نتائج النكة الثانية ، ويمزون أسباب هاتين النكستين إلى سياسة الدولة البيزنطية التي دفعت الأحباش في الجنوب إلى هدم كيان اليهود في اليمن مثلاً في الدولة الحميرية الثانية ، والفسانة في الشمال ، إلى التدخل في يشرب لتخضيد الأوس والحزرج ونصرتهم على اليهود^(٢) . ولكننا سنبعد أن يكون التدخل الفاساني في شؤون يشرب صلة نكة يهود اليمن ، فمن المعروف أن هذا التدخل لم يكن ليتم لولا استجداد أحد بني الحزرج بأمير من قومه . تنسب إلى غسان هو أبو حبة الفسائي الذي يحمله ابن حزم من ولد عذالة بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الحزرج ، الذي لم يرد في بصرة قومه ، فسار بجمع من الفسانة إلى يشرب ، أقل من أن يكون فرقة من جيش ، بحيث يصعب جماعه من الأوس والحزرج بإصطلاح المكر والحديعة في القضاء على رؤساء اليهود ووجوههم على النحو الذي ذكرناه . وقد رأينا من قبل أن قصي بن كلاب ، عندما حدد الحد واصطدم مع خزاعة في مكة ، أرسل إلى أخيه رزاح بن ربيعة بن حرام القضاعي بدعوه إلى نصرته ، فقدم إليه رزاح في جوع من بني عذرة وقضاعة ، وانتهى الأمر بانتصار قصي .

ولو أن البيزنطيين هم الذين دعوا الفسانة ضد يهود الحجاز ، فلماذا اقتصر ذلك على يشرب دون غيرها من مناطق نفوذ اليهود في الحجاز مثل خيبر وثبوك وقياه ووادي القرى ؟

أقام الأوس والحزرج بعد غلبتهم على يهود يشرب متعاقبي الكلمة ، متحدي الصوف ، حيناً من الزمن ، ثم ساءت العلاقات بين الأحوير ، ووقع الخلاف ، وانتهى الأمر بقيام حروب بينها كثيرة امتدت حتى قبيل الهجرة النبوية ، أولها

(١) راجع سائر الأوس والمذرج والمسلم ، في السجودي ، ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥

(٢) والمسلمون ، ص ٥٩ - ٦١

حرب حبر ، ثم يوم السرارة ، ثم يوم الديك ، ويوم فارح ، ويوم الفجار الأول والثاني ، وكان آخرها يوم بعث ، وقد حدثت هذه الحرب قبل الهجرة بخمس سنوات ^(١) . وفي هذه الأيام والحروب استعان فريق من العرب على الآخر بقبيلة يهودية تحالف معها على حصومه من بني جله . ويبدو أنه كان لليهود في يارب يد في نشوب الخلاف بين العرب بمصهم بعضاً ، وأهم كانوا يسعون إلى قفتيت وحدتهم حتى ينالوا منهم وقود لهم السيادة في يثرب ^(٢) . وكانت الغلبة في جميع الأيام السابقة لبعاث الخزرج على الأوس ، ولما رأيت الخزرج أنها قد ظفرت بالأوس اقتضوا عليهم في أسماهم ، وقال عمرو بن النعمان الياضي : يا قوم إن بياضة بن عمرو أنزلكم منزل سوء ، والله لا يمس رأسي على حق أنزلكم منازل بني قريظة والنضير وأقتل رهنهم . وكانت لهم غزار الباهو كرام النخيل ^(٣) . وعلى هذا النحو التفت أهداف الأوس وجود قريظة والنضير ، فتمالفوا . وقامت الحرب بين الأوس والخزرج على أثر ذلك في بعث وهو حصن ، وانتهى اليوم بهزيمة الخزرج ^(٤) ، وفيه تقول عائشة رضي الله عنها : وكان يوم بعث يوماً قدمه الله لموسى عليه السلام ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افتقر ملأهم وقنلت سرواتهم ، وجرحوا ، فقدمه الله لرسوله ﷺ في حثولهم في الإسلام ^(٥) .

وأصل النزاع الذي نشب بين حبي العرب في يثرب يرجع إلى عوامل اقتصادية وسياسية ، أما الاقتصادية فيدل عليها أن رئيس الخزرج عمرو بن النعمان الياضي كان يتطلع إلى إزلال قومه في منازل بني قريظة والنضير ، وكانت أكثر مياها وأكرم نخلا من منازل الأوس . وأما الأسباب السياسية

(١) السجدي ، ج ١ ، ص ١٥٥

(٢) أحمد الشريف ، مكة والحجبة ، ص ٢٢٨

(٣) السجدي ، ج ١ ، ص ١٥٢

(٤) لسان المصطفى ، ج ١ ، ص ٢١٨ - السجدي ، ج ١ ، ص ١٥٤

(٥) صحيح البخاري ، طبعة مصر ، ١٢٤٨ هـ ، ج ٥ ، ص ١٠٨

لرجحها أن انتصار العرب على اليهود ثم على يد مالك بن النجلاء والخزرجي ،
فالمسألة أصبحت في نظر الأوس والخزرج مسألة قتال سياسي على الرئاسة في
يثر ، إذ لم يقبل الأوس أن يتباين عليهم الخزرج ، ويصبح لهم الذكر والشرف
في يثر .

ومما كان أصل النزاع ، فإن نتيجته في النهاية وإن كانت في صالح الأوس ،
لم تؤد إلى القضاء نهائياً على الخزرج ، بل إن الأوس لم يلبسوا وراء يثرب في
والصير ، وقسموا بحد سطوة الخزرج ، ولفظ الأوس والخزرج معاً إلى ما يسمى
إليه اليهود من ضرب فريق منهم بالأخر حتى تصبح لهم سيادة ، وكانت الحرب
بينهما قد سببت لهم خسائر كثيرة في الأرواح وفي الأموال والأمل ، فسموا
إلى تحقيق السلام في يثر ، وفكروا في تولية واحد منهم أميراً وسيداً عليهم ،
ويبدو أنهم توصلوا إلى اتفاق نهائي في هذا الشأن ، فكان سيد الخزرج عبد الله
ابن أبي بن سلول العمري ، وكان سيد الأوس أبو عامر عبد عمر بن صفي بن قيس
أحد بني ضبيعة بن زهد ، وقد شغل هذان السيدان بشرطها عند ظهور الإسلام .
أما عبد الله بن أبي بن سلول ، فكان قومه قد نظموا له الخزرج فينوبوه ثم يلكوه
عليهم ، فجاءهم الله تعالى برسوله ﷺ وهم على ذلك ، فلما انصرف قومه عنه إلى
الإسلام ضمن ورأى أن رسول الله ﷺ قد استلبه ملكاً . فلما رأى قومه قد
أبوا إلا الإسلام دخل فيه كلهم مصرأ على نفاق وضغن^(١) . وأما أبو عامر بن
عبد عمر بن صفي ، فأبى إلا الكفر والعراق لقومه حين اجتمعوا على الإسلام ،
فخرج منهم إلى مكة بيضة عشر رجلاً مفارصاً للإسلام ورسول الله ﷺ ،
وظل مقيماً بمكة حتى افتتحها النبي ، فخرج إلى الطائف . فلما أسلم أهل الطائف
لحق بالشام ، مات بها طريداً غربياً وحيداً^(٢) .

١١١ من مسلم ، السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

١٢١ من مسلم ، السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٢٥

د - الحياة الاقتصادية :

أرض يشرب من أخصب أراضي الحجاز ، فهي أرض بركانية خصبة ، ثمرات فيها مياه الأودية والآبار والعيون ، وأرض على هذا النحو من الخصب تكون صالحة للزراعة ، وقد رأينا أن للتخيل كان أهم مزروعات يشرب ، وعليه كان يعتمد سكانها ^(١١) . وتمر يشرب الصيصالي يفوق ثمر غيرها ^(١٢) . وكان الشمر يولف المصدر الثاني لثروة يشرب الزراعية ، وكان طعام الناس يشرب الشمر والتمر ، أما الموسر منهم فكان يتناح من الفروك ما يخص به نفسه ^(١٣) . وكان يزرع أيضا الفص والحكم وفواكه أخرى كالزمان والموز . ومن مصادر الثروة الزراعية أيضا حب البان ، ومنها كان يحمل إلى سائر البلدان ^(١٤) . وإلى جانب الاشتغال بالزراعة ، كان الاشتغال بالتجارة من الأعمال الرئيسية في يشرب ، ففيها نشطت حركة التجارة الداخلية ، وكانت تقام بيشرب الأسواق المختلفة لبيع الثمر والشمر والحطب والصوف والسلاح . ومن الأسواق المعروفة في الجاهلية سوق بني قينقاع ، وسوق زبابة ، وسوق الجسر ، وسوق الصفصاف ، وسوق البطحاء ، ولها كان بنو سليم يبيعون الخيل والإبل والقم والسمن ^(١٥) ، وكانوا يحلبون إلى أسواق يشرب من الطائف الزبيب ، ومن اليمن المسوجات القطنبية والحمرية ، ومن الشام الحنطة . وكانت التجارة مع الشام واليمن تتبع الطريق البري المعروف والطريق البحري عبر البحر الأحمر . ويذكر البعوثي أن « البحر الأعظم » (أي البحر الأحمر) منها على ثلاثة أيام ، وساحلها موضع يقال له الجاراء وإليه رومي مراكب التجار والمراكب التي تحمل الطعام من مصر ^(١٦) . وكانت الجاراء على حد قول ياقوت : « فرضة رفعا إليها السفن من أرض الحبشة ومصر

(١١) البعثي ، كتاب البلدان ، ص ٢١٢

(١٢) ياقوت ، معجم البلدان ، بلاد سبلة بشر ، ص ٨٧

(١٣) البهاري ، التلخيص للأنساب ، ص ٢٧٨

(١٤) ابن الفقيه الجذاني ، ص ٢٥ - ياقوت ، المرجع السابق ، ص ٨٧

(١٥) السمعاني ، ج ١ ، ص ٤٤٤

(١٦) البعثي ، كتاب البلدان ، ص ٢١٢

وعدن والصين وسائر بلاد الهند... وبحذاء لجان جزيرة في البحر تكون ميل في ميل ، لا يمر إليها إلا بالسفن ، وهي تسمى الحبشة خاصة ، يقال لها فراف ، وسكانها تجار كمعوا أهل الجار ،^{١١٠}

ولقد قامت في يثرب بعض الصناعات التي تعتمد على الإستياج الزراعي مثل صناعة الخمر من التمر ، وصناعة المكائل والففف من سعف النخيل ، والتجارة من شعر الطرقة والأثل ، وهو شجر بكثرة في غابة يثرب^{١١١} . واختصت يثرب أيضاً بصناعة التحف المصنوعة من المعادن كالحلى وأدوات الزينة وبصناعة الأسلحة والدروع . وقد اشتهر اليهود وخاصة يهود بني قينقاع هاتين الصناعتين^{١١٢} ، ولذلك غم المسلمون عندما أحلوا بني قينقاع من المدينة كثيراً من الدروع والسيوف والأقواس ، ووجدوا في حصونهم سلاحاً كثيراً وآلة للصياغة^{١١٣} . كذلك غم المسلمين من بني قريظة ألماً وخمسائة سيف وألفي رمح وألفاً وخمسمائة ررس وحبيبة وثلاث مائة درع^{١١٤} .

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة الجار ، مجلد ٢ ص ٩٢

(٢) أحمد القرطبي ، مكة والمدينة ، ص ٢٧٦

(٣) التميمي ، ج ١ ص ١٩٨

(٤) الواقدي ، سقاري رسول الله ، ص ١٤٢

(٥) ابن سعد ، الطبقات ، ج ٢ قسم ١ ص ٥٤ طبعة ليفر ١٣٢٥ م

البَابُ الخَامِسُ

الحياة الاجتماعية والدينية

الفصل السادس : الحياة الاجتماعية عند العرب في العصر الجاهلي

الفصل السابع : أدبُان العرب في الجاهلية

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية عند العرب في العصر الجاهلي

(١) النظام القبلي وأثره في حالة التفكك السياسي

- (أ) القصة أساس التنظيم السياسي في المجتمع الجاهلي
- (ب) المثل العربي في إظهار القوة والبنى واستطابة الموت في ساحة المعركة
- (ج) النظم الحربية في العصر الجاهلي
- (د) أيام العرب

(٢) الحياة الاجتماعية

- (أ) المجتمع القبلي في الجاهلية طبقات المجتمع العربي
- (ب) الأخياء والفقراء
- (ج) صفات العرب : الكرم - الشجاعة - العفة - الوفاء
- (د) المرأة في المجتمع الجاهلي
- ١ - الأسرة ٢ - دور المرأة في السلم والحرب

النظام القبلي وأثره في حالة التفكك السياسي

١ - القبيلة أساس التنظيم السياسي في المجتمع الجاهلي ،

تعتبر القبيلة الوحدة السياسية عند العرب في الجاهلية ، ذلك لأن القبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة ، ورابطة العصبية هي شعور التماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم ، وهي على هذا النحو مصدر القوة السياسية والدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة ، وتعامل في وقتنا الحاضر الشعور القومي عند شعب من الشعوب. ^{١١} وإن كانت رابطة الدم فيها أقوى وأوضح من الرابطة القومية ، لأن العصبية تدعو إلى نصرته المرد لأفراد قبيلته ظالمين كانوا أم مظلومين ، وتقاوم العصبية على النسب ، وهي لذلك تختلف باختلاف الانتماء بالإنسان ^{١٢}

والعصبية عند العرب نوعان : (١) عصبية الدم ، وهي أساس القرابة في البيت

(١) عصبية حمى ، خارج النسبة ، ص ٢٤ - حواء عش ، ص ١ - ص ٣٦٥ - عصب

النسبة ، ص ١ - مكة والمدينة ، ص ٥

(٢) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٢٦ - ص ١١٤

الواحد ، ومصدر للرباط الوثيق بين أفراد القبيلة كما لو كانوا أسرة (٢) عصية
لأنهم إلى أب بعيد أو حد مشترك من نسبه تكونت القبيلة أو القائل المنسبة
إليه^{١٨٠} .

هذا التحول تم تكن للجمعية العامة ، مرة قومية شاملة ، لأن النوع
السياسي فيه كان ضيقاً محدوداً ، لا حوار حدود القسوة أو حدود القضايل المتسمة
إلى الجدة ، وفوقه قومية ضيقة ، وحدتها ، عصية النسب ، من انتهى إليها
بسبب كان منها ، ومن لم يمت إلى سبها عد عريفاً عما ، فلا تسمة العصية^{١٩٠} .
وهكذا كان المجتمع العربي في الجاهلية عتمة مفتتاً من الساحية السياسية إلى
وحدات سابع معددة ، قائمة بها ، تثلوا القائل المختلفة ، إذ أن العصية
فيه فضت على عكسها ، القباط السياسي ، حتى في حالة الأمساب إلى إحسدى
المجموعتين الكبيرتين المدغية والقططية ، مما أدى إلى قيام صراع بين هاتين
العصيتين ، وهو صراع كانت من أثره إصناف الدولة الأموية وسقوطها ، في
نهاية الأمر .

والقبيلة في السادة دولة صغيرة ، تنطق عليها مقومات الدولة ، باستثناء
الأرض الثابتة التي تحدد منطقة نفوذها ، في المبرور أن أهل الوري لم تكن لهم
أوطان ثابتة بسبب تغلبهم الدائم وراء مصادر الماء والمشب ، وكان ضيق أسباب
الحياة في الصحراء حافزاً لهذه القبائل المتسمة على التنقل والتحرك ، كما كان سبباً
في اعتزالهم بالعصية ، التي أملت الظروف الصعبة المحيطة بهم . وبفضل العصية
أمكن لهذه القبائل أن تدافع عن كيانتها ، والتغلب على غيرها ، لتضمن لنفسها
مورداً لحياتها . ولذلك كانت حياة القبائل المتسمة صراعاً دائماً ، والصراع محوم
ودفاع ، فالمجموع يتم مقصد الحصول على مريد من الرزق ، والدفاع يقومون به
للاحفاظ على وجود القبيلة ، والدفاع والمجموع يتطلبان السكتل والنفول في أحلاف

(٢١) جولد علي ، ص ٩٩ من ٢١٢

(٢٢) نفس المرجع ، ص ٩٩

مع القبائل الأخرى . ولهذا اعتبر قانون المادية قانون الغاب ، وقوامه « الحق في جانب القوة » ، فمن كان سيفه أَمْضى وأقوى ، كانت له الكلمة والغلبة وكان الحق في جانبه^(١١) .

وكان النظام القبلي أيضاً دعامة الحياة السياسية في الممالك العربية والإمارات التي قامت في جنوب جزيرة العرب ، وفي حواضر الحجاز وفي الإمارات العربية على تخوم الشام والعراق ، فلم تنصر القبائل التي تزلت في هذه المدن والحواضر في شعب واحد ، كالشعب الروماني أو الشعب الفارسي ، وإنما طلت تحتفظ بتنظيمها القبلي^(١٢) ، على الرغم من اختلاط أساليبها ، اخلل شمولها ، بحكم اختلاطها مع العرب من لا يعتبرون المحافظة على النسب ببيتهم وشعوبهم^(١٣) .

ومن الملاحظ أن احتفاظ القبائل ببدونها ووحشيتها يضمن لها الاحتفاظ بقوتها والتغلب على غيرها ، وذلك لأنها تعتمد في حياة البداوة على العصبية ، مصدر قوتها . أما إذا اختلطت هذه القبائل بمناطق متحضرة ، فإن خشوتها لا تلت أي تلتشى وتزول^(١٤) والسبب في ذلك يرجع إلى عو مل منها ، الزواج من أعصبيات ، أو بالقبيلة من قبيلة إلى أخرى أو بالاستلحاق أي بالانتماء من العمد لقبيلة عن طريق رواجه بامرأة من نسلها أو عن طريق إحقاق أبناء أم ولد بعسب رجل عربي . ومن هذه العوامل أيضاً الولاء ، وهو دخول خليع ، أي شخص خلعتة قبيلته ، في قبيلة أخرى بقصد أن تحميه فيصبح هو لي لها ، ويحل محله في الرمس في نسلها ، وعندها أيضاً الحلف ، وهو تحالف فريقين من قبيلتين مختلفتين وتماشيها وانصهار أحدهما وهو الأصعب في الفريق الآخر وهو الأقوى^(١٥) . وعلى الرغم من عتزار أهل القبيلة في البداوة بفرديتهم ، فإنها فردية

(١١) جواد علي ، ج ١ ص ٢١١

(١٢) محمد الفريفة ، ص ٢٤

(١٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ج ٢ ص ٤٢٦

(١٤) نصر الدين ، ج ٢ ص ٤٢٨

(١٥) عبد مروح ، تاريخ الجاهلية ، ص ١٥١

متجسدة ومتماثلة مع الجماعة ، بحكم رابطة العصبية ، فالفرد يلي مداه قبيلته إذا دعت إلى تصرفاتها في ساعات الخطر ، فينصرها وينصر إخوانه ظالمين كانوا أم مظلومين ، ثم إنه يقبل تحمل بعض مسؤوليات أعمال غيره ، فيسام في دفع الديات القتل من القبيلة الأخرى أو القضاء عن الأسرى من قبيلته ، ولهذا فانت روح الديمقراطية والمساواة كانت الأساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي ، وكان لكل قبيلة مجلس من شيوخها يرأسه شيخ يختارونه من بينهم^(١) ، وكانوا يسمونه بالرئيس أو الشيخ أو الأمير أو السيد^(٢) ، وكانوا يشترطون في اختياره أن يكون من أعزف رجال القبيلة ، وأشد هم عصبية ، وأكثوم مالا ، وأكبرهم سناً ، وأعظم نفوذاً ، كذلك كان من الضروري أن تتوفر فيه صفات محمودة كالسخاء والبيان والحلم والحكمة والشجاعة ، قرب هوة صغيرة تصدر منه لثير حرباً أو تسيب كارثة لقبيلة وللعلف الذي تفرعه ، ذلك لأن أعصاب رجال البادية مرفعة حساسة تتبرها أقل الكلمات ، لا سيما إذا كان الأمر يتعلق بالشرف والجاه^(٣) ، ولهذا السبب كانت القبيلة تمتاز بكرامتها ، وقد يؤدي مجيء شاعر من الشعراء لشيخ من شيوخها أو لفرد منها إلى قيام الحرب بين قبيلة هذا الشيخ أو الفرد وبين قبيلة الشاعر ، وكان للشاعر لذلك شأن كبير في حياة القبيلة ، وصولة^(٤) ، وكان إذا نبغ في إحدى القبائل شاعر أنت القبائل ، فهناجا بذلك ، كذلك كان للخطباء أثر كبير في الدفاع عن القبيلة ، وفي تنظيمها عند غيرها ،

(١) لم يكن العرب يتولون مبدأ الوراثة في الرئاسة ، بل كانوا ينتخبون من النشوء عن طريق الوراثة ، وإلى هذا المص يشير مدار من الطيول أحد سادات بني مدر :

وإني وإن كنت أبس سيد مدر
فما سوقي غير من وراثة
فلكني أصي حبيباً ولقبي
إذا ما ولبي من رباباً بقتلهم

المحمدي ، المروج ، ج ١ ، ص ٤٥

(٢) عبد الممنع بنجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص

٢٥ - أحمد الشريفة ، ص ٢٥

(٣) جواد علي ، ج ٢ ، ص ٢٩٥

(٤) القوس ، ج ٢ ، ص ٨٤ - جواد علي ، ج ٤ ، ص ٢١٦ - عبد الممنع بنجد ،

المروج السابق ، ص ٨٦ - أحمد الشريفة ، ص ٢٦

أر في دفعها إلى الحرب^(١) ، ففصاحة الخطيب ، وقدرته على الإقناع قدفع الناس إلى الانقياد إليه والامتثال لأوامره ، والناس في الجاهلية كانوا أحوج إلى ما يستنقض صميمهم ، ويفتح أعينهم ، ويقم قاعدهم ، ويشجع جباههم ، ويشد جثانهم ، ويتبرأ أشجاءهم ، ويسترقق ديارهم ، صيانة لمزهم أن يستهان ، وتشفياً بأخذ الثار ، وتحرراً من عار الطلبة وذل الدمار ، فطأوا أحوج إلى الخطيب بمد الشعر لتخليد ما ترمهم وتأييد مفاخرهم^(٢) .

وكان على شيخ القبيلة أيضاً أن يمين الضمماء ، ويفتح بيته للزلاء والأضياف ، ويدفع الديات عن غفراء قبيلته ، وإذا كان من حق شيء القبيلة أن يكون حكمه نافذاً على جميع أقراد قبيلته إلى جانب امتيازاته الأخرى في الرباع (أي ربع القنينة) ، والصفابا (أي ما بصطبه شيخ القبيلة من الغنائم قبل أن تبخر القنينة) ، والحكم (أي إمارة الجند) ، والفشيطة (أي ما أصيب من المال قبل اللقاء) ، والفصول (ما لا يقبل القسمة من مال القنينة)^(٣) ، فقد كان من السادر أن يستبد في حكمه وفي رئاسته للقبيلة ، لأنه كان مضطراً إلى صبايمة أهل الرأي في القسمة . ولا يختلف الأمر عن ذلك كثيراً في المجتمعات الحضرية ، فمن المعروف أن مجتمع الحواضر كان ينقسم إلى قسمين :

١ - القبيل أو الجماعة ، وهم جمهور القبيلة وعامتها

٢ - الملأ ، وهم علية القوم وأشرف القبيلة وكبار أعيانها

ويجتمع الملأ في مجلس يعرف بدار الندوة ، أو المنتدى ، أو النادي (كما جاء في القرآن الكريم) لتصريف أمور قبيلتهم ، وكان مجلس القبيلة أو دار الندوة في الحاضرة يجتمع للفصل في الخصومات ، والتباحث في مشاكل القبيلة .

(١) الأتومي ، دلوغ العرب ، ج ٢ ، ص ١٥١ وما يليها - أحمد الشريف ، ص ٢٢

(٢) الأتومي ، نفس المصدر

(٣) ابن الأثير ، ج ١ ، ص ٢٧٥ ، ملحق رقم ١١١ - ويصل عدد الملأ من معه المسمى

بحرين شيخ القبيلة في البيت الملكي ،
لكه الرباع والصفابا وحكك والتشيطة والفصول

ب - المثل العربي في إيقار القوة والهيبة واستطابة الموت في المعركة :

كان حب القتال مقروناً في نفوس العرب في الجاهلية ، حتى تحول إلى شغف بالبطولة والفتية عن طريق البهي والبطش والمباذرة بالصدوان ، ولا يمكن التوصل إلى الحق والسيطرة إلا عن هذا الطريق ، ويعبر عمرو بن كلثوم عن ذلك في قوله :

إذا ما الملك سام الناس خفياً أبينا أنت نفس الذل فينا
نسا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين ببطش قادرينا
بشاة ظالمينا وما ظلمنا ولكننا سبداً ظالمينا^(١)

وقد ذهب العرب في الجاهلية إلى اعتبار الظلم والظني الطريق الوحيد الذي يصل المرء بواسطته إلى الحق ، فالحق هو القوة أو الحق في جانب القوة ، وفي هذا المعنى الفلسفي العميق يقول زهير بن أبي سلمى في مصلحته .

ومن لا يذعن بحوضه بسلاحه جدم ومن لا يظلم الناس يظلم^(٢)
وفي سبيل التوصل إلى الحق استطاب العربي الموت في ساحة الوغى ، وأزدهى الموت حنق الأعداء ، وأنف منه مخالفة الكريمة هي أن يموت الرجل في ميدان الحرب ، ويعبر عمرو بن معد يكرب عن هذا المعنى بقوله :

وقرب لنطاح الكبيش يشي وطاب الموت من شرع وورد^(٣)
كذلك يشق عن هذا المثل العربي قول الشاعر عمرو بن كلثوم :
مماذ الاله أن تنوح نساؤنا على هالك أو يضح من القتل

(١) دراجم أصحاب المظلمات الشعر ، القاهرة ، ١٣٢٩ م ، مطبعة عمرو بن كلثوم ، ص ٥٤

(٢) نبر الصباغ ، لجنة بن يحيى الشولقي ، شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، القاهرة ، ١٩٤١ م ، ص ٣٠ - دراجم أصحاب المظلمات الشعر ، ص ٢٣

(٣) المعجم ، أبو جندة الوائد ، ص ١٠٠ ، كتاب الصباغ ، مطبوع الآب لويس نوحو

البيروني ، بيروت ، ١٩٥٠ م ، ص ٣٦

قراع السيوف «السيوف أحلنا بأرض براح ذي أراك وذي أثل»^(١١)
ويقول السموأل بن عادياء صاحب حصن قناه :

وإنا لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول
يلرب حب الموت آجالنا لنا وتكرمه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد حتم أنفه ولا طل منا حيت كان قتل
تيل على حد للظباء نفوسنا وليست على غير الظباء تيل»^(١٢)

ويعبر دريد بن الصمة عن حياة العربي في دوام التهايب للحرب إما في طلب
لئار لنفسه أو لرقعاً لئار منه ، فيقول :

أبى القتل إلا آل حية أنهم أبرأ غيره وللقدر يحري إلى القدر
فلما رزنا لا تزال دساونا لدى وار يسمى بها آخر الدهر
فلما للعم سيف غير مكبرة وطمحه أحياء وليس بذئ نكر
بغار علينا واربن فيتنقي منا إن أصبنا أو نغير على ور
قمنا بذلك الدهر شطرين يننا فما ينقضي إلا ونحن على شطر»^(١٣)

وقد ظلت هذه الروح الجاهلية مقروسة في قلب الجاهلي حتى جاء الإسلام
فخمد أوارها بعض الشيء ، ثم انتشت في أقل من نصف قرن عندما تنازعت
«العصبيتان المخرية واليمية» ، وفي ذلك يقول قطري بن العباد :

ولسنا كن يسكي أخاه بميرة بمصرعنا من ماء مقلته عصرا

(١١) اللؤسى ، بلوغ الأرب ، ج ١ ، ص ١١٢

(١٢) ديوان السموأل ، سبط بنيس سبأ ، بيروت ١٩٥١ ، ص ٤٦

(١٣) أحمد محمد الحوفي ، الحياء العربية بن العصر العاطلي ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٥٨

— شوقي صيف ، العصر للعاطلي ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٤

وإذا لاس ما تفيض دموعنا على حالك وإن قم الظهرا
ولكفي أشقى الفؤاد بشارة الحب في قطري كتابها جرا

ج - النظم الحربية في العصر الجاهلي :

لم يكن عند قبائل العرب التبعية جيوش منظمة ، ولكن جميع أفراد القبيلة
شيوخاً وشباناً كانوا يلجئون نداء القبيلة عندما يستنفرهم رئيسها ، وقد رأينا أن
العرب كانوا يندفعون في ذلك وراء العصية . وكانت النساء يشاركن الرجال
في الحرب ، إما لبث الحية والحاسة في قلوب الرجال ، كما فعلت نساء شيبان
وبكر بن وائل وعجل في يوم ذي قار ، فأنشدت امرأة منهن :

إن يظفروا يحرزوا فينا الفحل - إحسا فداء لكم بني عجل (١)

وأنشدت ابن القرن الشيبانية تحت قوسها الاستبسال :

إحيا بني شيبان صفاً بعد صف أن تهزموا يصبغوا فينا القلف (٢)

وكما فعلت مذحج يوم قيف الريح ، وكان بين عامر بن صعصعة والحارث بن
كعب (٣) ، عندما حملت معها النساء والفراري حتى لا يفر الرجال من المعركة ،
ويعبر ابن كثوم عن ذلك بقوله :

على آفارة بيض حسان نحاسر أن تقم أو تهوا

أخذن على بعلتهن عهداً إذا لاقوا مكاتب مطيسا

ليستلبن أفراساً وبيضاً وأسرى في الحديد مقرنينا

(١) ابن الأثير ٤ ج ١ ص ٢٩٠

(٢) نفس المصدر ٤ ص ٢٩١

(٣) نفس المصدر ٤ ص ٢٨٧ - محمد أحمد جاد لؤلؤ وآخرون ، أعلام الصرب ،

الطبعة ١٩٤٧ ص ١٢٢

يقتن جيادنا ويقتن لسم بعوتنا إذا لم تقنونا^(١١)

وفي موقعة أحد اشتركت نساء قريش الوثنيات في المركة ، لتشجيع
المشركين فخرج أبو سفيان بأمرأتين : هند بنت عتبة ، وأمية بنت سعد بن زهراء
ابن أتيث من كنانة ، وخرج صعوان بن أمية بأمرأتين : برة بنت مسعود الثقفي
والمعوم بنت المزدل من كنانة ، وخرج طلحة بن أبي طلحة بأمرأته سلافة بنت
سعد بن شهيد ، الأوسية ، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأمرأته أم جهيم بنت الحارث
ابن هشام ، وخرج الحارث بن هشام بأمرأته فاطمة بنت الوليد بن الحيرة ، وخرج
عمرو بن العاص بأمرأته هند بنت منه بن الحجاج ، و- رجت خنساء بنت مالك
ابن الحضرم مع ابنها أبي عزيز بن عمير العبد ربي ، وخرج الحارث بن سفيان بن
عبد الأسد بأمرأته رمة بنت طارق بن علقمة ، وخرج سفيان بن عوف بأمرأته
قتيلة بنت عمرو بن هلال ، وخرج غراب بن سفيان بن عوف بأمرأته عمرة بنت
الحارث بن علقمة ، وهي التي رفعت لواء قريش حين سقط من صواب الجلبشي علام
أبي طلحة بعد أن قصعت بداه ، وأخذته بصدرة وعقته حتى قتل ، وظلت ترفعه
حتى تراجعت قريش^(١٢) .

وجعلت ماء المشركين قبل المركة يضرر بالأكابر والدغاف والفرابي في
مقدمة صفوف المشركين ، ومنهم المكاحل والمراد ، ثم رجس إلى مؤخرة
الصعوف ، وجعلن كذا ولي رجل حرضه وذكره قتلاهم بدر^(١٣) . وكانت هند
بنت عتبة وصواحبها يحرسن ويذرن الرجال يقتلن .

لحم بنات طارق
نثني على السمارق
إن تقبلوا معاني
أو تدبروا معارق
فراق غدير واقق^(١٤)

[١] محمد أحمد الحوي ، الفرج المفلح ، ص ٢٦٠ .
[٢] الوائلي ، معارف رسول الله ، ص ٥٦ . - عثمان ، ص ٢٠٠ . ج ٢ ، ص ١١٠ ، ١١٦ .
[٣] الوائلي ، نفس البصر ، ص ١٧١ .
[٤] نفس البصر ، ص ١٧١ . - أبي حنيفة ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٢٠ .

ومما قالته هذه أيضاً

ويجا بني عبيد للدار ويجا جملة الأدار

ضرباً بكلي بشار^١

وفي معسكر المسلمين كانت للنساء اسلحات وعلى رؤسهن قاطعة بعت الرسول يحملن الطعام والشرب على ظهورهن ، ويسقين الجرحى ويدوسهن ، فكانت أم سلم بنت ملحان ، وعالته أم المؤمنين تحملان على ظهورهما القرب^٢ ، وكانت حمينة بنت حنشل تقي العطشى وتداوي الجرحى ، وكانت أم أيمن تقي الجرحى^٣ . وقاتلت أم حمارة سيدة بنت كعب مع المسلمين كالحال عندما بدت علامات الإعياء على مقاتلة المسلمين ، وقد حبرت ثوبها على وسطها ، وأحدثت نذوب عن الرسول بسيفها ، ورمت الشركيين بقوسها ، وأبليت يوم أحد بلاء حسناً ، وكان جهادها معبرة من مفاخر الإسلام . وذكروا أنها جرحت اثني عشر جرحاً ما بين طعنة برمح أو ضربة بسيف^٤

أما في الممالك والإمارات ، فقد كان اعتناء الملكة أو الأميرة على جيوش دائمة ، بالإضافة إلى ما كانت تقدمه القبائل التابعة لها من رجال في وقت الحرب ، فكانت لملك الحيرة كنيستان إحداهما قاربة يقال لها الشباء ، والثانية عربية تسمى دوسر^٥ . وعرف عرب الحيرة نظام الكراديس والكائن عن الفرس ، فتمكن بنو شيان بفضل مهارتهم في لعبة الكراديس وتنظيمها من التغلب على الفرس وأنصأوهم في يوم ذي قار^٦ .

(١) ابن هشام ٤ ج ٢ ص ٧٢

(٢) الواقدي ١ ص ١٦٥

(٣) الواقدي ١ ص ٢١٠ ٢ ٢١١ - ابن هشام ١ ج ٢ ص ٨٧

(٤) راجع في ذكرناه ص ١٢٤ الكتاب فيما كتبه عن المصدر الأول بن ابراهيم العيص

النقري في القسم المختص بالفتنة .

(٥) راجع ما كتبه عن هذه الموقعة في القسم المختص بالفتنة ، وراجع أيضاً

النقري ص ١٦٨ - أحد التفسيرات ص ٧٨

كذلك عرف العرب نظام المينة والميسرة^{١١} ، ففي موقعة أحد ، صف المشركون صفوفهم ، فوصفوا على المينة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة ابن أبي جهل ، وكانت لهم عجبتان فتألفان من مائتي فارس^{١٢} ، وجعلوا على الخيل صغور بن أمية وقيل عمرو بن الماص ، وعلى الرماة عبدالله بن أبي ربيعة ، وكانوا مائتي رام ، وقول جعل اللواء طلحة بن أبي طلحة ، كذلك صف الرسول أصحابه ، فجعل على الرماة عبدالله بن جبير وقيل سمدة بن أبي وقاص ، وجعل جبل أحد خلفه مستقلاً المدينة ، وعمل لنفسه ميعنة وميسرة ، ودفع اللواء الأعظم إلى مصعب بن عمير ، ودفع لواء الأوس إلى أسيد بن حضير ، ولواء الخزرج إلى سعد ابن عباد^{١٣} .

وكان العرب يستخدمون العيون لترصد العدو ، واستطلاع حالته ، كما حدث عندما أرسل امرئ القيس عيونه إلى بني أسد^{١٤} .

واستعمل العرب في حروبهم^{١٥} - السيوف ، ومنها السيوف المشرقية ، وهي سيوف تنسب إلى مشارف الشام ، وهي قرى قرب حوران^{١٦} ، وفي السيوف المشرقية يقول الشاعر :

نجيد الطمن بالسر الدوالي وضرب باليوسف المشرقية^{١٧}
ومها السيوف الهندية أو الهندية ، وتنسب إلى الهند ، وفيها يقول عنترة :

١ (١) وفي خطه يقول صورو بن كلثوم :

وكنا الأيتيم إذا للتجسس وكان الأب يس سر أبينا

(عراجم اصحاب المقاتلة المشرقية ، ص ٥٦)

٢ (٢) ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٧٠

٣ (٣) نفس المصدر ، ص ٧٠ وما يليها - محمد أحمد الحوفي ، ص ١٦٨ ، ١٦٩

٤ (٤) ابن الأثير ، ج ١ ، ص ٣٠٧

٥ (٥) بلقوت ، محمد النبال ، حلة بشمارف ، مطبعة ص ١٢١

٦ (٦) الحوفي ، ص ١٧٨

أنعمت مهري تحت ظل عجاوبة بنان رمع دابل ومهند^(١)
ويقول أيضاً :

وتطرب سيف الحمد حتى أقيم إلى مضاربها استيقا^(٢)
ومنها السيوف السريجة سة إلى مريج أحد بني معرض بن عمرو بن أسد
ابن خزيمة ، وكأولاً قيوناً^(٣) ، ومنها السيوف اليمنية ، التي يقول فيها عنترة .
بأحمر من رماح الخط لدن وأبيض صارم ذكر يمان^(٤)

٢ - ومن آلائهم الرماح ، وأحودها الأربعة أو اليزنية^(٥) سبة إلى ذي يزن
الملك ، والرماح الخطية ، سبة إلى خط وهو موضع بالبحرين ، كان يجلب إليه
الرماح للقنا من الهند ، فتقوم فيه وتباع على العرب^(٦) ، وفيها يقول عمرو
ابن كلثوم :

يسر من قنا الخطى لدن ذوابل أو بيض يختلنا^(٧)
ويقول عنترة بن شداد :

بأحمر من رماح الخط لدن وأبيض صارم ذكر يمان
ومها أيضاً الرماح الردينية سة إلى امرأة لدعى ردينة ، كانت تصع
الرماح ، وفي هذه الرماح يقول عنترة .

١ - شرح ديوان حمزة بن شداد - تحقيق وفريح عبد الممن عبد الرؤوف طلسي ،
سور طرجم ، ص ٧١

٢ - نفس المرجع ، ص ١١٤

٣ - التوسلي ، ج ٢ ص ٦٢

٤ - المرجع ديوان عنترة - ص ١٧٩

٥ - التوسلي ، ج ٢ ص ٦٢

٦ - بقولها : يستقيم البلدان ، بكثرة الخط ، مجلد ٢ ، ص ٣٧٨

٧ - كلب تراجم أسماء الخطات المشر - ص ٤٧

- إذا خصمي تظاهاني بسديني قضيت الدين بالرمح الرديني^(١)
ومنها السجيرية ، سبة إلى زوج وعينة ، وفيها بقول عنزة :
وأطمن في الهيجا إذا الخيل صدها غداة الصباح السحيري المقصد^(٢)
والرمح إذا طالت العزة وفيها سنان دقيق تسمى نيزك ومطرده ، فإذا زاد
طولها ورودت بسنان حريض سميت حربة . ومن الأسنة لوح يقال له القمضية
نسبة إلى قمضب القشيري ، وكان يصنعها ، ومنها الثمرعية .
٣ - ومن آلاتهم القسي والسهام ، وأجودهما مصفورية والماسقية^(٣) .
والكتاندي حافظة النبال ، والنبال هي سهام مريضة قات نصال .
٤ - ومن الآلات الحربية الدرع ، وهو الرءاء المتخذ من الزرد ، وقوامه
حلقات متصلة من الحديد تغطي الظهر والصدر . ومن الدروع : الفرعونية ،
والخطمية ، والساقية^(٤) .
٥ - ومنها البيضة أو المفلر ، وهي الحوزة توضع على الرأس لوقايتها من
ضربات السيوف ، وفي البيض يقول عمرو بن كلثوم :
عليها البيض والبلب الجاني وأسياف بقص ويحنيها^(٥)
٦ - ومنها المعن ، وهو الثرس أو الدرق ، وكانت تصنع من الجلود بلا
خشب^(٦) .

[١] طرح معيار عنزة ، ص ١٧٢

[٢] قضى المرجع ، ص ٥٧

[٣] الألوس ، ج ٣ ص ٥١

[٤] نفس المرجع ، ص ٦٦

[٥] كتاب تاريخه وصف الحلفاء العشر ، ص ٥٣

[٦] الألوس ، ج ٤ ص ٦٦

٧ - ومن آياتهم أيضاً المنجنيق والعرادة ، وهما آلتان لرمي الحجارة ^(١١) .

وكان الأسرى يساقون بعد المعركة مصفدين بالأغلال ، ويعبر عن ذلك عمرو
ابن كلثوم إذ يقول :

فأهوا بالنهباب وبالبابا وأبناء بالملوك مصفديننا ^(١٢)
وقوله :

للسنابن أفراساً وبيضاً وأمرى في الحديده مقرنيننا ^(١٣)

ويستخدم الأسرى عبيداً عند الفائزين ، يسخرونهم لخدمتهم ، إلى أن
يقدمهم أهلهم بال ، والقداء عادة يكون بدفع عدد كبير من البعير ، ويتفاوت
القداء حسب مقدرة أهل الأسير . وقد يتعرض الأسرى للقتل كما فعل المنذر بن
أمرئ القيس ملك الحيرة بأسرى بني حجر بن عمرو ^(١٤) ، وكما فعل المنذر مع
أسرى بكر بن وائل ، إذ قتلهم ذبحاً على قلة جبل أواراة ^(١٥) ، وقتل الأسير كان
من الأمور المستقبحة عند العرب ^(١٦) ، وقد يكتفي بجزء ضئيلة من الأسير وإطلاق
سراحه بعد ذلك إذلالاً له ، واعتزازاً بالقوة عند القدرة ، ويحفظ الغائب
بضحية الأسير رمزاً لانتصاره ^(١٧) ، وتعتبر الحنساء هن ذلك بقولها :

(١) القيس المربع ، ص ٦٨ - الخولي ، ص ١٨٢ - ١٨٨

(٢) كتاب بركات السبط المنطق للظهر ، ص ٥٢

(٣) القيس المربع ، ص ٥١

(٤) ابن القتيبي ج ١ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ - بلقوت ، ص ٢٠٠ - ص ٢٠١ - ص ٢٠٢ - ص ٢٠٣ - ص ٢٠٤ - ص ٢٠٥ - ص ٢٠٦ - ص ٢٠٧ - ص ٢٠٨ - ص ٢٠٩ - ص ٢١٠ - ص ٢١١ - ص ٢١٢ - ص ٢١٣ - ص ٢١٤ - ص ٢١٥ - ص ٢١٦ - ص ٢١٧ - ص ٢١٨ - ص ٢١٩ - ص ٢٢٠ - ص ٢٢١ - ص ٢٢٢ - ص ٢٢٣ - ص ٢٢٤ - ص ٢٢٥ - ص ٢٢٦ - ص ٢٢٧ - ص ٢٢٨ - ص ٢٢٩ - ص ٢٣٠ - ص ٢٣١ - ص ٢٣٢ - ص ٢٣٣ - ص ٢٣٤ - ص ٢٣٥ - ص ٢٣٦ - ص ٢٣٧ - ص ٢٣٨ - ص ٢٣٩ - ص ٢٤٠ - ص ٢٤١ - ص ٢٤٢ - ص ٢٤٣ - ص ٢٤٤ - ص ٢٤٥ - ص ٢٤٦ - ص ٢٤٧ - ص ٢٤٨ - ص ٢٤٩ - ص ٢٥٠ - ص ٢٥١ - ص ٢٥٢ - ص ٢٥٣ - ص ٢٥٤ - ص ٢٥٥ - ص ٢٥٦ - ص ٢٥٧ - ص ٢٥٨ - ص ٢٥٩ - ص ٢٦٠ - ص ٢٦١ - ص ٢٦٢ - ص ٢٦٣ - ص ٢٦٤ - ص ٢٦٥ - ص ٢٦٦ - ص ٢٦٧ - ص ٢٦٨ - ص ٢٦٩ - ص ٢٧٠ - ص ٢٧١ - ص ٢٧٢ - ص ٢٧٣ - ص ٢٧٤ - ص ٢٧٥ - ص ٢٧٦ - ص ٢٧٧ - ص ٢٧٨ - ص ٢٧٩ - ص ٢٨٠ - ص ٢٨١ - ص ٢٨٢ - ص ٢٨٣ - ص ٢٨٤ - ص ٢٨٥ - ص ٢٨٦ - ص ٢٨٧ - ص ٢٨٨ - ص ٢٨٩ - ص ٢٩٠ - ص ٢٩١ - ص ٢٩٢ - ص ٢٩٣ - ص ٢٩٤ - ص ٢٩٥ - ص ٢٩٦ - ص ٢٩٧ - ص ٢٩٨ - ص ٢٩٩ - ص ٣٠٠ - ص ٣٠١ - ص ٣٠٢ - ص ٣٠٣ - ص ٣٠٤ - ص ٣٠٥ - ص ٣٠٦ - ص ٣٠٧ - ص ٣٠٨ - ص ٣٠٩ - ص ٣١٠ - ص ٣١١ - ص ٣١٢ - ص ٣١٣ - ص ٣١٤ - ص ٣١٥ - ص ٣١٦ - ص ٣١٧ - ص ٣١٨ - ص ٣١٩ - ص ٣٢٠ - ص ٣٢١ - ص ٣٢٢ - ص ٣٢٣ - ص ٣٢٤ - ص ٣٢٥ - ص ٣٢٦ - ص ٣٢٧ - ص ٣٢٨ - ص ٣٢٩ - ص ٣٣٠ - ص ٣٣١ - ص ٣٣٢ - ص ٣٣٣ - ص ٣٣٤ - ص ٣٣٥ - ص ٣٣٦ - ص ٣٣٧ - ص ٣٣٨ - ص ٣٣٩ - ص ٣٤٠ - ص ٣٤١ - ص ٣٤٢ - ص ٣٤٣ - ص ٣٤٤ - ص ٣٤٥ - ص ٣٤٦ - ص ٣٤٧ - ص ٣٤٨ - ص ٣٤٩ - ص ٣٥٠ - ص ٣٥١ - ص ٣٥٢ - ص ٣٥٣ - ص ٣٥٤ - ص ٣٥٥ - ص ٣٥٦ - ص ٣٥٧ - ص ٣٥٨ - ص ٣٥٩ - ص ٣٦٠ - ص ٣٦١ - ص ٣٦٢ - ص ٣٦٣ - ص ٣٦٤ - ص ٣٦٥ - ص ٣٦٦ - ص ٣٦٧ - ص ٣٦٨ - ص ٣٦٩ - ص ٣٧٠ - ص ٣٧١ - ص ٣٧٢ - ص ٣٧٣ - ص ٣٧٤ - ص ٣٧٥ - ص ٣٧٦ - ص ٣٧٧ - ص ٣٧٨ - ص ٣٧٩ - ص ٣٨٠ - ص ٣٨١ - ص ٣٨٢ - ص ٣٨٣ - ص ٣٨٤ - ص ٣٨٥ - ص ٣٨٦ - ص ٣٨٧ - ص ٣٨٨ - ص ٣٨٩ - ص ٣٩٠ - ص ٣٩١ - ص ٣٩٢ - ص ٣٩٣ - ص ٣٩٤ - ص ٣٩٥ - ص ٣٩٦ - ص ٣٩٧ - ص ٣٩٨ - ص ٣٩٩ - ص ٤٠٠ - ص ٤٠١ - ص ٤٠٢ - ص ٤٠٣ - ص ٤٠٤ - ص ٤٠٥ - ص ٤٠٦ - ص ٤٠٧ - ص ٤٠٨ - ص ٤٠٩ - ص ٤١٠ - ص ٤١١ - ص ٤١٢ - ص ٤١٣ - ص ٤١٤ - ص ٤١٥ - ص ٤١٦ - ص ٤١٧ - ص ٤١٨ - ص ٤١٩ - ص ٤٢٠ - ص ٤٢١ - ص ٤٢٢ - ص ٤٢٣ - ص ٤٢٤ - ص ٤٢٥ - ص ٤٢٦ - ص ٤٢٧ - ص ٤٢٨ - ص ٤٢٩ - ص ٤٣٠ - ص ٤٣١ - ص ٤٣٢ - ص ٤٣٣ - ص ٤٣٤ - ص ٤٣٥ - ص ٤٣٦ - ص ٤٣٧ - ص ٤٣٨ - ص ٤٣٩ - ص ٤٤٠ - ص ٤٤١ - ص ٤٤٢ - ص ٤٤٣ - ص ٤٤٤ - ص ٤٤٥ - ص ٤٤٦ - ص ٤٤٧ - ص ٤٤٨ - ص ٤٤٩ - ص ٤٥٠ - ص ٤٥١ - ص ٤٥٢ - ص ٤٥٣ - ص ٤٥٤ - ص ٤٥٥ - ص ٤٥٦ - ص ٤٥٧ - ص ٤٥٨ - ص ٤٥٩ - ص ٤٦٠ - ص ٤٦١ - ص ٤٦٢ - ص ٤٦٣ - ص ٤٦٤ - ص ٤٦٥ - ص ٤٦٦ - ص ٤٦٧ - ص ٤٦٨ - ص ٤٦٩ - ص ٤٧٠ - ص ٤٧١ - ص ٤٧٢ - ص ٤٧٣ - ص ٤٧٤ - ص ٤٧٥ - ص ٤٧٦ - ص ٤٧٧ - ص ٤٧٨ - ص ٤٧٩ - ص ٤٨٠ - ص ٤٨١ - ص ٤٨٢ - ص ٤٨٣ - ص ٤٨٤ - ص ٤٨٥ - ص ٤٨٦ - ص ٤٨٧ - ص ٤٨٨ - ص ٤٨٩ - ص ٤٩٠ - ص ٤٩١ - ص ٤٩٢ - ص ٤٩٣ - ص ٤٩٤ - ص ٤٩٥ - ص ٤٩٦ - ص ٤٩٧ - ص ٤٩٨ - ص ٤٩٩ - ص ٥٠٠ - ص ٥٠١ - ص ٥٠٢ - ص ٥٠٣ - ص ٥٠٤ - ص ٥٠٥ - ص ٥٠٦ - ص ٥٠٧ - ص ٥٠٨ - ص ٥٠٩ - ص ٥١٠ - ص ٥١١ - ص ٥١٢ - ص ٥١٣ - ص ٥١٤ - ص ٥١٥ - ص ٥١٦ - ص ٥١٧ - ص ٥١٨ - ص ٥١٩ - ص ٥٢٠ - ص ٥٢١ - ص ٥٢٢ - ص ٥٢٣ - ص ٥٢٤ - ص ٥٢٥ - ص ٥٢٦ - ص ٥٢٧ - ص ٥٢٨ - ص ٥٢٩ - ص ٥٣٠ - ص ٥٣١ - ص ٥٣٢ - ص ٥٣٣ - ص ٥٣٤ - ص ٥٣٥ - ص ٥٣٦ - ص ٥٣٧ - ص ٥٣٨ - ص ٥٣٩ - ص ٥٤٠ - ص ٥٤١ - ص ٥٤٢ - ص ٥٤٣ - ص ٥٤٤ - ص ٥٤٥ - ص ٥٤٦ - ص ٥٤٧ - ص ٥٤٨ - ص ٥٤٩ - ص ٥٥٠ - ص ٥٥١ - ص ٥٥٢ - ص ٥٥٣ - ص ٥٥٤ - ص ٥٥٥ - ص ٥٥٦ - ص ٥٥٧ - ص ٥٥٨ - ص ٥٥٩ - ص ٥٦٠ - ص ٥٦١ - ص ٥٦٢ - ص ٥٦٣ - ص ٥٦٤ - ص ٥٦٥ - ص ٥٦٦ - ص ٥٦٧ - ص ٥٦٨ - ص ٥٦٩ - ص ٥٧٠ - ص ٥٧١ - ص ٥٧٢ - ص ٥٧٣ - ص ٥٧٤ - ص ٥٧٥ - ص ٥٧٦ - ص ٥٧٧ - ص ٥٧٨ - ص ٥٧٩ - ص ٥٨٠ - ص ٥٨١ - ص ٥٨٢ - ص ٥٨٣ - ص ٥٨٤ - ص ٥٨٥ - ص ٥٨٦ - ص ٥٨٧ - ص ٥٨٨ - ص ٥٨٩ - ص ٥٩٠ - ص ٥٩١ - ص ٥٩٢ - ص ٥٩٣ - ص ٥٩٤ - ص ٥٩٥ - ص ٥٩٦ - ص ٥٩٧ - ص ٥٩٨ - ص ٥٩٩ - ص ٦٠٠ - ص ٦٠١ - ص ٦٠٢ - ص ٦٠٣ - ص ٦٠٤ - ص ٦٠٥ - ص ٦٠٦ - ص ٦٠٧ - ص ٦٠٨ - ص ٦٠٩ - ص ٦١٠ - ص ٦١١ - ص ٦١٢ - ص ٦١٣ - ص ٦١٤ - ص ٦١٥ - ص ٦١٦ - ص ٦١٧ - ص ٦١٨ - ص ٦١٩ - ص ٦٢٠ - ص ٦٢١ - ص ٦٢٢ - ص ٦٢٣ - ص ٦٢٤ - ص ٦٢٥ - ص ٦٢٦ - ص ٦٢٧ - ص ٦٢٨ - ص ٦٢٩ - ص ٦٣٠ - ص ٦٣١ - ص ٦٣٢ - ص ٦٣٣ - ص ٦٣٤ - ص ٦٣٥ - ص ٦٣٦ - ص ٦٣٧ - ص ٦٣٨ - ص ٦٣٩ - ص ٦٤٠ - ص ٦٤١ - ص ٦٤٢ - ص ٦٤٣ - ص ٦٤٤ - ص ٦٤٥ - ص ٦٤٦ - ص ٦٤٧ - ص ٦٤٨ - ص ٦٤٩ - ص ٦٥٠ - ص ٦٥١ - ص ٦٥٢ - ص ٦٥٣ - ص ٦٥٤ - ص ٦٥٥ - ص ٦٥٦ - ص ٦٥٧ - ص ٦٥٨ - ص ٦٥٩ - ص ٦٦٠ - ص ٦٦١ - ص ٦٦٢ - ص ٦٦٣ - ص ٦٦٤ - ص ٦٦٥ - ص ٦٦٦ - ص ٦٦٧ - ص ٦٦٨ - ص ٦٦٩ - ص ٦٧٠ - ص ٦٧١ - ص ٦٧٢ - ص ٦٧٣ - ص ٦٧٤ - ص ٦٧٥ - ص ٦٧٦ - ص ٦٧٧ - ص ٦٧٨ - ص ٦٧٩ - ص ٦٨٠ - ص ٦٨١ - ص ٦٨٢ - ص ٦٨٣ - ص ٦٨٤ - ص ٦٨٥ - ص ٦٨٦ - ص ٦٨٧ - ص ٦٨٨ - ص ٦٨٩ - ص ٦٩٠ - ص ٦٩١ - ص ٦٩٢ - ص ٦٩٣ - ص ٦٩٤ - ص ٦٩٥ - ص ٦٩٦ - ص ٦٩٧ - ص ٦٩٨ - ص ٦٩٩ - ص ٧٠٠ - ص ٧٠١ - ص ٧٠٢ - ص ٧٠٣ - ص ٧٠٤ - ص ٧٠٥ - ص ٧٠٦ - ص ٧٠٧ - ص ٧٠٨ - ص ٧٠٩ - ص ٧١٠ - ص ٧١١ - ص ٧١٢ - ص ٧١٣ - ص ٧١٤ - ص ٧١٥ - ص ٧١٦ - ص ٧١٧ - ص ٧١٨ - ص ٧١٩ - ص ٧٢٠ - ص ٧٢١ - ص ٧٢٢ - ص ٧٢٣ - ص ٧٢٤ - ص ٧٢٥ - ص ٧٢٦ - ص ٧٢٧ - ص ٧٢٨ - ص ٧٢٩ - ص ٧٣٠ - ص ٧٣١ - ص ٧٣٢ - ص ٧٣٣ - ص ٧٣٤ - ص ٧٣٥ - ص ٧٣٦ - ص ٧٣٧ - ص ٧٣٨ - ص ٧٣٩ - ص ٧٤٠ - ص ٧٤١ - ص ٧٤٢ - ص ٧٤٣ - ص ٧٤٤ - ص ٧٤٥ - ص ٧٤٦ - ص ٧٤٧ - ص ٧٤٨ - ص ٧٤٩ - ص ٧٥٠ - ص ٧٥١ - ص ٧٥٢ - ص ٧٥٣ - ص ٧٥٤ - ص ٧٥٥ - ص ٧٥٦ - ص ٧٥٧ - ص ٧٥٨ - ص ٧٥٩ - ص ٧٦٠ - ص ٧٦١ - ص ٧٦٢ - ص ٧٦٣ - ص ٧٦٤ - ص ٧٦٥ - ص ٧٦٦ - ص ٧٦٧ - ص ٧٦٨ - ص ٧٦٩ - ص ٧٧٠ - ص ٧٧١ - ص ٧٧٢ - ص ٧٧٣ - ص ٧٧٤ - ص ٧٧٥ - ص ٧٧٦ - ص ٧٧٧ - ص ٧٧٨ - ص ٧٧٩ - ص ٧٨٠ - ص ٧٨١ - ص ٧٨٢ - ص ٧٨٣ - ص ٧٨٤ - ص ٧٨٥ - ص ٧٨٦ - ص ٧٨٧ - ص ٧٨٨ - ص ٧٨٩ - ص ٧٩٠ - ص ٧٩١ - ص ٧٩٢ - ص ٧٩٣ - ص ٧٩٤ - ص ٧٩٥ - ص ٧٩٦ - ص ٧٩٧ - ص ٧٩٨ - ص ٧٩٩ - ص ٨٠٠ - ص ٨٠١ - ص ٨٠٢ - ص ٨٠٣ - ص ٨٠٤ - ص ٨٠٥ - ص ٨٠٦ - ص ٨٠٧ - ص ٨٠٨ - ص ٨٠٩ - ص ٨١٠ - ص ٨١١ - ص ٨١٢ - ص ٨١٣ - ص ٨١٤ - ص ٨١٥ - ص ٨١٦ - ص ٨١٧ - ص ٨١٨ - ص ٨١٩ - ص ٨٢٠ - ص ٨٢١ - ص ٨٢٢ - ص ٨٢٣ - ص ٨٢٤ - ص ٨٢٥ - ص ٨٢٦ - ص ٨٢٧ - ص ٨٢٨ - ص ٨٢٩ - ص ٨٣٠ - ص ٨٣١ - ص ٨٣٢ - ص ٨٣٣ - ص ٨٣٤ - ص ٨٣٥ - ص ٨٣٦ - ص ٨٣٧ - ص ٨٣٨ - ص ٨٣٩ - ص ٨٤٠ - ص ٨٤١ - ص ٨٤٢ - ص ٨٤٣ - ص ٨٤٤ - ص ٨٤٥ - ص ٨٤٦ - ص ٨٤٧ - ص ٨٤٨ - ص ٨٤٩ - ص ٨٥٠ - ص ٨٥١ - ص ٨٥٢ - ص ٨٥٣ - ص ٨٥٤ - ص ٨٥٥ - ص ٨٥٦ - ص ٨٥٧ - ص ٨٥٨ - ص ٨٥٩ - ص ٨٦٠ - ص ٨٦١ - ص ٨٦٢ - ص ٨٦٣ - ص ٨٦٤ - ص ٨٦٥ - ص ٨٦٦ - ص ٨٦٧ - ص ٨٦٨ - ص ٨٦٩ - ص ٨٧٠ - ص ٨٧١ - ص ٨٧٢ - ص ٨٧٣ - ص ٨٧٤ - ص ٨٧٥ - ص ٨٧٦ - ص ٨٧٧ - ص ٨٧٨ - ص ٨٧٩ - ص ٨٨٠ - ص ٨٨١ - ص ٨٨٢ - ص ٨٨٣ - ص ٨٨٤ - ص ٨٨٥ - ص ٨٨٦ - ص ٨٨٧ - ص ٨٨٨ - ص ٨٨٩ - ص ٨٩٠ - ص ٨٩١ - ص ٨٩٢ - ص ٨٩٣ - ص ٨٩٤ - ص ٨٩٥ - ص ٨٩٦ - ص ٨٩٧ - ص ٨٩٨ - ص ٨٩٩ - ص ٩٠٠ - ص ٩٠١ - ص ٩٠٢ - ص ٩٠٣ - ص ٩٠٤ - ص ٩٠٥ - ص ٩٠٦ - ص ٩٠٧ - ص ٩٠٨ - ص ٩٠٩ - ص ٩١٠ - ص ٩١١ - ص ٩١٢ - ص ٩١٣ - ص ٩١٤ - ص ٩١٥ - ص ٩١٦ - ص ٩١٧ - ص ٩١٨ - ص ٩١٩ - ص ٩٢٠ - ص ٩٢١ - ص ٩٢٢ - ص ٩٢٣ - ص ٩٢٤ - ص ٩٢٥ - ص ٩٢٦ - ص ٩٢٧ - ص ٩٢٨ - ص ٩٢٩ - ص ٩٣٠ - ص ٩٣١ - ص ٩٣٢ - ص ٩٣٣ - ص ٩٣٤ - ص ٩٣٥ - ص ٩٣٦ - ص ٩٣٧ - ص ٩٣٨ - ص ٩٣٩ - ص ٩٤٠ - ص ٩٤١ - ص ٩٤٢ - ص ٩٤٣ - ص ٩٤٤ - ص ٩٤٥ - ص ٩٤٦ - ص ٩٤٧ - ص ٩٤٨ - ص ٩٤٩ - ص ٩٥٠ - ص ٩٥١ - ص ٩٥٢ - ص ٩٥٣ - ص ٩٥٤ - ص ٩٥٥ - ص ٩٥٦ - ص ٩٥٧ - ص ٩٥٨ - ص ٩٥٩ - ص ٩٦٠ - ص ٩٦١ - ص ٩٦٢ - ص ٩٦٣ - ص ٩٦٤ - ص ٩٦٥ - ص ٩٦٦ - ص ٩٦٧ - ص ٩٦٨ - ص ٩٦٩ - ص ٩٧٠ - ص ٩٧١ - ص ٩٧٢ - ص ٩٧٣ - ص ٩٧٤ - ص ٩٧٥ - ص ٩٧٦ - ص ٩٧٧ - ص ٩٧٨ - ص ٩٧٩ - ص ٩٨٠ - ص ٩٨١ - ص ٩٨٢ - ص ٩٨٣ - ص ٩٨٤ - ص ٩٨٥ - ص ٩٨٦ - ص ٩٨٧ - ص ٩٨٨ - ص ٩٨٩ - ص ٩٩٠ - ص ٩٩١ - ص ٩٩٢ - ص ٩٩٣ - ص ٩٩٤ - ص ٩٩٥ - ص ٩٩٦ - ص ٩٩٧ - ص ٩٩٨ - ص ٩٩٩ - ص ١٠٠٠

جززها نواصي فرسانهم وكانوا يظنون أن لا تجزا
ومن ظن من يلاقي الجروب بأن لا يعاب فقد ظن جزا
نضيف ومرف حلق القرى وتتخذ الحمد ذخراً وكانوا
وبلبس في الحرب مرد الحديد وفي السلم خزا وعصا وقزا^(١)

وكان العرب في بعض الأحيان ، إذا أسروا شاعراً ربطوا لسانه بلسمة
حتى لا يجوههم إذا كان الهجاء في الجاهلية أخف وقماً على الأعداء من وقع الرماح
وفي ذلك يقول عبد قيس بن خفاف البرجمي :

وأصبحت أعددت للنساء لساناً برئاً وعصاً سقبلاً
ورقع لسان كعد السنان ورعاً طويل القناسة عولاً^(٢)

وفي ربط لسان الشاعر يقول عبد يغوث بن وقاص الحارثي من قصيدة عندما
أسرته تم في يوم الكلاب :

أقول وقد شدوا لساني بلسمة أمشر ثم أطلقوا عن لساني^(٣)
أما الساي من النساء ، فكان يتخذن زوجات أو أمهات ولد ،

وإذا قتل رجل من قبيلة رجلاً من قبيلة أخرى ، كان لراماً على قبيلة القتيل
أن تطلب الثأر من القاتل ، فتطالب بتسليمه لتقتله منه ، ولكن تسليم القاتل
يعتبر عاراً على قبيلة ، كما أن قبول الدية من قبيلة القاتل يعتبر عاراً لقبيلة القتيل
التي تسمى إلى الظفر بالقاتل ، فإذا امتنعت قبيلة القاتل أن تسلمه إلى قبيلة القتيل ،
وعمدت إلى حمايته والدود عنه ، فإنها تدخل في حرب بينها وبين قبيلة القتيل ،
وقد تمتد الحرب بذلك شيئاً حتى يتدخل لفضها وسطاء الخير من قبائل أخرى .
وقد تقبل بعض القبائل دفع الديات ، وكانت دية النفس عند عامة القبائل مائة
من الإبل ، ولكن دية الملوكة والأشراف تصل إلى ألف بغير^(٤) .

(١) نفس المرجع ج ٣ ص ١٧

(٢) محمد بن عبد الحسين ، الهجاء والهجاؤون في الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦٩ ص ٧٢

(٣) الأوسى ج ٣ ص ١٧ - الهوقي ، ص ١٩٩

(٤) الأوسى ج ٢ ص ٢٤

ويعتبر أهل القتل في العادة أنفسهم مرضى نفسانياً حتى يدركوا وقرعهم ،
وكأنوا يأخذون أنفسهم بطفوس بدوية عنها جزر الشعور وثق الجيوب وخمش
الوجوه وخروج الأبقار وغوات الخدر (١) ، كما فعل آل كليب عندما قتله
جاس ، وفي ذلك يقول مهلهل ،

كنا نغار على العواتي أن ترى	بالأسي خاربة من الأوطان
فخرجن حين نوى كليب حسرا	مستيفات بمده يهوان
يخمشن من أدم الوجوه حواسرا	من بمده ويعدن بالأزمان

كذلك يقصرون الثياب ويمتنعون عن أكل اللحم وشرب الخمر والاختلاط
بالنساء ويمحرمون الكفار ، كما حدث عندما امتنع امرئ القيس ، عندما بلغه نبأ
مقتل أبيه ، عن أكل اللحم وشرب الخمر والتطيب والاقتراب من النساء ، حتى
يدرك ثأره (٢) .

د - ألام العرب :

نقصد بألام العرب الوقائع والممارك التي نشبت بين قبائل العرب في الجاهلية ،
وهي وقائع كانت لتنب لأسباب متعددة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو
نفسية ، فبعض القبائل كانت ترى الغزو أمراً طبيعياً للتودد وتسيطر وتستأثر
بالرقامة والسود ، كالحروب التي قامت في يثرب بين الأوس والخزرج ، أو لتتخلص
من حكم أجنبي ، كالحرب التي قامت بين ربيعة واليمن بقصد رغبة ربيعة في
التحرر من طاعة اليمن . وقد يكون الهدف اقتصادياً ، فإن ضيق أسباب الحياة
في الجزيرة العربية أوجد حركة مستمرة نحو الماء والمرعى ، والتسابق على موارد
المياه ومنازل المشب كان حياً في قيام الحرب بين المتسابقين (٣) ، أو بين الوافدين

(١) ابن الأثير : ج ١ ص ٢١٦

(٢) ابن الأثير : ج ١ ص ٢١٨ - ملحق : التاريخ السياسي للدولة العربية : ج ١ ص ٥٢

- شوقي شحيد : النصر الجاهلي ، ص ٢٢٧

(٣) جواد علي : ج ٤ ص ٢١٤

والنازليين بهذا الموضع من قبلهم. وقد يكون الدافع العرب مجرد الرغبة في الغزو كالوقائع التي قامت بين قيم وبكر في يوم النجاج وثبتل^(١١) ، أو الاستجابة لما تتطلبه التسمية للروم أو الفرس مثل يوم عين أباغ ويوم حليمة. وقد تكون لأسباب نفسية دأبة من الرغبة في الدفاع عن الكرامة والشرف ، أو بسبب اعتداء على صيف أو حليف ، أو بسبب قصيدة في المعاء ، أو بسبب المعصية .

وهكذا كانت حياة العرب قتال في قتال ، دماء تسفك ، ودماء تراق ، ولم يكن يطفئ الدماء إلا سفك دم جديد ، ويشهد القتل والثأر ، وتتوارث القبائل المتخصصة الثارات ، حتى إذا تقاسم الأمر وأنت أب على الحرث والقتل ، تداهوا إلى الصلح ، وتحمل الديات والمضارم^(١٢) . ولكثرة سفك الدماء اصطاح العرب على أشهر أربعة حرموا فيها القتال تعرف بالأشهر الحرم وهي : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب^(١٣) ، ومع ذلك فقد كان النساء يلتصقن بالشهور أي يؤخرونها ويحرمون مكابها أشهراً يحمل فيها القتال ، وأول من نأ الشهور حذيفة (بن عبد بن عقيم بن عدي بن عاصر بن ثعلبة بن الحسارث بن مالك بن كنانة ، وفي ذلك يقول عيمر بن قيس جندل الطعان أسد بني فراس بن ظم بن ثعلبة بن مالك يصغر بالنساء على العرب :

لقد عفت معد أن قومي كرام للناس أن لهم كراما

فأي الناس فاتونا بوتر وأي الناس لم نطك لجاما

ألسنا للناسين على معد شهر الحبل نجملها حراما ؟^(١٤)

وأيام العرب كثيرة للغاية ، وعلى الرغم من كثرة ما رواه الأخباريون عنها

(١) جرير زيدان ٤ ص ٢٥٧

(٢) شعبي شيف ، العصر الحططي ، ص ٦٢

(٣) صاعد ، التاريخ السيلسي للفولك المروية ، ج ١ ص ٥١

(٤) ابن هشام ، (السيرة) ج ١ ص ٤٦ ، ٤٧

فإنهم لم يتقلا منها إلا عددا قليلا من الأيام التي كان لها أهمية خاصة وأهلوا الأيام التي لم تكن لها آثار عامة في حياة العرب. وذكروا أن أبا عبيدة (تريسة ٢١١ هـ) صنف كتابا المردد لرواية ١٢٠٠ يوم من أيام العرب، ولألف لم يصل إلينا^١. ومعظم هذه الأيام تحمل أسماء المواضع التي قامت بحوارها أو قريبا منها مثل يوم ذي طلوح، ويوم السباج، ويوم خزاز، ويوم جدود، ويوم ذي قار، ويوم فليج، ويوم أواره، ويوم الوقيظ، ويوم عين أبغ، ويوم قشاعة، ويوم الشيطان، ويوم الرحرهان، ويوم القنائب. وقد تسمى بعض أيام العرب بأسماء من تسبب في قيامها، مثل حرب البسوس، وحرب داحس والغبراء أو بالمناسبة التي حدثت فيها مثل حرب الفجار.

وتختلف أيام العرب بحسب وقوعها بين المتخاصمين، فهناك أيام حدثت بين القبائل القبطانية وحدها، وأيام وقعت بين المدينية وحدها، وأيام وقعت بين القبائل القبطانية والمدينية، وأيام وقعت بين الفساسة وأبناج الروم والمتافرة أتباع الفرس، ومنها يرمكان وقما بين العرب والفرس مما يوم ذي قار ويوم الصفقة.

وأيام العرب غير منسقة وفقاً لترتيب وقوعها وتسلسل أزمائها، بحيث يقص على الباحث تنظيمها على أساس تاريخي. وسنقتصر هنا على تلخيص بعض الأيام المشهورة :

١ - يوم خزاز (أو خزازي) .

ذكر ياقوت أن خزاز جبل بطرفة بنجد ما بين النمر إلى مكة^١، ويوم خزاز من الوقائع الكبرى التي وقعت بين المدينية والقبطانية بين معد ومذحج

(١) وذكر الأيوبي أن له للدرج الاصغر تسع مئة سنة ابتداء من يوم العرب يسمى كتاب المردد لذلك مكتب المد ومبينة يوم، الأيوبي ج ٢ ص ٦٨ .
(٢) ياقوت، معجم البلدان ج ٢ ص ٢٠٤ خزاز ج ٢ ص ٢٦٥ .

وانتهت بانتصار معد ، وإلى هذه الواقعة يرجع الفضل في تحرر عرب عدنان من
 التبعية لحير . وسبب هذا اليوم أن مضر وربيعة اجتمعوا على أن يحلوا بينهم
 ملكاً يقضي بينهم ، فكل أراه أن يكون منهم ، ثم راضوا على أن يكون من
 ربيعة ملك ، ومضر ملك ، ثم اختلفت بطون مضر وربيعة على ذلك ، وأخيراً
 اتفقوا على أن تتخذوا ملكاً من اليمن ، فملك سواعر شراحيل بن الحارث
 ابن عمرو المقصور الذي يرتفع سبه إلى كندة ، وملك بنو قح رضة محرق بن
 الحارث ، وملك وائل شراحيل بن الحارث ، وملك ثعلب ويكر سلة بن
 الحارث ، وملك بقية قيس غلفاء وهو معد ويكر بن الحارث ، وملك
 بنو أسد وكثافة سحر بن الحارث ، ثم قار بنو أسد بحجر وقتلوه ، وهضت
 بنو عامر على شراحيل فقتلوه ، وقتلت بنو قح محرقاً ، وقتلت وائل شراحيل ،
 ولم يبق من بني آكل المزارع غير سلة .^(١)

وأرد سلة بن الحارث أن يشار لأخوته ، فجمع جوع اليمن وحلف إلى
 الشمال ليقتل زاراً ، وبلغ ذلك زاراً ، فاجتمع منهم بنو عامر بن صمصمة وبنو
 وائل ثعلب ويكر ، وبلغ الخبر إلى كليب وائل^(٢) ، فجمع ربيعة ، وقدم على
 مقدمته السامح التنفلي واسمه سلة بن خالد ، وأمره بأن يملأ جبل خرازي ،
 فوقد به النار ليتهدي الجيش مناره ، وأوصاه أن يوقد نارين إذا غشي المدو ،
 وأقبل سلة ومعه جوع قبائل مدحج ، وهجمت مدحج على خرازي ليلاً ، فرقع
 السامح نارين ، فأقبل كليب في جوع ربيعة إليهم ، فصحبهم خرازي ، واشتاك
 الفريقان وانتهى ذلك بانتصار ربيعة وهزيمة اليمن . وفي انتصار معد يقول عمرو
 ابن كلثوم التنفلي :

وبحى عداء أوقد في خرازي رعداً فوق رعد الرعد
 برأس من بني حشم من مكر ندى به السهولة والحروا

(١) راجع لمناصب ذلك في مؤلفات في تاريخ العرب ، ص ١٠١ - ١٢٥
 (٢) أو وائل بن ربيعة . راجع عد جسم بن قح عد حبيبة بن عمرو بن قحم بن سلة بن وائل .

وفي يوم خزازي يقول عمرو بن ربيعة .

كانت لنا بجزازي رفعة عجب	لما اتفينا ، وحادي الموت يحديها
ملنا على وائل في وسط بلدتها	ودو الفخار كليب العر يحميها
فد فوضوا وساروا تحت رابت	سارت إليه معد من أقاصيها ،
وحير قوما سارت مقاولها	ومدحج القر سارت في تعاميتها

ويوم خراز على حد قول أبي زياد الكلابي أعظم يوم النقتة العرب في الجاهلية ،
ففيه تمورت معد من سيطرة حير ، وظلت معد بمتعة قاهرة لليمن حتى جاء
الإسلام^(١) .

٢ - حرب البسوس

تعتبر من الحروب الهامة في تاريخ العرب في الجاهلية ، فقد كانت حرب
البسوس معارك متفرقة حيناً و متباعدة حيناً آخر ، ودامت وقائعها نجواً من
أربعين سنة منذ نشبت في العشر سنين الأخيرة من القرن الخامس الميلادي إلى أن
انصحت عدي بن ربيعة المعروف بـهليل فنيا يقرب من سنة ٥٢٥ م^(٢) . وقد
ضرب العرب بحرب البسوس القتل ، فقالوا : « أشام من صواب » .

ولتفصيل حرب البسوس أن لواء ربيعة بن نزار كانت يتوارث بين يثبه بن
الأكبر إلى الأكبر من ولده ، فكان اللواء في عنزة بن أسد بن ربيعة ، ثم تحول
للواء في عبد القيس بن أفضى بن دهمي بن حديلة بن أسد ، ثم تحول إلى النضر بن
قاسط بن هنب ، ثم إلى بكر بن وائل ثم إلى تغلب ، فواله وائل بن ربيعة ،

(١) ابن الأثير ج ١ ص ٢١٠ - يفلوت ، بحجم البنداء ، بداية لخوار ، ج ٢ ص ٢٦٦

- جرحه بدهان ٢ ص ٢٥٤ - شعر ترويح ، ص ٩٧ ، ٩٨

(٢) صدر ترويح ، ص ٩٨

المعروف بكليب^(١)، بطل يوم خزازي ، وكانت معد قد شرفت فجمعت له التاج والطاعة وأصبح سيد بني معد ، قدسده زهو شديد وبني على قومه ، وكان لكليب حمى من العالمة لا يقربه أحد قط ، ولا يتجرأ شخص أن يطأه ، وجعل في حابته بعض ألواح الموحش حتى كان يقول : « وحش أرض كذا في جوارى فلا يصاد »^(٢) . وأصبح الناس لا يرفعون إليهم مع إبله ، ولا يوقدون ناراً مع ناره ، ولا يتجرأ أحد أن يمر بين بيوتهم . ثم تزوج كليب امرأة من شيان من بكرى هي جليقة بنت مرة بن شيان أخت جساس بن مرة ، واتفق أن رجلاً يقال له سعد بن شحيس ابن طوق الجرهمي نزل بالبسوس بنت خلف التميمية خالة جساس ، وكان للجرمي ثقة اسمها سراب تركها رعى مع نوق جساس في حمى كليب . فخرج كليب يوماً يتمهد الإبل ومراعيها ، فألقاها ورده فيها ، وكانت إبله وإبل جساس مختلطة ، فنظر كليب إلى سراب ، فأنكرها وسأل جساس ، وكان في صحبته ، عن أمرها ، فأخبره بخبرها ، فأمره كليب بإبعادها عن حمى ، فاستاء جساس من ذلك لأن الجرهمي نزل به وضيفه وله عليه حق الجوار ، فلم يملك غضبه وقال لكليب ، « لا ترحى إبل مرعى إلا وهذه معها » ، فقال كليب : « لأن عانت لأضغن سهمي في ضرعها » ، فرد عليه جساس بقوله : « لأن وضعت سهمك في ضرعها لأضغن سنان رعي في لبنك »^(٣) . واتفقا ، فذهب كليب إلى زوجته وقص عليها ما حدث بيته وبين أخيها جساس ، فضافت عاقبة التنافر والتعدي ، وأصبحت إذا أراد الخروج إلى حمى منعه وناشدته الله أن لا يقطع رحمه ، وكانت تهني أختها جساساً أن يسرع إبله ويخرج كليب يوماً إلى الحمى ، وجعل ينصفح إبله ، فرأى ثقة الجرهمي ، فرمى ضرعها ، فألقذه ، فولت ولها عبيج حتى بركت بطنه

(١) لقب بكليب لأنه كان إذا سار أخذ معه جرو كلب ، فإذا مر بروضة أو بوضع أمهه جديه فمر النساء إلى تلك المكان وهو يصيح ويحوي ، فلا يسمع هؤلاء أحد إلا فضيه (الحسن)

(٢) الأثير ، ج ١ ص ٢١٢

(٣) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢١٢

(٤) الحسن المصنف

صاحبها . فلما رأى ما بها صرخ بالذل ، وسمعت السوس صراخ جارها ، فخرجت إليه ، فلما رأت ما حل بناقته ، وضعت يدها على رأسها وصاحت : « وادلاء » . وكان جساس حاضراً ، فأسكتها وسكن الجرمي ، وقال لها : « إني سأقتل جلا أعظم من هذه الناقة » ، سأقتل غللا ، « وكان غلال يحمل إبل كليب ، وكانت جساس يقصد بقاته كليباً ، وخرج جساس يتحين الفرص لينال مرامه من كليب فخرج كليب يوماً آمناً ، فلما بعد عن البيوت ، ركب جساس فرسه وحمل رمحاً وسار في أوره يتعقبه ، حتى أمركه ، وقال لكليب : « يا كليب الرمح وراءك » ، فقال : « إن كنت صادقاً فأقبل إلى من أمامي » ، فلم يمس جساس بما قاله ، وطمنه من الخلف فأرداه قتيلاً ، ولما علم قوم كليب بمقتله دفنوه . وقد شقوا الحبوب وخشوا الوجوه ، وخرجت الأبقار ودوات الخدود إليه ، وطردوا جليلاً بنت مرة لأنها أحت قاتل كليب . وكان لكليب أخ اسمه مهليل ، يضرب به المثل في الشجاعة ، وكان يوم مقتل أخيه عاكفاً على الشراب ، فلما بلغه مقتله جز شعره ، وقصر ثوبه وحجر النساء ، وترك المنزل ، وحرم القمار والشراب ، وجمع قومه لنثار ، وأرسل منهم وقدأ إلى بني شيبان وعليهم مرة بن ذهل بن شيبان في نادي قومه ، فقالوا له : « إنكم أنتم عظيماء بقتلكم كليباً بناقته » ، وقطعتم الرحم ، وانتهمكم الحرمة . وإذا نعرهم عليكم خللاً أربما لكم فيها مخرج ولنا فيها مفتح : إما أن نحبس لنا كليباً ، أو تدفع إلينا قاتله جساساً فقتله به أو هما فإنه كفء له ، أو نمكتنا من نفسك ، فإن فيك وفاء لدمه . فقال لهم : « أما إحيائي كليباً فلمست قادراً عليه ، وأما دفعي جساساً إليكم فإنه غلام طعن طعنة على حمل وركب فرسه فلا أدري أي بلاد قصد ، وأما همام فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة ، كلهم فرسان قومهم ، قلن يسلموه يحريرة غيره ، وأما ألا لنا هو إلا أن نجعل الخيل حولة فأكون أول قتيلا ، فما أتعجل الموت . ولكن لكم عندي خصتان . أما إحداهما فهؤلاء أبنائي الباقون ، فخذوا أيهم شتم هاقتوه بصاحبكم ، وأما الأخرى ، فإني أدع إليكم ألف ناقة موه المصدق حر

الور ، ١١ . فنضب القوم ، ونشبت الحرب بينهم ، فكان أول قتال بينهم ، في قول ، يوم عيزة عند فليج تكافاً فيه الفريقان ، ثم التوا بعد فترة في ماء يقال له النهي ، ثم التوا بالذئب وهي أعظم وقائع البوس ، فظفرت بنو تغلب وقتل شراحيل بن مرة بن همام بن ذهل وقتل الحارث بن مرة ، وقتل عمرو بن سدوس ابن شيان ، وغيرهم من رؤساء بكر . ثم التوا يوم واردات ، فظفرت تغلب أيضاً وكثر القتل في بكر ، فقتل همام بن مرة .

ومن أيام البوس أيضاً ، يوم القصبات ، ويوم قضة ، ويوم النقية ، ويوم اللصيل ، ودامت الحرب أربعين سنة قتل فيها جساس على يدي الهجرس بن كليب . ولم تنته الحرب إلا بعد أن قام قيس بن شراحيل بن مرة بالصلح بين بكر وتغلب ، بعد أن ترك هليل ديار قومه إشفاقاً عليهم من استمرار الحرب ، ومضى إلى اليمن ، ونزل في حنب وهي حي من مذحج (٢١) .

٣ - حرب داحس والغبراء

تعتبر هذه الحرب من أيام العدنانية المشهورة ، وحدثت بين بني عيس وبين بني ذبيان وبني غطفان ، وكانت مناورات استمرت زهاء أربعين سنة (من ٥٦٨ إلى ٦٠٨ م) . وكان سببها أن حذيفة بن بدر المزاري كانت له خيل كثيرة ، فقدم إليه قيس بن عيس يقال له رده بن مالك ، وقال له : « لو انخفضت من خيل قيس (٢٢) فعلاً يكون أصلاً لحيلك . فقال حذيفة : خيلي خير من خيل قيس » ولما في ذلك حتى واهنا على فرسين من حيل قيس هما الخطار والحنفاء ، وفرسين من حيل حذيفة هما داحس والغبراء ، وقيل أن الرهن على التسابق كانت على فرسي داحس والغبراء . واتفق حذيفة وقيس على أن يكون السباق قدر مائة وعشرين علوة ، والسبق مائة بمر ، فضاف حذيفة أن يظفر قيس بالرهن فأقام رجلاً من بني أسد في الطريق ، وأمره أن يمتدح داحساً والغبراء في وادي ذات

(١١) ابن الأثير ٤ ج ١ ص ٢١٨

(٢١) قيس المصنف ٤ ص ٢٢١ - صحيح الامم ١ ج ١ ص ٢٦١

(٢٢) يظفر قيس بن بدر الغبي منه عيس

الاصاد ويعوقها عن السباق ، فلما وصل داحس إلى الثقبه ، وكان سابقاً ، اعترضه
الأسدي ، ثم وصلت الغبراء بعده مصليه (أي الثانية) ، وجنّب راعيها طريق
الثنية حتى لا يعترضه الأسدي وانتهى السباق بسبق الغبراء ، وتبعها الخطار فرس
حذيفة ، ثم الخنفاء فرسه أيضاً ثم جاء داحس بعد ذلك ، واختلف قيس وحذيفة
في السبق ، وطالب حذيفة بالرهن وأرسل ابنه إلى قيس يطالبه به ، فقتله قيس ،
فقامت الحرب بين عيس وديان فكانت أولى الوقائع بينهما على صماء يقال له
العدق ، ومن أيامها يوم البوار ويوم ذات الجراجر ، ولم تتوقف الحرب إلا بعد
أن تدخل الحارث بن عوف بن حارثة المري ، وهرم بن منان ، وتم المصلح بين
عيس وديان^{١٦٦} .

الحياة الاجتماعية

١ - المجتمع القبلي في الجاهلية

(١) طبقات المجتمع

كان المجتمع القبلي في الجاهلية ينقسم إلى ثلاث طبقات اجتماعية : طبقة القبيل أو جمهور أبناء القبيلة للصحراء ، وطبقة الموالي الذين استسلموا في القبيلة عن طريق الحلف أو الجوار ، ثم طبقة العبد والرقيق .

أما طبقة الصحراء فهم أبناء القبيلة الذين يرتبطون فيما بينهم برابطة الدم ، وهم جمهور القبيلة ودعامتها ، وكانوا يهونون لتلبية نداء القبيلة والتضامن معها طامعة أو مظلومة ، والقبيلة نظير ذلك تسبغ عليهم حمايتهم ، وتعتمد حق التصرف كالأحارة ، ولكنها لا تبسح لهم الخروج على العرف والتقاليد ، فإذا سلك الفرد سلوكاً شائناً يسيء إلى سمعة القبيلة ، ويحلب عليها العار ، نبذته القبيلة ، وأخرجته منها ^(١) ، فيعتبر خليع قبيلته ، وعندئذ يلبس إلى قبيلة أخرى ، فيعتبر جاراً لها أو مولى من مواليتها ، أو يلبس إلى الصحراء ، ويمش على قائم سيفه وحده نعله ، ويصبح صملوكاً من صماليك العرب ، أو مقامراً ، ليتخلص من شقاء الفقر ^(٢)

١ : العبد للعبيد ، ص ٢٤

٢ : (الحوي) ، ص ٢٥٠ - العبيد ، ص ٢٤

وقد التافه ، إذ كان أبي النفس ذا أئمة .

أما طبقة الموالي ، فبدخل فيها الخلفاء وهم الخلفاء الذين خاضتهم قتالهم وفصلتهم عنها وتترأت منهم لجرائم ارتكبوها ، ثم دخلوا في قبيلة أخرى على أحاس الموالات بالجوار ، وكان الخلع يتم في الأسواق والمخافل ، كما بدخل فيها الصعاليك المفاكرون^(١١) كما بدخل في طبقة الموالي أيضاً السقاء ، وكانوا في الأصل سيدياً ثم اعتقوا^(١٢).

وكان هؤلاء الموالي سواء كانوا حلفاء أو عتقاء نفس حقوق أفراد القبيلة التي يرأونها وعليهم نفس الواجبات ، ولكن رابطة الجوار كانت موقوتة ، فهي تبقى ببقاء الجار في كنف مجيره ، وتحل بمجرد هجره ، وفي هذه الحالة يعلن الججير أنه في حل من حمايته ولكن رابطة الحلف تبقى ، فهي رابطة قوية غير مؤقتة ، وكانت هناك أحلاف فردية وأحلاف جماعية كان تتسالف قبيلة مع قبيلة أخرى ، والحلف في هذه الحالة أشبه بجماعة ، وقد شاع نظام الحلف في العصر الجاهلي وانتشر انتشاراً واسعاً قبل الإسلام حتى أن القبائل التي اعتمدت على نفسها ولم تدخل في أحلاف سميت جمرات العرب ، لاعتمادها على شجاعة أبنائها الفردية . ويتم الحلف عن طريق الموائيق واليهود^(١٣) ، ومن أمثال الأحلاف العربية : حلف المطيين وحلف الفضول ، وحلف الرباب ، وحلف الحس ، وحلف قريش والأحباب^(١٤) . أما العتقاء فهم موالي أيضاً ، ويرتبط المعتق بسيد الصائق برابطة الولاء .

أما طبقة الرقيق فكانت تؤلف طبقة كبيرة في المجتمع القبلي في الجاهلية ،

(١١) من بين الصعاليك المشهورين نطش شراء والصديق بن السكة ، والسنطري ، وحرورة

ابن السور .

(١٢) توفي سيده ، العصر الجاهلي ، ص ٦٧ — النووي ، ص ٢١١

(١٣) كان العرب يعتقدون الطيف على دم الخنزير ، أو بغض الأيدي في جدار سلوة بقميص

أو حبسها في الطيب كحلف الحسين ، أو في الدرب وهو عبارة النصارى كطيف الدرب

(١٤) الدلازلي ، أسماء الأرقام ، ص ٧٦ — الفريد ، ص ٢٤ — ٤٧

والرقيق إما أبيض أو أسود ، ومعظمهم يشترى في الأسواق ، وبعضهم يجلب من أسرى الحروب . وكان الممدد الأعظم من الرقيق عبيداً سوداً يعرفون بالأحابيش ^(١١) يستقدمون من الحبشة أو السودان ، ولكن بعضهم كُتِبَ من بين الأسرى في الحروب ، روماً كانوا أم فرساً ^(١٢) ، وكان أبناء الإمام البيض من آباء عرب يعرفون بالهجناء ، أمسا أبناء الإمام السود ، فيطلقون عليهم اسم أغربة العرب ، ومن هؤلاء عنادة بن شداد .

وكانت طبقة العبد في المجتمع الجامعي طبقة محرمة من الامتيازات ، بل على العكس من ذلك كانت طبقة مثقلة بالواجبات نحو ساداتها ، وكان يوكل إليهم بالأعمال التي يأنف العرب من القيام بها مثل الرعى والحداذة والحجامة والتجارة . وكان في إمكان العبد أن يمشى إذا قام بعمل خارق أو أدى خدمة عظيمة لسيده بلبس مثقلة وتحريره .

ب - الأغنياء والفقراء :

كان من العرب فريق ينعم بالفراء والثرف ، وفريق يعاني مرارة الفقر والمؤس ، أما للفريق الأول فكانوا إما يشتملون بالتجارة ، فيكونوا قرواتهم من هذا الطريق ، وإما كانوا يشتقون بالزراعة في أطراف الصحراء العربية في اليمن وفي الحيرة وفي مشارف الشام وفي الواحات الداخلية وخرات ، وكان أثرياء العرب فقراً إذا قيسوا بفقراتهم الذين يؤلفون جمهور سكان البادية .

(١١) راجع الفصل الخامس بالأحابيش في :

Lammens, L'Arabie Occidentale avant l'Islam, pp. 244-257

(١٢) كان للرسول مولى روس هو صبيغ التوسي ، ومولين حبيشان مما يثقل بن رهاج وثبشة ، ومولى فارسي هو سلطان ، ومولى نوبس هو يسار أو يسار (راجع الفصل الخامس بموالي رسول الله - ص ١٨٠ - ١٦٧ - ١٥٧ - ابن هشيم ، المعرف ، ص ١٨٠ - ١٦٤)

ولقد صور الشعراء ما كان يعم به أغنياء غسان والحيرة واليمن ، فالنابغة
 بصور روف بني عسان ، فيصلمهم بأنهم يلبسون للتمال الرقاق ، والثياب المصنوعة
 من الخز الأحمر شمار الملوك ، فيقول :

رفاق التمال طيب حجزاتهم يحيون بالريحان يوم السباسب
 تحميم بيض اللاتد بينهم وأكبة الإضربج فوق المشاجب^(١)
 وتصف الحساء ثياب قومها في السلم فتقول :

وليس في الحرب سرد الحديد وفي السلم خزا وعصباً وقزا^(٢)

أما امرأة الحجار ، فقد كونوا روايتهم من اشتغالهم بالتجارة والزراعة في
 الواحات ، وكان كل امرأة قريش تجاراً ، لا يكاد يعرف لكثير منهم عمل غير
 التجار ،^(٣) فكانوا يظلمون غيرهم في الشتاء إلى اليمن حيث يشتاعون سلع الهند
 والخشن فيحصلونها إلى الحجاز ، وعيرا في الصيف إلى الشام ، فيفرونها في أسواق
 غزة وبصرى وغيرها .

وقد أدى اختلاط القرشين بالروم والقرس والأحباش إلى أخذهم الكثير من
 تقاليد هذه الشعوب ، فتأثروا بهم ، وأعادوا منهم ، وفقدوا في اللباس والزي ،
 وفي الطعام والشراب ، فبدأ ابن جعدان أتى إلى العرب بطعام لا عهد لهم به ،
 هو العالودج الفارسي ، ورويت له أخبار أشد مما يروى عن الملوك ، فكان يتخذ
 الفياض يشينه ثم يهين لادعاه ، وكان يقضي عن الناس ديوتهم ، وكان شاعره أمية
 ابن أبي الصلت يلقب عند العرب بحاسي الذهب^(٤) . ومن مظاهر زواة قريش أن
 عثمان بن عفان جهز وحده جيش الصرة (توك) بتسعمائة وخمسين ميراً وأتباعاً

(١) الهوي ، ص ٢٢٢

(٢) التوسي ، ج ٢ ص ١٧

(٣) سعيد الأحمشي ، أسواق العرب ، ص ٩٥

(٤) التوسي ، ج ٢ ص ٨٧ - سعيد الأحمشي ، المرجع السابق ، ص ١١٥

ألفاً بمحسب فرساً ، وهو الذي اشترى بأثر رومة في بئرب ، اشترى نصفها أول الأمر بآلتي عشر ألف درهم فجعله للسلين ، ثم اشترى النصف الثانية بمائة آلاف درهم^{١١} ، ويروي ابن سعد أنه كان له عند خازنه يوم قتل ثلاثي ألف ألف درهم وخمسمائة ألف درهم ، ومائة وخمسين ألف دينار انتهت كلها ، وترك ألف مبعير بالريذة ، وترك صدقات كان تصدق بها بمراديس وخيبر ووادي القرى قيمة عائتي ألف دينار^{١٢} ، وكانت تركة عبد الرحمن بن عوف ألف مبعير وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس رعى بالبقيع ، وكان في جملة ما تركه ذهب قطع بالفلوس حتى جعلت أبدي الرجال منه ، وترك أوبع نسوة ، كان يصيب كل امرأة منهن ثمانين ألف درهم^{١٣}

ومن مصادر ثروات العرب الأسواق التي كانت تقوم على فرض البحر مثل سوق عدن ، وصماء وعمان ، أو الداخلية كمعبر وحضرموت وعكاظ وذوي الجواز والجمة والمريد ، وقد جعلت هذه الحركة التجارية كثيراً من ألوان الغرف إلى العرب ، فأسروا في ارتداء البرود والثياب الحريرية ، وحصل الصيوف ، واستخدم الطيب^{١٤} .

أما الفقراء فكانوا يؤلفون سواد العرب ، وقد سجل الشعر العربي أسماء كثير من الفقراء الذين عبروا بشعرهم عن الحرمان والفاقة ، فهذا عروة بن الورد يحس بأزدياء الناس له لعقره ، وتفرقهم عن حوله ، فيقول .

دريي للفن أسمى دلي
وأهوجم وأحقرهم لدحم

رأيت الناس شرهم اللقيز
وإن أسمى له نسب وخير

١١ ٢٢١ ابن خزيمة ، المعارف ، ص ٦٤

١٢ ٢٢١ ابن سعد ، الطبقات ، ج ٣ ص ٥٢

١٣ ٢٢١ ابن سعد ، الطبقات ، ج ٣ ص ٥٢

١٤ ٢٢١ ابن سعد ، الطبقات ، ج ٣ ص ٥٢

ويقيم في الندي وتزديده حليته ويشهره الصغير^(١)
 وهذا عبيد بن الأبرص الشاعر، لا يحفل بفراق روحته التي لم تدم تهم منه لعقده
 وأبانت معاشرتها له، فيقول :

نك عرسى عسى تريد وبإي ألسني ترصد أم لدلال
 إن يكن طبعك الفراق فلا أحد قل أن لسطفي صدور الجبال
 كت بيضاء كالمهابة وإذا آتيتك نشوان مرحباً أذيلي
 فاركي مط حاجبك وعيشي معنا بالرجاء والتأمال^(٢)

وصالك العرب، هم جماعة أصابهم الفقر، فتأقوا إلى اللقي، عن طريق
 المعامرة والغزو اعتقاداً منهم أن المال مال الله، وأن من حق المحروم أن
 يأخذ من الموسر عنوة وقسراً، وكان الصاليك مقامر ينقسمون بالشجاعة
 والألفة، ولذلك عدت المملكة عند العرب مفعرة ومزية لأنها شيمة الشجعان^(٣)،
 لغروة بن الوردي لا تصور الفضيلة والمجد إلا في المحاطر والمغامرات وركوب
 الصواب ويمر عن ذلك بقوله

لمى الله صملوكاً إذا من ليله مضى المشاش آلفاً كل مجزور
 يمد الفتي من دهره كل ليلة أصاب قراها من صديق مبسر
 ولكن صملوكاً صيفة وجهه كضوه شهاب القابض التنور
 مطلا على أعدائه يزجرونه مساحتهم دجر المنبج المشهر^(٤)

وبعد صملوك آخر هو أبو الفشاش بالصوصبة ويمجب من اللقي القانع الخانع
 الذي يرضى بالفقر بينما يرى الغراء أمامه مدولاً للفق المفاقر فيقول :

(١) النجاشي ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥

(٢) ديوان عبيد بن الأبرص ٤ ص ١١ - الجرجي ١ ص ٢٢٥

(٣) النجاشي ١ ص ٢٢٦ - ٢٢٧

(٤) محمد حسين ١ الحماد والهمادي ١ ص ٨٢-٨٣

فلم أر مثل الفقر صاحبه الفخ ولا كمواد الليل أخفق طالع (١)

ج - صفات العرب :

١ - الكرم :

كان العربي في أوقات السلم سخياً يبالغ في كرمه ويستعين في ذلك بالمال ، فهو يمتد الكرم إحدى مظاهر التقيد ، وفي ذلك يقول حاتم الطائي :

يقولون لي أهلكت مالك فافتصد وما كنت لولا ما تقولون سيداً (٢)

وكان لهم باليسر منحنياً عن السخاء والكرم ، فان أثرياءهم كانوا في شدة التردد وكتب الزمان ييسرون بالقдах على جرور يجرؤونها ، فإذا قمر أحدهم جعل أجزاء الجزور لدوي الحاجة والفقر ، وكان الثمراء يمدحون من يأخذ القдах ، ويعيون من لا ييسر ويسموه البرم ، وفي ذلك يقول لبيد بن ربيعة :

وحزور أيار دعوت لحقها بفالقي مثالبه أجسامها

أعقوبهن لعافر أو مطلق بدلت لحيان الجميع لحامها

فالضيف وإجار الجنيب كآفة عط تالة مخصياً أمصامها (٣)

فالشاعر يشير إلى حرور ما يذبح أصحاب ليس دعا مدماءه لثمرها بسمام اليسر ، حتى يبدل لها للحيوان ، فيشعرون كأنهم زلوا برادي تباله ذي السهول المخصبة (٤) .

ويتجلى كرمهم في الاحتفاء بالضيف والترحيب به ، وفي إحكام الأراطل

(١) نفسه ، ص ٨١

(٢) المعري ، ص ٢٣٦

(٣) الأوسى ، ج ١ ص ٧١

(٤) المعري ، ص ٢٣٦

واليتامى والسائلين إذا ما اشتد البرد ، رشح المطر ، ولم يجد الناس طعاماً ، وفي ذلك تقول الخنساء :

رأيت صغراً لكافيتنا وسيدنا وإن صغراً إذا نشئوا لنهار

وقال مضر بن ربيعي :

وإني لأدعو الضيف بالضيوف بعدما كسى الأرض مضاح الحليد وجامده
أبيت أعشبه السديف وإنني بما قال حتى يترك الحي حامده^(١)

وكانوا يتباهون بكثرة الأضياف ، فيسمون إلى اجتفابهم في الليالي الباردة بإيقاد النار حتى يراها المسافر يقصدها ، كذلك كانوا يجتنبون الضيف بتباح الكلاب ، وفي ذلك يقول شريح بن الأوصى :

ومستنح ينمي الميت ودونه من الليل مجفأ خلفة وستورها
رفعت له ناري فلما أهدى بها زجرت كلابي أن يهر عطورها^(٢)

وكان من دواعي الهجاء عند شعراء الجاهلية إطفاء النار عندما تستبح الأضياف الكلاب ، ويصر عن ذلك الأخطل في هجائه لحرير بقوله :

قوم إذا استبح الأضياف كلهم قالوا لأهمهم بولي على النار^(٣)

ومن اشتهر بالحدود والكرم وضرب به المثل في السخاء حاتم الطائي ، وهو حاتم بن عباد بن سعد بن الحشرج الطائي ، أحد شعراء الجاهلية ، وكان يعترف بأنه عبد للضيف ، وفي ذلك يقول :

وإني لعبد للضيف ما دام ثاوياً وحاً في إلاتك من شيمة العبد^(٤)

(١) الأوصى ، ج ١ ص ٦٧ . والضيف تحم الضيف ، وكل من خدم السديف من

بما هو العرب

(٢) الأوصى ، ص ٦٦

(٣) محمد حسن ، الهجاء والمجاهون ١ ص ٤٠

(٤) الأوصى ، ص ٧٥

وفي شعر له يمد غلامه بعنقه إذا جلب ضيقاً ، فيقول :

أرقد فإن الليل ليسل قمر والريح بأ وافتد ربح صر
عبل يرى نارك من بحر إن جلبت ضيقاً فأت حر^(١١)

وحنهم كعب بن صامة الأيادي الذي اقترن اسمه بجرائم الطائي في قول القائل:
كعب وحاتم الذائب تقسا خطط قملا من طارف وتليد^(١٢)

وحنهم أوس بن حارثة بن لام الطائي ، وهرم بن سنان ، وعبدالله بن حبيب
المنبري ، وعبدالله بن جعدان ، وقيس بن سعد .

٢ - الشجاعة :

الصف العرب بالشجاعة والأس وعدم المبالاة بالموت ، إما دفاعاً عن
ديار القبيلة التي ينتمون إليها أو ذفاً عن الحرم وصوناً لمن من المهابة وقلة
النسب . وعرب البادية كانوا أكثر شجاعة من أهل المدن ، والسبب في ذلك
كما يذكر ابن خلدون ، أن أهل الحضر ألفوا جنوحهم على مهاد الراحة والدعة ،
وانغمسوا في التمتع والترف ، ووكلوا أمرهم في الداعة عن أموالهم وأنفسهم إلى
والبهم ، والحاكم الذي يسوسهم ، والحامية التي تولت حراستهم ، واستلناهم إلى
الأسوار التي تحوطهم ، والحرم الذي يحول دونهم ، فلا تهيجهم هبة ولا ينقرهم
صيد ، فهم غارون آمنون قد ألفوا السلاح ، وتوالت على ذلك منهم الأجيال...
وأهل المدن لتفردهم عن المجتمع ، وتوحيهم في الضواحي ، ويمددهم عن الحامية ،
وتمتصهم الأسوار والأبواب ، قد غنوا بالدفاع عن أنفسهم ، لا يكلونها إلى سواهم
ولا يثقون فيها بميرهم . فهم دائماً يحاؤون السلاح ، ويتلفتون عن كل جانب في
الطرق ، ويتجافون عن المجموع إلا غراراً في المجالس وعلى الرجال ، وفوق الأكتف ،
ويتوجسون للنساء ، والهيئات ، ويتفردون في القفر والبداء ، مدلين ببأسهم ،

(١١) تنسب المرجع ٤ ص ٧٨

(١٢) تنسب المرجع ٤ ص ٨٢

قد صار لهم البأس خلقاً ، ولشجاعة سجية ، يرجعون إليها متى دعاهم داح أو استنفرهم صارخ^(١١).

وليس أهل على صدق ما ذكره ابن خلدون من أن قريشاً عندما أقرت بسبب التجارة انصرفت عن شئون الحرب ، والبدو يحرقون التجارة بطبيعتهم ، فصاروا يعمرونها بها ، وطارت لهم أشعار في ذلك منها ما يحقر التجارة ومنها ما يقصد إلى قريش ، ومن هنا كانت استهانة بعض العرب بقريش وعدم الهبة منها لانكبابها على التجارة وانصرافها عن الحروب من دون سائر العرب^(١٢) . فالمكان الأول عند العرب للفارس المغايل ولشجاع الباسل ، أما حياة الحمول كالصناعة والزراعة وهي حياة لا تكلف صاحبها أخطار المفارقة فليسوقة . ويعبر الأعرابي عن ذلك ، إذ يميز إباداً بأنهم زراع ، بقوله :

لينا كمن سيطت إباداً دارها	تكرت تنظر حبيها أن يحصدا
قوماً بمالٍ قتلنا أبنائهم	وسلاسل أجداً وباباً مؤصدا
جعل الإله طعامنا في مائنا	رزقاً قضه لنا لن ينقدا
مثل الخضاب جزارة لبيونا	فإذا راح فلانها لن تطردا ^(١٣)

ومن اشتهر بالشجاعة من العرب خالد بن جعفر بن كلاب العامري ، وعتيبة ابن حارث ، وعنزة للمبسي ، وزيد الحليل ، وعامر بن الطفيل ، وعمر بن محمد بكرية ، وعمر بن كلثوم .

٣ - العفة :

إذا كان قد وجد من العرب في الجاهلية من انغمس في المذات وتنزل في النساء

(١١) ابن خلدون ، العفة ، ج ٢ ص ٢١٨ ، ٢١٩

(١٢) سعيد الأعمش ، أسواق العرب ، ص ١٠٦

(١٣) أحمد حسن ، المهجاء والمجاهدون ، ص ٨٥ - ديوان الأعرابي الكبير ، شرح وحقق

الدكتور محمد حسن ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٤

خزلاً بعيداً عن البراءة ، فقد كان من العرب من الصف بالغة ، وغض النظر عن نساء غيره ، وكانت الحطة من شروط السيادة كالشجاعة والكرم ، وكانوا يفتخرون بالغة ويمدحون بها ، فهذا عترة بن شداد يقول :

وأغض طرفي ما بدت لي جارفي حتى يراي جارفي مأواها
وركت الخنساء أخاها سخرأ قنوت بطفه وغطه الطرف عن النساء فحالت ؛
لم ره جارة يمشي بإحتها لرية حين يغتلي بيته الجار^(١)
ع - الوفاء :

عرف العرب بالوفاء باليهود ، وبكرامية التكت والتندر ، وضميراً التل في الوفاء بالسؤال الذي أبى أن يسل الحارث بن أبي شمر النسائي دروع امرئ القيس التي أودعها عنده ، وتحصن في قصره بتياء ، فهدمه الحارث بقتل ابن له ، فلم يرد ذلك السؤال إلا إصراراً ، ف ضرب الحارث وسط القلام بالسيف ، وفي ذلك يقول السموأل :

وفيت بلمة الكندي إلي إذا ما دم أقوام وفيت

وقصة وفاء حاتم بن مسعود الشيباني لودائع النعمان معروفة ، وقد أدى وفاءه إلى قيام الحرب بين العرب والفرس في ذي قار. كذلك ضرب القتل بوفاء حنظلة بن عفرأ ، إذ حكم عليه المنذر بن امرئ القيس المعروف بابن ماء السماء بالموت ، لأنه مر بالحيرة في بعض أيام يؤسه ، فتكفل به شريك بن عمرو لمدة سنة إذا لم يسد بسدها قتل مكانه ، ولما انتهى الأجل المحدد ، وأعد كل شيء لقتل شريك بن عمرو مكان حنظلة ، وأيقن القوم هلاك شريك ، أقبل حنظلة من بعيد ومعه ثأبته ، فتمجج المنذر من وفائه ، فأطلق سراحه وعفا عنه^(٢).

(١) التحوي ، ص ٢٨٢

(٢) مذكور ، مادة غريز ، مجلد ٤ ص ١٦٨ - القوس ، ج ١ ص ١٢

د - المرأة في المجتمع الجاهلي :

١ - الأسرة :

كان العربي في الجاهلية لا يكتفي زوجة واحدة ، إما بقصد إعانتهم أو لفرح سياسي ، إذا كان رئيساً بين قومه ، بأن يصير إلى عدد كبير من القبائل ، حتى يرتبط معها برابطة المصاهرة ، أو بقصد الإكثار من النرية والتناسل . وكان الزواج أنواعاً منها :

(١) زواج الصداق أو البعولة : ويتم بأن يخطف الرجل من الرجل ابنة ، فيصدقها بصدق يحدده مقداره ثم يصدق عليها ، وكانت تويش وكثير من قبائل العرب يفلرون هذا النوع من الزواج .

(٢) زواج المنة : وهو تزويج المرأة إلى أجل ، فإذا انقضى افترقت عنه ، وفي هذا الزواج ، يقدم الزوج صداقاً معيناً ويكون لأولاده حتى الانتساب إليه وحق الإرث . وقد نهى الرسول عن زواج المنة ^{١١٩} .

(٣) زواج السبي : ويقضي بأن يتزوج الرجل المحارب من إحدى النساء اللاتي وقعن سبياً ، ولا يشترط في هذا الزواج أن يدفع الزوج صداقاً .

(٤) زواج الاماء : من حق العربي أن يتزوج من أمته ، فإذا أحب منها أبناء لا يحق لهم أن يسلطوا بنفسه ، بل يظلوا عبيداً له ، وقد يحتلهم إذا رغب في ذلك .

(٥) زواج المقت : وهو أن يتزوج الرجل زوجة أبيه كجبر ، من ميراثه ^{١٢٠} . وهناك أنواع أخرى من الزواج كانت معروفة في الجاهلية ولكن المجتمع العربي لم يكن يعترف بها ، مثل الاستبضاع والمخاضة والبدل والشغار والرهط ^{١٢١} . وكان

(١١) صحيح البخاري ١ ج ٧ ص ٢١ - حواد علي ١ ج ٥ ص ٢٥٤

(١٢) الألباني ١ ج ٢ ص ٥٧ - عبد الوهيد ١ ص ١٥٦

(١٣) الألباني ١ ج ٢ ص ٦٣ - النووي - المرأة في الشعر الجاهلي ، القاهرة ١٩٥٤

ص ٢١٠ - علي المصلي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، بغداد ١٩٦١ ص ١٦٢ ، ١٦٣

العرب في الحامية يطفون نساءهم ثلاثاً على التفرقة^{١١١} ، أو على الخلع أي تخلع منه بجال ، فإذا طلقت المرأة أو مات زوجها كان عليها أنت تقضي عدة حول لا تزوج خلاله حتى يتضح إذا ما كانت قد حملت من زوجها أو لم تحمل ، حفاظاً على الأنساب ، وقد أبطل الإسلام ذلك ، فجعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً^{١١٢} . وكان العرب يؤفون النين على البنات ، وهو أمر طيبي في مجتمع قبلي يقوم على الحمية والنسب ، أما البنات فكان في منزلة أدنى ، وذلك لاعتقاد العرب على الذكور في الصيد والغزو والحروب ، يجانب المحافظة على النسب ، وما زاد الميل إلى إغجاب النين واضعاً في المجتمع العربي المعاصر وخاصة في البادية والريف ، ومع ذلك فقد كان كثير من العرب يطفون على بناتهم ويدلونهن ، ولعل ذلك يرجع إلى ضعفهن ، وحنوهن على آبنهن . ويذكر أبو الفرج الأصبهاني أن سعد بن أوس الشاعر كان مثناً ، وكانت له ثلاث بنات يؤثرهن ويحسن صحبتهن ، وكان يرى البنات أكثر وفاء على الآباء من الصبيان ، فيقول :

رأيت رجالاً يكرهون بناتهم وفيهن لا تكذب نساء صوالح
وفيهن والأيام بعثت بالثق عوانس لا يملن ورائع^{١١٣}
وهذا لبيد يشفق على لبلثيه أن تحزننا عليه بعد موته فتضمنا الوجه وتحلقنا
الشعر ، فينصحها بعدم التادي في الحزن فيقول :

نحى ابتلائي أن يعيش أبوها وهل أنا إلا من ريبة أو مضر
وفي أبي تزار أسوة إن جزعنا وإن تسالام تحبوا منهم الخبر
فلن حان يوم أن يموت أبوكا فلا تحمضا رجها ولا تحلقا شعر

١١١ نفس المرجع ، ص ٤١ - على النظمي ١ ص ١٧٢

١١٢ نفس المرجع - الحوت ، المرات في الشعر الجاهلي ١ ص ٢٢١ - على النظمي ١

ص ١٧٧

١١٣ نفس المرجع ١ ص ٢٢٧

وقولا هو المرء الذي لا خليفه
أضاع ولا خان للصدق ولا خدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتلوا^(١)
ومن مظاهر إهزاز الآباء لبناهم أن كان بعضهم يكنى بأسماء بناته ، فكان
ريسة بن رباح والد زهير الشاعر يكنى بأبي سلمى^(٢) ، والثناينة الدبباني كانت
يكنى بأبي أمامة^(٣) .

ومع ذلك فقد كان عدد كبير من عرب الجاهلية يكرهون البنات ، وقد
أشار الله تعالى إلى كراهيتهم للبنات في قوله تعالى : « وإذا بشر أحدهم بالأنثى
ظل وجهه مسوداً وهو كظيم » يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه
على عون أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون^(٤) ، وفي قوله عز وجل :
« وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسوداً وهو كظيم »^(٥) .
هذا التصوير النفسي الرائع لحالة الرجل في الجاهلية إذا بشره بولادة بنت له ،
فيحزن ويصود وجهه من الحزن ، ويختل بنفسه ، ويفكر في الاحتفاظ بهـ
البنات مع احتمال المذلة والهوان في ذلك أو دفنها حية . هذه المشكاة التي صورها
القرآن الكريم هذا التصوير واستهجنها ، كانت من المشاكل الاجتماعية البارزة في
مجتمع الجاهلية ، ويروي الأخباريون كثيراً من الأمثلة على شيوع كراهية
العرب للبنت عند ولادتها ، ومن ذلك أن رجلاً يدعى أبو حمزة الضبي وضمت له
زوجه أنثى ، فحبرها ، وأخذ يبني عند جيرانه ، فمر بجنبها يوماً فسمها
لقول لابنتها :

ما لأبي حمزة لا بأبينا
بطل في البيت الذي يليها

(١) الأنبياء ج ١٤ ص ٢٢٨

(٢) نفس المصدر ج ٩ ص ٢٩٤

(٣) نفس المصدر ج ٩ ص ٢٢٩

(٤) القرآن الكريم ، سورة النحل ١٦ آية ٥٩ - ٥٨

(٥) القرآن الكريم ، سورة الزمر ٤٢ آية ١٧

غضبان ألا نلد البنينا نأله ما ذك في أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا

ثبت ما قد زرعوه فينا

فأسف الرجل عند سماع ذلك ، وأقبل إلى زوجته وصالحها ، بأن قبل رأس امرأته وابنتها وقال : « ظفنتكما ورب الكعبة »^{١١}.

وقد بالغ بعض الناس في بعضهم البنات عند ولادتهن إلى حد الواد وهو أن يحفر الرجل للولودة حفرة ، ثم يضع ابنته فيها ، ويهل عليها القراب ، فيدفنها حية . وشاعت هذه العادة النسيمة في عم وقيس وغذيل وكندة وبكر وقريش . وقد اختلف الباحثون في توضيح أسباب الواد ، وتلخص هذه الأسباب فيما يلي :

١ - أرجع بعضهم سبب الواد إلى شعور العربي في الجاهلية بالغيرة والخوف من العار الذي تجلبه بنته إذا كبرت وتعرضت للمسي ، وذكروا أن أول من وأه بنته في الجاهلية قيس بن عاصم الثقفي من قم ، وكان قيس هذا من وجوه قومه ومن ذوي الأموال فيهم ، وسبب وأه لبنته أن التمهان بن المتفر لما امتنع بنو قم من دفع الإفاضة له ، فزادهم يحيدش على رأسه الريان بن المتفر وصه يكر بن وائل ، فاستاق النعم وصى الذراري ، وخبر التمهان كل امرأة من السبي بين البقاء مع صاحبها أو العودة إلى أبيها ، فكل من اختار أباهن ما هذا ابنة قيس ابن عاصم ، اختارت صاحبها عمرو بن المشرج فنفر قيس ألا يولد له ابنة إلا قتلها ، واقتدى به العرب . وذكر أبو الفرج أن هذه البنت لم تكن ابنة قيس وإنما كانت بنت أخته^{١٢}.

(١) الجبلط ، الجان والتهن ، ج ١ طبعة المستشرقين ، القاهرة ١٩٢٢ ص ١٢٢

ج ٢ ص ٩٥٠

(٢) الألفي ، ج ١ ص ٢١٧ - السويدي ، مجلة الأرب ، ج ٢ ص ١٢٧

ويشك الدكتور أحمد الحوي في أن يكون قبس من عام أول وائد لئناك ،
لأنه أدرك الإسلام وأسلم ، فليس من المنطقي أن يبتأ الواد قبيل الإسلام بسنوات ،
ويشيع في بعض القبائل هذه السرعة الرمسية ^(١) .

وذكر بعضهم أن عادة وأد السناث نشأت بادیء ذي بدء في ربيعة ، وذكروا
أنه لما أغیر عليهم سبیت بنت أمیر لهم ، فاستردوها بعد الصلح ، فضيرت بين
أبيها ومن هي عنده ، فاختارت من كانت عنده وآثرتة على أبيها ، فغضب ومن
لقومه الواد ، فغضوه عبرة منهم وعجافه أن يقع لهم بعد مثل ما وقع ^(٢) ، فتشاع
ذلك بين العرب . ورجع بعض الروايات الواد إلى كعدة ^(٣) .

٢ - ورد في القرآن الكريم أن بعضهم كان يثد بناته خشية الفقر والإملاق ،
فيقول سبحانه وتعالى : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » نحن نرزقهم وإياكم ،
إن قتلهم كان خطئاً كبيراً ^(٤) . ويقول تعالى أيضاً : « ولا تقتلوا أولادكم من
إملاق نحن نرزقكم وإياهم » ^(٥) . وتقديم رزق الآباء على الأبناء في هذه الآية
يتضمن توقع الفقر والخوف منه ، والمقصود بهذا الآباء الأغنياء منهم . أما تقديم
رزق الأبناء على الآباء في الآية السابقة فيشير إلى حدوث فقر ، والمقصود بأولئك
الآباء الفقراء منهم بالفعل ^(٦) .

فأخوف من توقع الفقر عند الأغنياء أو الرخبة في التمتطف من الفقر عند
الفقراء كان دافعا على الواد ، ذلك لأن بلاد العرب كانت شحيحة بالزاد والخير ،
وكثيراً ما انتهيا القحط والجذب ، وقامى سكانها مرارة الجوع الجفاف والجذب ،

(١) احمد محمد الحوي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٢٢٥

(٢) الألباني ، بلوغ الرتبة ، ج ٢ ص ٤٢

(٣) الألباني ، ج ٣ ص ٤٢ - متى التباسي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٢٢٥

(٤) القرآن الكريم ، سورة الاسراء ١٧ : آية ٣١

(٥) القرآن الكريم ، سورة الانعام ٦ : آية ١٥١

(٦) ابن كثير التفسير ، تفسير القرآن الكريم ، ج ٢ ، (الفاخر) ١٩٢٧ ، ص ١٨٨

ج ٣ ص ٢٨ - الألباني ، ج ٣ ص ٤٤ ، ٤٥ - الحوي ، المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٢٢٧

وظاهرة وأد الإناث بالذات كانت ظاهرة شائعة عند العرب ، لأن ولادة البنات مع الفقر أو مع توقعه تعتبر سكة على الأب الجاهلي ، أما الصبيان فكان يرجى منهم النفع ، فلا ضرر من الأبقاء عليهم مع الفقر والمأفة لأن الصبيان كانوا أقدر على الكسب من البنات . وليس معنى هذا أن الوأد كان قاصراً على الإناث فقد وجد في الجاهلية من نذر قتل الابن المأخر من الذكور كما فعل عبد المطلب عندما هم بقتل ابنه عبدالله ، فحماه أخواله واغتدى عبدالله بمائة بغير .

٣ - وأرجع بعضهم سبب الوأد إلى صفات في الأرودة كان يتشاهم منها أهلها ، فكانت بعضهم يشد من البنات من كانت زماء أو شفاء أو برشاء أو كسحاء^(١١) .

٤ - وأرجع آخرون الوأد إلى أسباب دينية ، كإظهار الشكر لله على نعمة ، وبذكرون أن ذلك كان أثراً من آثار تقاليد وشعائر دينية كانت معروفة ، تقرباً إلى الآلهة ، كما كان يفعل المراحنة مثلاً ، فيختارون في كل عام فتاة جميلة يرمونها في النيل تقرباً للآلهة حمي ، وكانت هذه العادة موجودة عند اليونان والرومان وشعوب أخرى^(١٢) .

٥ - وأرجع بعض الباحثين الوأد إلى عوامل اجتماعية ، منها ماله علاقة بصحة الطفل إذا ولد ضعيفاً أو مشوهاً ، أو إذا أصيب بمرض لا يرجى منه الشفاء بحيث يصبح عالة على أهل ، ومنها ماله علاقة بكثرة عدد البنات^(١٣) .

ومما لا شك فيه أن العامل الاقتصادي هو أقوى هذه العوامل جميعاً ، وقد أشار القرآن الكريم إلى أثر الفقر أو أثر توقع حدوثه في إقبال بعض الناس على وأد بناتهم ، ونهى الله تعالى عن ذلك ، لأن الله تعالى يرزق الأبناء والآباء كما يرزق

(١١) الآلوسي ، ج ٣ ص ٤٤ ، والشيخ السبزواري ، وفيه إشارة أي البرصاء

(١٢) جواد علي ، ج ٤ ص ٢٠٦ - علي الهلالي ، ص ٢١٧

(١٣) علي الهلالي ، ص ٢٢٨ - الحوي ، الحياة العربية ، ص ١٦١

الآباء والأبناء . ولا أنكر أيضاً أثر خوف العرب من العار إذا تعرضت بناتهم
للسبي في أيام الحروب والغزوات ، وحياة العرب كلها صراع وحروب ، والسبي
أثر من آثار الحروب .

ومع ذلك فقد وجد إناس كانوا يسعون إلى منع الرأى ، وذلك بشراء المؤودة ،
مثل ذلك أن عصمة بن ناجية الجاشعي جد الفرزدق الشاعر أنقذ ثقتي ومائتي
مؤودة ، اشترى كل منها بثاقتين عشرين ورجل^(١١) .

٢ - دور المرأة في السلم والحرب :

لمست المرأة العربية دوراً هاماً في الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي ، في السلم
وفي الحرب ، وحظيت بمكانة كبيرة في المجتمع العربي بحيث لم يجد بعض الملوك
بأساً من الانكساب إلى أمهاتهم مثل المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة (٥١٢ -
٥٥٤ م) ، وماء السماء لقب أمه مارية بنت عوف ، لقت به لجأها^(١٢) ، وحمرو
ابن المنذر المعروف بعمرو بن هند (٥٥٤ - ٥٦٤) نسبة إلى أمه هند بنت
عمرو بن حنبل^(١٣) . وليس أدل على علو منزلة المرأة كأم من التفتخر أبنائها
بلسبهم إليها وزهوم بجهريتها ، فهذا القتال الكلاني يفتخر بأمه الحرة حمرة بنت
حرقة فيقول :

لقد ولدتني حرة ربيعة من اللاه لم يحضرن في القبط دندنا^(١٤)
والشعري الشاعر الصعلوك يمتز بأمه الحرة فيقول :

(١١) الشعري ، نهاية العرب ، ج ٢ ص ١٢٧

(١٢) الطبري ، ج ١ ص ٦٠٠

(١٣) حرة الصعلوكي ، ص ٧٢ . وفيه يقول حمرو بن كلثوم :

سأني بحيلة حمرو بن هند لطويح يسا الوفاة وهريفا

(١٤) الأعرابي ، ج ٢ ص ٢٨٦

أنا ابن خيبر الجعري بننا ومنصبنا وأمي ابنة الأحرار أو تمرينها^(١)

كذلك كانت للمرأة كزوجة مكاتها في المجتمع الجاهلي، فقد كانت شريكة الرجل في حياته في السلم وفي الحرب، ولذلك كانت موضع تقديره ورعايته وإعزازه، إلى حد أن بعض الشعراء تغزلوا في زواجهم^(٢). وكما كانت الزوجة محل إعرز الزوج، فقد كان الزوج كل شيء في حياة الزوج، فكانت رعاها، وتخاف عليه من القتل، فإذا قتل أو مات ناحت عليه وحزنت أكثر من حزنها على أقرب الناس إليها، وليس أمل على ذلك مما فعلته حنة بنت جهمش على أثر غزوة المسلمين في أحد، فلما أبلغت باستشهاده خالها حزة عم النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «أنا لله وإنا إليه راجعون» فخر الله له روحه، «هنيئاً له الشهادة»، «ولما أخبرها الرسول بمقتل أخيها عبد الله قالت: «إنا لله وإنا إليه راجعون» فخر الله له روحه، «هنيئاً له الشهادة»، فلما أبلغها الرسول بمقتل زوجها مصعب بن عمير، قالت: «واحزننا»، ويقال أنها قالت: «واعقراء»، فعلق الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله: «إن للزوج من المرأة مكالماً ما هو لأحد»^(٣). وقد تعدد الزواج مرة ثانية بعد قتل زوجها وتفضي بقية حياتها وفيه لذكراه، وقد تهرّب كما فعلت هند بنت النعمان ابن المنذر لما قتل أبوها زوجها عدي بن زيد، فحبست نفسها في ديرها المنسوب إليها، وأيت أن تتزوج من بعده.

والمرأة في السلم تقضي وقتها بين مساعدة زوجها في الزراعة إذا كانت تعيش في مناطق ريفية أو في الطهي وإعداد الطعام لزوجها وحلب الأغنام، أو تقوم بقرنل الصوف وصبه، وكثيراً ما كانت تحرف بعض الأعمال التي تكسب من ورائها مالاً تعتمد عليه في حياتها كالتجارة أو الرضاع أو الفناء أو

(١) الألفي ٥ ج ٢١ ص ٢٠٥

(٢) الحموي، المرأة في الشعر الجاهلي ٤ ص ١٥٨، وما يليها

(٣) البكري، بشاري رسول الله، ص ٢٢٦

النسيج أو لقويم الرماح أو دبشخ الجلود . أما في الحرب فكانت تصحب زوجها في الغزو لتشجيعه على القتال واستشارة نخوته ، أو تدلوي المرحى ، أو تسقي المقاتلين ، وفي بعض الأحيان كانت تشترك في القتال ، مثل مربية أم عمارة بنت كعب المازنية التي دافعت عن الرسول في يوم أحد ، ومثل الربيع بنت معوذ بن عقبة الأنصارية ، وصفية بنت عبد المطلب ، وخولة بنت الأزور^{١١} .

الفصل السابع

أديان العرب في الجاهلية

- (١) تطور الفكر الديني عند العرب في الجاهلية
- (٢) أصنام العرب في الجاهلية
- (٣) عبادة الكواكب والنار
- (٤) النصرانية واليهودية
- (٥) الحنيفية

تطور الفكر الديني عند العرب في الجاهلية

تستدل من أسماء قبائل العرب على أنهم كانوا أقربي عهد بمذهب الطوطمية^١ ، والطوطم كانتات كانت تحترمها بعض القبائل المتوحشة ، ويمتد كل فرد من أفراد القبيلة بمعلقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوطمه ، وقد يكون الطوطم حيواناً أو نباتاً، وهو يحمي صاحبه ويدافع عنه ، ولذلك احترامه صاحبه وقده ، فإذا كان حيواناً أبلى عليه ، وإذا كان نباتاً لم يتجرأ على قطعه أو أكله إلا في أوقات الشدة^٢ . وتمثل الطوطمية من حيث وجهتها الدينية في كثير من مظاهر حياة العرب في الجاهلية :

١ - فالعرب كانوا يتسمون بأسماء حيوانات مثل : بنو أسد وبنو فهد وبنو ضبيعة وبنو كلب ، ومثل بر وفور وقرد وذئب وقنفذ وظبيان ، أو بأسماء طيور مثل عقاب ونسر ، وأسماء حيوانات مائية مثل قريش ، أو بأسماء نباتات مثل حنظلة ، وفيت ، أو بأسماء أحزاء من الأرض كقهر وقهر ، أو بأسماء حشرات

١ (٢) شوقي ضيف : السر الجاهلي ، ص ٨٩

٢ (٢) محمد عبد الحميد خان ، الأساطير العربية قبل الإسلام ، القاهرة - ١٩٢٧ ، ص ٥٥

مثل حية وحش^(١١) . هذه التسميات وإن كانت من قبيل التفاضل فإنها تشير إلى تقديس العرب للحيوانات أو النباتات ومن الملاحظ أن العرب كانوا يتمسكون تسمية أبائهم بمكروه الأسماء ككلب وحظلة ومرة وضرار وحرب ، وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء كفلح ونجاح ونحوها ، ويطلق القلقشندي ذلك بما روى من أنه قيل لآبي الدقيش الكلبي : « لم تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو كلب وذئب » وعبيدكم بأحسن الأسماء نحو مروف ورباح ؟ فقال : إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا ؟ وعبيدنا لأنفسنا^(١٢) .

٢ - ثم إن العرب كانوا يقدسون الحيوان ويعبدونه كما يقدسه ويعبده أهل الطوطم^{١٣} ، وإن كان الفرض من تقديس الحيوان يختلف عند العرب مما يقصد أصحاب الطوطم . فقد كان هؤلاء يهدفون من وراء عبادته إلى إجلال الآباء ، أما العرب فكانوا يقدسون لجره تحصيل البركة^(١٤) .

٣ - كذلك كان العرب يعتقدون أن الطوطم يحمي أهله عند وقوع الخطر ، فكانوا يحملونه معهم في المعارك ، كما فعل أبو سفيان عندما حل معه اللات والعمري يوم أحد . وذكروا أن يفرث دافع عن قبيلته في ساحة القتال كما قال الشاعر :

ومار بن يموث إلى سراة فلناجزناهم قبل الصبح^(١٥)

وكأن العمري يتقابل بالطير كالحمامة ويتباح الكلاب على عجم الضيوف ، ويتشاهم من الثور الأعصب مكسور القرن ومن الغراب ، وكانوا يضربون بالغراب المثل في الشؤم فقالوا : فلان أشأم من غراب البين ، ويذكر الألويسي

(١١) صبح الاعشى ٤ ج ١ ص ٢١٢ - محمد عبد الحميد حسن ، ص ٨٤ - جواد حسني

ج ٢ ص ٢٩

(١٢) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١ ص ٢١٢

(١٣) الأسطر العربة قبل الإسلام ص ٦٦ - ٨٨

(١٤) ابن الكلبي ، كتاب الأسماء ١ ص ١٠ - الأسطر ٤ ص ٧٩

أن الامم لزمه لأن الغراب إذا بان أهل الدار النجعة أي طلب الكلاء في موضعه وقع في موضع بيوتهم يتلمس وينظم ، فتشاموا به ، وتطيروا منه ، إذ كان لا يمتري منازلهم إلا إذا بانوا ، فسموه غراب العين . ثم كرموا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة وعلموا أنه نافذ البصر ، صافي العين حتى قالوا : أبغى من عين الغراب ، كما قالوا : أصفى من عين الديك ، وسموه الأصور كناية ، كما كانوا طيرة عن الأعمى فكثروا أبا بصيرة ، وكما سموا المدووخ والمنهوش السلم ...^{١١} .

٤ - وكان العرب يسمون لس الطوطم والتلفظ بـ «هـ» فيكونون عن المدووخ «السلم» ويسمون النعامة بالجلج ، ويلقبون الأسد بآبي الحارث ، وللقطب «ابن أوى» والقضب بأى عامر^{١٢} .

٥ - وكان العربي إذا مات حيوان من نوع طوطم قبيلته احتفل بدفنه وحنن عليه ، فكان بنو الحارث إذا وجدوا غزالاً ميتاً غطوه وكفنوه ودفنوه ، وتحزن عليه القبة إلى ستة أيام . وكانوا إذا قتلوا الثمبان خائفوا من الجن أن يأخذوا بثأره فباخذون روثه ، ويفتونها على رأسه ويقولون : روثه راث قاتلك ، وفي ذلك يقول الشاعر :

طرحنا عليه الروث والزجر صادق غرات علينا ثاره والطوائل^{١٣}

٦ - وكان العربي يتجنب قتل الحيوان اعتقاداً منه أنه لو قتله جوزي بقتله ، كما كان يمتنع عن قطع النبات وأكله إلا عند الضرورة ، كما فعل بسو حنيفة عندما عبدوا إلهاً من حيس ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه ، فقال بعضهم :

أكلت حبيقة رهبا
لم يخذروا من رهيم
زمن التكمع والمجاعة
سوء العواقب والتباعدة^{١٤}

(١) الألبوسي : ج ٢ ص ٢٢٥

(٢) الألبوسي : ص ٧٨

(٣) الألبوسي : ج ٢ ص ٢٥٨

(٤) ابن تقيية : المعارف . ص ٢٠٥ - ساعد الألبوسي : طبقات الامم ، طبعه بمصر

(٥) طبعة التكمع : بدون تاريخ ، ص ٥٧

ومما لا شك فيه أن العربي في الساذية كان يؤمن بوجود قوى خفية روحية كانت ، مؤثرة في العالم والإنسان ، في بعض الحيوانات والطيور والنبات والجماد ، وفي بعض مظاهر الطبيعة المحيطة به كالكوالكب^(١١) ، فربط بين هذه الكائنات والوجودات والظواهر الطبيعية وبين القوى الخفية وقدرتها ، ثم تطورت وثنية العربي إلى عبادة قطع الصخور التي يستحسن مظهرها وهيئتها ، ومعظمها كانت بيضاء اللون لها علاقة بالغنم والجل ولبنها^(١٢) . ومن أمثلة هذه الصخور الجلسد وكان صنماً يحضرموت على شكل « جثة الرجل العظيم » وهو من صخرة بيضاء لها كرامس أسود ، وإذا تأمله الناظر رأى فيه كصورة وجه الإنسان^(١٣) ، ومهادر الخلصة وكان صخرة بيضاء منقوشة ، عليها كهنة التاج ، وكانت بمثابة بين مكة واليمن^(١٤) ، ومنها سعد وكان صخرة طويلة بفلاة يساحل جدة^(١٥) ، وكانت ذات أنواط شجرة عظيمة خضراء كان العرب في الجاهلية يأفونها كل سنة تعظيماً لها ، فيملقون عليها أسلحتهم ، ويذبحون عندها ، وكانت هذه الشجرة مفرومة بالقرب من مكة^(١٦) ، وكانت بطن نخلة من مكة ثلاث سموات (شجرات) قبي عليها بيت للعري ، وأقيم لها عصب ، أي منعر ، ينحرون فيه ضحاياهم^(١٧) .

سج العربي حول الجبال والآبار والأشجار ، مما كان يحيط به ، قصصاً وأساطير ، ورسم صوراً خيالية في الأشجار التي كان يبحث عنها في الوديان ، فقد صور خياله الصفا والمروة ، ومها صقرتان ، رجلاً وامرأة مسخهما الله

(١١) جواد علي ، ج ٥ ص ٢٢

(١٢) أساطير العربية ، ص ٩٨

(١٣) ياقوت ، معجم البلدان ، جلد ٢ ، مادة جسد ، ص (١٥)

(١٤) ابن الكلبي ، ص ٢٢

(١٥) ابن الكلبي ، ص ٢٧ - ابن هشام ، السير الطويلة ج ١ ، ص ٨٢

(١٦) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة أنواط ، ص ٢٧٢ - محمد بن عبد الجبار ،

أديان العرب في الجاهلية ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ١٢٧

(١٧) ابن الكلبي ، ص ٢٥

حجرين ، وصور خياله أيضاً أسافاً وثلاثة رجالاً وامرأة ، ممسوخين حجرين على موضع زمزم ^(١١) .

ولم يكن تقديس العربي لهذه المظاهر الطبيعية وعبادته لها على أنها نثل أرباباً ، ولكن شعوره نحوها لم يكن يعدو الإجلال ، كما أن الأساطير التي سمعها حول النصب تدل صراحة على أنه لم يعد الوثني معتقداً أنه خالق البشر أو الكائنات ، لأنه نارة يستقسم عنده ، ونارة ببه ، ومرة ثالثة يأكله في وقت الشدة ^(١٢) . ولم يصح الوثني في تصور العربي رباً إلا منذ القرن السادس قبل الميلاد ، عندما تأثر بالوثنية المجاورة ، ثم تطورت الوثنية المحلية عند العرب بتأثير الحضارات المجاورة كالسبيلية والرومانية والبينية ^(١٣) ، وعلى الرغم من تعرض الوثنية الحجازية منذ انكسار سد مأرب ، وهجرة القبائل اليمنية إلى الشمال لتأثير الوثنية اليمنية ، فإنها لم تتأثر بوثنية اليمن كما تأثرت بوثنية العرب الشماليين والوثنية البابلية ^(١٤) .

والوثنية اليمنية تأثرت بوثنية بلاد الرافدين ، فإن عبادة النجوم والكواكب كان مصدرها الصابئة وبغايا الكلدانيين ، وعن أهل اليمن أخذ عرب الشمال عبادة الكواكب ، وقوامها الثالث كوكبي هو القمر والشمس والزهرة ^(١٥) ، هو نفس الثالث الكوكبي البابلي : القمر ويمثل الإله سين والشمس ويمثلها الإله شمش وكوكب الزهرة ويمثلها الإله عشتار ^(١٦) ، والإله القمري سين له المكانة الأولى في هذه المجموعة الثلاثية باعتباره الأب للإله شمش ، وكان يرمز للإله سين بالهلال . أما الإله شمش فأقل مرتبة من الإله القمر في حين كانت الإلهة عشتار تثل كوكب

١١ / ابن بطوطا ، ج ١ ، ص ٨٤

١٢ / الأساطير العربية ، ص ١٠٧

١٣ / نفس المرجع ، ص ١٠٧

١٤ / نفس المرجع ، ص ١٢١

١٥ / جواد ص ، ص ٥٥ ، ص ١٢ - شوقي حيد ، العصر الجاهلي ، ص ٢٩

١٦ / رشيد الناصوري ، المدخل في التطور التاريخي لفكر العربي ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١١٢

الزهرة . كذلك كان القمر أمية في الوثنية اليمنية ، فكان الإله الأكبر ، ويليهِ الشمس ، وهي اللات ، والإلهة ، وكانت في نظرهم زوجة القمر ، ومنها ولد عتر وهو الزهرة . والقمر كان يسمى عند المصينيين «ود» ، وعرف أيضاً عند السبئيين وغيرهم باسم ورنج ، وسين على نفس تسمية البابليين ، وهوميس ، ولله ، وشهره ركيل ، وأهم ، باعتباره أكبر الآلهة سناً والقدم عليها جميعاً ، وكان يطلق على جميع أسماء القمر لفظ مشترك هو «ال» أو «أبل» أي الله أو الإله ، ويقابله بعل أو بعل عند العرب الشماليين . وكانت القمر مفزلة عظمى كما هو الحال عند البابليين ، وهو الإله الأثير ، ومكانته عند عرب الجنوب أمى من مكانة الشمس (اللات) التي كانت طاراتها الشديدة في الصيف تعرف باسم ذات حم أو ذات حم ، ولكن القمر كانت هو دليل الحادي ، ورسول القاف ، ولذلك لقب بالحكم والقدوس والصادق والعدل والبارك والمعين والحامي^(١١) ، وقد أصبحت هذه الأسماء في الإسلام صفات لله الواحد الأحد .

أما الشمس فمن عبدة العرب قبل الميلاد وبه تسمى كثير من الأشخاص فعرفوا جميع شمس ، وقد ذكر الأخباريون أن أول من تسمى به سبأ الأكبر ، لأنه أول من عبدة الشمس . والشمس أنش في العربية الجنوبية ، فهي إلهة ، ولكنها في كتابات قدم مذكر ، وفي الوثنية البابلية مذكر ، وكانت تسمى عند المصينيين باسم مكرج ، وعند السبئيين بذات حم وذات بعدن وذات غصون وذات برن . وعثر في العربية الجنوبية هو إله مذكر ، وفي العربية الشمالية إلهة أنش ، وهي العزى^(١٢) ، وفي بابل إلهة أنش هي عشتار ، أما في الجنوب فهو إله الزهرة ، والزهرة هو المعنى به في القرآن الكريم «النجم الثاقب»^(١٣) ، وهو أكثر نجوم السماء تألقاً ولمعاناً ، ويعرف بعزير ، نجم الصباح ، الذي يسبق الشمس قبل

(١١) فيلقه ناسيون ، القديسة العربية القديمة ، ص ٢٠٩

(١٢) جواد على ، ج ٥ ص ٢٦١

(١٣) المرحل الكريم ، سورة الطارق ، ٨٦ : ٨٧

شروقها^(١١) ، وقد عرف أيضاً ، بذى الخلصة ، و « ملك » ، ولما كان الملك
يرمز له بالنجم ، فإن ما ذكره ابن الكلبي خلافاً للإله ذي الخلصة في قبالة يؤكد
هذا القول^(١٢) .

وهكذا كان القمر يحتل في ديانة العرب الجنوبيين المركز الأول ، ووزير
القمر « النور » ، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن لشور قرنين بشبهان الهلال^(١٣) ،
وقد قدم أهل اليمن القمر على الشمس كما فعل البابليون والكلدان^(١٤) .

أما الوثنية في العربية الشمالية فكانت صورة تقليدية للوثنية البابلية ، وما
بدل على تأثر العرب بكلمة وآشور تقديم الليالي على الأيام ، لأن شهرهم مبنية
على سير القمر ، مفيدة بحركاته ، وهو ما يتفق ونظرة الكلدان ويختلف مع
نظرة الروم والفرس . ومن مظاهر تأثر العرب بوثنية الكلدان وآشور أن كلمة
صم أصلها صم Salm المبرانية^(١٥) ، أو الآرامية^(١٦) وقد دخلت هذه للكلمة في
بلاد العرب مع دخول الأصنام ، ومن الثابت أن العرب لم ينحتوا الأصنام ،
بلهم يفتنون النحت ، وأن الأصنام حليت إليهم من الخارج ، ومنها هبل وهو
بعل ، واللات وهي اللات البابلية ، ومناة وهي ما عناق البابلية ، بِلت الإله ،
كما جلبوا المزي وهي عشتار البابلية^(١٧) .

-
- (١) ديفل شسون ، ص ٢٢٣ - وراجع أن مزي هو بلس الحوى .
(٢) ذكر ابن الكلبي أن (١) النطس كن بروة بضاء - نخوة ، عليها كبشة النجم ص ٢٢١
(٣) جواد علي ، ص ١٢٢
(٤) الأساطير ، ص ١١٠
(٥) جواد علي ، ص ٧٨
(٦) الأساطير العربية ، ص ١١٢
(٧) نفس المرجع ، ص ١٢٠

أصنام العرب في الجاهلية

استعمل العرب اصطلاحين للدلالة على التماثيل التي كانوا يعبدونها في الجاهلية ، هما : أصنام ، و أولاد ، ولفظة أصنام مفردة صم وهو تمثال ، وقد رأينا أن كلمة صم مأخوذة من كلمة علم العبرانية أو الآرامية ، وأن صم وصلن من الكلمات التي وردت في نصوص المسند بمعنى تمثال . أما وثن فهي أيضاً من الكلمات العربية القديمة التي وردت في نصوص المسند ويقصد به الصم الذي يرمز إلى الإله ، وينضح من ورره اللقطتين في المسند في مواضع مختلفة أن هناك فرقاً بينهما ، ويذكر هشام بن محمد الكلبي أن التمثال إذا كان معمولاً من خشب أو ذهب أو من فضة صورة إنسان فهو صم ، وإذا كان من حجارة فهو وثن ، ^{١١١} . وكانت الأصنام تقدم إلى الآلهة تتوضع في معابدها تقريباً إليها ، لإحابتها دهساً من يدعوهما إلى شفائه من مرض أو قضاء حاجة ، فهي تقدم إلى الآلهة لنذر ، أما الأولاد فكانت تماثيل منحوتة في الحجر رمز إلى الإله ، وإليها تذبح الذبائح وتقدم القرابين ^{١١٢} .

(١١١) ابن الكلبي ، كتاب الأصنام ، ص ٥٢ . راجع اختلاف الآراء حول الصم والوثن في :

أخبار العرب في الجاهلية ص ١٢٢

(١١٢) جواد علي ، ج ٥ ص ٧٨

والأنصاب أو النصب التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنثقة والموقوفة والمأثومة والطبيعة وما أكل السبع إلا ما ذكيت وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق »^(١) وفي قوله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إنما الحرام والميسر والألصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون »^(٢) هي أحجار كانت تنصب في الجاهلية ويذبح عليها العرب ذبائحهم ، وهي المذبح الذي تذبح عليه القرابين والمضحايا ، أو الحجر الذي ينحرون فيه ويسمونه الضئب . وقد يكون النصب حجراً قصداً أو معجراً تحول إلى صنم يعبده ويقدسونه مرور الأيام يطوفون به ويعتقون سده^(٣) ، وروى عن رسول الله أنه لقي زيد بن عمرو بن نبل بأسفل بلدح ، وذلك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي ، فقدم إليه رسول الله ﷺ سفرة فيها لحم ، فأبى أن يأكل منها ثم قال : إني لا آكل مما تذبجون على أنصابكم ، ولا آكل إلا بما ذكر اسم الله عليه^(٤) .

وكانت أصنام العرب في الجاهلية على أشكال متنوعة فبعضها ما كان على صورة الإنسان ، ومنها ما كان على صورة الحيوان ، والأصنام تصنع من مواد مختلفة ، فبعضها يصنع من الخشب ، وبعضها من الحجارة ، وبعضها الآخر من معادن شتى ، وقد يكون الصنم من حجارة طبيعية عبدها عن أجداده^(٥) .

وأول من اتخذ الأصنام من بني اسماعيل بن إبراهيم وصموا بأسمائهم حين فارقوا دين اسماعيل هليل بن مدركة بن إلياس بن مضر ، اتخذوا سواعاً فكان لهم بهماط من أرض يثرب ، وكلب بن وبرة بن قضاة ، اتخذوا ودأ بدومة الجندل ، وأسم

(١) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٣

(٢) القرآن الكريم ، سورة المائدة ، آية ٩٠

(٣) ابن الكلبي ، ص ٤٢

(٤) صحيح البخاري ، ج ٧ ص ١٦٥

(٥) جواد علي ، ج ٥ ص ٨١

من طيس، وأهل حرش من مذحج اتخذوا يفوث يحرش ، وخبوان وهم بطن من
همدان اتخذوا يموق بأرض همدان من بلاد اليمن ، وذو الكلاع من حبر اتخذوا
نسراً بأرض حبر^(١) . وقد وردت أسماء هذه الأصنام الخمسة في القرآن الكريم
في قوله تعالى : « قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله بولده إلا
خساراً . وصكروا سكراً كباراً . وقالوا لا تذرنا آلهتنا ولا تذرنا وداً ولا
سواعاً ولا يفوث ويعوق ونسراً^(٢) . وهناك رواية لابن الكلبي جاء فيها أن
وداً وسواعاً ويفوث ويموق نسراً كانوا قوماً صالحين ، « ماتوا في شهر ، فجزع
عليهم ذور أقاربهم » فقال رجل من بني قabil : يا قوم ، هل لكم أن تعمل لكم
خمساً أصنام على صورهم ، غير أني لا أقدر أن أجعل فيها أرواحاً : قالوا : نعم ،
فصنع لهم خمساً أصنام على صورهم ونصبها^(٣) ، فكان الرجل يأتي أشباه وجهه
وابن عمه فيعظمه ويسمى حوله ، وأصبحت هذه الأصنام على عهد يردى بن مهليل
ابن قينان بن أنوش بن شيت بن آدم .

وذكر ابن الكلبي أن حمراً بن لحى أتى صف جعدة فوجد بها أصناماً معدة
كان قد قذفها ماء البحر إلى شط جعدة ، فواربها الأثرية ، فعملها حتى أتى نهامة ،
فدعا العرب إلى عبادتها ، فأصابه عوف بن عذرة بن زبدة اللات بن رفيدة بن
ثور ، فدفع إليه وداً ، فحمل إلى وادي القرى فأقره بدومة الجندل ، وسمى ابنه
عبد ود ، فهو أول من سمي به ، وجعل عوف ابنه عامراً صادقاً له . وقد تولى
خالد بن الوليد هدم هذا الصنم بعد غزوة النبي ﷺ لتبوك^(٤) . وكان ود غثال
رجل كأعظم ما يكون من الرجال ، قد ذبح عليه حلتان ، عليه سبف قد ثقله ،
وقد تنكب قوساً ، وبين يديه حربة فيها لواء ، ورفضة فيها نبل^(٥) . وهو يشبه

(١) ابن الكلبي ، ص ٦ - ١١ ، ابن عسقم ، السيرة ، ج ١ ص ٨١ ، ٨٢

(٢) القرآن الكريم ، سورة نوح ٧١ آية ٢١ - ٢٢

(٣) ابن الكلبي ، ص ٥١ - يفوث ، حجم البلدان ، جلد ٥ ، مادة ود ، ص ٢٦٧

(٤) ابن الكلبي ، ص ٥٥

(٥) فليس المصدر ، ص ٥٦

في ذلك شمال ايروس اليوناني^(١١).

وقد ذكرنا قبا سبق أن ورد اسم القمر، ورد اسمه في النصوص العربية الجنوبية، كما ورد في النصوص السومرية وفي النصوص الفينيقية، كذلك روي أن قريشا كانت تنسب لاسم اسمه ود^(١٢)، وورد هذا وفقا لرواية ابن الكلبي وياقوت أقدم عهداً من اللات لأن عمرو بن لحي سلم ودأ لموف بن عدرة بن ربد اللات^(١٣).

أما سواح فقد دمه عمرو بن لحي إلى رجل من هذيل، فكان بأرضه يقال لها رهاط من بطن نخلة، فصبه أعقابه من بني مضر، وفي ذلك يقول أحد شعراء العرب:

ورام حول قليم عكوفاً كما عكفت هذيل على سواح^(١٤)

وأجاب عمرو بن لحي نخلة مذحج، فدخل إلى أنعم بن عمرو المرادي ينفث، فكان بأكمة باليمن يقال لها مذحج تصده مذحج ومن والاها. وظل هذا الصم في بني أنعم إلى أن قاتلتهم عليه بنو غطفان من مراد، فهربوا به إلى مجران، فأقروه عند بني النضر من الضباب من بني الحارث بن كعب واجتمعوا عليه جميعاً. وكان بنو مراد من أشد العرب، فأنفذوا إلى بني الحارث يلمسون ربه ينفث، وبطالونهم بدعاتهم عليهم، فاستجد بنو الحارث قبائل ممدان، فقتلت الحرب بينهم، وكانت بينهم وقعة الررم التي اتفق وقوعها في يوم بدر، فهزم بنو الحارث مراداً هزيمة نكراء، وظل ينفث قائماً في بني الحارث^(١٥). ومن المعروف أن واقعة بدر حدثت سنة ٦٢٣، ومعنى هذا أن يوم الرزم حدث قبا يقرب من هذا التاريخ.

(١١) جواد علي ص ١٤٥ ص ١٢٠ - الأساطير العربية، ص ١٢٠ - ولا يسي هذا التشابه أن يكون ود من أصل يوناني وأن العرب أطلقوه من اليونان

(١٢) ياقوت، معجم البلدان، مجلد ٥، ص ١٢٦ ود، ص ٣٦٦

(١٣) جواد علي ص ١٤٥ ص ١٢٨

(١٤) ابن الكلبي، ص ١٤

(١٥) ياقوت، معجم البلدان، مجلد ٥، ص ١٢٦ ينفث، ص ٢٦٦

وكان ينفوث على هيئة أسد^(١١)، وقد تسمى به عدد كبير من عرب مذحج وهوازن وتغلب ، وعرف هؤلاء بمعد ينفوث .

ويعتقد بعض الباحثين أن ينفوث جلب من مصر ، وعلموا ذلك بأنه وجد بين آلهة المصريين صنم على صورة أسد يسمونه نفوت ، فسمده العرب ونسبوه إلى أسماهم فسموا بمعد الأسد ومعد ينفوث^(١٢) . ومن الملاحظ أن العرب عبدوا من الحيوانات ما كان جبا فقط ، ولم ينحتوا أصناماً على صورة الحيوان ، وإذا كان قد وجدت عند العرب أصنام الحيوانات وطيور مثل اللسر وبنفوت ويعوق، فإنما كانت مجاورة من البلاد المجاورة .

أما يعوق فقد دفعه عمرو بن لحي الخزاعي إلى مالك بن مرثد بن جشم من خيران بن همدان ، لما أحابه بنو همدان ، فوضع بقرية شيوان ، وعبدته همدان ومن والاهما من أرض اليمن^(١٣) ، وشيوان قرية من صنعاء على لبنتين بمالي مكة ، وأشار ابن الكلبي إلى أنه لم يسمع أن همدان ست هذا الصنم ، فلم ينتسبوا إليه كما فعل بنو مذحج إذ تسما يعوق ، كما يذكر أنه لم يسمع لهمدان ولا لغيرها صنماً قيل في يعوق ، ويعمل ذلك بأنهم غربوا من صنعاء ، واختلطوا بجمير ، هداؤا معهم باليهودية أيام جود ذي نواس ، فتهودوا معه^(١٤) . وكانت يعوق على شكل فرس^(١٥) ، شأن في ذلك شأن اليعسوب ، وكان صنماً لجديّة طيس^(١٦) .

أما نسر فقد أعطاه عمرو بن لحي إلى رجل من ذى رعين يقال له معد بكر ، وذلك لما أجابته جمير ، فوضعه في موضع من أرض ساء يقال له خلع ،

(١١) جواد علي ، ج ٥ من ٨٦ - الأساطير العربية ، ص ٨١

(١٢) الأساطير العربية ، ص ٨٢

(١٣) ابن الكلبي ، ص ٥٧

(١٤) ابن الكلبي ، ص ٦٠ - ينفوث ، بمعجم البلدان ، ج ٥ ، مادة يعوق ، ص ١٢٨

(١٥) الأساطير العربية ، ص ٨١

(١٦) ابن الكلبي ، ص ٦٣ ، حاشية رقم ١

وعبدته حير ومن والاها حق هو دم ذو لواس^(١)، ويذكر ابن الكلبي أنه لم يسمع أن حير سميت به أحداً، وأنه لم يسمع له ذكراً في أشعار حير ولا أشعار أحد من العرب، ويمثل ذلك ما تنقل حير أيام تبع عن عبادة الأصنام إلى اليهودية^(٢). وكان نسر من أصنام بني إرم، فهو نسر في العبرانية، وهو ونشرا، الوارد ذكره في التلمود^(٣)، كذلك ورد ذكر نسر عند السبئيين^(٤). وقد انتشرت عبادة نسر في أعالي الحجاز، إذ وجدت هناك أصنام على صورة نسر منحوتة في الصخور^(٥).

وذكروا أيضاً أن عمرو بن لحي الخزاعي هو أول من غر دين اسماعيل فنصب الأوثان، وميب السائب، ووصل الوصلة، وبحر البحيرة، وحي الحامية^(٦)، وذكروا أيضاً أنه مر من مريضا شديداً، فرحل إلى اللقاء بالشام ليستنفي في إحدى حماها، فأقام واستنحم هذه الليلة فبرأ، ووجد أهل اللقاء يصعدون الأصنام، فقال: ما هذه؟ فقالوا: نستقي بها الطر ونستنصر بها على العدو، فأنهم أن يطهرونها، ففعلوا. فقدم بها مكة، ونصبها حول الكعبة^(٧). وذكر ابن هشام أنه خرج إلى مأب من أرض الطقاء، وبها يرمذ المياليق، فرآهم يصعدون الأصنام، فأنهم عنها فأجابوه قائلين: هذه أصنام تصعداء، فتستطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتصرتنا، فقال لهم: أفلا تمطونني منها صنماً، فأسيروا به إلى أرض العرب فيعبده؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل، فقدم به مكة، فتنصه، وأمر الناس بعبادته وتمطيجه^(٨).

(١) ابن الكلبي، ص ٥٨.

(٢) نفسه، ص ١١.

(٣) جواد علي، ج ٥، ص ٨٨.

(٤) دبتله بنسور، تاريخ العلم، ص ١٤ — جواد علي، ج ٥، ص ٨٨.

(٥) جواد علي، ص ٨٨.

(٦) ابن الكلبي، ص ٨ — ابن هشام، ج ١، ص ٧٦.

(٧) نفس المصدر، ص ٨ — جواد علي، ج ٥، ص ٧٢.

(٨) ابن هشام، السيرة، ج ١، ص ٧٦.

ومن أبنام العرب القديمة ، بل أقدمها كلها على حد قول ابن الكلبي مناة ، وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المثل بقديد ^(١) ، بين المدينة ومكة ، وكانت العرب جميعاً تعظمه وتديح حوله . وكانت الأوس والخزرج ومن يزل المدينة ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ، ويحذون له ^(٢) ، ولم يكن أحد أشد إعظاماً له من الأوس والخزرج ، فكانوا يحجون إليه ولا يحلفون رؤسهم إلا عنه ، وفي تعظيم الأوس والخزرج لمناة يقول عبد العزيز بن دبيعة المزني :

إني حلفت بين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج ^(٣)

كذلك عظمته فريش ^(٤) ، وخراعة وهذيل ^(٥) ، وجميع العرب من الأردن والفسانة . وكان مناة صغيرة ، ولذلك أنشأه لأن صغيرة مؤنثة ^(٦) ، وإليه أضيف زيد مناة وعبد مناة وأوس مناة ، وظل هذا الصنم محل تعظيم العرب حتى عام فتح مكة ، وهو عام ٨ هـ ، فعهد الرسول إلى علي بن أبي طالب بهدمه ، فهدمه ، وكان فيما أخذه من حرمة سبغان كان الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عسان أهداهما لها ، أحدهما يسمى مخدماً والآخر رسوباً ، وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره ، فقال

مظاهر سراني حديد عليهما عقيلاً سبوب : مخدوم ورسوب

فوهبها الذي ~~مكة~~ لملي رضي الله عنه ، فقال : إن ذا الفقار ، سيف علي ، أحدهما ^(٧) . ومناة هذه هي التي ذكرها الله عز وجل في قوله تعالى : « أفرايتم

(١) ابن الكلبي ٤ ص ٢٤ — ياقوت : بلدة مناة ، ص ٢٠٤

(٢) ابن الكلبي ٤ ص ٢٤

(٣) نفس المصدر ، ص ١٤ — ياقوت : جميع البلدان ، بلدة مناة ، ج ٥ ، ص ٢٠٥

(٤) نفسه ٤ ص ١٤ — ياقوت : نفس المرجع ، ص ٢٠٤ و ٢٠٥

(٥) نفسه ، ص ١٤ — ياقوت : المرجع نفسه ، ص ٢٠٥

(٦) ياقوت - ص ١٠٤

(٧) ابن الكلبي ٤ ص ١٥

اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذا قسمة
صيزي ، إن هي إلا أسماء سميتوه أنتم وآباؤكم ما أتزل الله بها من سلطان^(١١) ،
والأصنام الثلاثة المذكورة في القرآن الكريم ثلاث عند عرب الجاهلية .

ومناة لفظة مشتقة من المنا والمية وهو الموت أو القدر^(١٢) ، ومن التية
الموت ، ومنها منى ، وهو موضع بمكة كان يقف فيه ، أي يراق الدم فيه ، وكانت
مناة من آلهة الموت والقدر عند البابليين وتعرف باسم ما ساتو^(١٣) ، كذلك
كانت من الأصنام المعروفة عند النبط ، ورد اسمها في أقدم النقوش النبطية

وقد مثلت مناة الموت عند العرب كما مثلته أيضاً عند البابليين ، ولكنها لم
تمثل القدر الذي مثلته مناة البابلية ، لأن القدر في تصور العرب والشعراء الجاهليين
رحل لا امرأة ، وقد يفسر هذا استقسام العرب عند هبل وذئ الحلصة بالأرواح ،
وحلصهم فقط أمام مناة . ويؤكد صفة مناة ، ما ذكرناه من أن سبني الحارث
النسائي مخذوم ورسوب عار عليها عي بن أبي طالب عد مناة حينما هدمت ،
لأن السيف رمز العدالة والإنصاف عند أهل البادية^(١٤)

والصنم الثاني من أصنام العرب المشهورة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم
هو اللات الإلهة الأنثى ، واللات اسم إلهة تقتل فصل الصيف عند البابليين
(اللاتو) ، وكانت أيضاً من آلهة تدمر والسط والصعريين ، وكان النبط يمتدحونها
إله الشمس ، أما العرب فلبسوا إليها فصل الصيف^(١٥) . واللات أحدث عهداً
من مناة^(١٦) ، وهي أيضاً من الأصنام التي أدخلها عمرو بن لحي على العرب ، أخذها

١ () القرآن الكريم ، سورة النجم ، ٥٢ آية ١٩ - ٢٢

٢ () ياقوت ، المرجع السابق ، ص ٢٠١

٣ () الأساطير العربية ، ص ١٢٨

٤ () نفس المرجع ، ص ١٢٩

٥ () قال النحوي في ذلك : ركن بتصنيف بقلات يرد الطلح ، الإروى ، ص ٧٤

٦ () ابن الكلبي ، ص ١٦

من التلظ ، وكانت صخرة مرممة بيضاء كما كانت كذلك عند التلظ ^(١١) .

وللات أسطورة رواها الأنباريون جاء فيها : أن عمرو بن لحي الخزاعي حين غلبت خراطة على البيت ، وقعت عنه جرحهم ، جعلت العرب عمرو بن لحي رباً لا يبتدع لهم بدعة إلا اتخذوها شريعة ، وكان اللات وهو رجل من ثقيف يث له السويح للحج على صخرة تسمى صخرة اللات ، فلما مات اللات أشاع عمرو بن لحي أنه لم يث وإنما دخل في الصخرة ، ثم أمرهم بمساحتها ، وأن يبوا عليها بقباناً يسمى اللات ^(١٢) . وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش الخزاعي ^(١٣) . وذكر ياقوت نقلاً عن ابن حبيب أن اللات كانت بيتاً لثقيف الطائف على صخرة ، وكانوا يسرون إلى ذلك البيت ويضاضون به الكلمة وله حجة وكسوة ، وكانوا يحرمون واديه ^(١٤) ، وذكر ابن الكلبي أن حديثها هم بنو عتاب بن مالك ، وأن قريش وسائر العرب كانوا يظهرونها ، وكان بيتها يقوم في الموضع الذي تقوم عليه في عهده منارة مسجد الطائف اليسرى ^(١٥) .

ولا يستمد الدكتور جواد علي أن تكون اللات نصاً من الأصنام التي كانت تستخدم لتقديم الذبائح والقرابين ، ثم اختلط أمرها مع مرور الوقت على الناس ، فظنوا أنه الصنم نفسه ، كما لا يستبعد أن تكون من بقايا الوثنية البدائية التي تعبد فيها الأصجار حتى ولو كانت مجرد صخرة لا شكل لها ، وفي هذه الحالة قد دخل عاداتها في المذهب الفيتشي ، بدليل أن ياقوت أشار إلى أنه كان في صخرة اللات وفي المري شيطانان يكلمان الناس ^(١٦) ، والاعتقاد بوجود شيطان أو روح مبيت

(١١) ابن الكلبي ، ص ١٦ - بلسبيت ، ص ١٤٠ ، مادة اللات ص ٤ -

الأساطير العربية ص ١١٩

(١٢) ياقوت ، المرجع السابق ص ٤


(١٣) ابن الكلبي ، ص ٢٧

(١٤) ياقوت ، ص ٤

(١٥) ابن الكلبي ، ص ١٦

(١٦) ياقوت ، ص ٤

حلت فيها شرح لمعبدة عبادة الروح في الأشياء ، أي العيشية ^{١١} .

وظلت اللات ربة ثقيف ^{١٢} حتى أسلمت ثقيف ، فبعت رسول  المنيرة ابن شمة إليها فهدمها ، وحرقها بالنار ، واستولى على أموالها وحلبها

وقد اعتبر الأنباط اللات أمّاً للآلهة ، وكان العرب يقولون عن اللات والعزى ومناة أمهن بنات الله (عز وجل عن ذلك) وهن يشقمن إليه ، فلما بعث الله رسوله أنزل عليه : « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . ألمنكم الذكر وله الأنثى » ، تلك إذا قسمة ضيزى ^{١٣} .

أما العزى فهي صنم أنثى ، وهي أحدث من اللات ومناة لأن العرب سميت بها قبل العزى ، وكانت للعزى شجرة ينشق عنها ولئن تعبدت غطفان ، وسدنتها من بني صرمة بن مرة ، وذكروا أنها حمرة يتوا عليها بيتاً وأقاموا لها سدة ^{١٤} . وروى ابن الكلبي أنها كانت براد من نخلة الشامية ، يقال له حراش ، بإرام الكبير ، عن عيينة المصمدي إلى العراق من مكة ، فبني عليها بئراً (أي بيتاً) ، وكانوا يسمعون فيه الصوت ^{١٥} .

وكلمة العزى من لغة بني طيء ، سموها عورى ، وهي نفس عشتار ابنسة الإله سين عند البابليين ، وهي أيضاً نفس كوكب الزهرة المعروف عند عرب الجنوب بمشر ^{١٦} ، وكما كانت عشتار تمثل فصل الشتاء في أسطورة تونز البابلية ، ثم مثلت الحصب والحب والجمال ، وأصبحت بنت الإله ، ثم أصبحت الزهرة عند الإغريق ، كانت للعزى رمزاً لشتاء في قول عمرو بن لحي لعمرو بن ربيعة

(١) جواد علي ، ج ٥ ص ٩٤

(٢) ابن الكلبي ، نخلة ، ص ٢٠٩

(٣) القرآن الكريم ، سورة الحجر ٧٥ آية ١٩ - ٢١

(٤) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة عزى ، مجلد ٤ ص ١١٦

(٥) ابن الكلبي ، ص ١٨

(٦) الصليبي الترميزي ، ص ١٢٠ ، ١٢١

والحارث بن كعب : إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ، ويشتو بالمرى
لحر تهامة ^(١١) ، ثم أصبحت المزي عند العرب إلهة الخضر ، حينما قامت على
ثلاث صمرات في وادي نخلة ^(١٢) ، وصعدت إلى السماء في صورة امرأة حسناء
وعرفت بالزهرة ^(١٣) ، وكما كانت عشتار إلهة الحب والعشق الجسدي ^(١٤) ، كان
المزي عند عرب الحاملية علاقة بالرواج ، فكانت الفتاة إذا طلبت الزواج ،
شرت جاساً من شعرها ، وكملت إحدى عيניה ، وحملت على إحدى رجليها
ليلاً ، وقالت عبارة معناها أنها تدعو أن تقروح « قبل الصبح » ^(١٥) ، أي قبل
أن يطلع نجم الصباح وهو الزهرة .

وكانت المزي أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ، ويدعون لها ،
ويتقربون عندها بالذبح ، وكانت قريش تطوف بالكعبة وتقول : « واللات
والمزي ومناة الثالثة الأخرى ، فإيهن الفرائق الملى . وإن شفاعتهن لقرئى » ^(١٦)
وكان للمري منحدر ينحرون فيه هداياها يقال له المنجب .

ولما افتتح النبي ﷺ مكة في العام الثامن للهجرة ، عهد إلى خالد بن الوليد
بقطع شعر المري ، وهدم البيت ، وكسر الوثن ^(١٧) .

ولم تكن المزي وثن قريش فحسب ، بل كانت وثناً لكثير من قبائل العرب
مثل غي وباهلة وحزاعة وجميع مضر وبشر كنانة وغطفان ^(١٨) ، كذلك عدت

(١١) الألباني ، ج ١ ص ٧٤

(١٢) ابن الكلبي ، ص ٢٥

(١٣) الأساطير العربية ، ص ١٢٢

(١٤) سيبويه ، حاشية العروى القطيعة ، ج ٦ ، الإسكندرية ١٩٦١ ص ١٢٢

(١٥) الألباني ، ج ٢ ص ٢٣٠

(١٦) ابن الكلبي ، ص ١٩

(١٧) ابن حزم ، جوامع المسرة ، لعقيل الفكتور ، احسان عباس والفكتور لأمير الدين

الإسم ، ص ٢٢٥

(١٨) جولد ص ٢٠ ، ج ٥ ، ص ٩٧

في الحيرة زمن المنافرة ، وكان ملوك الحيرة يقدمون لها البشر قربانين في بعض الأحيان ، وقد ورد في المصادر السريانية أن المنذر قدم عدداً من الإماء الأسرى إلى قروديت (العزى) قرباناً . وذكر بروكوبيوس أن المنذر قسقه قدم ابن الملك الحارث ، وكان أسيره ، إلى العزى قرباناً^{١١١} ، ويرى نلدكة أن القريين المشهورين هما نصبان يرمزان إلى كوكبي العشاء والصباح ، ويراد بها العزى ، وترتبط قصة القريين بالقتل ، ومن هنا كانت للعزى من الآلهة التي كان الناس يتقربون إليها بالقربانين البشرية^{١١٢} .

أما هبل فكان أعظم أصنام قريش ، وكان من عقيق أحمر على صورة الإنسان ، حكور اليد اليمنى ، أدر كته قريش كذلك ، فأصافوا إليه يداً من ذهب^{١١٣} . وعرف هبل هبل خزيمة لأن أول من نصبه في جوف الكعبة خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، وكان يستنق في مشكلات الناس الشخصية كالزواج والولادة والرحمة ، والعمل ، فكانوا يستقسمون عنده بالقداح ، فما خرج حملوا به ، وانتهوا إليه^{١١٤} ، وعنده ضرب عند المطلب بالقداح على أخته عبدالله . ويرجع الباحثون في ديانات العرب في الجاهلية أن هبل هو نفس الإله بعل عند العبرانيين ، ومن المعتقد أنه هو الإله مردوك سيد آلهة بابل ، ثم دخل بعل عند بني إسرائيل ، وأصبح إله الحصب والزراعة ، ويبدو أنه كان إله الحصب عند العرب أيضاً ، بدليل أن الأزرق يذكر أن عمرو بن لحي قدم له من هبت من أرض الحزيرة^{١١٥} ، ونصبه على ابنه في دطن الحكمة ، وتعرب هذه البئر بالأخشف ، وإقامة هبل على بنو نسيب إلى وجود علاقة بينه وبين الحصب ، واعتباره لعرب لذلك سيد الآلهة ، وهو الذي حناه عمرو بن لحي عندما قال : إن ربكم يتصيف باللات

(١) نفس المرجع ، ص ١٠٢ . — الأساطير العربية ، ص ١٢١

(٢) جواد طلي ، ص ١٠٢

(٣) ابن الكلبي ، ص ٢٨

(٤) نفس المرجع

(٥) الأزهري ، ج ١ ص ٦٤

لبره الطائف ويشترى بالعمري لحر نهامة^(١١)

ومن أصدنام العرب إساف واثانة ، أحدهما كان منصوباً بالصق الكعبة
والآخر في موضع زمزم ، ثم وضعت فريش الأول يحور الثاني ، فكلوا شعرون
عندهما . وصفا رضى ، وكان من الأصدنام المعروفة عند اليهوديين ، كما انتشرت
عبادته بين عرب الشمال ، فورد فيصوص تدمر وفي الكتابات الصفوية على
هذا الشكل « رضى »^(١٢) . ومنها مناف ودو الخلاء وسعد . وسعد هذا كان
صنماً بإساحل جدة لبني مالك وملكان بن كنانة وكان صخرة طولة . وذكر
ابن الكلبي أن رجلاً من بني كنانة أقبل ببابل له ليقفها عليه تبركا ، فلما أديها
منه ، نقرت منه ، وكانت يراق عليه الدم ، فذهبت في كل وجه ، وتفرقت
عليه ، وأسف ، فتناول حبراً فرماه به ، وقال « لا بارك الله فيك إلها »
أنقرت على إيلي « ، وأبشد يقول :

ألبيا إلى سعد ليجمع شملنا فشتما سعد فلا نحن من سعد

وعلى سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعى لى ولا رشد^(١٣)

ومن أصدنام العرب ذو الكفين ، وكان لدوس ، ثم لبني منبج بن دوس ، وقد
أحرق ذو الكفين على يدي الطفيل بن عمرو الدوسي عندما أمره رسول الله
بشريقه^(١٤) ، ونستدل من ذلك على أنه كان منصوباً من الخشب . ومن أصدنام
عرب الشمال ذو الثرى ، وكان صنماً لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الأزد ،
وقد ورد « Dhuar » اسم هذا الصم ، في نقوش السراء وبصرى ، وهو يقابل
ذو نيسينوس عند اليونان^(١٥) .

(١١) الأساطير العربية ص ١٧ .

(١٢) جواد علي ، ج ٢ ص ١٠٥ .

(١٣) ابن الكلبي ، ص ٢٧ .

(١٤) نفس المصدر .

(١٥) جواد علي ، ج ٢ ص ١٠٩ .

ومن أصنامهم أيضاً الأقبصر ، وكان للقضاة ولحم وجلاد وعاملة وعطشان
 بإشارف الشام ، ومنها لهم وكان لمدينة ، وعائم وكان لأرد السراة ، وسعير وكان
 لعزة ، وعيافس لحولان . ومنها عرق ، وباجر ، واليمبوب ، وتيم ، والأسمم ،
 والأشهل ، ويلج ، وجريش ، وجهار ، والدار ، وذو الرجل ، والشارق ،
 والطين ، وصمودا ، والمبعب ، وعوض ، وعوف ، والكسة ، ومنهب ،
 وبالييل ، وذريح ، والجند ، وغم ، وقزح ، وقيس ، وأدال ، ومرحب ، والمدان ،
 وكثري ، والسيدة ، والسجة ، ورنام ، وبوانة ، البعم ^(١) .

(١) نفس المرجع، ص ١١٢-١١٣

عبدة الكواكب والنار

رأبنا أن طائفة من العرب عبت الكواكب والنجوم كالشمس والقمر والزهرة ، وضيف إلى هذه الكواكب الثلاثة كواكب أخرى كالديوان والعيوق والثرى والشمرى والمرموم وعطارد وسهيل . فكثافة كانت تعد القمر والديوان ، وجيرهم كانت تسجد للشمرى ، وطبىء عبت الثرى والمزم وسهيل ، وبعض قبائل وبيعة عبت المزم ، وطائفة من نعيم عبت الديوان ، وبعض قبائل لحم وخزاعة وقريش عبت الشمرى المبور وهي الشمرى الجانية .

وأول من سن العرب عبادة الشمرى المبور هو أبو كبشة ، وحرء بن غالب جد وهب بن عبد مناف أبو آمنة أم رسول الله ﷺ ، والشمرى هي التي أشار إليها الله تعالى في قوله : « وإله هو رب الشمرى »^(١) ، والشمرى من نجوم الحوزاء وهي المبور لأنه عبرة اميرة ، واضم إلى سهيل فصار غايياً ، وكان الشمرى المبور في الأصل مجتمعاً مع الفميصاء ، فلما عبر للشمرى المجرة بقيت الفميصاء ، والشمرى أكثر ضياء من الفميصاء^(٢) .

والثرى مجموعة من النجوم الصغيرة مجتمعاً ، عددها يصل إلى عشرين

(١) القرآن الكريم : سورة النجم ٥٢ ، آية ٤٩

(٢) في اللؤلؤ : ٩٤ ص ٢٢٩

لجما^(١) . أما المزمع فهو لجهان ، أحدهما يتبع الشرى المبور ويسمى « كف
الكلب » ، والآخر يعرف « بالكوكب الأخرى »^(٢) .

وقد عرف عبدة الكواكب بالصائبة الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم في
قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين من آمن بالله
واليوم الآخر وحمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
يخزفون »^(٣) ، وفي قوله عز وجل : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون
والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وحمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم
يخزفون »^(٤) وفي قوله تعالى : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء
شديد »^(٥) . وهم ينقسمون إلى مؤمن وكافر ، فالصائبة المؤمنون هم الصائبة
الحنفاء والصائبة الكافرون هم المشركون . وكان المشركون من الصائبة يظنون
الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ويصورونها في هياكلهم ، وكانت لكل
كوكب يعبدونه هيكلاً ، فلشمس هيكلاً ، ولقمر هيكلاً ، وللزهرة هيكلاً ،
والزئبق هيكلاً (إلى آخره) ، وأصل دين هؤلاء الصائبة ، فيما زعموا ، أنهم
يأخذون عبادت ديانات العالم ، ويخزفون من فيسج ما هم عليه قولاً وعملاً ، ولهذا
سموا صائبة أي خارجين ، فقد خرسوا عن تقليدكم بحجة كل دين^(٦) .

أما الحنفاء منهم فقد شاركوا أهل الاسلام في الحنيفية ، بينما شارك المشركون
منهم عبادة الأصنام .

كذلك عرف العرب عبادة للنار أو المجوسية عن طريق الفرس في الحيرة ،

(١) القوسى ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ - الذين العرب في الجاهلية ، ص ١٨٩

(٢) القوسى ، ص ٢٤٠

(٣) القرآن الكريم ، سورة البقرة ٢ : آية ٦٢

(٤) القرآن الكريم ، سورة المائدة ٥ : آية ٦٩

(٥) القرآن الكريم ، سورة الحج ٢٢ : آية ١٧

(٦) القوسى ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ - جواد على ، ج ٤ ، ص ٢٦٨

وفي اليمن، وفي البحرين، وكانت المعوية عند عرب الجاهلية في قيم: منهم ورارة ابن عدس التميمي وابنه حاجب بن ورارة، ومنهم الأقرح بن حاس، وأبو الأسود جد وكيع بن حسان^{١١١}.

كذلك انتقلت الرندقة إلى العرب من الحيرة، ووجدت الرندقة في قريش لاحتكاكهم بالفرس عن طريق التجارة. والرندقة نوعان. رندقة ثنوية، وهي اللؤلؤ بالنور والظلمة، ومنها المزدكية والمائوية والزرخشية، ورندقة ذهبية لقول من يؤمن بها بالذهب، وفي ذلك يقول تعالى: «وقالوا ما هي إلا حياطين الدنيا، غررت ولحميا وما يهلكنا إلا الدهر»، وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يطننون^{١١٢}، وهم قوم أنكروا الحقائق والبعث والاعادة وقالوا: «بأطبع الحيسى والذهبر الملقى»^{١١٣}.

١١١ ابن كثير: المعرفت، ص ٢٠٥ - الأوسى، ج ٤، ص ٢٢٥

١١٢ القرآن الكريم: سورة البقرة، آية ٢٤

١١٣ الأوسى، ج ٤، ص ٢٢٠

النصرانية واليهودين

لا نعرف على وجه اليقين تاريخ بداية لطفل النصرانية في شبه جزيرة العرب، كذلك يحيط الغموض بمفدى زيارة القديس بولس إلى بلاد العرب بعد تحوله إلى النصرانية مباشرة، وإن كان بعضهم يعتقد أنه شغل أثناءها بمهمة تبشيرية، ويمارض بل هذا الرأي مرجحاً أن القديس بولس كان في حاجة بعد تنصره إلى الاختلاء والمزلة فترة من الوقت بعيداً عن المنتمعات التي عاش فيها قبل ذلك، وليصح لنفسه فرصة رسم سياسته المقبلة^{١١}. ففي القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد على الأقل لم تكن المسيحية قد انتشرت بعد في جزيرة العرب، ولكن من المرجح انتشارها فقط في المناطق التي عاش فيها العرب جنباً إلى جنب مع عناصر يونانية أو رومانية. صحيح أن المسيحية انتشرت بين كثير من قبائل العرب قبل ظهور الاسلام، والشمر الجاهلي يتضمن كثيراً من الشواهد على انتشارها إلا أن جذور المسيحية لم تستطع أن تثبت بعمق في قلب شبه جزيرة العرب نفسها^{١٢}.

ويرجع سبب انتشار المسيحية في جزيرة العرب إلى التأشير الذي مارسته

Richard Bell, The Origin of Islam in its Christian environment, (١)
pp. 15-17

Ibid. p. 17 (٢)

ثلاثاً مراكز مسيحية مجاورة لبلاد العرب هي: سورية في الشمال الغربي، والعراق في الشمال الشرقي، والحبيشة في الغرب عن طريق البحر الأحمر وفي الجنوب عن طريق اليمن .

والكنيسة السورية كانت أهم دعائم النصرانية على الإطلاق ، ومن مراكزها في بيت المقدس وحماة وأنطاكية تشعبت تأثيراتها إلى صحراء العرب، وأصبحت نسمع قبل نهاية القرن الثالث الميلادي عن أساقفة في بصرى وتدمر . وأصبحت المسيحية إبان القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، في بلاد سورية البيزنطية ، الحياة البائدة ، وانتشرت بين العرب المقيمين في الشام في حماية الدولة البيزنطية ، ودعي بهم الفساسة . ومنذ أن تبين لحسنيين سنة ٥٣٠ م أن سياسة اضطهاد المونوفيريت خطأ كبير ، من شأنه أن يضعف الامبراطورية البيزنطية في الشرق ، عمد في سنة ٥٤٣ إلى تنصيب أسقفين مونوفيريين مستقلين للمناطق الواقعة على الحدود العربية مما يعقوب البرادعي وتيودور ، ونجح الأسقف يعقوب في طبع هذه الكنيسة المونوفيزية المنفصلة بطابعه إلى حد أنها أصبحت تسمى بالكنيسة اليهقورية ، وساعد الحارث بن جبلة ملك الفساسة في تكوين المذهب اليهقوري في جنوب الشام . ومن بلاطه في الجابية من أرض الجولان انتشرت المسيحية على المذهب اليهقوري في مجالات بعيدة بين العرب في شمال شبه الجزيرة العربية . ولقد اهتم الحارث بن الجابية في القسطنطينية بمبالاة الفرس ، ونتج عن ذلك شيوخ الفوضى بين العرب على الحدود البيزنطية ، وكان لذلك أعظم الأثر في ضعف الجهة البيزنطية في الوقت الذي برز فيه نور الاسلام ^(١)

وفي الشمال الشرقي من شبه جزيرة العرب ، كانت المسيحية قد تأسست في الرها ونصيبين وإربل وجندسابور وملوقية طيسفون التي أصبحت كرسياً لبطريك الكنيسة السطورية ، وانتشرت إلى أدنى الفرات وعبر دجلة . ومن هناك انتشرت في بلاد البحرين وعمان بفضل البعثات التبشيرية ، ومارست كنيسة

R. Bell, op. cit. p. 24 (١)

الحيرة نشاطها في عزم ، ونتج عن ذلك أن تحول كثير من هربها إلى المسيحية وعرفوا بالمباد^(١١) . ولكن على الرغم من اتخاذ الحيرة مركزاً أسقفياً في سنة ٤١٠ ، فإن ملوك الحيرة ، فيما يرجع ، لم يقتصروا إلا منذ أواخر القرن السادس الميلادي ، فقد قيل أن أول من قصر منهم النعمان بن المنذر ، وكانت قد نشأ وثلياً ثم قصر على يد الجاثليق صبر يشوع ، وقيل على يد عدي بن زيد الصاهدي^(١٢) . وكان معظم ملوك الحيرة وثنيين ، فقد ذكروا أن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء كان يقدم ذابح من الأسرى إلى العزى^(١٣) . وسأت إحدى نسائه وتدعى هند بنت النعمان ، أخت الأمير الفسائي ، مسيحية فلما أبناها عمرو بن المنذر الذي تولى حكم الحيرة قبا بين عامي ٥٥٤ ، ٥٦٩ م مسيحياً ، وإلى هند هذه يلسد مير هند الكبرى بالحيرة .

وقد دان النصرانية كثير من قبائل العرب النازلين بالحيرة أو بالمنطقة المحيطة بها ، من بينهم ثعلب وبطون من بكر بن وائل الذين تركوا إصمهم في منطقة من شمال العراق تعرف باسم « ديار بكر » .

أما في الجنوب وفي الجنوب الغربي ، فقد كانت بلاد الحبشة أيضاً من المراكز التي تسمت منها المسيحية إلى بلاد اليمن وبلاد الحجاز ، ومن المعروف أن المسيحية انتشرت في بلاد الحبشة منذ أن قام أحد المبشرين النصارى من أبناء سورية بحملة تبشيرية إلى بلاد الحبشة فيما يقرب من عام ٣٢٠ م ، فقد تمكن هذا المبشر من إقناع النجاشي ببلد الوثنية واعتناق المسيحية^(١٤) ، ولم يمض عشر سنوات على انتشار المسيحية على المذهب المونوفيزيتي هناك حتى عين غروميتيوس أول

(١١) Ibid p. 26 - الذين العرب في الجاهلية ، ص ٢٠٤

(١٢) الذين العرب في الجاهلية ، ص ٢٠٥

(١٣) ابن الأثير ، ج ١ ص ٢٢٤ - Bell. op. cit. p. 26 - الذين العرب في الجاهلية ، ص ٢٠٥

ص ٢٠٥

(١٤) غزاد حسن ، استكمال كتاب التلويح الحرس للقديم ، ص ٢٠١

أسقف في أكسوم من قبل أثناسيوس أسقف الاسكندرية وذلك في سنة ٣٥٦ م^(١). ولكن اعتناق ملوك أكسوم للنصرانية لم يثبت تاريخياً إلا منذ عصر النجاشي تازانا (في نهاية القرن الخامس)^(٢). ومن بلاد الحبشة انتقلت المسيحية إلى الطرف الجنوبي الغربي من شبه جزيرة العرب ، وساعد على انتشار المسيحية قيام بعض البشريين السوريين بالتبشير فيها ، ولخص بالذكر منهم فيميون الراهب. ولذا ذكر المصادر العربية أن سيطرة من بعض العرب اختطفوه وباعوه في نجران حيث حل أهلها على النصرانية^(٣) وأسرى بها كنيسته يعقوبية . وفي سنة ٣٥٦ م أرسل الإمبراطور البيزنطي قسطنطينوس بمئة إلى جنوب بلاد العرب ، على رأسها رجل يقال له ثيوفيلوس ، حمله الإمبراطور هدايا نفيسة إلى ملك حير ، وكان من آثار هذه البعثة أن ملك حير اعتنق المسيحية ، وأسس في بلاده ثلاث كنائس ، إحداهما في عدن والأخريان في نجران . ثم نجح الأحباش في الاستيلاء على اليمن ، وفر ملك حير وهو أب كرب أسعد ويقال أنه أسعد الكامل أل تبع إلى يثرب حيث تهود . وفي سنة ٣٥٧ م تمكن الحميريون من استرجاع بلادهم على يدي ملك كرب يومئذ^(٤) ، ثم كان الغزو الحبشي الثاني لليمن في سنة ٥٢٥ م وعلى أثره انتشرت المسيحية في اليمن انتشاراً واسع النطاق ، واتخذ أربعة من نجران مركزاً رئيسياً لهذا الغرض ، ولقد قدم إلى الرسول من نجران وغد برئاسة راهبين هما السيد والماعب ، سألاه المصلح ، فصالحهما عن أهل نجران^(٥). انتشرت المسيحية في بلاد العرب ، وانتشرت بوجه خاص في طيء ودومة الجندل ، ولكن تدينهم بالمسيحية كان ظاهرياً ، وظلوا يخططونه بغير قليل من وثقيتهم ، يدل على ذلك قول عدي بن زيد العبادي :

Bell, op cit. pp. 30,31 (١)

Ibid p 31 (٢)

(٣) ابن هشيم ، المصنف ، ج ١ ص ٢٤

(٤) مؤيد حسيني ، استكمال لكتاب التاريخ العربي القديم ، ص ٢٠٢

(٥) السلافري ، دوح البلدان ، ج ١ ص ٧٦ - القوسي ، ج ٢ ص ١٤٤

سعى الأعداء لا بالون شرأ علي ووب مكة والصليب
فالتأهر يجمع في قسه بين رب مكة الوثنية والصليب (١).

ومن اعتنق المسيحية من مشاهير العرب أرباب بن رثاب من عبد القيس
وعدي بن زيد المبادي ، وأبو قيس صرمة بن أبي دانس من بني النجار ، وورقة
بن نوفل ، وعبد بن الأبرص الأسدي الشاعر ، ومجيري الرهيب .

أما اليهودية فقد انتشرت في بلاد اليمن بوجه خاص عن طريق اتصال ملوك
حبر بيهو يارب ، ومن المعروف أن جماعات يهودية كثيرة هاجرت إلى بلاد
العرب الشمالية والحجاز ، بعد أن دمر الرومان أورشليم سنة ٧٠ م ، واستقرت
هذه الجماعات في يارب وخيبر وراعي القرى وفندك وقياه ، وعلى الرغم من اختلاط
اليهود بالعرب وتعايشهم معهم ، واحتكاكهم ببعض الحرف والصناعات ، كالزراعة
والصباغة والحداة وصناعة الأسلحة ، والصيرفة والتجارة ، وعلى الرغم أيضاً
من تعرضهم بحكم مجاورتهم للعرب واحتكاكهم بهم ، فإنهم لم ينجسوا في نشر
اليهودية بين العرب ، ويرجع ذلك إلى أسباب منها عدم اهتمامهم بالتبشير بدنيهم
اعتقاداً منهم بأنهم شعب الله المختار وأن سواهم من الشعوب غير جدير بذلك ،
ومنها احتقار العرب لهم باعتبارهم عملاء للفرس في قيس ، ولما عرفوا به من
صفات ذميمة كالتهافت على جمع المال ونقض العهد والمدر ، ومنها أن شعائر
اليهودية المعقدة نفرت من التقيد بها (١) .

(١) قسوقي سبط ، العصر الجاهلي ، ص ١٠١ .

(٢) علي حسني أخريوطلي ، العرب واليهود في العهد الإسلامي ، ص ١١١ .

قريبه ، عدد ٢٤ ، ص ٢٤ .

الحنيفية

ظهرت قبل الاسلام حركة جديدة أصحابها جماعة من عقلاء العرب ، سعت
 نفوسهم عن عبادة الأوثان ، ولم يحجروا إلى اليهودية أو النصرانية ، وإنما قالوا
 بوحداية الله ، ويعرف هؤلاء بالأحناف أو الحنفاء أو المتحنفين ، وهي جمع لحنيف
 (صفة إبراهيم عليه السلام) الواردة في القرآن الكريم في قوله تعالى : « وقالوا
 كؤوا هوداً أو نصارى تهتدوا » قل بسل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من
 المشركين ^(١) ، وفي قوله تعالى : « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان
 حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » ^(٢) ، وفي قوله أيضاً : « ومن أحسن ديناً
 ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً » والخليفة الله إبراهيم
 خليل ^(٣) ، وفي قوله تعالى أيضاً : « قل اني هادي ربي إلى صراط مستقيم ديناً
 قبيحاً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين » ^(٤) ، وفي قوله تعالى أيضاً : « قلنا
 جن عليه الليل رأى كوكباً ، قال هدا ربي ، قلنا : أفلا قال لا أحب إلا قلي

(١) القرآن الكريم ، سورة البقرة ١٣٥ الآية

(٢) القرآن الكريم ، سورة آل عمران ٦٧ آية

(٣) القرآن الكريم ، سورة النحل ١٢٥ آية

(٤) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ٦١ آية

فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي ، فلما أفل قال لنن لم يهديني ربي لأقوى من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ١١٦ .

ولا تستهدف الخليفة ديناً جديداً كالنصرانية واليهودية والاسلام، وإنما كانت مجرد حركة دينية وصفت دعائها بالحنفاء أتباع ابراهيم عليه السلام^(١)، ومن أشهر المتحمسين . قس بن ساعدة الايادي ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وأمية بن أبي الصلت ، وسويد بن عامر المصطلق ، وأسمد أبو كرب الطبري، وورقة بن نوفل القرشي ، وهرير بن أبي مسلم ، وكمب بن لزي بن غالب ، وعثمان بن الحارث ، وقد كان معظم هؤلاء مساكناً تشككوا في عبادة الأصنام ، وساحوا في الأرض بحثاً عن الدين الصحيح دين ابراهيم ، أو رعدوا في المجتمعات الوثنية ، واعتزلوا عن الناس في كهوف للتأمل والمصاداة والصلاة ، واعتقدوا بوحداية الله خالصة كالوحدانية التي نادى بها ابراهيم دون أن يشركوا فيها أحداً ، ولقد كان لهذه الأفكار أعظم الأثر في تفويض الوثلية في شبه جزيرة العرب ، فأخذت الديانات الوثلية تتدهأ أمام هذه الأفكار، ولهذا السبب كثرت إلفار الآلهة قبل الاسلام، من ذلك أن امرئ القيس الشاعر لما قتل أبوه ، وأراد طلب ثأره، استقم عند ذي الخلصة بالأزلام ، فخرج السهم ينهأ عن ذلك، فقب الصنم ، وكسر القداح، وضرب بها وجه الصنم ، وقال :

لو كنت يا ذا الخلق الموتورا' مثلي وكان شيخك الخبورا

لم ته عن قتل العداة زورا^{١٤٦}

فلم يستقم عنده أحد بعد حتى جاء الاسلام ، وكان امرىء القيس أول من

(٢) القرآن الكريم سورة الانعام : ٢٦٩ - ٢٧٩

(۴) چو ادا علی : ع ۵ ص ۳۷۰

(۲) این تقویم ۱۵۰ - این مقام ۱۳۳۵

أخفروا (١).

وذكروا أن رجلاً من كنانة ألقى بإبل له إلى صنم يقال له سعد ، ليقيها عليه
ويترك لها به ، فلما أدناها من الصنم ، فثرت منه وتفرقت عليه ، فأسف الرجل
وتناول حجراً فرمى الصنم به وقال : لا بارك الله فيك إلهاً ، أنقرت عليّ إبله ،
ثم خرج في طلب إبله ، وانصرف عن الصنم وهو يقول :

ألينا إلى سعد ليجمع شملنا عشقنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتوغة من الأرض لا يدعي لنس ولا رشد (٢)

وروى ابن الكلبي في سبب تنصر عدي بن حاتم أن سادن الصنم المعروف
بالفس ، أوقف نافذة لاسرأة من كلب في غناء الصنم ، فأرسلت المرأة جارها مالك
ابن كلثوم الشمجي ، ليطلقها ، فأطلق سبيلها برعته ، فغضب السادن ، ونظر إلى
مالك ، ورمع يده إلى الصنم ، وقال يحرض الصنم على مالك :

يا رب إن مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بنساب علكوم
وكننت قبل اليوم غير مشوم

وكان عدي بن حاتم يومئذ قد عثر عند الصنم ، وجلس هو وبفر معه يتصدلون
بما صنع مالك ، وفرغ لذلك عدي بن حاتم وقال : أنظروا ما يصيبه في يومه
هذا . فظنت له أيام لم يصبه شيء . فرفض عدي عبادته وعبادة الأصنام ،
وتنصر ، فلم يزل متمسكاً حتى جاءه الله بالإسلام ، فأسلم (٣).

أما المتحنفون فقد أنفوا من عبادة الأصنام ودعوا إلى التوحيد ، وفي ذلك
يقول زيد بن عمرو بن نفيل عندما تحنّف وترك عبادة الأصنام :

أرباً واحداً أم ألف رب أدب إذا تقست الأمور

(١) المصدر المصنف ١ ص ١٧ - التلويح ٢ ص ٦٧

(٢) ابن الكلبي ١ ص ٢٧

(٣) المصدر ١ ص ٦١

عزلت ثلاث والعزى جميعاً
فلا مزى أدين ولا ابتيها
ولا غنماً أدين وكان رباً
عجبت ربي القيايى معجبات
بأن الله قد أغنى رجلاً
وأبقى آخرين بغير فحوم
وبينا المرء يعلو ثاب يوماً
ولكن أعبد الرحمن ربي
كذلك يفعل الجلد الصبور
ولا صنمى بنى عمرو أروور
لنا في الدهر إله حلى بعر
وفي الأيام يمرقها البصير
كثيراً كان شأنهم الفجور
فمزيل منهم الطفل الصغير
كما يفرح الفصن المطير
ليغفر ذنبي الرب المفور^(١)

وذكروا أنه كان لا يذبح للأصنام ، ولا يأكل الميتة والدم ، وذلك قبل أن
يمت النبي ﷺ ، وكان الخطاب قد أدى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة ،
فنزله حراً^(٢) .

وقد آمن المتحنفون بالله وبيوم الحساب ، وفي إيمانهم بالله يقول عبد الطائفة
ابن العلب بن وبرة بن قضاة :

أدعوك يا رب بما أنت أعز
لأنك أهل الحمد والخير كله
وأنت الذي لم يحبه الدهر ثانياً
ويقول علقم بن شهاب التميمي :

(١) اللؤسى ٤ ج ٢ ص ٢١٦ . وفي رواية ابن القيم أنه قال :

فركت الثلاث والعزى جميعاً
فلا المزى أدين ولا ابتيها
ولا غنماً أدين وكان رباً
عجبت ربي القيايى معجبات
بأن الله قد أغنى رجلاً
وأبقى آخرين بغير فحوم
وبينا المرء يعلو ثاب يوماً
ولكن أعبد الرحمن ربي

: ابن القيم ٤ ص ٢٢

(٢) اللؤسى ٤ ج ٢ ص ٢٥١

ولقد شهدت الحسم يوم رفاعة فأخذت منه خطة الفنجال

وعطت أن الله جاز هذه يوم الحساب ياأحسن الأعمال (١)

وكان كعب بن لؤي بن غالب ، أحبه أجداد الرسول ، متحنفاً ، يأمر
فريش بالتفكير في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ويحشهم على
صلة الأرحام وحفظ العهد ، ويذكركم بالموت وأهواله ، ويبشركم ببعث
رسول الله (٢) :

ولقد كان للحنيفية أثر واضح في إعداد العرب قبل الإسلام للنقطة ، وفي
إضفاء المثل الدينية الحاهلية والميل إلى ترك الوثنية وبقائها ، والاتجاه نحو التوحيد .

(١) نفس المرجع ، ص ٢٧٦

(٢) القوس ، ج ٢ ص ٢٨٢

مراجع الكتاب

المراجع

- ١ - ابن الأثير (علي بن أحمد بن أبي الكرم) : كمال في التاريخ ، القاهرة ١٣٤٨ هـ
- ٢ - : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، ج ١ ، تحقيق الأستاذ محمد صبيح ، القاهرة ١٩٦٤
- ٣ - أحمد (الأستاذ يوسف) : المحمل والحج ، القاهرة ١٩٣٧
- ٤ - الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن العزيز) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب دُرّة المشتاق في اختراق الأقطار ، نشره دوزي وهي غوة ، لندن ١٨٩٣
- ٥ - الأزرق (أبو الوليد محمد بن عبد الله) : كتاب أخبار مكة ، وما جاء فيها من آثار ، نشره الأستاذ رشدي الصالح ملحق ، في جزأين ، مكة ١٣٥٢ هـ
- ٦ - أربل (توماس) : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم حسن ، القاهرة ١٩٤٧
- ٧ - الإصطخري (أبو إسحق إبراهيم بن محمد القاسمي) : كتاب المسالك والممالك ، طبعة لندن ١٩٢٧
- ٨ - الأصفهاني (أبو الفرج) : كتاب الأقطار ، طبعة بيروت ١٩٦١

جزءاً ١٩٥٩

- ٩ - الأصماني (جزء بن الحسن) تاريخ سفي ملوك الأرض والأنبياء ،
برلين ، ١٣٤٠ هـ
- ١٠ - الأصمعي (عبد الملك بن قريب) : تاريخ العرب قبل الإسلام ،
تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد ، ١٩٥٩
- ١١ - الأنصاري (الأستاذ سعيد) : أسواق العرب ، دمشق ، ١٩٣٧
- ١٢ - الأوسي (الأستاذ محمود شكري) : بلوغ الأرب في معرفة
أحوال العرب ، ٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٢٤
- ١٣ - أمين (الأستاذ أحمد) : فجر الإسلام ، القاهرة ، ١٩٤٥
- ١٤ - د : ضحى الإسلام ، ج ١ ، القاهرة ١٩٤٦ ، ج ٢ ،
القاهرة ، ١٩٣٨
- ١٥ - دور (برسي نفيل) : جستان وعصره ، مجموعة كتب
بنجوين ، لندن ، ١٩٥١ (بالإنجليزية)
- Use (Percy Neville) : Justinian and his age,
Penguin Books Series, London, 1961
- ١٦ - بارون (الأصول السامية والحامية ، لندن ، ١٩٣١
(بالإنجليزية)
- Barton : Semitic and Hametic origins, London,
1934
- ١٧ - البخاري (أبو عبادة الوليد بن عبيد) : كتاب الحامة ، تحقيق
الأب لويس شيخو اليسوعي ، بيروت ، ١٩١٠
- ١٨ - البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل) : صحيح البخاري ،

طبعة مصر ، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، ١٩٣٤

١٩ - البقي (الأستاذ عدنان) : حول الشروع التدمري الاستثنائي ،

مجلة الحوليات الأثرية السورية ، العدد ١٣ ، سنة ١٩٦٣

٢٠ - يرانق (الأستاذ محمد أحمد) والمحجوب (الأستاذ محمد يوسف) :

محمد واليهود ، سلسلة مع العرب ، عدد ١

٢١ - دي برسيغال (كوسان) : دراسة في تاريخ العرب ، ٢ مجلدات ،

باريس ، ١٨٤٧ (بالفرنسية)

De Perceval (Catusin) - Essai sur l'histoire
des Arabes, 3 vols. , Paris, 1847

٢٢ - بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة الأستاذين

نبيه أمين فارس ومنير الجليلي ، بيروت ، ١٩٤٨

٢٣ - ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد اللواتي الطنجي) : رحلة ابن بطوطة ،

مطبعة صامو ، بيروت ، ١٩٦٠

٢٤ - بفان (أ. ر.) اليهود ، بحث في موسوعة كامبريدج في تاريخ

المصور الوسطى ، المجلد التاسع (بالإنجليزية)

Bovan (E.R.) The Jews, in Cambridge
Medieval History, vol. IX

٢٥ - الكري (أبو عبيد الله عبد الله بن عبد المزي) : معجم ما

استجمع ، تحقيق الأستاذ مصطفى الحقا ، ج ١ ،

القاهرة ، ١٩٤٥

٢٦ - هيل (ريتشارد) . أصل الإسلام ، لندن ، ١٩٢٦ ،

(بالإنجليزية)

Bell (Richard) : The origin of Islam in its
Christian environment, London, 1926

٢٧ - البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) : كتاب فتوح البلدان ،
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، ٣ أجزاء ، القاهرة ،
١٩٥٧-١٩٥٦

٢٨ - أنساب الأشراف : ج ١ ،
تحقيق الدكتور محمد حميد الله ، القاهرة ، ١٩٥٩

٢٩ - بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين التطيلي ، ترجمها إلى الاساسية إجناسيو
جنتالت ، مدريد ، ١٩١٨ (بالاسبانية)

Benjamin de Tudela, Viajes de Benjamín de
Tudela, trad. española por Ignacio
Gonzalez, Madrid, 1918

٣٠ - بيل : تدمر ، مقال بدائرة المعارف الإسلامية (بالفرنسية)

Buhl, Tadmur, dans Encyclopédie de l'Islam

٣١ - بيرين (جاكلين) : اكتشاف جزيرة العرب ، ترجمة قدرى
فلمنجي ، بيروت ، ١٩٦٣

٣٢ - وراجم أصحاب المخطوطات العشر ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ

٣٣ - توفيق (الأستاذ محمد) : آثار معبد في جوف اليمن ،

مشرورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ،
١٩٥١

٣٤ - تومبسون (كلتون) : المغابر ومعبد القمر في حريضة ، أكسفورد
(بالانجليزية) ١٩٤٤

Thompson (Caton) . The tombs and Moon temple of Hureidha, Oxford, 1944

٣٥ - جابريلي (مرانكو) : العرب ، باريس ، ١٩٩٣ (بالفرنسية)

Gabrieli (Francisco) : Les Arabes Paris, 1963

٣٦ - الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : كتاب البيان والتبيين ،

طبعة السندري ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

٣٧ - حاد المولى (الأستاذ محمد أحمد) وآخرون : أيام العرب ،

القاهرة ، ١٩٤٢ .

٣٨ - الحارم (الأستاذ محمد نيمان) . أدب العرب في الحامية ،

القاهرة ، ١٩٦٣ .

٣٩ - جب (عامتون) . دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة

الدكتور إحسان عباس والدكتور محمد نجم والدكتور

محمود زايد ، بيروت ، ١٩٩٤ .

٤٠ - جروهيان (أدولف) : مقال عن العرب ، بدائرة المعارف

الإسلامية ، الطبعة الجديدة (بالإنجليزية) .

Grohmann (A.) al-Arab, in Encyclopaedia of Islam, New edition

٤١ - جليليان (أندريه) . تاريخ إفريقيا الشمالية ، باريس ، ١٩٥٥

(بالفرنسية)

Julien (André) : Histoire de l'Afrique du Nord, Paris, 1955

٤٢ - جويدي (اجناسير) . بلاد العرب قبيل الإسلام ، باريس ،

١٨٢١ (بالفرنسية)

العرب في الحامية (٣٥)

Gudi (Ignacio) : L'Arabie antéislamique,
Paris, 1921

١٣ - حقي (الدكتور قبليب) : تاريخ العرب ، ترجمة الأستاذ محمد مبروك
فالح ، القاهرة ١٩٥٣ .

١٤ - ، ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة الدكتور
جورج حداد ، والأستاذ عبد الكريم رافق ، ج ١ ،
بيروت ، ١٩٥٨ .

١٥ - ابن حزم (أبو محمد علي بن سعيد) : جهرة أنساب العرب ، تحقيق
الأستاذ ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٤٨ .

١٦ - ، ، جوامع البيرة ، تحقيق الدكتور إحسان عباس
والدكتور ناصر الدين الأسد ، مجموعة تراث الإسلام ،
عدد ٢ .

١٧ - حجة الوداع ، تحقيق الدكتور مدوح حقي ببيروت ،
١٩٦٦ .

١٨ - حوري (الدكتور سنان) : التغير التاريخي للنباح والطبيعة
في بلاد العرب الجنوبية ، مجلة كلية الآداب جامعة
القاهرة ، مجلد ٣ ، قسم ١ ، مايو ١٩٣٥ (بالفرنسية) .

Huzayyin (S.) , Changement historique du
climat et du Paysage de l'Arabie du
Sud, Bulletin of the Faculty of Arts,
University of Egypt, vol. III, Part
I, May, 1935

١٩ - حسن (الدكتور ركي محمد) : دراسات في مناسج البحث
واصلاح في التاريخ الإسلامي ، مقال بمجلة كلية الآداب ،

جامعة القاهرة ، المجلد ١٢ ، ج ١ مايو ، ١٩٦٠ .

٥٠ - حسن (الدكتور حسن ابراهيم) : تاريخ الإسلام السياسي ،
الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٩ .

٥١ - حسنين (الدكتور هؤاد) : استكمال لكتاب التاريخ العربي
القديم ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٥٢ - حسين (الدكتور طه) . في الأدب الجاهلي ، القاهرة ١٩٦٧ ،
وطبعة ١٩٣٣ .

٥٣ - الحسيني (الدكتور عبد المحسن) . تقويم العرب في الجاهلية ،
الاسكندرية ، ١٩٦٣ .

٥٤ - الحميري (أبو عبدالله محمد بن عبد النعم) : صفة جزيرة الأندلس ،
من كتاب الروض المطار في خبر الأقطار ، تحقيق
الأستاذ ليبي بروفيسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

٥٥ - الحوفي (الدكتور أحمد محمد) . الحياة العربية من الشعر الجاهلي
القاهرة ، ١٩٤٩ ، وطبعة ١٩٥٦ .

٥٦ - هـ : امرأة في الشعر الجاهلي ، القاهرة ،
١٩٥٤ .

٥٧ - ابن حوقل البصري (أبو القاسم محمد) كتاب صورة الأرض ، طبعة
بيروت ، ١٩٦٣ .

٥٨ - ابن حبان (أبو مروان حبان بن خلف) : قطعة من كتاب
المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، من عهد الأمير
عبد الله ، القسم الثالث ، تحقيق الأب مشور أنطونية ،
باريس ، ١٩٣٧ .

- ٥٩ - الطيمي (الحسن بن أحمد) كتاب سيرة الحبشة ، ومقدمته
للدكتور مراد كامل ، القاهرة ، ١٩٥٨
- ٦٠ - الحازن (الشيخ نيب وهبة) : من الساميين إلى العرب ،
بيروت ، ١٩٦٢
- ٦١ - خاد (الأستاذ محمد عبد الحميد) . الأساطير العربية قبل
الإسلام ، القاهرة ، ١٩٣٧
- ٦٢ - الحروبوطي (الدكتور علي حسني) : العرب واليهود في العصر
الإسلامي ، من سلسلة كتب قومية ، عدد ٢٤٧
- ٦٣ - . : الدولة العربية الإسلامية ،
القاهرة ، ١٩٦٥
- ٦٤ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق
الدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ، ١٩٥٧ (في
أربعة أجزاء)
- ٦٥ - . : كتاب المبر وديوان المشدأ
والخبر ، الجزء الثاني ، طبعة بيروت ، ١٩٦٥
- ٦٦ - موزي (رينهاردت) : تاريخ مسلمي الأندلس ، ليدن ، ٣ أجزاء ،
١٩٣٢ (بالفرنسية)
- Dozy (R.) : Histoire des Musulmans d'Espagne.
Leyde, 1932
- ٦٧ - ديو (رينيه) : العرب في سوريا قبل الإسلام ، ترجمة الأستاذ
عبد الحميد الدواخلي ، القاهرة ، ١٩٥٩
- Dussaud (René) Les Arabes en Syrie avant
l'Islam, Paris. 1907

٦٨ - ديموبين (جودقروا) : النظم الإسلامية ، ترجمة الدكتور فيصل

السامر والدكتور صالح الشجاع ، بيروت ، ١٩٦١

٦٩ - الدينوري (أبو حنيفة) : الأخبار الطوال ، تحقيق الأستاذ عبد المنعم

عالم ، القاهرة ، ١٩٦٠

٧٠ - ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتحقيق الدكتور محمد حسي ،

بيروت ، ١٩٦٨

٧١ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، القاهرة ، ١٣٣١ هـ .

٧٢ - ديوان السموأل ، شرح عيسى مابا ، بيروت ، ١٩٥١

٧٣ - ديوان الشريف الرضي (محمد بن أبي أحمد الحسين) ، طعة بيروت ،

١٣٠٧ هـ

٧٤ - ديوان النابغة الذبياني ، نشر وتحقيق الأستاذ محمد جمال ، بيروت ،

١٩٢٩

٧٥ - رابين (ك) : مقال بعنوان ' العربية ' ، بدائرة المعارف الإسلامية ،

(بالفرنسية)

Rabin (C.) . Ency de l'Islam, article «Arabîyyan»

٧٦ - ابن رسته (أبو علي أحمد بن عمر) : الأعلام العيسية ، الجزء السابع

من المكتبة الجغرافية العربية ، تحقيق دى غوية ،

ليدن ، ١٨٩٢

٧٧ - رغت (الأستاذ إبراهيم) : مرآة الحرمين ، القاهرة ، ج ١ ،

١٩٢٥

٧٨ - رودولف كيس (نيكولوس) : الحياة العامة للدول العربية الجنوبية ،

من كتاب التاريخ العربي القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد
حسين علي ، القاهرة ، ١٩٥٨

٧٩ - روزنثال (فرانز) : علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة الدكتور
صالح أحمد العلي ، بغداد ، ١٩٦٣

٨٠ - رينان (لرنست) : تاريخ بني اسرائيل ، باريس ، ١٩٢٥ (بالفرنسية)
Renan (E.) : Histoire du Peuple d'Israël,
Paris, 1925

٨١ - : تاريخ عام اللغات السامية ، ج ١ ، باريس . ١٨٥٥ .
(بالفرنسية)

Renan (E.) : Histoire générale des langues
sémitiques, t. I, Paris, 1855

٨٢ - الزبيدي (أبو الفيض مرتضى بن محمد) : تاج العروس ، طبعة
مصر ، ١٣٥٦ هـ

٨٣ - الزبيدي (أبو عبدالله المصمبي) : كتاب نسب قریش ، تحقيق
الأستاذ ليقي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٥٣

٨٤ - الزحنتري : الكشف عن عوامض التنزيل وعيون الأقاويل ،
ج ٢ ، القاهرة ، ١٩٢٥

٨٥ - زيدان (الأستاذ حرجي) : العرب قبل الإسلام ، طبعة دار
الجلال ، بمراجعة الدكتور حسين مؤنس

٨٦ - سالم (الدكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ المسلمين وآثارهم
في الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٢

٨٧ - : المؤلفات المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩

- ٨٨ - مالم (الدكتور السيد عبد العزيز) ، مخطيط لاسكندرية وعمرائها في العصر الإسلامي ، بيروت ، ١٩٦٣
- ٨٩ - التخطيط ومظاهر العمران في العصور الإسلامية الوسطى ، المجلد سبتمبر ١٩٥٧
- ٩٠ - : العرب الكبير ، الجزء الثاني ، الاسكندرية ، ١٩٦٦
- ٩١ - التاريخ والمرشون العرب ، الاسكندرية ١٩٦٧
- ٩٢ - دراسات في قديم العرب ، الجزء الأول ، عصر ما قبل الاسلام ، الاسكندرية ، ١٩٦٨
- ٩٣ - تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العالم الاسلامي ، الاسكندرية ، ١٩٦٩
- ٩٤ - سارايو ، جغرافية سارايو ، (الترجمة الإنجليزية) لجوز ، لندن ، ١٩٤٩ (بالإنجليزية)
- Strabo, the Geography of Strabo, trans. H L. Jones, London, 1949
- ٩٥ - السقاوي (محمد بن عبد الرحمن بن محمد) : الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ ، نص نشره رورثال في كتاب علم التاريخ عند المسلمين ، بغداد ، ١٩٦٣
- ٩٦ - سرور (الدكتور محمد جمال الدين) . قيام دولة العربية الإسلامية في حياة محمد ﷺ ، القاهرة ، ١٩٥٦
- ٩٧ - : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد

المجلة / القاهرة ١٩٩٥

- ٩٨ - ابن سعد (أبو عبدالله محمد) . الطبقات الكبرى ، طعة ليدن ،
لتحقيق الدكتور سارستين ١٣٢٢ هـ (١٠٩٥ م) وطبعة
بيروت ١٩٥٧
- ٩٩ - السهوي (أبو الحسن بن عبد الله) : كتاب وفاة وفاء بأخبار
دار المصطفى ، جران القاهرة ١٣٢٦ هـ
- ١٠٠ - سيد : تاريخ العرب المصم ، ترجمة الأستاذ عادل زعيتر ،
القاهرة ١٩٤٨
- ١٠١ - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) : بغية الرعاة ،
القاهرة ١٣٢٦ هـ
- ١٠٢ - : المزهري في علوم
اللقنة ، شرح الأستاذ محمد أحمد جاد الحولي وآخرين .
- ١٠٣ - : حسن المحاضرة
في أخبار مصر والقاهرة ، ج ١ ، طبعة مصر ،
١٣٢٧ هـ
- ١٠٤ - الشافعي : كتاب البهاوت ، تحقيق كور كيس عواد ، بغداد ،
١٩٥١
- ١٠٥ - الشريف (الأستاذ أحمد إبراهيم) : مكة والمدينة في الجاهلية
وعصر الرسول ، القاهرة ١٩٦٧
- ١٠٦ - : الدولة الإسلامية الأولى ،
المكتبة التاريخية ، القاهرة ١٩٦٥
- ١٠٧ - شلي (الأستاذ عبد المصم عبد الرؤوف) : شرح ديوان عنزة

ابن شداد ، بدون تاريخ .

١٠٨ - الشنيطي (أحمد بن الأمين) : راجع أصعاب الملقات الشر
وأخبارهم ، القاهرة ، ١٣٢٩

١٠٩ - الشيباني (أبو العباس أحمد بن يحيى) : شرح ديوان زهير بن أبي
سلي ، القاهرة ، ١٩٦٦

١١٠ - الصالح (الدكتور صبحي) : مباحث في علوم القرآن ، دمشق ،
١٩٦٢

١١١ - : دراسات في فقه اللغة ، دمشق ،
١٩٦٠

١١٢ - صاعد الأندلسي : طبقات الأمم ، طبعة مصر ، مطبعة التقدم
(بدون تاريخ)

١١٣ - صفدي (الأستاذ جيل) : اللغة العربية : تطورها ، كتابتها
وتعلمها ، البرازيل .

١١٤ - ضيف (الدكتور شوقي) : العصر الجاهلي ، القاهرة ، ١٩٦٠

١١٥ - الطبري (محمد بن جرير) : تاريخ الأمم والملوك ، طبعة القاهرة ،
١٣٥٨ هـ ، وطبعة لندن ، ١٨٨١-١٨٨٢

١١٦ - طلس (الأستاذ محمد أسعد) : تاريخ الأمة العربية ، مصر
الابنتاني ، بيروت ، ١٩٥٧

١١٧ - عبادة (الأستاذ عبد الفتاح) : انتشار الخط العربي في العالم
الشرقي والعالم الغربي ، القاهرة ، ١٩٦٥

١١٨ - الجبامي (أحمد بن عبد الحيد) : كتاب عمدة الأخبار في مدينة
الختار .

١١٩ - ار عبدالحق (صفى الدين عبد المؤمن) : كتاب مراسد الإطلاع
في أسماء الأمكنة والبقاع ، طبعة جويليلو Juvallio

١٨٥٢ - ١٨٥٣

١٢٠ - عبدالحق (الأستاذ سليم عادل) : نظريات في الفن السوري قبل
الإسلام ، مجلة الحوليات الأثرية السورية ، مجلد ١١ ، ١٣٤١

سنة ١٩٦٢ - ٦١

١٢١ - ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله القرظي) : فتوح مصر
وأفريقية والأندلس ، تحقيق الأستاذ عبد المنعم عمار ،

القاهرة ، ١٩٦١

١٢٢ - ابن عبد ربه : العقد الفريد ، القاهرة ، ١٩٢٨

١٢٣ - ابن العبري (غريغوريوس الملقبي) : تاريخ مختصر الملوك ، بيروت ،
١٩٥٤

١٢٤ - عبيد بن شربة : أخبار عبيد بن شربة ، ملحق بكتاب التيجان في
ملوك حمير ، طبعة حيدر آغا الدكن ، ١٣٤٧ هـ

١٢٥ - المدوى (الدكتور إبراهيم أحمد) : قوات البحرية العربية في
مياه البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٦٣

١٢٦ - ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار المغرب ، ج ٢ ،
بيروت ، ١٩٥٠

١٢٧ - عزام (الأستاذ عبد الوهاب) : مهد العرب ، سلسلة اقرأ ،
عدد ٤ ، القاهرة ، ١٩٤٦

١٢٨ - المعظم (الأستاذ نزيه مؤيد) : رحلة في بلاد العربية السعيدة ،
من مصر إلى صنعاء ، القاهرة ، ١٩٣٨

- ١٢٩ - الملى (دكتور صالح أحد) : محاضرات في تاريخ العرب ،
ج ١ ، بغداد ، ١٩٥٩
- ١٣٠ - : منطقة الحيرة ، دراسة طوبوغرافية
مستندة على المصادر العربية ، مجلة كلية الآداب ،
جامعة بغداد ، المجلد ٥ ، نيسان ١٩٦٢
- ١٣١ - على (الدكتور حواد) : تاريخ العرب قبل الإسلام ، من
مطبوعات الجمع العلمي العراقي ، ثمانية أجزاء ، بغداد ،
١٩٥٠-١٩٥٩
- ١٣٢ - على (مولاي محمد) : محمد رسول الله ، ترجمة الأستاذ
مصطفى قهبي ، القاهرة ، ١٩٤٥
- ١٣٣ - العمري (شهاب الدين بن فضل الله) : كتاب مسالك الأنصار
في ممالك الأمصار ، الجزء الأول ، نشره وخطه الأستاذ
أحمد زكي باشا ، القاهرة ، ١٩٢٤
- ١٣٤ - المتناي (الأستاذ على) وحررز (الأستاذ ليون) : كتاب
الأساس في الأهم السامية وقواعد اللغة العبرية وآدابها ،
القاهرة ، ١٩٣٥
- ١٣٥ - غنيمه (الأستاذ يوسف رزق الله غنيمه) : الحيرة ، المدينة
والملكمة العربية ، بغداد ، ١٩٣٦
- ١٣٦ - الفامي (أبو الطيب كفي الدين محمد بن أحد) : شفاء الغرام
بأخبار البلد الحرام ، جران ، القاهرة ، ١٩٥٦
- ١٣٧ - قنصري (الدكتور أحد) : البين : ماضيها وحاضرها ،
القاهرة ، ١٩٥٧

- ١٣٨ - فكري (الدكتور أحمد) : رحلة أثرية إلى اليمن ، ٣ مجلدات ، القاهرة ، ١٩٥٢ (بالإنجليزية)
- Fakhry (A.) ' An archaeological journey to Yemen. 3 vols. , Cairo , 1952
- ١٣٩ - : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، مصر والمراق وسوريا واليمن وإيران ، القاهرة ، ١٩٥٨
- ١٤٠ - : اليمن ، بحث في المؤتمر الثالث للأثار في البلاد العربية الذي عقد في فارس سنة ١٩٥٩ ، القاهرة ، ١٣٨١ (١٩٦١ م)
- ١٤١ - أبو الفداء (الملك المؤيد حماد الدين اسماعيل) . المختصر في أخبار البشر ، صيدا ، ١٩٥٩
- ١٤٢ - قرع (الامتاز محمد) المبصرة العسكرية في عزوات الرسول ، مجموعة مذاهب وشخصيات ، دد ٢٤
- ١٤٣ - فروخ (الدكتور عمر) . تاريخ الجاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤
- ١٤٤ - ابن الفقيه الحمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، لندن ، ١٨٨٥
- ١٤٥ - فكري (الدكتور أحمد) الدخول إلى مساجد القاهرة ومدارسها ، الإسكندرية ، ١٩٦١
- ١٤٦ - فلي (هاري سان جون بريدجر) : بلاد العرب ، في دائرة المعارف البريطانية (بالإنجليزية)
- Philby (Harry St. John Bridger) . Arabia, in Ency - Britanica, 14 edition, 1922

- ١٤٧ - فليبي : مضية بلاد العرب ، نيويورك ،
١٩٥٢ { بالإنجليزية } .
- Philby(H.): Arabian Highlands, New York, 1952
- ١٤٨ - : مهد الإسلام ، الاسكندرية ، ١٩٤٧ { بالإنجليزية }
Philby, the background of Islam, Alexandria, 1947
- ١٤٩ - فلبس { وندل } : قنات وسبأ ، لندن ، ١٩٥٥ { بالإنجليزية }
philips (Wendell) - Qataban and Sheba ,
London, 1945
- ١٥٠ - فهمي (الدكتور عبد الرحمن) : التقود العربية ، ماضيها
وحاضرها ، المكتبة الثقافية ، القاهرة ١٩٦٥
- ١٥١ - : فجر السكة العربية ، من مجموعات
متحف الفن الاسلامي ، القاهرة ، ١٩٦٥
- ١٥٢ - فهمي { دكتور علي محمد } : القوى البحرية الاسلامية في شرق
البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٦٦ { بالإنجليزية }
Fahmy (Dr. Aly Moh.) : Muslim Sea power in
the Eastern Mediterranean, Cairo, 1966
- ١٥٣ - ابن قتيبة الدينوري (أبو محمد عبد الله بن مسلم) : كتاب المعارف ،
القاهرة ، ١٣٥٥ هـ
- ١٥٤ - : الشعر والشعراء ، تحقيق الأستاذ أحمد محمد
شاكور ، ج ١ ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ
- ١٥٥ - : عجول الأخبار ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٣
- ١٥٦ - : الإمامة والسياسة ، ج ١ ، القاهرة ١٩٣٧
- ١٥٧ - القرآن الكريم .
- ١٥٨ - القرشي : جبهة أشعار العرب ، بولاق ، ١٣٣٨ هـ

- ١٥٩ - الفطلاي (أحمد بن محمد) : كتاب إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، القاهرة ، ١٢٨٨ هـ .
- ١٦٠ - الفلشندي (أبو المباس أحمد بن علي) : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ١٦ ج ١ ، القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٦٤
- ١٦١ - : ملوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري ، القاهرة ١٩٥٩
- ١٦٢ - كاشف (دكتور سيدة اسماعيل) : مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه ، القاهرة ١٩٦٠
- ١٦٣ - الكتاب المقدس ، طبعة القاهرة ، ١٩٦٣
- ١٦٤ - ابن كثير الدمشقي (حماد الدين أبو القداء اسماعيل) : تفسير القرآن الكريم ، ٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣٧
- ١٦٥ - : السيرة النبوية ، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ، ١٩٦٤
- ١٦٦ - كرد علي (الأستاذ محمد) : الإسلام والحضارة العربية ، جزآن ، القاهرة ، ١٩٥٩
- ١٦٧ - كرزول فخر المهارة الإسلامية ، الأمويون ، والمباسيون في العصر الأول ، والطولونيون ، مجلدات ، اكسفورد ، ١٩٣٢ - ١٩١٠ (بالإنجليزية)
- Creswell (K.A.C.): Early Muslim Architecture Umayyads, Early Abbassids and Tulunids, Folio, 2 vols., Oxford, 1932 - 1940
- ١٦٨ - كرزول : مختصر لفجر المهارة الإسلامية ، مجموعة كتب نجوين ، ١٩٥٨ (بالإنجليزية)
- Creswell, A short account of early Muslim architecture, Penguin Books, 1958

١٦٩ - ابن الكلبي (أبو المنذر هشام بن محمد) : كتاب الأصنام ،
نشره أحمد ركي باشا ، صورة الدار القومية ،
القاهرة ، ١٩٦٥

١٧٠ - كتيبنو (جورج) : حضارات الشرق الأدنى القديم ، باريس ،
١٩٥٥ (بالفرنسية)

Contenau (Georges) : Les civilisations anciennes
du Proche Orient, Paris, 1935.

١٧١ - كوك (G.A.) : Palmyra in Ency. Britannica. t.
16, 1964
بلميرا ، في دائرة المعارف البريطانية (بالإنجليزية)

١٧٢ - : النبط ، مقال في دائرة المعارف والأخلاق ، المجلد
التاسع ، ١٩٣٠ (بالإنجليزية)

Cooke (G. A.) Nabataei, in Ency. of Religion
and Ethics, vol. 9, 1930.

١٧٣ - : النقوش السامية الشمالية ، أكسفورد ، ١٩٠٣ (بالإنجليزية)

Cooke (G. A) : A text book of North Semitic
inscriptions, Oxford, 1903.

١٧٤ - كيتاني : دراسة لتاريخ الشرق ، ميلانو ، ١٩١١ (بالإيطالية)

Cestani (L.) , Studi di storia Orientale, vol. 1
Milano, 1911

١٧٥ - كويار : (بول) وعد الحق (سليم) وهيون (أرمندو) تقرير

لبعثة البونسكو إل سورية في ١٩٥٣ ، باريس ،
١٩٥٤ (بالفرنسية)

Collart (Paul) , Abdul Hal (Selim) et Dillon
(Armundo) ,

Rapport de la mission envoyée par
l'Unesco à la Syrie en 1953, Paris, 1954 .

١٧٦ - لايبير (بول بوفيه) : موجز تاريخ مصر ، الجزء الأول ،
القاهرة ، ١٩٣٢ (بالفرنسية) .

Lapierre (Paul-Bovier) : précis de l'histoire
d'Egypte, t. I, le Caire 1932.

١٧٧ - لامبسي (. هـ) : عهد الإسلام ، الجزء الأول ، رومة ، ١٩١٤
(بالفرنسية) .

Lamutens (H.) : Le Berceau de l'Islam , t. I
Rome. 1914

١٧٨ - د : مدينة الطائف العربية قبيل الهجرة ، بيروت ، ١٩٧٢
(بالفرنسية)

Lammens (H.) : la cité arabe de Taif à la veille
de l'Hegire, Beyrouth, 1922.

١٧٩ - د : مكة قبيل الهجرة ، بيروت ، ١٩٢٤ (بالفرنسية)

Lammens (H.) : La Mecque à la veille de l'Hegire
Beyrouth, 1924

١٨٠ - لامبسي (. هـ) : بلاد العرب الغربية قبل الهجرة ، بيروت ،
١٩٢٨ (بالفرنسية)

Lammens (H.) : L'Arabie Occidentale avant
l'Hegire, Beyrouth, 1928

١٨١ - لويس (برنارد) : العرب في التاريخ ، تعريب الأستاذين بيه أمين
فارس ، وهمود يوسف زايد ، بيروت ، ١٩٥١

١٨٢ - ماجيد (الدكتور عبد المنعم) : مقدمة لدراسة التاريخ
الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٥٣

١٨٣ - ماجد . تاريخ الحصار الاسلامي في المصور

الوسطى ، القاهرة ١٩٦٣

١٨٤ - مجلة المجلات الاثرية السورية ، مقال عن الحفريات البولونية في قديم

المجلد العاشر ، دمشق ١٩٦٥

١٨٥ - محمد حسين (الدكتور محمد) . الحجاز والمهاجرون في المدينة

بيروت ١٩٦٥

١٨٦ - محمود (الدكتور حسن) قيام دولة ابي طين ، القاهرة ١٩٥٧

١٨٧ - المصودي (أبو الحسن علي بن الحسين) : مروج الذهب ومعاذ

الجواهر ، أربعة أجزاء ، طبعة الأستاذ محي الدين

عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٨

١٨٨ - . . . التنبيه والإشراف ، طبعة بيروت (مكتبة

خياط) ١٩٦٥

١٨٩ - المقدسي (المطهر بن طاهر) : كتاب البدء والتاريخ ، ج ١ ،

باريس ١٩٥٣

١٩٠ - المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم في

جغرة الأقاليم ، لندن ١٩٠٦

١٩١ المقري (أحمد بن محمد) : نصح الطبيب من عصف أندلس

الطبيب ، تحقيق الأستاذ محي الدين عبد الحميد ،

١٥ أجزاء ، القاهرة ١٩٤٩

١٩٢ - المقريزي (تقي الدين أحمد) : كتاب المواعظ والأعساء ، ذكر

المخطوط والآثار ، ج ١ ، طبعة بولاي ، ١٢٧٠ هـ .

- ١٩٣ - المغربي : إمتاع الأصابع ، بالرسول من الأبناء والأمرال و لخدمة
والتماع ، تحقيق الأستاذ محمد شاكر ، القاهرة ١٩٤١
- ١٩٤ - ابن منظور : لسان العرب ، بيروت ١٩٥٥
- ١٩٥ - موريو (حوث) : الفن الاسلامي في اسبانيا ترجمة الدكتور
لطفي عبد البديع ، والدكتور عبد الميرز سالم ،
القاهرة ١٩٦٨
- ١٩٦ - موسكاتي (ساباتينو) : تاريخ وحضرة الشعوب السامية ، باريس
١٩٥٤ (بالفرنسية) .
- Moscatti (Sabatino) : Histoire et civilisation
des peuples sémitiques, Paris, 1954
- ١٩٧ - موسى (ألويس) : شمال الحجاز ، ترجمة الدكتور عبد المحسن
الحسيني ، الاسكندرية ١٩٥٢
- ١٩٨ - ١ : تدمر ، نيويورك ، ١٩٢٨ (بالانجليزية)
- Musil (Alois) : Palmyrena, New York, 1928
- ١٩٩ - ١ : شمال نجد ، نيويورك ، ١٩٢٨ (بالانجليزية)
- Musil (Alois) : Northern Negd. New York. 1928
- ٢٠٠ - ١ : بلاد العرب الصحراوية ، فيينا ، ١٩٠٧ (بالانجليزية)
- Musil (Alois) : Arabia petraea, Wien, 1907
- ٢٠١ - ميخائيل (دكتور نجيب) : الشرق لأدنى القدم ، الجزء الثالث
من موسوعة مصر والشرق الأدنى القديم ، (سورية)
الاسكندرية ١٩٦٦
- ٢٠٢ - ١ : حضارة المراتق القديمة ، الجزء السادس من

موسوعة مصر والشرق الأدنى القديم ، الاسكندرية ،

١٩٦١

(أبو الفصل أحمد بن محمد النيسابوري) : مجمع
الأمثال ، القاهرة ، ١٣٥٢ هـ

٢٥٣ - الميداني

(الدكتور رشيد) : المدخل في التطور التاريخي
لفكر الدين ، بيروت ، ١٩٦٩

٢٥٤ - الناصري

(الدكتور خليل مجي) : أصل الخط العربي وتاريخ
تطوره إلى ما قبل الإسلام ، مجلة كلية الآداب ،
الجامعة المصرية ، المجلد الثالث ، الجزء الثالث ،
مايو ١٩٣٥

٢٥٥ - ثامي

• : نقوش خربة براقش ، مجلة كلية
الآداب ، جامعة القاهرة ، عدد ١٦ ، ج ١ ،
مايو ١٩٥٤

٢٥٦ - •

(محمد بن محمود) : كتاب الدرة القسنية في تاريخ
المدينة ، القاهرة ، ١٩٥٦

٢٥٧ - النجار

(ثيودور) : أمراء غسان ، ترجمة الدكتور بندلي جوزي
والدكتور قسطنطين زريق ، بيروت ، ١٩٣٣

٢٥٨ - نللكة

(شهاب الدين أحمد) : نهاية الأرب في فنون
الآدب ، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب
المصرية ، ج ٢

٢٥٩ - النوري

(ر. ا.) : تاريخ الأدب العربي ، كامبردج ، ١٥٩٣
(بالانجليزية)

٢٦٠ - نيكلسون

Nicholson(R. A.):A literary history of the Arabs.
Cambridge. 1953

- ٢١١- نيلسون(ديتلف) : تاريخ العلم ونظرة حول المادة ، من كتاب
التاريخ العربي القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسين علي ،
القاهرة ١٩٥٨
- ٢١٢- : الدبابة العربية القديمة ، فصل في كتاب التاريخ
العربي القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسين علي ،
القاهرة ١٩٥٨
- ٢١٣- النهر والى (قطب الدين) : كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ،
تحقيق وستنك ، لينج ، ١٨٥٧
- ٢١٤- هاردينج (لانكستر) : آثار الأردن ، تريب الأستاذ سليمان
موسى ، عمان ١٩٦٥
- ٢١٥- الهاشمي (الدكتور علي) : المرأة في الشعر الجاهلي ، بغداد
١٩٦٠
- ٢١٦- ابن هشام (أبو محمد عبد الملك) . كتاب سيرة النبي ، تحقيق
الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ
شلي ، القاهرة ١٩٣٦ - ١٩٥٥
- ٢١٧- الهمداني (أبو محمد الحسن بن أحمد) . كتاب الإكليل ، الجزء
الثامن ، تحقيق الدكتور بديع هارس ، برن ١٩٤٠ ،
والجزء العاشر ، تحقيق الأستاذ عبد الدين الخطيب ،
القاهرة ١٩٦٨ .
- ٢١٨- صفة جزيرة العرب ، نشره

الأستاذ محمد بن عبدالله بن سليمان النجدي ، القاهرة ،
١٩٥٣

٢١٩ الهداني (اس المقيده) مختصر كتاب البلدان ، طبعة بدم
١٨٨٥

٢٢٠ الهندي (الأستاذ هاني) ، ومحمد إبراهيم اسرائيل ،
بيروت ، ١٩٥٨

٢٢١ - هوجل (فرز) : التاريخ العام للبلاد العرب الجنوبية ، من كتاب
التاريخ العربي القديم ، ترجمة الدكتور فؤاد حسين علي ،
القاهرة ، ١٩٥٨

٢٢٢ - الواقدي (أبو عبدالله محمد بن عمر) : مغازي رسول الله ،
القاهرة ، ١٩٤٨ { وطبعة اكسفورد تحقيق مارموند
جويس ، ١٩٦٦ }

٢٢٣ - ولقدون (اسرائيل) تاريخ اليهود في بلاد العرب ، القاهرة ،
١٩٢٧

٢٢٤ - وعبد بن مسه : كتاب النيجان في ملوك حمير ، حيدر آباد الدكن ،
١٣٤٧ هـ

٢٢٥ - ويتمر (جون) : تدمر : درس من التاريخ ، في مجلة الحوليات
الأثرية السورية ، مجلد ١٠ ، ١٩٦٠ [بالفرنسيه]

Wimmer (John) Palmyre, apprenue de l'histoire
dans . Annales archéologiques de Syrie,
vol. 3, 1960 .

٢٢٦ - ياقوت حموي (شهاب الدين أبو عبدالله) . معجم البلدان ، حمة
مجلدات ، طبعة بيروت ، ١٩٥٥

٢٢٧ - اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) كتاب البلدان ، نشره دي
غوية مع الأعلام النفيسة لابن رسته ، في الجزء السابع
من المكتبة الجغرافية العربية ، لندن ، ١٨٩٢

٢٢٨ - : تاريخ اليعقوبي ، ج ١ ، طبعة
النجف ، ١٣٨٥ هـ .

٢٢٩ - أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم) كتاب الخراج ، طبعة بولاق ،
١٣٠٢ هـ .

٢٣٠ - يرسيموس ، تاريخ يرسيموس ، طبعة دار صادر ، بيروت

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

صفحة

٧ مقدمة الكتاب

الباب الأول

دراسة تمهيدية

١٣	(١) مصادر تاريخ الجاهلية
١٣	أولاً - المصادر الأثرية
١٣	١ - النقوش الكتابية
١٥	٢ - الآثار الباقية
١٦	ثانياً - مصادر العربية المكتوبة
١٦	١ - القرآن الكريم
١٩	٢ - الحديث وكتب التفسير
٢١	٣ - كتب السيرة والمغازي
٢٣	الطبعة الأولى
٢٤	الطبعة الثانية
٢٧	الطبعة الثالثة
٣٥	٤ - كتب التاريخ والجغرافية
٣٨	٥ - الشعر الجاهلي
٣٩	ثالثاً - المصادر غير العربية
٣٩	١ - التوراة والتلمود
٤٥	ب - الكتب العبرانية
٤٥	ج - كتب التاريخ اليونانية واللاتينية والسريرية

٤١	د - المصادر المسيحية
٤٣	(٢) العرب وطبقاتهم
٤٣	١ - العرب
٤٧	ب - طبقات العرب
٥٢	العرب البائدة
٥٢	عساد
٥٧	س - ثود
٥٩	طسم وجديس
٦١	أمع وعيل
٦٢	جرم
٦٤	(٣) جغرافية بلاد العرب
٦٤	١ - طبيعة بلاد العرب
٦٦	١ - الحرات أو الحار
٦٩	٢ - النضناء أو صحراء الجنوب
٦٩	٣ - صحراء النفود
٧٠	ب - أقسام جزيرة العرب
٧٠	١ - تهامة
٧١	٢ - نجد
٧٢	٣ - الحجاز
٧٣	٤ - العروش
٧٤	٥ - اليمن
٧٥	ج - المناخ
٧٥	١ - الرياح
٧٨	٢ - الأمطار

الباب الثاني

عرب الجنوب

الفصل الأول

اليمين منذ قيام الدولة المملوكية حتى سقوط الدولة المميرية

- (١) بلاد اليمن ٨٥ .
- أ - اسم اليمن ٨٥ .
- ب - ثورة اليمين الاقتصادية في العصر الحاملي ٨٧ .
- ج - المسالمة والقصور والحفاد ٩٣ .
- د - أمثلة من مدن اليمن القديمة ٩٦ .
- (٢) الدولة المملوكية ١٣٠٠ - ١٣٠٠ ق.م ١٠١ .
- (٣) الدولة السبئية ٨٠٠ ق.م - ١١٥ ق.م ١٠٧ .
- أ - السبئون ١٠٧ .
- ب - مكارب سبأ ١١٠ .
- ج - ملوك سبأ ١١٢ .
- (٤) الدولة المميرية ١١٥ ق.م - ٥٢٥ م ١١٤ .
- أ - الدولة المميرية الأولى : ملوك سبأ وفي زيدان ١١٤ .
- ب - الدولة المميرية الثانية (ملوك سبأ وفي زيدان وحضر موت ويحيى) ١١٨ .
- فترة الاحتلال الحبشي الأول لليمن ١٢٠ .
- فترة الانتقال بين الفترتين ١٢٣ .
- الفوز الحبشي الثاني لليمن وسقوط الدولة المميرية الثانية ١٢٤ .

الفصل الثاني

اليمين في ظل الأحباش

- (١) استيلاء الأحباش على اليمن في سنة ٥٢٥ م ١٣١ .
- (٢) الأحباش في اليمن ١٣٥ .
- أ - تولية أبرهة على اليمن ١٣٥ .
- ب - حملة أبرهة على مكة في عام الفيل ١٣٩ .
- (٣) اليمن في ظل الفرس ١٥٠ .

الباب الثالث

الدويلات العربية على نخوم الشام والعراق

الفصل الثالث

الأنباط والتدمريون

١٥٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	(١) الأنباط
١٥٧	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	أ - الأنباط
١٦٣	٠									ب - أشهر ملوك الأنباط
١٦٧	٠									ج - حضارة الأنباط وآثارهم
١٧١	٠									(٢) التدمريون
١٧١	٠									أ - تفسير اسم تدمر
١٧٥	٠									ب - تاريخ تدمر
١٨٨	٠									ج - حضارة التدمريين وآثارهم

الفصل الرابع

الفسانية والمناذرة

١٩٥	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	(١) الفسانية
١٩٥										أ - أصل الفسانية والظروف التي أدت إلى قيام دولتهم
١٩٩	٠									ب - الحارث بن حبة أعظم أمراء الفسانية
٢٠١	٠									ج - خلفاء الحارث بن حبة
٢١٠	٠									د - حضارة الفسانية
٢١٤	٠									(٢) المناذرة
٢١٤	٠									أ - هجرة التتوخيين إلى بادية العراق
٢٢١	٠									ب - نصير الحيرة وبداية إمارة المناذرة أو الغميمين
٢٢٨	٠									ج - أشهر أمراء المناذرة بعد حمير بن عدي
٢٢٨	٠									١ - امرئ القيس (٢٨٨-٣٢٨ م)
٢٣٠										٢ - النعمان الأول بن امرئ القيس الثاني (٣٩٠-٤١٨)

- ٢٣٦ - المتذر بن امرئ القيس المعروف بأبي مازد السجاني (٥١٢-١٠٥٥) .
- ٢٤١ - عمرو بن المتذر (٥٥٤ - ٥٧٤) .
- ٢٤٣ - المتذر بن المتذر (٥٧٩ - ٥٨٣) .
- ٢٤٣ - النعمان بن المتذر (٥٨٣ - ٦٠٥) .
- ٢٥٤ - إياس بن قبيصة الطائي (٦٠٥ - ٦١٤) .
- ٢٥٥ - انتصار العرب على الفرس في قتي قار .
- ٢٦٢ - آزادبه بن ماهيان بن مهرا بن دداد (٦١٤ - ٦٣١) .
- ٢٦٣ - المتذر بن النعمان (المتروك) .
- ٢٦٥ - الحيرة في العصر الاسلامي .
- ٢٦٧ - حضارة الحيرة في عصر الخميني .
- ٣٦٧ - الحياة العلمية .
- ٣٧١ - الحياة الاقتصادية .
- ٣٧٣ - فن التجارة .
- ٣٧٤ - القصور .
- ٣٧٧ - الأديرة والكنائس .
- ٣٨٢ - الحياة الدينية في الحيرة .

الباب الرابع

الحجاز

الفصل الخامس

مواضع الحجاز

- ٢٨٩ - مكة - المدينة القربة .
- ٢٨٩ - أهمية دراسة بلاد الحجاز اقتصادياً .
- ٢٩٤ - اشتقاق اسم مكة وتفسيره وذكر أسمائها الأخرى .
- ٢٩٧ - جغرافية مكة - الموقع والنتائج .
- ٣٠٥ - مصادر الثروة الاقتصادية في مكة في العصر الجمالي .

٣١٤	هـ - تاريخ مكة قبيل ظهور الإسلام
٣٢٠	(٢) مدينة الطائف
٣٢٠	أ - جغرافية الطائف . الموقع والمناخ
٣٢٢	ب - الحياة الاقتصادية في الطائف
٣٢٦	ج - سكان الطائف وعلاقتهم بأهل مكة
٣٢٩	د - مركز الطائف الديني
٣٣١	(٣) يثرب
٣٣١	أ - أسماء يثرب
٣٣٤	ب - جغرافية يثرب : الموقع والمناخ
٣٣٩	ج - سكان يثرب
٣٤٠	١ - اليهود
٣٤٣	٢ - العرب
٣٥٢	د - الحياة الاقتصادية

الباب الخامس

الحياة الاجتماعية والدينية

الفصل السادس

الحياة الاجتماعية عند العرب في العصر الجاهلي

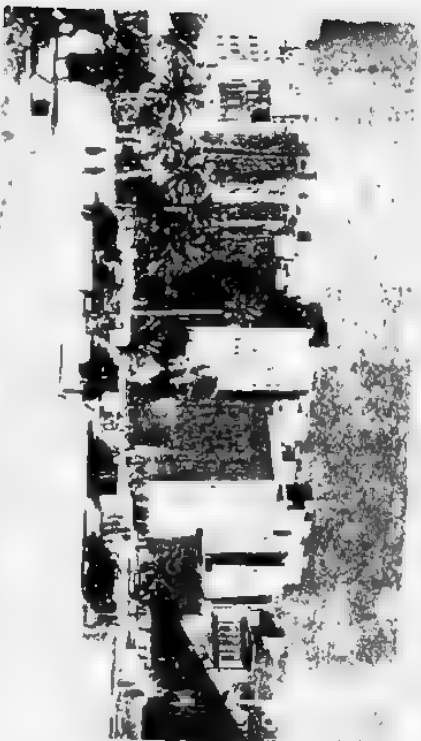
٣٥٩	(١) النظام القبلي وأثره في حالة التفكك السياسي
٣٥٩	أ - القبيلة أساس التنظيم السياسي في المجتمع الجاهلي
٣٦٤	ب - المثل العربي في إثبات القوة والبطي واستطابة الموت في المعركة
٣٦٦	ج - النظم الحربية في العصر الجاهلي
٣٧١	د - أيام العرب
٣٧٦	١ - يوم حِزْاز أو حِزْازي
٣٧٨	٢ - حرب البسوس

٣٨١	٣ - حرب داحس والغبراء
٣٨٢	(٣) الحياة الاجتماعية
٣٨٢	أ - المجتمع القبلي في الجاهلية
٣٨٢	طبقات المجتمع
٣٨٥	ب - الأغنياء والفقراء
٣٨٩	ج - صفات العرب
٣٨٩	١ - الكرم
٣٩١	٢ - الشجاعة
٣٩٢	٣ - العفة
٣٩٣	٤ - الوفاء
٣٩٤	د - المرأة في المجتمع الجاهلي
٣٩٤	١ - الأسرة
٤٠٠	٢ - دور المرأة في السلم والحرب
	الفصل السابع
	أديان العرب في الجاهلية
٤٠٥	(١) تطور الفكر الديني عند العرب
٤١٢	(٢) أصنام العرب في الجاهلية
٤١٤	ود وسواح ويغوث ويعوق ووسر
٤١٨	مناة
٤١٩	اللات والعزى
٤٢٣	هبيل
٤٢٤	إساف ، نائلة وأصنام أخرى
٤٢٦	(٣) عبدة الكواكب والنار
٤٢٩	(٤) النصرانية والمسيحية
٤٣٤	(٥) الخنيفة



(لوحة رقم ١) مدينة مارب الحالية وتقوم على أنقاض مارب القديمة

(عن كتاب الاكتشافات الأثرية في جنوب بلاد العرب)



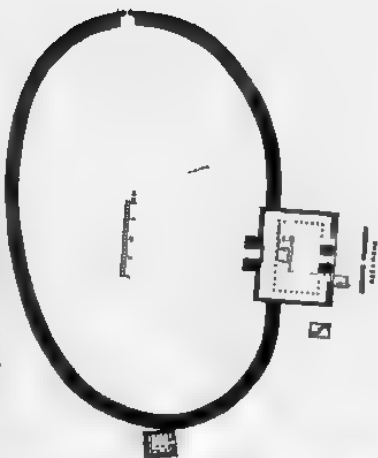
١ لوحة رقم ٢ (مدينة شيام من حدائق العين القديمة ونيسو المناركة حكمة على النظام القديم كالمصور
(عن كتاب حياطة وسيا)

لوحة رقم ١٣ / جانب من سد مأرب القديم

(عن كتاب فتان ومسا)



پ - نقشه کعبه حرم بلقیس با دربه
 ا - من کتاب قضاوت رسا ا



(در ساحت رقیب)
 - نشان من الهی در سر من حیدر الهی و حرم بلقیس ا با دربه



لوحة رقم ٥ - تمثال من البرونز من مدينة نجع حاصية قناتان ٧٥ م - ٥٠ م عن كتاب قناتان وسلا



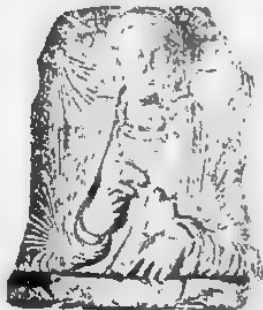
(لوحة رقم ١) انكاد على امتداد الشارع الرئيسي بدمر
وبرى القوس الذي يتفتح على أحد الشوارع الجانبية

(من كتاب *Inscriptions de Palmyre*)



(لوحة رقم ٧) بوابة المدخل الشرقي لمعد الآلهة معمل في تدمر

{ Choux d'inscriptions de Palmyra } عن كذب



٢

(لوحة رقم ٨) غاتل من قديم

١ - نقش على قايوت مثل امراء يسمى حرمون ست مقصور ، وتبدو فيه المرأة وقد ثرست بقرطين
واسورة ذات حوريت وعلى رأسها تاج من التقرصات لبقية

٢ - نقش بشل فتانلي تلمس كل منها علاوة من قماش حريري قديم طياته ونمطي رأسها

ج - نقش دارر يمثل امرأة تسمى حبه ست مقصور من رنديل وتحمل في مدها اليمن مفتاحاً
وفي اليسرى معزلاً وحول رقبته قلادة من حبه أدمار

د - لثال صغير لامرأة مستخرج من مجموعة نقوش صحوية وتحمل في يدها اليسرى ثلاثة مفاتيح نقش

على واحد منها عبارة « الدار الأبدية » ١ عن كتاب (hoix d'inscriptions de Palmyre)

رقم الإيداع ٢٠٠٠ / ٢٥٥٥

تسليمية الاشتراك
إحداثيات الهيئة العامة للثقافة

الاسم

الجنس

رقم التليفون

حالة بريدية رقم

التوقيع

بمبلغ باسم الهيئة العامة لتصور الثقافة

م	اسم السلسلة	موعد الاصدار	قيمة الاشتراك ل شهر	قيمة الاشتراك سنة كاملة
١	اصوات أدبية	نصف شهرية	١٢	٢٤
٢	إبداعات	نصف شهرية	٦	١٢
٣	كتابات أدبية	شهرية	١٢	٢٤
٤	إطلاق الترجمة	شهرية	١٢	٢٤
٥	أفاق الكتابة	شهرية	٦	١٢
٦	الدخول	شهرية	٣٠	٦٠
٧	ذاكرة الكتابة	شهرية	١٨	٣٦
٨	مطبوعات الهيئة	شهرية	١٢	٢٤
٩	الدراسات الشعبية	شهرية	١٢	٢٤
١٠	صين صقور	شهرية	٦	١٢
١١	مجلة الثقافة الجديدة	شهرية	٦	١٢
١٢	مجلة قحط القندى	نصف شهرية	١٢	٢٢
١٣	مجلة أفاق المسرح	فصلية	٤	٨
١٤	أفاق الفن التشكيلى	شهرية	٢٤	٤٨
١٥	الجوهر	شهرية	٦	١٢
١٦	أفاق الصنما	فصلية	١٨	٣٦

ضع علامة (✓) أمام السلسلة التي تريد الاشتراك فيها في الربع الخامس بعدة ستة أشهر أو سنة كاملة

ترسل على عنوان الهيئة العامة : ١٦ ش أمين سامى - قصر اليميني - القاهرة

هـ : ٣٥٦٤٨٤٣ - ٣٥٦٤٨٤٢ - فاكس : ٣٥٦٤٢٠٢

الرقم البريدي : ١١٥٦٢

الأمة للطباعة والنشر

إن تاريخ العرب قبل الإسلام يتجلياته السياسية والاجتماعية يحتاج إلى دراسة مناهية الأولى، وجذوره التاريخية، هذا الاهتمام المتزايد من الوطن العربي، ممن في مصرفة ماضي أممتهم وموئيتهم، بغية الرد على أباطيل أعدائهم، والتزود من أحداث ووقائع الماضي، إضافة إلى تجارب أجدادهم القدامى والاستفادة من تراثهم الذي قد يعينهم على إدراك المناطق التاريخية الشاعرة في حلقات العروبة المتصلة، من هنا تأتي أهمية تقديم هذا الكتاب كى يسهم فى إضاءة تاريخ العرب قبل الإسلام .

Bibliotheca Alexandrina



0626230

ثلاث جملات

شركة الأهل للطباعة والنشر